﴿سِلْسِلَةُ الرَّسَائِلِ المِقْدَادِيَّة فِي تَبْسِيْطِ العَقِيدَةِ الإِسْلَامِيَّة﴾

﴿١٧﴾

سَوَاطِعُ الأَنْوَارِ

فِيْ بيَانِ مَا جَاءَ فِي النَّار دَارِ البَوَار

الأُسْتَاذُ الدُّكْتُوْر

عَلِيْ المِقْدَادِيْ الحَاتِمِي الأَشْعَرِي

المُقَدِّمَة

إنَّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا ، من يَهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله ، وصفيُّه وخليله ، قال تعالىٰ : **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾** [آل عمران : ١٠٢] ، وقال تعالىٰ : **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَّ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَّ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾** [النساء:١] ، وقال تعالىٰ : **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَّ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾** [الأحزاب: ٧٠-٧١] ، أمَّا بعد :

فقد جاءت آيات الكتاب العزيز وأحاديث الرَّسول صلىٰ الله عليه وسلم تترىٰ تبيِّن أنَّ النَّار هي مستقرُّ المشركين والكافرين والآبين لما جاء به الأنبياء والمرسلون ... كما بيَّنت نصوص الكتاب والسُّنَّة صفات النَّار وما سينال أهلها من ألوان العذاب الذي يشيب لهوله الولدان ، تلكم الآيات والأحاديث التي جاءت مجملة حيناً ومفصَّلة حيناً آخر ... ذلكم العذاب الأبدي الذي لا يفتر ولا يُخَفَّفُ عن أهلها ... فقد قامت عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة علىٰ أنَّ النار خالدة لا تبيد، وأنَّ أهلها فيها خالدون فيها ، ولا يخرج منها إلَّا عصاة الموحِّدين الذين سيُعذَّبون فيها بقدْر معاصيهم ، أمَّا الكفرة والمشركون فهم فيها خالدون ...

كما وضَّحت الآيات الكريمة حسرة أهل النَّار وندامتهم علىٰ ما فرَّطوا في جنب الله تعالىٰ في حياتهم الدُّنيا ، قال تعالىٰ : **﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾** [يونس:٥٤] ، وأنَّهم سيدعون علىٰ أنفسهم بالويل والثُّبور وعظائم الأمور ، قال تعالىٰ : **﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ وَراءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُوراً﴾** [الإنشقاق:١٠-١١] ، وقال : **﴿وَإِذا أُلْقُوا مِنْها مَكاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنالِكَ ثُبُوراً * لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُوراً واحِداً وَادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً﴾** [الفرقان:١٣-١٤] .

وفي كتابنا هذا ألقينا الضوء علىٰ كلِّ ما يتعلَّق بالنَّار ... بدءاً بصفاتها وصفات أهلها والأسباب الموجبة لها ، وكذا بأسباب النَّجاة منها ... جاء ذلك كلّه علىٰ شكل سؤال وجواب ، وبأسلوب شيِّق ، جامع مانع ...

فما علىٰ الإنسان إلَّا أن يعي حقيقة التَّكليف التي خُلق من أجلها ، وأنَّه عبد مملوك لله تعالىٰ ، وأنَّه في دار امتحان وتزوِّد لتلك الدَّار الأبديَّة التي يكون ينقسم فيها الخلق إلىٰ فريقين : فريق في الجنَّة وفريق في السَّعير …

قال الإمام ابن الجوزي في " التَّبصرة " (١/ ٨٣-٨٤) : " بَكَىٰ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَيْلَةً فَأَطَالَ ، فَسُئِلَ عَنْ بُكَائِهِ ، فَقَالَ: ذَكَرْتُ مَصِيرَ الْقَوْمِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ " فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ " ثُمَّ صَرَخَ وَغُشِيَ عَلَيْهِ.

كَمْ ذَا أُغَـــالِطُ أَمْرِي ... كَأَنَّنِـــي لَسْتُ أَدْرِي
أَغْفَلْتُ ذَا الَّـــذِي كَانَ ... فِـــي مُقَدَّمِ عُمْرِي
وَلَمْ أَزَلْ أَتَمَـــادَىٰ ... حَتَّـــىٰ تَصَرَّمَ دَهْرِي
مَنْ لِـــي إِذَا صِرْتُ رِهْنًا ... بِالذَّنْبِ فِـــي رَمْسِ قَبْرِي
بِأَيِّ عُذْرٍ أُلاقِـــي ... رَبِّي لِيَقْبَـــلَ عُذْرِي
فَلَيْتَ شِعْـــرِي مَتَىٰ أُدْرِكُ ... الْمُنَىٰ لَيْتَ شِعْـــرِي

يَا مَنْ قَدْ وَهَىٰ شَبَابُهُ ، وَامْتَلأَ بِالزَّلَلِ كِتَابُهُ ، أَمَا بَلَغَكَ أَنَّ الْجُلُودَ إِذَا اسْتُشْهِدَتْ نَطَقَتْ ، أَمَا عَلِمْتَ أن النار للعصاة خلقت ، إنها لتحرق كُلَّ مَا يُلْقَىٰ فِيهَا ، فَيَصْعُبُ عَلَىٰ خَزَنَتِهَا كَثْرَةُ تَلاقِيهَا ، التَّوْبَةُ تَحْجُبُ عَنْهَا ، وَالدَّمْعَةُ تُطْفِيهَا ، قَالَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّومِ قَطَرَتْ فِي الأَرْضِ لأَمَرَّتْ عَلَىٰ أَهْلِ الدُّنْيَا مَعِيشَتَهُمْ " فَكَيْفَ بِمَنْ هُوَ طَعَامُهُ لا طَعَامٌ لَهُ غَيْرُهُ!

أَسَفًا لأَهْلِ النار قد هَلَكُوا وَشَقُوا ، لا يَقْدِرُ الْوَاصِفُ أَنْ يَصِفَ مَا قَدْ لَقُوا ، كُلَّمَا عَطِشُوا جِيءَ بِالْحَمِيمِ فَسُقُوا وَهَذَا جَزَاؤُهُمْ إِذْ خَرَجُوا عَنِ الطَّاعَةِ وَفَسَقُوا ، قُطِّعُوا وَاللهَّ بِالْعَذَابِ وَمُزِّقُوا ، وَأُفْرِدَ كُلٌّ مِنْهُمْ عَنْ فَرِيقِهِ وَفُرِّقُوا ، فَلَوْ رَأَيْتَهُمْ قَدْ كُلِّبُوا فِي السَّلاسِلِ وَأُوثِقُوا وَاشْتَدَّ زَفِيرُهُمْ وَتَضَرَّعَ أسيرهم وقلقوا ، وَتَمَنَّوْا أَنْ لَمْ يَكُونُوا وَتَأَسَّفُوا كَيْفَ خُلِقُوا ، وندموا إذا أَعْرَضُوا عَنِ النُّصْحِ وَقَدْ صَدَقُوا ، فَلا اعْتِذَارُهُمْ يُسْمَعُ ، وَلا بُكَاؤُهُمْ يَنْفَعُ وَلا أُعْتِقُوا.

لَوْ أَبْصَرَتْ عَيْنَـــاكَ أَهْلَ الشَّقَا ... فِي النَّارِ قَدْ غُلُّوا وَقَدْ طُوِّقُوا

تَقُولُ أُولاهُمْ لأُخْرَاهُـــــــمْ	فِي لُجَجِ الْمُهْلِ وَقَدْ أُغْرِقُوا
قَدْ كُنْتُمْ حُذِّرْتُمْ حَرَّهَـــــــا	لَكِنْ مِنَ النِّيرَانِ لَمْ تَفْرَقُوا
وَجِيءَ بِالنِّيرَانِ مَزْمُـــــــومَةً	شِرَارُهَا مِنْ حَوْلِهَا مُحْدِقُ
وَقِيلَ لِلنِّيرَانِ أَنْ أَحْرِقِـــــــي	وَقِيلَ لِلْخُزَّانِ أَنْ أَطْبِقُوا
وَأَوْلِيَـــــــاءُ اللَّهِ فِي جَنَّةٍ	قَدْ تُوِّجُوا فِيهَا وَقَدْ مُنْطِقُوا
تَدَبَّرُوا كَمْ بَيْنَهُمْ	ثُمَّ أجيلوا فكركـــــــم
إِخْـــــــوَتِي	وانتقوا

فالحصيف الفطن المتيقِّظ هو من يتزوَّد من دار الدُّنيا بالتَّقوىٰ للدَّار الأُخرىٰ ، ويشكر الْمُنعم علىٰ ما أنعم ، ويوقن بأنَّ هذه الدَّار دار ممرٍّ لا دار مقر ...

قال الإمام ابن الجوزي في " التَّبصرة" (٢١٩/١) : " أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مَنْصُورٍ ، أَنْبَأَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ، أَنْبَأَنَا أَبُو عَلِيِّ بْنُ شَاذَانَ ، سَمِعْتُ أَبَا صَالِحٍ كَاتِبَ اللَّيْثِ يَذْكُرُ عَنِ الْفَضْلِ بْنِ زِيَادٍ ، عَنِ الأَوْزَاعِيِّ ، أَنَّهُ وَعَظَ فَقَالَ فِي مَوْعِظَتِهِ:

أَيُّهَا النَّاسُ تَقَوُّوا بِهَذِهِ النِّعَمِ الَّتِي أَصْبَحْتُمْ فِيهَا عَلَى الْهَرَبِ مِنَ النَّارِ الْمُوقَدَةِ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ ، فَإِنَّكُمْ فِي دَارِ الثَّوَاءِ فِيهَا قَلِيلٌ ، وَأَنْتُمْ فِيهَا مُؤَجَّلُونَ وَخَلائِفُ مِنْ بَعْدِ الْقُرُونِ ، الَّذِينَ اسْتَقْبَلُوا مِنَ الدُّنْيَا زُخْرُفَهَا وَزَهْرَتَهَا ، فَهُمْ كَانُوا أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَارًا وَأَمَدَّ أَجْسَامًا وَأَعْظَمَ آثَارًا ، فحددوا الْجِبَالَ وَجَابُوا الصُّخُورَ ، وَنَقَّبُوا فِي الْبِلادِ مُؤَيَّدِينَ بِبَطْشٍ شَدِيدٍ وَأَجْسَامٍ كَالْعِمَادِ ، فَمَا لَبِثَتِ الأَيَّامُ وَاللَّيَالِي أَنْ طَوَتْ مُدَّتَهُمْ ، وَعَفَتْ آثَارَهُمْ ، وَأَخْوَتْ مَنَازِلَهُمْ ، وَأَنْسَتْ ذِكْرَهُمْ ، فَمَا تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ وَلا تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا. كَانُوا بِلَهْوِ الأَمَلِ آمِنِينَ كَبَيَاتِ قَوْمٍ غَافِلِينَ أَوْ كَصَبَاحِ قَوْمٍ نَادِمِينَ ، ثُمَّ إِنَّكُمْ قَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِي قَدْ نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ بَيَاتًا فَأَصْبَحَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ، وَأَصْبَحَ الْبَاقُونَ يَنْظُرُونَ فِي آثَارِ نِقْمَةٍ وَزَوَالِ نِعْمَةٍ وَمَسَاكِنَ خَاوِيَةٍ ، فِيهَا آيَةٌ لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الأَلِيمَ وَعِبْرَةٌ لِمَنْ يَخْشَىٰ ، وَأَصْبَحْتُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ فِي أَجَلٍ مَنْقُوصٍ وَدُنْيَا مَقْبُوضَةٍ ، فِي زَمَانٍ قَدْ وَلَّى عَفْوُهُ وَذَهَبَ رَجَاؤُهُ ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلا جُمَّةُ شَرٍّ وَصَبَابَةُ كَدَرٍ وَأَهَاوِيلُ عِبَرٍ وَعُقُوبَاتُ غُبَرٍ وَأَرْسَالُ فِتَنٍ وَرَذَالَةُ خَلَفٍ ، بِهِمْ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، فَلا تَكُونُوا أَشْبَاهًا لِمَنْ خَدَعَهُ الأَمَلُ وَغَرَّهُ طُولُ الأَجَلِ ، نَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَجْعَلَنَا مِمَّنْ وَعَىٰ نَذَرَهُ وعقل سراه فمهد لِنَفْسِهِ" .

وقد اشتمل الكتاب على ثلاثة فصول ، هي :

الفَصْلُ الأَوَّلُ : النَّـــــــــــــارُ وَصِفَاتُهَـــا .

الفَصْلُ الثَّانِي : أَهْلُ النَّـــــــــــــار .

الفَصْلُ الثَّالِثُ : أَسْبَابُ الهَلاكِ وَأَسْبَابُ النَّجَـــــــــاةِ مِنَ النَّار .

والله تعالى نسأل أن يُسهِّل ويُسدِّد ، وأن ينفع به وبغيرة من الكتب ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم...

وَسُبْحَـــــــــــــــــــــانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ

نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـــــــــــــــهَ إِلَّا أَنْتَ

نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُـــــــوْبُ إِلَيْكَ

وَالحَمْـــــــــدُ لله رَبِّ

العَالَمِيْن

﴿ الفَصْلُ الأَوَّلُ ﴾

۞۞۞ النَّـــــــــارُ وَصِفَاتُهَــا ۞۞۞

جاء ذكر صفات النَّار في العديد من الآيات الكريمة والأحاديث الشَّريفة الصَّحيحة ، وهي صفات مَهُوْلة تقشعرُّ الأبدان لهولها وفضاعتها، وترتجف منها النُّفوس خوفًا ورهبًا وفزعًا لعظمتها ، وتغلي وتبكي لها القلوب عند سماعها ، وتبكي منها العيون والوِجْدان لبشاعتها...

النَّار هي دار الكفرة والمجرمين والمنافقين والحائدين عن صراط الله المستقيم ، فيها يعذَّبُ هؤلاء وأولئك ، عذاباً لم ترَهُ عينٌ ، ولم تسمعْ به أُذنٌ ، ولم يخطر على قلب بشَر ... وهي دار الخزي والخُسران المُبين ، قال تعالى : **﴿رَبَّنا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ﴾** [آل عمران:١٩٢] ، وقال سبحانه: **﴿قُلْ إِنَّ الْخاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَلا ذلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ * لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذلِكَ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبادَهُ يا عِبادِ فَاتَّقُونِ﴾** [الزمر:١٥-١٦] ، ولا سبيل للنَّجاة منها إلَّا بالإيمان والاستقامة على منهج الله تعالى ، فمن آمن واستقام فقد أفلح وأنجح وعن النَّار زُحْزِح ، وذلك هو الفوز المبين ، قال تعالى : **﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فازَ وَمَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلاَّ مَتاعُ الْغُرُورِ﴾** [آل عمران:١٨٥] .

وللإحاطة ببعض صفات النَّار كان هذا الفصل الذي اشتمل على الأسئلة التَّالية وأجوبتها :

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا هِيَ أَسْمَاءُ النَّار ؟

الجواب : جاء ذكر النَّار في العديد من الآيات القرآنيَّة ، منها قوله تعالى: **﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾** [آل عمران: ١٩٢] ، وقوله تعالى : **﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾** [الحج:٧٢] . قال الإمام ابن فارس في " معجم مقاييس اللغة " (٥/٣٦٨) : " النُّونُ وَالْوَاوُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى إِضَاءَةٍ وَاضْطِرَابٍ وَقِلَّةِ ثَبَاتٍ. مِنْهُ النُّورُ وَالنَّارُ، سُمِّيَا بِذَلِكَ مِنْ طَرِيقَةِ الْإِضَاءَةِ، وَلِأَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ مُضْطَرِبًا سَرِيعَ الْحَرَكَةِ" .

وجاء في " مختار الصِّحاح" (ص٣٢١) : " وَ (أَنَارَ) الشَّيْءَ وَ (اسْتَنَارَ) بِمَعْنَى أَيْ أَضَاءَ. وَ (التَّنْوِيرُ) الْإِنَارَةُ. وَهُوَ أَيْضًا الْإِسْفَارُ. وَهُوَ أَيْضًا إِزْهَارُ الشَّجَرَةِ. يُقَالُ: (نَوَّرَتِ) الشَّجَرَةُ (تَنْوِيرًا) وَ (أَنَارَتْ) أَيْ أَخْرَجَتْ (نَوْرَهَا) . وَ (النَّارُ) مُؤَنَّثَةٌ وَهِيَ مِنَ الْوَاوِ لِأَنَّ تَصْغِيرَهَا (نُوَيْرَةٌ) وَجَمْعُهَا (نُورٌ) وَ (أَنْوُرٌ) وَ (نِيرَانٌ) انْقَلَبَتِ الْوَاوُ يَاءً لِكَسْرَةِ مَا قَبْلَهَا. وَبَيْنَهُمْ (نَائِرَةٌ) أَيْ عَدَاوَةٌ وَشَحْنَاءُ. وَ (تَنَوَّرَ) النَّارَ مِنْ بَعِيدٍ تَبَصَّرَهَا " .

والنَّار في الاصطلاح الشَّرعي هي الدَّار والمستقرُّ التي خلقها وأعدَّها الله تعالى للكفرة والمجرمين والآبين لأوامر الله تعالى ورسوله ، وهي دار الذِّلَّة والعذاب والمهانة والخزي والخسران الأبدي ، التي يُعذَّبُ فيها المجرمون ببداية بلا نهاية ، وبصنوف من العذاب لا يعلمها إلَّا الله ... وقد جاء في القرآن العظيم ذكرُ العديد من أسماء النَّار ، وهي :

(١) **جَهَنَّم**: قال تعالى: **﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾** [الحجر: ٤٣] . قال الإمام أبو بكر الأنباري في " الزَّاهر في معاني كلمات النَّاس" (٢/ ١٤٦) : " في جهنَّم قولان: قال يونس وأكثر النَّحويِّين: جهنَّم: اسم للنَّار التي يعذِّب الله بها في الآخرة. وهي أعجميَّة، لا تجري للتَّعريف والعُجْمة.

وقال آخرون: جهنَّم اسم عربي، سمِّيت نار الآخرة به لبعد قعرها. وإنَّما لم تَجْرِ لثقل التَّعريف وثقل التَّأنيث. قال قطرب: حُكِي لنا عن رؤبة أنَّه قال: ركِيّة جِهنام، يريد: بعيدة القعر ".

(٢) **الجَحِيْم**: قال تعالى: **﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ * وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾** [الشعراء: ٩٠ – ٩١] . قال الإمام أبو بكر الأنباري في " الزَّاهر في معاني كلمات النَّاس" (٢/ ١٤٨) : "قال أبو عبيدة : الجحيم: النَّار المتلظِّية.

وقال الفرَّاء: الجحيم: النَّار على النَّار، والجمر بعضه على بعض. وهي جاحمة.

وقال أبو جعفر أحمد بن عبيد : سمِّيت النَّار جحيماً، لأنَّها أُكثِرَ وقودها. من قول العرب: جحمت النَّار، أجحمها: إذا أكثرت لها الوقود" .

(٣) **السَّعِيْر**:

قال تعالى : **﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً﴾** [الفرقان:١١] .

وقال تعالى: **﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾** [الشورى: ٧] .

وقال تعالى : **﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ وَجَعَلْناها رُجُوماً لِلشَّياطِينِ وَأَعْتَدْنا لَهُمْ عَذابَ السَّعِيرِ﴾** [الملك:٥] .

قال الإمام ابن فارس في " معجم مقاييس اللغة" (٣/ ٧٥-٧٦) : " السِّينُ وَالْعَيْنُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى اشْتِعَالِ الشَّيْءِ وَاتِّقَادِهِ وَارْتِفَاعِهِ. مِنْ ذَلِكَ السَّعِيرُ: سَعِيرُ النَّارِ. وَاسْتِعَارُهَا: تَوَقُّدُهَا. وَالْمِسْعَرُ: الْخَشَبُ الَّذِي يُسْعَرُ بِهِ. وَالسُّعَارُ: حَرُّ النَّارِ. وَيُقَالُ سُعِرَ الرَّجُلُ، إِذَا ضَرَبَتْهُ السَّمُومُ. وَيُقَالُ إِنَّ السَّعْرَارَةَ هِيَ الَّتِي تَرَاهَا فِي الشَّمْسِ كَالْهَبَاءِ. وَسَعَرْتُ النَّارَ وَأَسْعَرْتُهَا، فَهِيَ مُسْعَرَةٌ وَمَسْعُورَةٌ. وَيُقَالُ اسْتَعَرَ اللُّصُوصُ كَأَنَّهُمُ اشْتَعَلُوا" .

(٤) **لَظَى**: قال تعالى: **﴿كَلَّا إِنَّهَا لَظَى * نَزَّاعَةً لِلشَّوَى﴾** [المعارج: ١٥ – ١٦] . قال الإمام أبو بكر الأنباري في " الزَّاهر في معاني كلمات النَّاس" (٢/ ١٤٧) : " لظَى، سُمِّيت جهنَّم بها، لشدَّتها وتوقُّدها وتلهُّبها. يقال: هو يتلظَّى عليّ، أي: يتلهَّب ويتوقَّد ، وكذلك: النَّار تتلظَّى: يُراد به هذا المعنى: قال الشَّاعر:

جحيماً تَلَظَّى لا تُفَتَّرُ ساعةً ولا الحرُّ منها غابرَ الدَّهرِ يَبْرُدُ

(٥) **سَقَر**: قال تعالى: **﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾** [المدثر: ٢٦ – ٢٨] . قال ابن الأثير في " النِّهاية في غريب الحديث والأثر " (٢/ ٣٧٧) : " وَهُوَ اسْمٌ عجميٌّ عَلَم لنارِ الآخِرَة، لَا يَنْصرف للعُجْمة والتَّعْريف. وَقِيلَ هُو مِنْ قَوْلِهِمْ: سَقَرَتْهُ الشمسُ إِذَا أذَابته، فَلَا يَنْصرف لِلتَّأْنِيثِ والتَّعريف" .

(٦) **الهَاوِيَة**: قال تعالى: **﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ﴾** [القارعة: ٨ - ١١] . قال الإمام أبو بكر الأنباري في " الزَّاهر في معاني كلمات النَّاس" (٢/ ١٤٨) : " من أسماء جهنَّم. سُمِّيت بالهاوية، لتَسفَّلِها" .

(٧) **الحُطَمَة**: قال تعالى: **﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ﴾** [الهمزة: ٤ – ٦] . قال الإمام ابن فارس في " معجم مقاييس اللغة" (٢/ ٧٨) : " وَسُمِّيَتِ النَّارُ الْحُطَمَةَ لِحَطْمِهَا مَا تَلْقَى " ، فهي تحطِّم العظام وتهشِّمها وتأكل ما عليها من اللحم ...

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا مَعْنَى ﴿سِجِّينٍ﴾ الوَارِدَةُ فِيْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى : ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَرْقُوم﴾ [المطففين:٧-٩] ؟

الجواب : قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٣١/ ٨٦-٨٧) : " وَهَاهُنَا سُؤَالَاتٌ :

السُّؤَالُ الْأَوَّلُ: السِّجِّينُ اسْمُ عَلَمٍ لِشَيْءٍ مُعَيَّنٍ أَوِ اسْمٌ مُشْتَقٌّ عَنْ مَعْنًى؟ قُلْنَا فِيهِ قَوْلَانِ:
الْأَوَّلُ: وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ الْمُفَسِّرِينَ: أَنَّهُ اسْمُ عَلَمٍ عَلَىٰ شَيْءٍ مُعَيَّنٍ، ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِيهِ، فَالْأَكْثَرُونَ عَلَىٰ أَنَّهُ الْأَرْضُ السَّابِعَةُ السُّفْلَىٰ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةِ عَطَاءٍ وَقَتَادَةَ وَمُجَاهِدٍ وَالضَّحَّاكِ وَابْنِ زَيْدٍ، وَرَوَىٰ الْبَرَاءُ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «سِجِّينٌ أَسْفَلُ سَبْعِ أَرَضِينَ" .
قَالَ عَطَاءٌ الْخُرَاسَانِيُّ: وَفِيهَا إِبْلِيسُ وَذُرِّيَّتُهُ، وَرَوَىٰ أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: "سِجِّينٌ جُبٌّ فِي جَهَنَّمَ"
وَقَالَ الْكَلْبِيُّ وَمُجَاهِدٌ: سِجِّينٌ صَخْرَةٌ تَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ.
الْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّهُ مُشْتَقٌّ وَسُمِّيَ سِجِّينًا فِعِّيلًا مِنَ السِّجْنِ، وَهُوَ الْحَبْسُ وَالتَّضْيِيقُ كَمَا يُقَالُ: فِسِّيقٌ مِنَ الْفِسْقِ، وَهُوَ قَوْلُ أَبِي عُبَيْدَةَ وَالْمُبَرِّدِ وَالزَّجَّاجِ، قَالَ الْوَاحِدِيُّ: وَهَذَا ضَعِيفٌ وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّ سِجِّينًا لَيْسَ مِمَّا كَانَتِ الْعَرَبُ تَعْرِفُهُ قَوْلُهُ: وما أَدْراكَ مَا سِجِّينٌ أَيْ لَيْسَ ذَلِكَ مِمَّا كُنْتَ تَعْلَمُهُ أَنْتَ وَقَوْمُكَ. وَلَا أَقُولُ هَذَا ضَعِيفٌ، فَلَعَلَّهُ إِنَّمَا ذَكَرَ ذَلِكَ تَعْظِيمًا لِأَمْرِ سِجِّينٍ. كَمَا فِي قَوْلِهِ: **﴿وَما أَدْراكَ ما يَوْمُ الدِّينِ﴾** [الإنفطار: ١٧] ، قَالَ صَاحِبُ «الْكَشَّافِ» : وَالصَّحِيحُ أَنَّ السِّجِّينَ فِعِّيلٌ مَأْخُوذٌ مِنَ السِّجْنِ، ثُمَّ إِنَّهُ هَاهُنَا اسْمُ علم منقول من صف كَحَاتِمٍ وَهُوَ مُنْصَرِفٌ، لِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ إِلَّا سَبَبٌ وَاحِدٌ وَهُوَ التَّعْرِيفُ، إِذَا عَرَفْتَ هَذَا، فَنَقُولُ قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ أَجْرَىٰ أُمُورًا مَعَ عِبَادِهِ عَلَىٰ مَا تَعَارَفُوهُ مِنَ التَّعَامُلِ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عُظَمَائِهِمْ. فَالْجَنَّةُ مَوْصُوفَةٌ بِالْعُلُوِّ وَالصَّفَاءِ وَالْفُسْحَةِ وَحُضُورِ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، وَالسِّجِّينُ مَوْصُوفٌ بِالتَّسَفُّلِ وَالظُّلْمَةِ وَالضِّيقِ وَحُضُورِ الشَّيَاطِينِ الْمَلْعُونِينَ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْعُلُوَّ وَالصَّفَاءَ وَالْفُسْحَةَ وَحُضُورَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْعِزَّةِ، وَأَضْدَادُهَا مِنْ صِفَاتِ النَّقْصِ وَالذِّلَّةِ، فَلَمَّا أُرِيدَ وَصْفُ الْكَفَرَةِ وَكِتَابِهِمْ بِالذِّلَّةِ وَالْحَقَارَةِ، قِيلَ: إِنَّه فِي مَوْضِعِ التَّسَفُّلِ وَالظُّلْمَةِ وَالضِّيقِ، وَحُضُورِ الشَّيَاطِينِ، وَلَمَّا وَصَفَ كِتَابَ الْأَبْرَارِ بِالْعِزَّةِ قِيلَ: إِنَّه **﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾** [المطففين: ١٨] ، و **﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾** [الْمُطَفِّفِينَ: ٢١] .
السُّؤَالُ الثَّانِي: قَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْ كِتَابِ الْفُجَّارِ بِأَنَّهُ **﴿لَفِي سِجِّينٍ﴾** ثُمَّ فَسَّرَ سِجِّينًا بِـ **﴿كِتابٌ مَرْقُومٌ﴾** ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: إِنَّ كِتَابَهُمْ فِي كِتَابٍ مَرْقُومٍ فَمَا مَعْنَاهُ؟ أَجَابَ الْقَفَّالُ: فَقَالَ قَوْلُهُ: **﴿كِتابٌ مَرْقُومٌ﴾** لَيْسَ تَفْسِيرًا لِسِجِّينٍ، بَلِ التَّقْدِيرُ: كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ، وَإِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ كِتَابٌ مَرْقُومٌ، فَيَكُونُ هَذَا وَصْفًا لِكِتَابِ الْفُجَّارِ بِوَصْفَيْنِ أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ فِي سِجِّينٍ وَالثَّانِي: أَنَّهُ مَرْقُومٌ، وَوَقَعَ قَوْلُهُ: **﴿وَما أَدْراكَ مَا سِجِّينٌ﴾** فِيمَا بَيْنَ الْوَصْفَيْنِ مُعْتَرِضًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَالْأَوْلَىٰ أَنْ يُقَالَ: وَأَيُّ اسْتِبْعَادٍ فِي كَوْنِ أَحَدِ الْكِتَابَيْنِ فِي الْآخَرِ، إِمَّا بِأَنْ

يُوضَعَ كِتَابُ الْفُجَّارِ فِي الكتاب الذي هو الأصل المرجوع إلى فِي تَفْصِيلِ أَحْوَالِ الْأَشْقِيَاءِ، أَوْ بِأَنْ يُنْقَلَ مَا فِي كِتَابِ الْفُجَّارِ إِلَى ذَلِكَ الْكِتَابِ الْمُسَمَّى بِالسِّجِّينِ، وَفِيهِ وَجْهٌ ثَالِثٌ: وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنَ الْكِتَابِ، الْكِتَابَةَ فَيَكُونُ فِي الْمَعْنَى: كِتَابَةُ الْفُجَّارِ فِي سِجِّينٍ، أَيْ كِتَابَةُ أَعْمَالِهِمْ فِي سِجِّينٍ، ثُمَّ وُصِفَ السِّجِّينُ بِأَنَّهُ كِتَابٌ مَرْقُومٌ فِيهِ جَمِيعُ أَعْمَالِ الْفُجَّارِ.

السُّؤَالُ الثَّالِثُ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: **﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾** ؟ قُلْنَا فِيهِ وُجُوهٌ:

أَحَدُهَا: مَرْقُومٌ أَيْ مَكْتُوبَةٌ أَعْمَالُهُمْ فِيهِ .

وَثَانِيهَا: قَالَ قَتَادَةُ: رُقِمَ لَهُمْ بِسُوءٍ أَيْ كُتِبَ لَهُمْ بِإِيجَابِ النَّارِ .

وَثَالِثُهَا: قَالَ الْقَفَّالُ: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّهُ جَعَلَ ذَلِكَ الْكِتَابَ مَرْقُومًا، كَمَا يَرْقُمُ التَّاجِرُ ثَوْبَهُ عَلَامَةً لِقِيمَتِهِ، فَكَذَلِكَ كِتَابُ الْفَاجِرِ جُعِلَ مَرْقُومًا بِرَقْمٍ دَالٍّ عَلَى شَقَاوَتِهِ .

وَرَابِعُهَا: الْمَرْقُومُ: هَاهُنَا الْمَخْتُومُ، قَالَ الْوَاحِدِيُّ: وَهُوَ صَحِيحٌ لِأَنَّ الْخَتْمَ عَلَامَةٌ، فَيَجُوزُ أَنْ يُسَمَّى الْمَرْقُومُ مَخْتُومًا .

وَخَامِسُهَا: أَنَّ الْمَعْنَى كِتَابٌ مُثْبَتٌ عَلَيْهِمْ كَالرَّقْمِ فِي الثَّوْبِ لَا يَنْمَحِي" .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٩/٢٥٧-٢٥٨) : " قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿كَلَّا إِنَّ كِتابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾** ، قَالَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْعَرَبِيَّةِ: كَلَّا رَدْعٌ وَتَنْبِيهٌ، أَيْ لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَطْفِيفِ الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ، أَوْ تَكْذِيبٍ بِالْآخِرَةِ، فَلْيَرْتَدِعُوا عَنْ ذَلِكَ. فَهِيَ كَلِمَةُ رَدْعٍ وَزَجْرٍ، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ فَقَالَ: **﴿إِنَّ كِتابَ الْفُجَّارِ﴾** . وَقَالَ الْحَسَنُ: كَلَّا بِمَعْنَى حَقًّا. وَرَوَى نَاسٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ كَلَّا قَالَ: أَلَا تُصَدِّقُونَ، فَعَلَى هَذَا: الْوَقْفُ **﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** .

وَفِي تَفْسِيرِ مُقَاتِلٍ: إِنَّ أَعْمَالَ الْفُجَّارِ. وَرَوَى نَاسٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنَّ أَرْوَاحَ الْفُجَّارِ وَأَعْمَالَهُمْ لَفِي سِجِّينٍ. وَرَوَى ابْنُ أَبِي نجيح عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: سِجِّينٌ صَخْرَةٌ تَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ، تُقْلَبُ فَيُجْعَلُ كِتَابُ الْفُجَّارِ تَحْتَهَا. وَنَحْوَهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَمُقَاتِلٍ وَكَعْبٍ، قَالَ كَعْبٌ: تَحْتَهَا أَرْوَاحُ الْكُفَّارِ تَحْتَ خَدِّ إِبْلِيسَ. وَعَنْ كَعْبٍ أَيْضًا قَالَ: سِجِّينٌ صَخْرَةٌ سَوْدَاءُ تَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ، مَكْتُوبٌ فِيهَا اسْمُ كُلِّ شَيْطَانٍ، تُلْقَى أَنْفُسُ الْكُفَّارِ عِنْدَهَا. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: سِجِّينٌ تَحْتَ خَدِّ إِبْلِيسَ. يَحْيَى بْنُ سَلَّامٍ: حَجَرٌ أَسْوَدُ تَحْتَ الْأَرْضِ، يُكْتَبُ فِيهِ أَرْوَاحُ الْكُفَّارِ. وَقَالَ عَطَاءٌ الْخُرَاسَانِيُّ: هِيَ الْأَرْضُ السَّابِعَةُ السُّفْلَى،

وَفِيهَا إِبْلِيسُ وَذُرِّيَّتُهُ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنَّ الْكَافِرَ يَحْضُرُهُ الْمَوْتُ، وَتَحْضُرُهُ رُسُلُ اللهِ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ لِبُغْضِ اللهِ لَهُ وَبُغْضِهِمْ إِيَّاهُ، أَنْ يؤخروه ولا يعجلوه حتى تجيء سَاعَتُهُ، فَإِذَا جَاءَتْ سَاعَتُهُ قَبَضُوا نَفْسَهُ، وَرَفَعُوهُ إِلَى مَلَائِكَةِ الْعَذَابِ، فَأَرَوْهُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يُرُوهُ مِنَ الشَّرِّ، ثُمَّ هَبَطُوا بِهِ إِلَى الْأَرْضِ السَّابِعَةِ، وَهِيَ سِجِّينٌ، وَهِيَ آخِرُ سُلْطَانِ إِبْلِيسَ، فَأَثْبَتُوا فِيهَا كِتَابَهُ.

وَعَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ: إِنَّ رُوحَ الْفَاجِرِ إِذَا قُبِضَتْ يُصْعَدُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَتَأْبَى السَّمَاءُ أَنْ تَقْبَلَهَا، ثُمَّ يُهْبَطُ بِهَا إِلَى الْأَرْضِ، فَتَأْبَى الْأَرْضُ أَنْ تَقْبَلَهَا، فَتَدْخُلُ فِي سَبْعِ أَرَضِينَ، حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى سِجِّينٍ، وَهُوَ خَدُّ إِبْلِيسَ. فَيُخْرَجُ لَهَا مِنْ سِجِّينٍ مِنْ تَحْتِ خَدِّ إِبْلِيسَ رَقٌّ، فَيُرْقَمُ فَيُوضَعُ تَحْتَ خَدِّ إِبْلِيسَ.

وَقَالَ الْحَسَنُ: سِجِّينٌ فِي الْأَرْضِ السَّابِعَةِ. وَقِيلَ: هُوَ ضَرْبُ مَثَلٍ وَإِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَرُدُّ أَعْمَالَهُمُ الَّتِي ظَنُّوا أَنَّهَا تَنْفَعُهُمْ. قَالَ مُجَاهِدٌ: الْمَعْنَى عَمَلُهُمْ تَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ لَا يَصْعَدُ مِنْهَا شيء. وقال: سِجِّينٌ صَخْرَةٌ فِي الْأَرْضِ السَّابِعَةِ. وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (سِجِّينٌ جُبٌّ فِي جَهَنَّمَ وَهُوَ مَفْتُوحٌ) وَقَالَ فِي الْفَلَقِ: (إِنَّهُ جُبٌّ مُغَطًّى). وَقَالَ أَنَسٌ: هِيَ دَرَكَةٌ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى. وَقَالَ أَنَسٌ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سِجِّينٌ أَسْفَلَ الْأَرْضِ السَّابِعَة". (وَقَالَ عِكْرِمَةُ:) سِجِّينٌ: خَسَارٌ وَضَلَالٌ، كَقَوْلِهِمْ لِمَنْ سَقَطَ قَدْرُهُ: قَدْ زَلِقَ بِالْحَضِيضِ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَالْأَخْفَشُ وَالزَّجَّاجُ: لَفِي سِجِّينٍ لَفِي حَبْسٍ وَضِيقٍ شَدِيدٍ، فِعِّيلٌ مِنَ السَّجْنِ، كَمَا يَقُولُ: فِسِّيقٌ وَشِرِّيبٌ، قَالَ ابْنُ مُقْبِلٍ:

وَرُفْقَةٌ يَضْرِبُونَ الْبَيْضَ ضَاحِيَةً ضَرْبًا تَوَاصَتْ بِهِ الْأَبْطَالُ سِجِّينًا

وَالْمَعْنَى: كِتَابُهُمْ فِي حَبْسٍ، جُعِلَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى خَسَاسَةِ مَنْزِلَتِهِمْ، أَوْ لِأَنَّهُ يَحِلُّ مِنَ الْإِعْرَاضِ عَنْهُ وَالْإِبْعَادِ لَهُ مَحَلَّ الزَّجْرِ وَالْهَوَانِ. وَقِيلَ: أَصْلُهُ سِجِّيلٌ، فَأُبْدِلَتِ اللَّامُ نُونًا. وَقَدْ تَقَدَّمَ ذَلِكَ . وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: سِجِّينٌ فِي الْأَرْضِ السَّافِلَةِ، وَسِجِّيلٌ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا. الْقُشَيْرِيُّ: سِجِّينٌ: مَوْضِعٌ فِي السَّافِلِينَ، يُدْفَنُ فِيهِ كِتَابُ هَؤُلَاءِ، فَلَا يَظْهَرُ بَلْ يَكُونُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ كَالْمَسْجُونِ. وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى خُبْثِ أَعْمَالِهِمْ، وَتَحْقِيرِ اللهِ إِيَّاهَا، وَلِهَذَا قَالَ فِي كِتَابِ الْأَبْرَارِ: ﴿**يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ**﴾ . ﴿**وَما أَدْراكَ مَا سِجِّينٌ**﴾ ، أَيْ : لَيْسَ ذَلِكَ مِمَّا كُنْتَ تَعْلَمُهُ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ ولا قومك. ثمَّ فسَّره له فقال: ﴿**كِتابٌ مَرْقُومٌ**﴾ ، أَيْ : مَكْتُوبٌ كَالرَّقْمِ فِي الثَّوْبِ، لَا يُنْسَى وَلَا يُمْحَى. وَقَالَ قَتَادَةُ: مَرْقُومٌ أَيْ مَكْتُوبٌ، رُقِمَ لَهُمْ بِشَرٍّ: لَا يُزَادُ فِيهِمْ أَحَدٌ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُمْ أَحَدٌ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: مَرْقُومٌ: مَخْتُومٌ، بِلُغَةِ حِمْيَرَ، وَأَصْلُ الرَّقْمِ: الْكِتَابَةُ، قَالَ:

سَأَرْقُمُ فِي الْمَاءِ الْقَرَاحِ إِلَيْكُمُ   عَلَىٰ بُعْدِكُمْ إِنْ كَانَ لِلْمَاءِ رَاقِمُ

وَلَيْسَ فِي قَوْلِهِ: **﴿وَما أَدْراكَ مَا سِجِّينٌ﴾** مَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ لَفْظَ سِجِّينٍ لَيْسَ عَرَبِيًّا كَمَا لَا يَدُلُّ فِي قَوْلِهِ: **﴿الْقارِعَةُ * مَا الْقارِعَةُ * وَما أَدْراكَ مَا الْقارِعَةُ﴾** [القارعة:١-٣] بَلْ هُوَ تَعْظِيمٌ لِأَمْرِ سِجِّينٍ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا مَعْنَى ﴿سِجِّيلٍ﴾ الوَارِدَةُ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ : ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ [الفيل:٤] ؟

الجواب : قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" : " ذَكَرُوا فِي السِّجِّيلِ وُجُوهًا :

أَحَدُهَا: أَنَّ السِّجِّيلَ كَأَنَّهُ عَلَمٌ لِلدِّيوَانِ الَّذِي كُتِبَ فِيهِ عَذَابُ الْكُفَّارِ، كَمَا أَنَّ سِجِّينًا عَلَمٌ لِدِيوَانِ أَعْمَالِهِمْ، كَأَنَّهُ قِيلَ: بِحِجَارَةٍ مِنْ جُمْلَةِ الْعَذَابِ الْمَكْتُوبِ الْمُدَوَّنِ، وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الْإِسْجَالِ وَهُوَ الْإِرْسَالُ، وَمِنْهُ السِّجِلُّ الدَّلْوُ الْمَمْلُوءُ مَاءً، وَإِنَّمَا سُمِّيَ ذَلِكَ الْكِتَابُ بِهَذَا الاِسْمِ لِأَنَّهُ كُتِبَ فِيهِ الْعَذَابُ، وَالْعَذَابُ مَوْصُوفٌ بِالْإِرْسَالِ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبابِيلَ﴾** [الفيل: ٣] ، وَقَوْلِهِ: **﴿فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطُّوفانَ﴾** [الْأَعْرَافِ: ١٣٣] ، فَقَوْلُهُ: **﴿مِنْ سِجِّيلٍ﴾** ، أَيْ مِمَّا كَتَبَهُ اللهُ فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ .

وَثَانِيهَا: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: سِجِّيلٌ مَعْنَاهُ سَنْكِ وَكِلْ، يَعْنِي بَعْضُهُ حَجَرٌ وَبَعْضُهُ طِينٌ .

وَثَالِثُهَا: قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: السِّجِّيلُ الشَّدِيدُ .

وَرَابِعُهَا: السِّجِّيلُ اسْمٌ لِسَمَاءِ الدُّنْيَا .

وَخَامِسُهَا: السِّجِّيلُ حِجَارَةٌ مِنْ جَهَنَّمَ، فَإِنَّ سِجِّيلَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ جهنَّم فأُبدلت النُّون باللام " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلِ النَّارُ مَخْلُوْقَةٌ مَوْجُوْدَةٌ الآن ؟

الجواب : نعم ، النَّار مُعَدَّةٌ مخلوقة ، وهذا هو اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة ، وعلىٰ ذلك قام إجماعهم ، وبذلك نطق الجهابيذ والأساطين من علمائهم ...

قال الإمام الطَّحاوي في عقيدته : " وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ، لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا وَلَا تَبِيدَانِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ الْخَلْقِ، وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا، فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ فَضْلًا مِنْهُ، وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَىٰ النَّارِ عَدْلًا مِنْهُ، وَكُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا قَدْ فُرِغَ لَهُ، وَصَائِرٌ إِلَىٰ مَا خُلِقَ لَهُ، وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مُقَدَّرَانِ عَلَىٰ الْعِبَادِ" .

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري في " مقالات الإسلاميِّين واختلاف المصلِّين" (١/ ٢٩٦) : " ويقرُّون – أي أهل السُّنَّة والجماعة – أنَّ الجنَّة والنَّار مخلوقتان " . وقال أيضاً (ص٤٧٥) : " واختلفوا في الجنَّة والنَّار أخُلقتا أم لا ؟ فقال أهل السُّنَّة والاستقامة: هما مخلوقتان، وقال كثير من أهل البدع: لم تخلقا" .

وقال الإمام ابن حزم في " الفصل في الملل والأهواء والنِّحل" (٤/٦٨) : " الْكَلَام فِي خلق الْجنَّة وَالنَّار : ذهبت طَائِفَة من الْمُعْتَزلَة والخوارج إِلَى أَن الْجنَّة وَالنَّار لم يخلقا بعد ، وَذهب جُمْهُور الْمُسلمين إِلَى أَنَّهُمَا قد خلقتا وَمَا نعلم لمن قَالَ أَنَّهُمَا لم يخلقا بعد حجَّة أصلاً " .

قال الإمام ابن أبي العز في " شرح العقيدة الطَّحاويَّة" (ص٤٢٠) : " أَمَّا قَوْلُهُ: "إِنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ"- فَاتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ مَوْجُودَتَانِ الْآنَ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ أَهْلُ السُّنَّةِ، حَتَّى نَبَغَتْ نَابِغَةٌ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْقَدَرِيَّةِ، فَأَنْكَرَتْ ذَلِكَ، وَقَالَتْ: بَلْ يُنْشِئُهُمَا اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ!! وَحَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَصْلُهُمُ الْفَاسِدُ الَّذِي وَضَعُوا بِهِ شَرِيعَةً لِمَا يَفْعَلُهُ اللَّهُ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَفْعَلَ كَذَا، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَفْعَلَ كَذَا!! وَقَاسُوهُ عَلَى خَلْقِهِ فِي أَفْعَالِهِمْ، فَهُمْ مُشَبِّهَةٌ فِي الْأَفْعَالِ، وَدَخَلَ التَّجَهُّمُ فِيهِمْ، فَصَارُوا مَعَ ذَلِكَ مُعَطِّلَةً! وَقَالُوا: خَلْقُ الْجَنَّةِ قَبْلَ الْجَزَاءِ عَبَثٌ! لِأَنَّهَا تَصِيرُ مُعَطَّلَةً مُدَدًا مُتَطَاوِلَةً!! فَرَدُّوا مِنَ النُّصُوصِ مَا خَالَفَ هَذِهِ الشَّرِيعَةَ الْبَاطِلَةَ الَّتِي وَضَعُوهَا لِلرَّبِّ تَعَالَى، وَحَرَّفُوا النُّصُوصَ عَنْ مَوَاضِعِهَا، وَضَلَّلُوا وَبَدَّعُوا مَنْ خَالَفَ شَرِيعَتَهُمْ" .

ومن الأدلَّة على أنَّ النَّار مخلوقة موجودة الآن : قوله تعالى : **﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ﴾** [البقرة:٢٣-٢٤] .

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢/ ٢٥٢) : " أَمَّا قَوْلُهُ: **﴿أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ﴾** ، فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ النَّارَ الْمَوْصُوفَةَ مُعَدَّةٌ لِلْكَافِرِينَ " .

وقال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (١/ ٢٠٢) : " وَ **﴿أُعِدَّتْ﴾** ، أَيْ: أَرْصِدَتْ وَحَصَلَتْ لِلْكَافِرِينَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، كما قال محمد بن إسحاق، عن مُحَمَّدٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، أَوْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عن ابْنِ عَبَّاسٍ: **﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾** ، أَيْ: لِمَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ.

وَقَدِ اسْتَدَلَّ كَثِيرٌ مِنْ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى أَنَّ النَّارَ مَوْجُودَةٌ الْآنَ لِقَوْلِهِ: **﴿أُعِدَّتْ﴾** ، أَيْ: أَرْصِدَتْ وَهُيِّئَتْ وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ فِي ذَلِكَ مِنْهَا: "تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ" وَمِنْهَا: "اسْتَأْذَنَتِ النَّارُ رَبَّهَا فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ نَفَسٌ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٌ فِي الصَّيْفِ"، وَحَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ سَمِعْنَا وَجْبَةً فَقُلْنَا مَا هَذِهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "هَذَا حَجَرٌ أُلْقِيَ بِهِ مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ مُنْذُ

سَبْعِينَ سَنَةً الْآنَ وَصَلَ إِلَىٰ قَعْرِهَا" وَهُوَ عِنْدَ مُسْلِمٍ (٤/ ٢١٨٤ برقم ٢٨٤٤) وَحَدِيثُ صَلَاةِ الْكُسُوفِ وَلَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمُتَوَاتِرَةِ فِي هَذَا الْمَعْنَىٰ ، وَقَدْ خَالَفَتِ الْمُعْتَزِلَةُ بِجَهْلِهِمْ فِي هَذَا وَوَافَقَهُمُ الْقَاضِي مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ الْبَلُّوطِيُّ قَاضِي الْأَنْدَلُسِ " .

ومن الأدلَّة علىٰ أنَّ النَّار مخلوقة موجودة الآن : قوله تعالىٰ : ﴿**وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾ [آل عمران:١٣١] .

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٩/ ٣٦٤) : " هَلْ تَدُلُّ الْآيَةُ عَلَىٰ أَنَّ النَّارَ مَخْلُوقَةٌ الْآنَ أَمْ لَا؟

الْجَوَابُ: نَعَمْ لِأَنَّ قَوْلَهُ: أُعِدَّتْ إِخْبَارٌ عَنِ الْمَاضِي فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ قَدْ دَخَلَ ذَلِكَ الشَّيْءُ فِي الْوُجُودِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ: وَأَطِيعُوا اللهَّ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ وَلَمَّا ذَكَرَ الْوَعِيدَ ذَكَرَ الْوَعْدَ بَعْدَهُ عَلَىٰ مَا هُوَ الْعَادَةُ الْمُسْتَمِرَّةُ فِي الْقُرْآنِ، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ هَذِهِ الْآيَةُ مُعَاتَبَةٌ لِلَّذِينِ عَصَوُا الرَّسُولَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَمَرَهُمْ بِمَا أَمَرَهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقَالَتِ الْمُعْتَزِلَةُ هَذِهِ الْآيَةُ دَالَّةٌ عَلَىٰ أَنَّ حُصُولَ الرَّحْمَةِ مَوْقُوفٌ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهَّ وَطَاعَةِ الرَّسُولِ صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهَذَا عَامٌّ فَيَدُلُّ الظَّاهِرُ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ عَصَىٰ اللهَّ وَرَسُولَهُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَنَّهُ لَيْسَ أَهْلًا لِلرَّحْمَةِ وذلك يدل علىٰ قول أصحاب الوعيد " .

وقال الإمام الرّازي أيضاً (١٠/ ١١) : " احْتَجَّ أَصْحَابُنَا بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَىٰ أَنَّ النَّارَ مَخْلُوقَةٌ لِأَنَّ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ لَيْسَ إِلَّا نَارَ جَهَنَّمَ وَبَرْدَهُ، وَقَوْلُهُ: أَعْتَدْنا إِخْبَارٌ عَنِ الْمَاضِي، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ كَوْنِ النَّارِ مخلوقة من هذا الوجه واللهَّ أعلم " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١/ ٢٣٦) : " قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ**﴾ ظَاهِرُهُ أَنَّ غَيْرَ الْكَافِرِينَ لَا يَدْخُلُهَا وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بِدَلِيلِ مَا ذَكَرَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنَ الْوَعِيدِ لِلْمُذْنِبِينَ وَبِالْأَحَادِيثِ الثَّابِتَةِ فِي الشَّفَاعَةِ، عَلَىٰ مَا يَأْتِي. وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَىٰ مَا يَقُولُهُ أَهْلُ الْحَقِّ مِنْ أَنَّ النَّارَ مَوْجُودَةٌ مَخْلُوقَةٌ، خِلَافًا لِلْمُبْتَدِعَةِ فِي قَوْلِهِمْ: إِنَّهَا لَمْ تُخْلَقْ حَتَّىٰ الْآنَ. وَهُوَ الْقَوْلُ الَّذِي سَقَطَ فِيهِ الْقَاضِي مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ الْبَلُّوطِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ" .

ومن الأدلَّــــة علىٰ أنَّ النَّار مخلوقة موجودة الآن قوله تعالىٰ : ﴿**وَأَعْتَدْنا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً**﴾ [الفرقان:١١] .

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢٤/٤٣٧) : " المسألة الثَّانِيَةُ: احْتَجَّ أَصْحَابُنَا عَلَىٰ أَنَّ الْجَنَّةَ مَخْلُوقَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾** [آل عِمْرَانَ: ١٣٣] وَعَلَىٰ أَنَّ النَّارَ الَّتِي هِيَ دَارُ الْعِقَابِ مَخْلُوقَةٌ بِهَذِهِ الْآيَةِ وَهِيَ قَوْلُهُ: **﴿وَأَعْتَدْنا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً﴾** [الفرقان:١١] ، وقوله: أَعْتَدْنا إِخْبَارٌ عَنْ فِعْلٍ وَقَعَ فِي الْمَاضِي، فَدَلَّتِ الْآيَةُ عَلَىٰ أَنَّ دَارَ الْعِقَابِ مَخْلُوقَةٌ قَالَ الْجُبَّائِيُّ يَحْتَمِلُ وَأَعْتَدْنَا النَّارَ فِي الدُّنْيَا وَبِهَا نُعَذِّبُ الْكُفَّارَ وَالْفُسَّاقَ فِي قُبُورِهِمْ وَيَحْتَمِلُ نَارَ الْآخِرَةِ وَيَكُونُ مَعْنَىٰ **﴿وَأَعْتَدْنا﴾** ، أَيْ: سَنَعُدُّهَا لَهُمْ كَقَوْلِهِ: **﴿وَنادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ﴾** [الْأَعْرَافِ: ٤٤] .

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا السُّؤَالَ فِي نِهَايَةِ السُّقُوطِ ، لِأَنَّ الْمُرَادَ مِنَ السَّعِيرِ، إِمَّا نَارُ الدُّنْيَا وَإِمَّا نَارُ الْآخِرَةِ، فَإِنْ كَانَ الْأَوَّلُ فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّهُ تَعَالَىٰ يُعَذِّبُهُمْ فِي الدُّنْيَا بِنَارِ الدُّنْيَا أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بِنَارِ الدُّنْيَا، وَالْأَوَّلُ بَاطِلٌ لِأَنَّهُ تَعَالَىٰ مَا عَذَّبَهُمْ بِالنَّارِ فِي الدُّنْيَا، وَالثَّانِي أَيْضًا بَاطِلٌ لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنَ الْأُمَّةِ إِنَّهُ تَعَالَىٰ يُعَذِّبُ الْكَفَرَةَ فِي الْآخِرَةِ بِنِيرَانِ الدُّنْيَا، فَثَبَتَ أَنَّ الْمُرَادَ نَارُ الْآخِرَةِ وَثَبَتَ أَنَّهَا مُعَدَّةٌ، وَحَمْلُ الْآيَةِ عَلَىٰ أَنَّ اللهَّ سَيَجْعَلُهَا مُعَدَّةً تَرْكٌ لِلظَّاهِرِ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ، وَعَلَىٰ أَنَّ الْحَسَنَ قَالَ : السَّعِيرُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ جَهَنَّمَ فَقَوْلُهُ: **﴿وَأَعْتَدْنا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً﴾** صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ تَعَالَىٰ أَعَدَّ جَهَنَّمَ " .

وقال الإمام ابن عادل الحنبلي الدِّمشقي النُّعماني في " اللباب في علوم الكتاب" (١٤/٤٨٧-٤٨٨) : " احتجَّ أهل السُّنَّة على أنَّ الجنَّة مخلوقة بقوله تعالىٰ: **﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾** [آل عمران: ١٣٣] ، وعلىٰ أنَّ النَّار التي هي دار العقاب مخلوقة بهذه الآية.

قال الجبَّائي: يحتمل في قوله: **﴿وَاَعْتَدْنَا﴾** أنَّ المراد منه نار الدُّنيا، وبها نعذِّب الكفَّار والفسَّاق في قبورهم، ويحتمل نار الآخرة، ويكون المعنىٰ: **﴿وأَعْتَدْنَا﴾** ، أي: سنعدّها، كقوله تعالىٰ: **﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّار﴾** [الأعراف: ٤٤] . وهذا جواب ساقط، لأنَّ المراد من السَّعير إمَّا نار الدُّنيا، أو نار الآخرة، فإن كان الأوَّل فإمَّا أن يكون المراد أنَّه تعالىٰ يعذِّبهم في الدُّنيا بنار الدُّنيا، والثَّاني - أيضاً - باطل؛ لأنَّه لم يقل أحد من الأمَّة إنَّه تعالىٰ يعذِّب الكفرة في الآخرة بنيران الدُّنيا. فثبت أنَّ المراد نار الآخرة وأنَّها معدَّة.

وأمَّا حمل الآية علىٰ أنَّ الله تعالىٰ سيجعلها معَّدة فترك للظَّاهر من غير دليل. قوله: **﴿إِذَا رَأَتْهُمْ﴾** هذه الجملة الشَّرطيَّة في موضع نصب صفة لـ **﴿سَعِيراً﴾** ، لأنَّه مؤنث بمعنىٰ النَّار " .

وفي صحيحه عقد البخاري (٤/ ١٢٠) باباً سمّاه : " بَابُ صِفَةِ النَّارِ، وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ ". روى فيه (٤/ ١١٧ برقم ٣٢٤٠) بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ، فَإِنَّهُ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ " .

وروى البخاري (٤/ ١١٧ برقم ٣٢٤١) بسنده عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «اطَّلَعْتُ فِي الجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ" .

وروى البخاري (٤/ ١٢٠ برقم ٣٢٥٩) بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «أَبْرِدُوا بِالصَّلاَةِ فَإِنَّ شِدَّةَ الحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ " .

وروى البخاري (٤/ ١٢٠ برقم ٣٢٦٠) بسنده عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ: نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ " .

وروى البخاري (٤/ ١٢٠ برقم ٣٢٦١) بسنده عَنْ أَبِي جَمْرَةَ الضُّبَعِيِّ، قَالَ: كُنْتُ أُجَالِسُ ابْنَ عَبَّاسٍ بِمَكَّةَ فَأَخَذَتْنِي الحُمَّى، فَقَالَ أَبْرِدْهَا عَنْكَ بِمَاءِ زَمْزَمَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ «الحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَأَبْرِدُوهَا بِالْمَاءِ أَوْ قَالَ بِمَاءِ زَمْزَمَ – شَكَّ هَمَّامٌ – " .

وروى البخاري (٤/ ١٢١ برقم ٣٢٦٢) بسنده عَنْ رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الحُمَّى مِنْ فَوْرِ جَهَنَّمَ فَأَبْرِدُوهَا عَنْكُمْ بِالْمَاءِ " .

وروى البخاري (٢/ ٣٧ برقم ١٠٥٢) بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: انْخَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا نَحْوًا مِنْ قِرَاءَةِ سُورَةِ البَقَرَةِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، ثُمَّ رَفَعَ، فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ القِيَامِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ، ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ قَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ القِيَامِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَفَعَ، فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ القِيَامِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ

الرُّكُوعِ الأَوَّلِ، ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لاَ يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ، فَاذْكُرُوا اللَّهَ" .

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ ثُمَّ رَأَيْنَاكَ كَعْكَعْتَ؟ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي رَأَيْتُ الجَنَّةَ، فَتَنَاوَلْتُ عُنْقُودًا، وَلَوْ أَصَبْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا، وَأُرِيتُ النَّارَ، فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَاليَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ» قَالُوا: بِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «بِكُفْرِهِنَّ» قِيلَ: يَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: " يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ " .

وروى مسلم (١/ ٣٢٠ برقم ٤٢٦) بسنده عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي إِمَامُكُمْ، فَلَا تَسْبِقُونِي بِالرُّكُوعِ وَلَا بِالسُّجُودِ، وَلَا بِالْقِيَامِ وَلَا بِالِانْصِرَافِ، فَإِنِّي أَرَاكُمْ أَمَامِي وَمِنْ خَلْفِي» ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا» قَالُوا: وَمَا رَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ " .

وروى أحمد في " المسند" (١٤/ ١٢٦ برقم ٨٣٩٨) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، أَرْسَلَ جِبْرِيلَ، قَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَجَاءَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فقَالَ: وَعِزَّتِكَ، لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُجِبَتْ بِالْمَكَارِهِ، قَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُجِبَتْ بِالْمَكَارِهِ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ، قَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ، قَالَ: اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا ، فَجَاءَهَا فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أُعِدَّ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَرَجَعَ، فقَالَ: وَعِزَّتِكَ ، لَا يَسْمَعَ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ ، قَالَ: وَعِزَّتِكَ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا " . قال الأرنؤوط : " إسناده حسن. وأخرجه الترمذي (٢٥٦٠) ، والنسائي ٧/٣-٤، وأبو يعلى (٥٩٤٠) ، والآجري في "الشريعة" ص ٣٨٩-٣٩٠ و٣٩٠، والبيهقي في "الشعب" (٣٨٤) ، وفي"البعث" (١٦٦) من طرق عن محمد بن عمرو، بهذا الإسناد " .

وروى أحمد في " المسند" (٣٠/ ٤٩٩ برقم ١٨٥٣٤) بسنده عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: " ...

وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ ". قَالَ: " فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ "، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾** [الأعراف: ٤٠] ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: " اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا ". ثُمَّ قَرَأَ: **﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾** [الحج: ٣١] " فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسَمُومِهَا ... " . قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح. أبو معاوية: هو محمد بن خازم الضرير، والأعمش: هو سليمان بن مهران، وزاذان: هو أبو عبد الله، ويقال: أبو عمر الكندي، مولاهم. وأخرجه بتمامه ومختصراً: ابن أبي شيبة ٣/ ٣١٠ و٣٧٤ و٣٨٠-٣٨٢، و١٠/ ١٩٤، وهناد في "الزهد" (٣٣٩) ، والمروزي في زوائده على "الزهد" لابن المبارك (١٢١٩) ، والدارمي في "الرد على الجهمية" ص٢٩، وأبو داود (٤٧٥٣) ، والطبري في "التفسير" (٢٠٧٦٤) ، وفي "تهذيب الآثار" (٧٢١) ، وابن خزيمة في "التوحيد" ص١١٩، وأبو عوانة- كما في "إتحاف المهرة"٢/ ٤٥٩- والآجري في "الشريعة" ص٣٦٧-٣٧٠ و٣٧٠، وابن منده في "الإيمان" (١٠٦٤) ، والحاكم في "المستدرك" ١/ ٣٧-٣٨، واللالكائي في "أصول الاعتقاد" (٢١٤٠) ، والبيهقي في "إثبات عذاب القبر" (٢١) (٤٤) ، وفي "شعب الإيمان" (٣٩٥) من طريق أبي معاوية، بهذا الإسناد. قال البيهقي في "الشعب": هذا حديث صحيح الإسناد، وقال ابن منده: هذا إسناد متصل مشهور، رواه جماعة عن البراء، وكذلك رواه عدّة عن الأعمش، وعن المنهال ابن عمرو، والمنهالُ بنُ عمرو: هو الأسدي، مولاهم، الكوفي، أخرج عنه البخاري ما تفرَد به، وزاذان أخرج عنه مسلم، وهو ثابت على رسم الجماعة. ورُوي هذا الحديث عن جابر، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وأنس بن مالك، وعائشة رضي الله عنهم. قلنا: وقد وقع في مطبوع ابن أبي شيبة ص ٣٧٤: حدثنا أبو معاوية عن ابن نمير، وهو خطأ، صوابه: وابن نمير. وأخرجه الطيالسي (٧٥٣) ، وأبو داود (٣٢١٢) و (٤٧٥٣) ، والطبري في "التفسير" (٢٠٧٦٣) و (٢٠٧٦٥) و (٢٠٧٨٠) و (٢٠٧٨٧) ، وفي "تهذيب الآثار" (٧١٨) و (٧٢٠) ، وابن خزيمة في "التوحيد" ص١١٩، وأبو عوانة- كما في "إتحاف المهرة" ٢/ ٤٥٩- والحاكم في "المستدرك" ١/ ٣٨ و٣٩، والبيهقي في "إثبات عذاب القبر" (٢٠) و (٢١) من طرق عن الأعمش، به. زاد جرير عن الأعمش، عند أبي داود (٤٧٥٣) : "ثم يقيض له أعمى أبكم، معه مرزبة من حديد، لو ضُرب بها جبل، لصار تراباً" وسترد هذه

الزيادة ضمن سياق الرواية (١٨٦١٤) . وأخرجه مختصراً النسائي في "المجتبى" ٤/ ٧٨، وابن ماجه (١٥٤٩) من طريق عمرو بن قيس، عن المنهال، به. وأخرجه الطبري في "تهذيب الآثار" (٧٢٣) ، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٣٩٦) من طريق عيسى بن المسيب، عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب، به. وفيه ذكر اسم الملكين: منكر ونكير. وأورده المنذري في "الترغيب والترهيب" (٥٢٢١) وقال: حديث حسن، رواتُه محتج بهم في الصحيح. قال ابن حزم في "المحلّى" ١/ ٢٢: لم يروِ أحد أن في عذاب القبر ردَ الروح إلى الجسد إلا المنهال بن عمرو، وليس بالقوي، فتعقبه ابن القيم في "الروح" ص٧٦ بقوله: هذا من مجازفته، وقال: الحديثُ صحيحٌ لا شكَّ فيه. وأورده الهيثمي في "المجمع" ٣/ ٤٩-٥٠ وقال: هو في الصحيح باختصار، رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. وقد سلف مختصراً برقم (١٨٤٨٢) ، وهو الذي أشار إليه الهيثمي.قال السندي: قوله: ولما يُلحد، على بناء المفعول، مجزوم بلمّا النافية. المُسُوح، بضمتين، جمع مِسح، بكسر الميم: كساء معروف، وقال النووي: هو ثوب من الشعر غليظ معروف. السَّفود؛ ضبط بفتح السين، وتشديد الفاء: حديدة يُشوى بها اللحم. ثم قرأ: (ومن يشرك ...) الظاهر- والله تعالى أعلم- أن ليس المراد أن هذه الآية بيانٌ لجزائه، بل المراد أن الآية بيانٌ لقبح الشرك، وبُعدِه عن العقول، فإذا كان عملُ الكافر هذا، والجزاء يكون من جنس العمل، فجزاؤه ذاك. هاه هاه: كلمة يقولها المتحير في الكلام. أنَّ كذب، أي: فيما قال: لا أدري، لأن دينَ الله ونبوَة رسوله كان ظاهراً، ويحتمل أن المراد الكذبُ في الدنيا كما سبق في عديله، ولم يقل: عبدي، إهانة له، وقد قال تعالى: **﴿وَأَنَّ الكَافِرِيْن لَا مَوْلَى لَهُم﴾** [محمد:١١] " .

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً...

فالنَّار مُعَدَّةٌ مخلوقة موجودة...

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا هِيَ شُبْهَةُ مَنْ قَالَ بِأَنَّ النَّارَ لَمْ تُخْلَق بَعْد ؟

الجواب : قال ابن أبي العزّ في " شرح الطَّحاويَّة" (ص٤٢٣) : " وَأَمَّا شُبْهَةُ مَنْ قَالَ: إِنَّهَا لَمْ تُخْلَقْ بَعْدُ، وَهِيَ: أَنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَخْلُوقَةً الْآنَ لَوَجَبَ اضْطِرَارًا أَنْ تَفْنَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنْ يَهْلَكَ كُلُّ مَنْ فِيهَا وَيَمُوتَ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾** [القصص:٨٨] ، و **﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾** [آل عمران:١٨٥] .

وَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ (٥/ ٣٨٧ برقم ٣٤٦٢) ، مِنْ حَدِيثِ ابن مسعود، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ»، قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

وَفِيهِ أَيْضًا (٥/ ٣٨٨ برقم ٣٤٦٤) مِنْ حَدِيثِ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ»، قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، قَالُوا: فَلَوْ كَانَتْ مَخْلُوقَةً مَفْرُوغًا مِنْهَا لَمْ تَكُنْ قِيعَانًا، وَلَمْ يَكُنْ لِهَذَا الْغِرَاسِ مَعْنًى. قَالُوا: وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى عَنِ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ أَنَّهَا قَالَتْ: **﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾** [التحريم:١١] .

فَالْجَوَابُ: إِنَّكُمْ إِنْ أَرَدْتُمْ بِقَوْلِكُمْ إِنَّهَا الْآنَ مَعْدُومَةٌ بِمَنْزِلَةِ النَّفْخِ فِي الصُّورِ وَقِيَامِ النَّاسِ مِنَ الْقُبُورِ، فَهَذَا بَاطِلٌ، يَرُدُّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَدِلَّةِ وَأَمْثَالِهَا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ، وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنَّهَا لَمْ يَكْمُلْ خَلْقُ جَمِيعِ مَا أَعَدَّ اللهُ فِيهَا لِأَهْلِهَا، وَأَنَّهَا لَا يَزَالُ اللهُ يُحْدِثُ فِيهَا شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ، وَإِذَا دَخَلَهَا الْمُؤْمِنُونَ أَحْدَثَ اللهُ فِيهَا عِنْدَ دُخُولِهِمْ أُمُورًا أُخَرَ- فَهَذَا حَقٌّ لَا يُمْكِنُ رَدُّهُ، وَأَدِلَّتُكُمْ هَذِهِ إِنَّمَا تَدُلُّ عَلَىٰ هَذَا الْقَدْرِ.

وَأَمَّا احْتِجَاجُكُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾**[القصص:٨٨] ، فأثبتم سُوءِ فَهْمِكُمْ مَعْنَىٰ الْآيَةِ، وَاحْتِجَاجُكُمْ بِهَا عَلَىٰ عَدَمِ وُجُودِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ الْآنَ - نَظِيرُ احْتِجَاجِ إخوانكم بها عَلَىٰ فَنَائِهِمَا وَخَرَابِهِمَا وَمَوْتِ أَهْلِهِمَا!! فَلَمْ تُوَفَّقُوا أَنْتُمْ وَلَا إِخْوَانُكُمْ لِفَهْمِ مَعْنَىٰ الْآيَةِ، وَإِنَّمَا وُفِّقَ لِذَلِكَ أَئِمَّةُ الْإِسْلَامِ.

فَمِنْ كَلَامِهِمْ: أَنَّ الْمُرَادَ **﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾** مِمَّا كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ الْفَنَاءَ وَالْهَلَاكَ "هَالِكٌ"، وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ خُلِقَتَا لِلْبَقَاءِ لَا لِلْفَنَاءِ، وَكَذَلِكَ الْعَرْشُ، فَإِنَّهُ سَقْفُ الْجَنَّةِ. وَقِيلَ: الْمُرَادُ إِلَّا مُلْكَهُ. وَقِيلَ: إِلَّا مَا أُرِيدَ بِهِ وَجْهُهُ. وَقِيلَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أنزل: **﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾** ، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: هَلَكَ أَهْلُ الْأَرْضِ، وَطَمِعُوا فِي الْبَقَاءِ، فَأَخْبَرَ تَعَالَىٰ عَنْ أَهْلِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَنَّهُمْ يَمُوتُونَ، فَقَالَ: **﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾** ، لِأَنَّهُ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، فَأَيْقَنَتِ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ بِالْمَوْتِ. وَإِنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ تَوْفِيقًا بَيْنَهَا وَبَيْنَ النُّصُوصِ الْمُحْكَمَةِ، الدَّالَّةِ عَلَى بَقَاءِ الْجَنَّةِ، وَعَلَىٰ بَقَاءِ النَّارِ أَيْضًا، عَلَىٰ مَا يُذْكَرُ عَنْ قَرِيبٍ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : ظَاهِرُ قَوْلِهِ: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ﴾ يَقْتَضِي أَنَّهَا مَا أُعِدَّتْ إِلَّا لِلْكَافِرِينَ، وَهَذَا يَقْتَضِي الْقَطْعَ بِأَنَّ أَحَدًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَدْخُلُ النَّارَ وَهُوَ عَلَى خِلَافِ سَائِرِ الْآيَاتِ ؟

الجواب : قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٨/ ٣٦٣-٣٦٤) : " وَالْجَوَابُ مِنْ وُجُوهٍ:

الْأَوَّلُ: أَنَّهُ لَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ فِي النَّارِ دَرَكَاتٌ أُعِدَّ بَعْضُهَا لِلْكُفَّارِ وَبَعْضُهَا لِلْفُسَّاقِ فَقَوْلُهُ: النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ إِشَارَةٌ إِلَىٰ تِلْكَ الدَّرَكَاتِ الْمَخْصُوصَةِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ لِلْكَافِرِينَ، وَهَذَا لَا يَمْنَعُ ثُبُوتَ دَرَكَاتٍ أُخْرَىٰ فِي النَّارِ أَعَدَّهَا اللهُ لِغَيْرِ الْكَافِرِينَ.

الثَّانِي: أَنَّ كَوْنَ النَّارِ مُعَدَّةً لِلْكَافِرِينَ، لَا يَمْنَعُ دُخُولَ الْمُؤْمِنِينَ فِيهَا لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ أَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ هُمُ الْكُفَّارَ فَلِأَجْلِ الْغَلَبَةِ لَا يَبْعُدُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهَا مُعَدَّةٌ لَهُمْ، كَمَا أَنَّ الرَّجُلَ يَقُولُ لِدَابَّةٍ رَكِبَهَا لِحَاجَةٍ مِنَ الْحَوَائِجِ، إِنَّمَا أَعْدَدْتُ هَذِهِ الدَّابَّةَ لِلِقَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَيَكُونُ صَادِقًا فِي ذلك وإن كان هو قدر رَكِبَهَا فِي تِلْكَ السَّاعَةِ لِغَرَضٍ آخَرَ فَكَذَا هَاهُنَا.

الْوَجْهُ الثَّالِثُ: فِي الْجَوَابِ: أَنَّ الْقُرْآنَ كَالسُّورَةِ الْوَاحِدَةِ فَهَذِهِ الْآيَةُ دَلَّتْ عَلَى أَنَّ النَّارَ مُعَدَّةٌ لِلْكَافِرِينَ وَسَائِرُ الْآيَاتِ دَالَّةٌ أَيْضًا عَلَى أَنَّهَا مُعَدَّةٌ لِمَنْ سَرَقَ وَقَتَلَ وَزَنَى وَقَذَفَ، وَمِثَالُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿كُلَّما أُلْقِيَ فِيها فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾** [المُلْكِ: ٨] ، وَلَيْسَ لِجَمِيعِ الْكُفَّارِ يُقَالُ ذَلِكَ، وَأَيْضًا قَالَ تعالى: **﴿فَكُبْكِبُوا فِيها هُمْ وَالْغاوُونَ﴾** [الشعرا: ٩٤] إلى قوله: **﴿إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ﴾** [الشعرا: ٩٨] ، وَلَيْسَ هَذَا صِفَةَ جَمِيعِهِمْ وَلَكِنْ لَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الشَّرَائِطُ مَذْكُورَةً فِي سَائِرِ السُّوَرِ، كَانَتْ كَالْمَذْكُورَةِ هَاهُنَا، فَكَذَا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

الْوَجْهُ الرَّابِعُ: أَنَّ قَوْلَهُ: أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ إِثْبَاتُ كَوْنِهَا مُعَدَّةً لَهُمْ وَلَا يَدُلُّ عَلَى الْحَصْرِ كَمَا أَنَّ قَوْلَهُ فِي الْجَنَّةِ : **﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾** [آلِ عِمْرَانَ: ١٣٣] لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَدْخُلُهَا سِوَاهُمْ مِنَ الصِّبْيَانِ وَالْمَجَانِينَ وَالْحُورِ الْعِينِ.

الْوَجْهُ الْخَامِسُ: أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ وَصْفِ النَّارِ بِأَنَّهَا أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ تَعْظِيمُ الزَّجْرِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ خُوطِبُوا بِاتِّقَاءِ الْمَعَاصِي إِذَا عَلِمُوا بِأَنَّهُمْ مَتَى فَارَقُوا التَّقْوَى أُدْخِلُوا النَّارَ الْمُعَدَّةَ لِلْكَافِرِينَ، وَقَدْ تَقَرَّرَ فِي عُقُولِهِمْ عِظَمُ عُقُوبَةِ الْكُفَّارِ، كَانَ انْزِجَارُهُمْ عَنِ الْمَعَاصِي أَتَمَّ، وَهَذَا بِمَنْزِلَةِ أَنْ يُخَوِّفَ الْوَالِدُ وَلَدَهُ بِأَنَّكَ إِنْ عَصَيْتَنِي أَدْخَلْتُكَ دَارَ السِّبَاعِ، وَلَا يَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ تِلْكَ الدَّارَ لَا يَدْخُلُهَا غَيْرُهُمْ فَكَذَا هَاهُنَا " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا مَعْنَى أَنَّ النَّارَ حُجِبَتْ أَوْ حُفَّت بِالشَّهَوَات ؟

الجواب : روى البخاري (٨/ ١٠٢ برقم ٦٤٨٧) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ» .

وروى مسلم (٤/ ٢١٧٤ برقم ٢٨٢٢) بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ» .

وروى التِّرمذي (٤/ ٢٧٤ برقم ٢٥٦٠ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَمَّا خَلَقَ اللهُ الجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الجَنَّةِ فَقَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَجَاءَهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللهُ لأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهِ، قَالَ: فَوَعِزَّتِكَ لاَ يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالمَكَارِهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانْظُرْ إِلَى مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِالمَكَارِهِ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لاَ يَدْخُلَهَا أَحَدٌ، قَالَ: اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَا، فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لاَ

يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا، فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لاَ يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا".

قال الإمام القاضي عياض في" شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض الْمُسَمَّىٰ إِكمَالُ الْمُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم " (٨/ ٣٥٧) : " وقوله: " حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ " من بديع الكلام وجوامعه الذي أوتيه – عليه السَّلام – من التَّمثيل الحسن، فإنَّ حفاف الشَّيء جوانبه، فكأنَّه أخبر – عليه السَّلام – أنَّه لا يوصل إلىٰ الجنَّة إلَّا بتخَّطي المكاره ، وكذلك الشَّهوات، وما تميل إليه النُّفوس، وأنَّ اتباع الشَّهوات يلقىٰ في النَّار ويدخلها ، وأنَّه لا ينجو منها إلَّا من تجنَّب الشَّهوات. فيه تنبيه علىٰ اجتنابه" .

وقال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج" (١٧/ ١٦٥) : " قَوْلُهُ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ) هَكَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ حفت ووقع في البخاري : حفَّت ووقع فيه أَيْضًا حُجِبَتْ ، وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ . قَالَ الْعُلَمَاءُ : هَذَا مِنْ بَدِيعِ الْكَلَامِ وَفَصِيحِهِ وَجَوَامِعِهِ الَّتِي أُوتِيَهَا النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ التَّمْثِيلِ الْحَسَنِ ، ومعناه : لا يوصل الْجَنَّةَ إِلَّا بِارْتِكَابِ الْمَكَارِهِ وَالنَّارَ بِالشَّهَوَاتِ ، وَكَذَلِكَ هُمَا مَحْجُوبَتَانِ بِهِمَا ، فَمَنْ هَتَكَ الْحِجَابَ وَصَلَ إِلَىٰ الْمَحْجُوبِ ، فَهَتْكُ حِجَابِ الْجَنَّةِ بِاقْتِحَامِ الْمَكَارِهِ ، وَهَتْكُ حِجَابِ النَّارِ بِارْتِكَابِ الشَّهَوَاتِ ، فَأَمَّا الْمَكَارِهُ فَيَدْخُلُ فِيهَا : الِاجْتِهَادُ فِي الْعِبَادَاتِ ، وَالْمُوَاظَبَةُ عَلَيْهَا ، وَالصَّبْرُ عَلَىٰ مَشَاقِّهَا ، وَكَظْمُ الْغَيْظِ ، وَالْعَفْوُ ، وَالْحِلْمُ ، وَالصَّدَقَةُ ، وَالْإِحْسَانُ إِلَىٰ الْمُسِيءِ ، وَالصَّبْرُ عَنِ الشَّهَوَاتِ ، وَنَحْوُ ذَلِكَ . وَأَمَّا الشَّهَوَاتُ الَّتِي النَّارُ مَحْفُوفَةٌ بِهَا ، فَالظَّاهِرُ أَنَّهَا الشَّهَوَاتُ الْمُحَرَّمَةُ ، كَالْخَمْرِ وَالزِّنَا ، وَالنَّظَرِ إِلَىٰ الْأَجْنَبِيَّةِ ، وَالْغِيبَةِ ، وَاسْتِعْمَالِ الْمَلَاهِي ، وَنَحْوِ ذَلِكَ . وَأَمَّا الشَّهَوَاتُ الْمُبَاحَةُ فَلَا تَدْخُلُ فِي هَذِهِ ، لَكِنْ يُكْرَهُ الْإِكْثَارُ مِنْهَا مَخَافَةَ أَنْ يَجُرَّ إِلَىٰ الْمُحَرَّمَةِ أَوْ يُقَسِّي الْقَلْبَ أَوْ يَشْغَلَ عَنِ الطَّاعَاتِ أَوْ يُحْوِجَ إِلَىٰ الِاعْتِنَاءِ بتحصيل الدُّنيا" .

وقال الإمام القرطبي في " التَّذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة " (ص٨٠١-٨٠٢) : " المكاره: كُّل ما يشقُّ علىٰ النَّفس ويصعب عليها عمله كالطَّهارة في السَّبْرا ت –البرد الشَّديد– وغيرها من أعمال الطَّاعات، والصَّبر علىٰ المصائب، وجميع المكروهات.

والشَّهوات: كلُّ ما يوافق النَّفس ويلائمها وتدعو إليه ويوافقها.

وأصل الحفاف الدَّائر بالشَّيء المحيط به الذي لا يتوصَّل إليه بعد أن يُتخطَّىٰ، فمثَّل النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المكاره والشَّهوات بذلك، فالجنَّة لا تُنال إلَّا بقطع مفاوز المكاره والَّصبر عليها، والنَّار لا ينجو منها إلَّا بترك الشَّهوات وفطام النَّفس عنها ...

وقال القاضي أو بكر بن العربي في " سراج المريدين" له : ومعنىٰ قوله عليه السَّلام: « حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ » أي : جعلت علىٰ حافَّاتها وهي جوانبها ، ويتوهَّم النَّاس أنَّه ضرب فيها المثل فجعله في جوانبها من الخارج، ولو كان ذلك ما كان مثلاً صحيحاً وإنَّما هي من داخل ، وهذه صورتها:

﴿الجَنَّة﴾		﴿جَهَنَّم﴾
الصَّبْرُ ، الأَلَمُ ، الفَقْرُ ، المَكَارِهُ ، الغَزْو		النِّسَاءُ ، المَالُ ، الجَاهُ

وعن هذا قال ابن مسعود: حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ ، وَالنَّارُ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ حفَّت الجنَّة بالمكاره، فمن اطَّلع الحجاب فقد واقع ما وراءه ، وكلُّ من تصوَّرها من خارج فقد ضلَّ عن معنىٰ الحديث وعن حقيقة الحال.

فإن قيل: فقد قال : حُجبت النَّار بالشَّهوات.

قلنا: المعنىٰ واحد ، لأنَّ الأعمىٰ عن التَّقوىٰ: الذي أخذت سمعه وبصره الشَّهوات يراها ولا يرىٰ النَّار التي هي فيها، وإن كانت باستيلاء الجهالة ورين الغفلة علىٰ قلبه كالطَّائر يرىٰ الحبَّة في داخل الفخّ وهي محجوبة عنه ولا يرىٰ الفخ لغلبة شهوة الحبَّة علىٰ قلبه وتعلّق باله بها، وجهله بما جعلت فيه وحجبت" .

وقال الإمام المباركفوري في " تحفة الأحوذي بشرح جامع التِّرمذي" (٧/ ٢٣٦) : " قَوْلُهُ (حُفَّتْ) بِصِيغَةِ الْمَجْهُولِ مِنَ الْحِفَافِ وَهُوَ مَا يُحِيطُ بِالشَّيْءِ حَتَّىٰ لَا يُتَوَصَّلَ إِلَيْهِ إِلَّا بِتَخَطِّيهِ أَيْ أُحِيطَتْ وَوَقَعَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ حُجِبَتْ (بِالْمَكَارِهِ) أَيْ بِمَا أُمِرَ الْمُكَلَّفُ بِمُجَاهَدَةِ نَفْسِهِ فِيهِ فِعْلًا وَتَرْكًا وَأَطْلَقَ عَلَيْهَا الْمَكَارِهَ لِمَشَقَّتِهَا عَلَىٰ الْعَامِلِ وَصُعُوبَتِهَا عَلَيْهِ (وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ) أَيْ مَا يُسْتَلَذُّ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا مِمَّا مَنَعَ الشَّرْعُ مِنْ تَعَاطِيهِ إِمَّا بِالْأَصَالَةِ وَإِمَّا لِكَوْنِ فِعْلِهِ يَسْتَلْزِمُ تَرْكَ شَيْءٍ مِنَ الْمَأْمُورَاتِ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ رَأى أَحَدٌ النَّار ؟

الجواب : روىٰ البخاري (٧/ ٣١ برقم ٥١٩٧) بسنده عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ: خَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَصَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّاسُ مَعَهُ، فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا نَحْوًا مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، ثُمَّ رَفَعَ، فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا، وَهُوَ دُونَ القِيَامِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ

رُكُوعًا طَوِيلًا، وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ، ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ قَامَ، فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا، وَهُوَ دُونَ القِيَامِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَفَعَ، فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا، وَهُوَ دُونَ القِيَامِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَفَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ انْصَرَفَ، وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لاَ يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ" ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ هَذَا، ثُمَّ رَأَيْنَاكَ تَكَعْكَعْتَ؟ فَقَالَ: «إِنِّي رَأَيْتُ الجَنَّةَ، أَوْ أُرِيتُ الجَنَّةَ، فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا عُنْقُودًا، وَلَوْ أَخَذْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا، وَرَأَيْتُ النَّارَ، فَلَمْ أَرَ كَاليَوْمِ مَنْظَرًا قَطُّ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ» قَالُوا: لِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «بِكُفْرِهِنَّ» قِيلَ: يَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: " يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ " .

وروى البخاري (١/ ١٤٩ برقم ٧٤٥) بسنده عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... قَالَ : قَدْ دَنَتْ مِنِّي الجَنَّةُ، حَتَّى لَوِ اجْتَرَأْتُ عَلَيْهَا، لَجِئْتُكُمْ بِقِطَافٍ مِنْ قِطَافِهَا، وَدَنَتْ مِنِّي النَّارُ حَتَّى قُلْتُ: أَيْ رَبِّ، وَأَنَا مَعَهُمْ؟ فَإِذَا امْرَأَةٌ - حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ - تَخْدِشُهَا هِرَّةٌ، قُلْتُ: مَا شَأْنُ هَذِهِ؟ قَالُوا: حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا، لاَ أَطْعَمَتْهَا، وَلاَ أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ - قَالَ نَافِعٌ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: مِنْ خَشِيشِ - أَوْ خَشَاشِ الأَرْضِ " .

وروى مسلم (٤/ ١٨٣٢ برقم ٢٣٥٩) بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: بَلَغَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَصْحَابِهِ شَيْءٌ فَخَطَبَ فَقَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا» قَالَ: فَمَا أَتَى عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمٌ أَشَدُّ مِنْهُ، قَالَ: غَطَّوْا رُءُوسَهُمْ وَلَهُمْ خَنِينٌ، قَالَ: فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: رَضِينَا بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا. قَالَ: فَقَامَ ذَاكَ الرَّجُلُ فَقَالَ: مَنْ أَبِي؟ قَالَ: «أَبُوكَ فُلَانٌ». فَنَزَلَتْ: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾** [المائدة: ١٠١] .

وروى البخاري (٢/ ٤٩ برقم ١١٢١) بسنده عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا رَأَى رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا، فَأَقُصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكُنْتُ غُلاَمًا شَابًّا، وَكُنْتُ أَنَامُ فِي المَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ

صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي، فَذَهَبَا بِي إِلَىٰ النَّارِ، فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ البِئْرِ وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ وَإِذَا فِيهَا أُنَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَلَقِيَنَا مَلَكٌ آخَرُ فَقَالَ لِي: لَمْ تُرَعْ، فَقَصَصْتُهَا عَلَىٰ حَفْصَةَ فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ» فَكَانَ بَعْدُ لاَ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا" .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا الوَقْتُ الذِيْ تُسَجَّرُ فِيْهِ جَهَنَّم فِيْ الدُّنْيَا ؟

الجواب : روىٰ مسلم (١/ ٥٦٩ برقم ٨٣٢) بسنده عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ: كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَىٰ ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَىٰ رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَخْفِيًا جُرَءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّىٰ دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «أَنَا نَبِيٌّ»، فَقُلْتُ : ... يَا نَبِيَّ اللهِ أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَـــكَ اللهُ وَأَجْهَلُهُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الصَّلَاةِ، قَالَ: «صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَتَّىٰ تَرْتَفِعَ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَـــانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُـــورَةٌ حَتَّىٰ يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرُّمْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ حِينَئِذٍ تُسْجَرُ جَهَنَّمُ " ...

فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللهُ وَأَجْهَلُهُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الصَّلَاةِ، قَالَ: «صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَتَّىٰ تَرْتَفِعَ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّىٰ يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرُّمْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ حِينَئِذٍ تُسْجَرُ جَهَنَّمُ، فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّىٰ تُصَلِّيَ الْعَصْرَ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّىٰ تَغْرُبَ الشَّمْسُ، فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ " ...

كما أخبر الله تعالىٰ أنَّ جهنَّم تسجَّر علىٰ أهلها بعد دخولهم فيها ... قال تعالىٰ : **﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾**

[الإسراء: ٩٧] .

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢١/ ٤١١-٤١٢) : " وَأَمَّا قَوْلُهُ: **﴿كُلَّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيراً﴾** ، فَفِيهِ مَبَاحِثُ:

الْبَحْثُ الْأَوَّلُ: قَالَ الْوَاحِدِيُّ الْخَبْوُ سُكُونُ النَّارِ، يُقَالُ: خَبَتِ النَّارُ تَخْبُو إِذَا سَكَنَ لَهَبُهَا وَمَعْنَى خَبَتْ سَكَنَتْ وَطُفِئَتْ يُقَالُ فِي مَصْدَرِهِ الْخَبْوُ وَأَخْبَأَهَا الْمُخَبِّئُ إِخْبَاءً أَيْ أَخْمَدَهَا ثُمَّ قَالَ: ﴿**زِدْنَاهُمْ سَعِيراً**﴾ ، قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ : ﴿**زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا**﴾ ، أَيْ تَلَهُّبًا.

الْبَحْثُ الثَّانِي: لِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ تَعَالَى لَا يُخَفِّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابَ وَقَوْلُهُ: ﴿**كُلَّمَا خَبَتْ**﴾ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعَذَابَ يَخِفُّ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ قُلْنَا كُلَّمَا خَبَتْ يَقْتَضِي سُكُونَ لَهَبِ النَّارِ، أَمَا لَا يَدُلُّ هَذَا عَلَى أَنَّهُ يَخِفُّ الْعَذَابُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ " .

الْبَحْثُ الثَّالِثُ: قَوْلُهُ: ﴿**كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً**﴾ ظَاهِرُهُ يَقْتَضِي وُجُوبَ أَنْ تَكُونَ الْحَالَةُ الثَّانِيَةُ أَزْيَدَ مِنَ الْحَالَةِ الْأُولَى ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَتِ الْحَالَةُ الْأُولَى بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْحَالَةِ الثَّانِيَةِ تَخْفِيفًا.

وَالْجَوَابُ: الزِّيَادَةُ حَصَلَتْ فِي الْحَالَةِ الْأَوَّلَى أَخَفَّ مِنْ حُصُولِهَا فِي الْحَالَةِ الثَّانِيَةِ ، فَكَانَ الْعَذَابُ شَدِيدًا ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُقَالَ لَمَّا عَظُمَ الْعَذَابُ صَارَ التَّفَاوُتُ الْحَاصِلُ فِي أَوْقَاتِهِ غَيْرَ مَشْعُورٍ بِهِ ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْهُ . وَلَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى أَنْوَاعَ هَذَا الْوَعِيدِ قَالَ: ﴿**ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا**﴾ وَالْبَاءُ فِي قَوْلِهِ: بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بَاءُ السَّبَبِيَّةِ ، وَهُوَ حُجَّةٌ لِمَنْ يَقُولُ الْعَمَلُ عِلَّةُ الْجَزَاءِ ، وَاللهُ أَعْلَمُ " .

وقال الإمام أبو حيَّان في " البحر المحيط" (١١٦/٧) : " ﴿**كُلَّمَا خَبَتْ**﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كُلَّمَا فَرَغَتْ مِنْ إِحْرَاقِهِمْ فَيَسْكُنُ اللَّهِيبُ الْقَائِمُ عَلَيْهِمْ قَدْرَ مَا يُعَادُونَ ثُمَّ يَثُورُ فَتِلْكَ زِيَادَةُ السَّعِيرِ، فَالزِّيَادَةُ فِي حَيِّزِهِمْ، وَأَمَّا جَهَنَّمُ فَعَلَى حَالِهَا مِنَ الشِّدَّةِ لَا يُصِيبُهَا فُتُورٌ، فَعَلَى هَذَا يَكُونُ خَبَتْ مَجَازًا عَنْ سُكُونِ لَهَبِهَا مِقْدَارَ مَا تَكُونُ إِعَادَتُهُمْ كَأَنَّهُمْ لَمَّا كَذَّبُوا بِالْإِعَادَةِ بَعْدَ الْإِفْنَاءِ جَعَلَ اللهُ جَزَاءَهُمْ أَنْ سَلَّطَ النَّارَ عَلَى أَجْزَائِهِمْ تَأْكُلُهَا وَتُفْنِيهَا ثُمَّ يُعِيدُهَا، لَا يَزَالُونَ عَلَى الْإِفْنَاءِ وَالْإِعَادَةِ لِيَزِيدَ ذَلِكَ فِي تَحْسِيرِهِمْ عَلَى تَكْذِيبِهِمْ وَلِأَنَّهُ أَدْخَلُ فِي الانْتِقَامِ مِنَ الْجَاحِدِ" .

وقال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير" (٢١٧/١٥-٢١٨) : " وَخَبَتِ النَّارُ خُبُوًا وَخَبْوًا. نَقَصَ لَهِيبُهَا.

وَالسَّعِيرُ: لَهَبُ النَّارِ، وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنْ سَعْرِ النَّارِ إِذَا هُيِّجَ وَقُودُهَا. وَقَدْ جَرَى الْوَصْفُ فِيهِ عَلَى التَّذْكِيرِ تَبَعًا لِتَذْكِيرِ اللَّهَبِ. وَالْمَعْنَى: زِدْنَاهُمْ لَهَبًا فِيهَا.

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿**كُلَّمَا خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيراً**﴾ إِشْكَالٌ لِأَنَّ نَارَ جَهَنَّمَ لَا تَخْبُو. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿**فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ**﴾ [الْبَقَرَة: ٨٦] . فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ الْكَفَرَةَ وَقُودٌ لِلنَّارِ قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ**﴾ [الْبَقَرَة: ٢٤] ، فَإِذَا أَحْرَقَتْهُمُ النَّارُ زَالَ اللَّهَبُ الَّذِي كَانَ مُتَصَاعِدًا مِنْ أَجْسَامِهِمْ فَلَا يَلْبَثُونَ أَنْ يُعَادُوا كَمَا كَانُوا فَيَعُودَ الِالْتِهَابُ لَهُمْ.

فَالْخَبْوُ وَازْدِيَادُ الِاشْتِعَالِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَجْسَادِهِمْ لَا فِي أَصْلِ نَارِ جَهَنَّمَ. وَلِهَذِهِ النُّكْتَةِ سُلِّطَ فِعْلُ زِدْناهُمْ عَلَى ضَمِيرِ الْمُشْرِكِينَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ ازْدِيَادَ السَّعِيرِ كَانَ فِيهِمْ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: كُلَّمَا خَبَتْ فِيهِمْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا، وَلم يقل: زدناهم سَعِيرًا.

وَعِنْدِي: أَنَّ مَعْنَى الْآيَةِ جَارٍ عَلَى طَرِيق التهكّم وبادىء الْإِطْمَاعِ الْمُسْفِرِ عَنْ خَيْبَةٍ، لِأَنَّهُ جَعَلَ ازْدِيَادَ السَّعِيرِ مُقْتَرِنًا بِكُلِّ زَمَانٍ مِنْ أَزْمِنَةِ الْخَبْوِ، كَمَا تُفِيدُهُ كَلِمَةُ ﴿**كُلَّمَا**﴾ الَّتِي هِيَ بِمَعْنَى كُلِّ زَمَانٍ. وَهَذَا فِي ظَاهِرِهِ إِطْمَاعٌ بِحُصُولِ خَبْوٍ لِوُرُودِ لَفْظِ الْخَبْوِ فِي الظَّاهِرِ، وَلكنه يؤول إِلَى يَأْسٍ مِنْهُ إِذْ يَدُلُّ عَلَى دَوَامِ سَعِيرِهَا فِي كُلِّ الْأَزْمَانِ، لِاقْتِرَانِ ازْدِيَادِ سَعِيرِهَا بِكُلِّ أَزْمَانِ خَبْوِهَا. فَهَذَا الْكَلَامُ مِنْ قَبِيلِ التَّمْلِيحِ، وَهُوَ مِنْ قَبِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِياطِ**﴾ [الْأَعْرَاف: ٤٠] " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ اسْمُ جَهَنَّم عَلَمٌ لِجَمِيْعِ النَّار ؟

الجواب : روى مسلم (٤/ ٢١٨٤ برقم ٢٨٤٢) بسنده عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا» .

قال الإمام القرطبي في " التَّذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة" (ص٨٤٨) : " هذا يبيِّن لك ما قلناه أَنَّ جهنَّم اسم علم لجميع النَّار، ومعنى: يؤتى بها : يُجاء بها من المحلِّ الذي خلقها الله تعالى فيه" .

﴿سُؤالٌ﴾ : أَيْنَ تُوْجَدُ النَّار الآن ؟

الجواب :

قال الإمام السُّيوطي في " معترك الأقران في إعجاز القرآن " (٢/ ٥٩٢) توقَّف في المسألة ، وقال : " أخرج أبو نعيم في تاريخ أصبهان، من طريق عبيد، عن مجاهد، عن ابن عمر مرفوعاً: "أنَّ جهنَّم محيطةٌ بالدُّنيا، وأنَّ الجنَّة من ورائها، فلذلك كان الصِّراط على جهنَّم طريقاً إلى الجنَّة.

فإن قلت: يفهم من هذا الحديث أنَّ جهنَّم تحت الأرض؟

والجواب : أنَّا نقول فيها بالوقف، إذ لا يعلم محلَّها إلَّا الله، ولم يثبت عندي حديثٌ أعْتَمده في ذلك غير ما رواه ابن عبد البر وضعَّفه، عن عبد اللهَ بن عمر – مرفوعاً: "لا يركب البحر إلاَّ غازٍ أو حَاجّ أو معتمر، فإنَّ تحت البحر ناراً " .

وفي شعب الإيمان (١/ ٥٦٦ برقم ٣٦٢) للبيهقي، عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: " إِذَا قَامَتِ الْقِيَامَةُ وَقَضَى اللهُ بَيْنَ أَهْلِ الدَّارَيْنِ أَمَرَ بِالْفَلَقِ فَيُكْشَفُ عَنْ سَقرَ وَهُوَ غِطَاؤُهَا فَتخْرُجُ مِنْهُ نَارٌ فَتَحْرِقُ نار جهَنَّمَ، وَتَأْكُلُهَا كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ فِي الدُّنْيَا الْقُطْنَ الْمَنْدُوفَ، فَإِذَا وَصَلَتِ الْبَحْرَ الْمُطْبَقَ عَلَى شَفِيرِ جهَنَّمَ وَهُوَ بَحْرُ الْبُحُورِ نَشَّفَتْهُ أَسْرَعَ مِنْ طَرْفَةِ الْعَيْنِ نشفًا فَيَنْضَبَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ مَكَانَهُ مَاءٌ قَطُّ، وَهُوَ حَاجِزٌ بَيْنَ جَهَنَّمَ، وَالْأَرَضِينَ السَّبْعِ فَإِذَا نَشِفَتْ مَاءُ ذَلِكَ الْبَحْرِ اشْتَعَلَتْ فِي الْأَرَضِينَ السَّبْعِ فَتَدَعُهَا جَمْرَةً وَاحِدَةً " .

وقيل هي في وجه الأرض، لما رُوِي عن وَهْب أيضاً قال: أَشْرَفَ ذُو الْقَرْنَيْنِ عَلَى جَبَلِ قَافٍ فَرَأَى تَحْتَهُ جِبَالًا صغيرًا، إلى أن قال : يَا قَافُ أَخْبِرْنِي عَنْ عَظَمَةِ اللهِ، فَقَالَ: إِنَّ شَأْنَ رَبِّنَا لَعَظِيمٌ، وَإِنَّ وَرَائِي أَرْضًا مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ فِي خَمْسِمِائَةِ عَامٍ مِنْ جِبَالِ ثَلْجٍ يُحَطِّمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، ولَوْلَا هِيَ لَاحْتَرَقْتُ مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ ... " .

روى الحاكم في " المستدرك على الصَّحيحين " (٤/ ٦١٢ برقم ٨٦٩٨ ، وقال : هذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ وَلَيْسَ بِمَوْقُوفٍ فَإِنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَلَامٍ عَلَى تَقَدُّمِهِ فِي مَعْرِفَةٍ قَدِيمَةٍ مِنْ جُمْلَةِ الصَّحَابَةِ، وَقَدْ أَسْنَدَهُ بِذِكْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ وَاللهُ أَعْلَمُ، ووافقه الذهبي) ، البيهقي في " شعب الإيمان" (١/ ٥٦٣ برقم ٣٦٠) ، أسد بن موسى بن الأُموي في " الزُّهد" (ص٢٩ برقم ٤٤) بسندهم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ، قَالَ: وَكُنَّا جُلُوسًا فِي الْمَسْجِدِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَقَالَ: «إِنَّ أَعْظَمَ أَيَّامِ الدُّنْيَا يَوْمُ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، وَإِنَّ أَكْرَمَ خَلِيقَةِ اللهِ عَلَى اللهِ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» قَالَ: قُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ فَأَيْنَ الْمَلَائِكَةُ؟ قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيَّ وَضَحِكَ وَقَالَ: " يَا ابْنَ أَخِي هَلْ تَدْرِي مَا الْمَلَائِكَةُ؟ إِنَّمَا الْمَلَائِكَةُ خَلْقٌ كَخَلْقِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ وَسَائِرِ الْخَلْقِ الَّذِي لَا يَعْصِي اللهَ شَيْئًا، وَإِنَّ الْجَنَّةَ فِي السَّمَاءِ، وَإِنَّ النَّارَ فِي الْأَرْضِ..." .

وقال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (٢/ ١١٧-١١٨) : " وَقَدْ رُوِّينَا فِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ: أَنَّ هِرَقْل كَتَبَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّكَ دَعَوْتني إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُها السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، فَأَيْنَ النَّارُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "سُبْحَانَ الله! فَأَيْنَ اللَّيْلُ إذَا جَاءَ النَّهَارُ " .

وَقَدْ رَوَاهُ ابنُ جَرِيرٍ فَقَالَ: حَدَّثَنِي يُونُسُ، أَنْبَأَنَا ابنُ وَهْب، أَخْبَرَنِي مُسْلِمُ بْنُ خَالِدٍ، عَنِ أَبِي خُثَيم، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي رَاشِدٍ، عَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّة قَالَ: لَقِيت التَّنوخي رَسُولَ هِرَقْل إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

بحِمْص، شَيْخًا كَبِيرًا فَسَدَ، قَالَ: قدمتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكِتَابِ هِرَقْل، فنَاول الصَّحِيفَةَ رَجُلا عَنْ يَسَارِهِ. قَالَ: قُلْتُ: مَنْ صَاحِبُكُمُ الَّذِي يَقْرَأُ؟ قَالُوا: مُعَاوِيَةُ. فَإِذَا كِتَابُ صَاحِبِي: "إِنَّكَ كَتَبْتُ تَدْعُونِي إِلَىٰ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْض أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، فَأَيْنَ النَّارُ؟ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "سُبْحَانَ اللهَّ! فأَيْنَ اللَّيْلُ إِذَا جَاءَ النَّهَارُ" .

وَقَالَ الْأَعْمَشُ، وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، وشُعْبَة، عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، أَنَّ نَاسًا مِنَ الْيَهُودِ سَأَلُوا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ عَنْ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْض، فَأَيْنَ النَّارُ؟ فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ أَرَأَيْتُمْ إِذَا جَاءَ اللَّيْلُ أَيْنَ النَّهَارُ؟ وَإِذَا جَاءَ النَّهَارُ أَيْنَ اللَّيْلُ؟ فَقَالُوا: لَقَدْ نَزَعْتَ مِثْلَها مِنَ التَّوْرَاةِ.

رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ مِنَ الثَّلَاثَةِ الطُّرُقِ ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَازِمٍ، حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ بُرْقَان، أَنْبَأَنَا يَزِيدُ بْنُ الْأَصَمِّ: أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ قَالَ: يَقُولُونَ: **﴿جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ﴾** فَأَيْنَ النَّارُ؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَيْنَ يَكُونُ اللَّيْلُ إِذَا جَاءَ النَّهَارُ، وَأَيْنَ يَكُونُ النَّهَارُ إِذَا جَاءَ اللَّيْلُ؟

وَقَدْ رُوِي هَذَا مَرْفُوعًا، فَقَالَ البَزّار: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَعْمَر، حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ سَلَمَةَ أَبُو هِشَامٍ، حَدَّثنا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللهَّ بْنِ عَبْدِ اللهَّ بْنِ الْأَصَمِّ، عَنْ عَمّه يَزِيدَ بْنِ الأصَم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: **﴿جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ﴾** فَأَيْنَ النَّارُ؟ قَالَ: "أَرَأَيْتَ اللَّيْلَ إِذَا جَاءَ لَبس كُلَّ شَيْءٍ، فَأَيْنَ النَّهار؟ " قَالَ: حَيْثُ شَاءَ اللهُّ. قَالَ: "وَكَذَلِكَ النَّارُ تَكُونُ حَيْثُ شَاءَ اللهُّ عَزَّ وَجَلّ" .

وَهَذَا يَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَىٰ فِي ذَلِكَ: أَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ عَدَمِ مُشَاهَدَتِنَا اللَّيْلَ إِذَا جَاءَ النَّهَارُ أَلَّا يَكُونَ فِي مَكَانٍ، وَإِنْ كُنَّا لَا نَعْلَمُهُ، وَكَذَلِكَ النَّارُ تَكُونُ حَيْثُ يَشَاءُ اللهُّ عَزَّ وَجَلَّ، وَهَذَا أَظْهَرُ كَمَا تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ الْبَزَّارِ.

الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَىٰ: أَنَّ النَّهَارَ إِذَا تَغَشَّىٰ وَجْهَ الْعَالَمِ مِنْ هَذَا الْجَانِبِ، فَإِنَّ اللَّيْلَ يَكُونُ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ، فَكَذَلِكَ الْجَنَّةُ فِي أَعْلَىٰ عِلِّيِّينَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ تَحْتَ الْعَرْشِ، وَعَرْضُهَا كَمَا قَالَ اللهُّ، عَزَّ وَجَلَّ: **﴿كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾** [الْحَدِيد:٢١] ، وَالنَّارُ فِي أَسْفَلِ سَافِلِينَ. فَلَا تَنَافِيَ بَيْنَ كَوْنِهَا كَعَرْضِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَبَيْنَ وُجُودِ النَّار، والله أعلم ".

وعلىٰ كلِّ حال فإنَّ النُّصوص التي جاءت تُحدِّدُ مكان النَّار عديدة ، وكلُّها لا تخلو من مقال ... فالحديث عن مكان النَّار حديث عن غيب من الغيوب ، وتعيين مكانها رجمٌ بالغيب ، لذا فالأولىٰ التَّوقُّف عن الكلام في ذلك وتفويض الأمر إلىٰ الله تعالىٰ ، وهذا أمر ذهب إليه العديد من أهل العلم ، قال الإمام السُّيوطي في " إتمام الدِّراية لقرَّاء النِّقاية " (ص١٥، ص٨٨) : " ونقف عَن النَّار ، أَي : نقُول فِيهَا بِالْوَقْفِ أَي : محلّهَا حَيْثُ لَا يُعلمهُ إِلَّا الله ، فَلم يثبت عِنْدِي حَدِيث أعتمده فِي ذَلِك " .

وقال الإمام محمَّد صدِّيق خان القِنَّوجي في " يقظة أولي الاعتبار ممَّا ورد في ذكر النَّار وأصحاب النَّار " (ص٤٨) : " قَالَ الشَّيْخ أَحْمد ولي الله الْمُحدِّث الدّهلوي في عقيدته وَلم يُصَرح نَص بتعين مكانهما بل حَيْثُ شَاءَ الله تَعَالَىٰ إِذْ لَا إحاطة لنا بِخلق الله وعوالمه ، انْتهىٰ.

أَقُول : وَهَذَا القَوْل أرجح الْأَقْوَال وأحوطها إِن شَاءَ الله تَعَالَىٰ " .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن مكرم الصَّعيدي العدوي في " حاشية العدوي علىٰ شرح كفاية الطَّالب الربَّاني " (١/ ٨٤) : " قَوْلُهُ: قَالَ ابْنُ الْقُشَيْرِيِّ إلَخْ ، ذِكْرُهُ لِكَلَامِ ابْنِ الْقُشَيْرِيِّ يَدُلُّ عَلَىٰ اعْتِمَادِهِ ، وَأَنَّ الْحَقَّ تَفْوِيضُ عِلْمِ مَحَلِّ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ إلَىٰ عِلْمِ الْعَلِيمِ الْخَبِيرِ، لَكِنْ قَالَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ: وَلَكِنَّ الْأَحَادِيثَ الصَّحِيحَةَ قَدْ وَرَدَتْ بِأَنَّ الْجَنَّةَ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَذَهَبَ إلَيْهِ الْأَكْثَرُونَ حَيْثُ قَالُوا: إنَّ الْجَنَّةَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَتَحْتَ الْعَرْشِ، وَإِنَّهُ سَقْفُهَا وَلَمْ يَصِحَّ فِي مَكَانِ النَّارِ شَيْءٌ " .

وعلَّق الإمام محمد عبده في " تفسير جزء عمَّ " (ص١٣٥) علىٰ هذه المسألة ، فقال : " نار جهنَّم هي دار العذاب في الآخرة، وهي نار يجب علينا الإيمان بها والتَّصديق بأنَّ العذاب فيها أشدّ من عذاب نار الدُّنيا، كما يجب علينا أن لا نبحث في حقيقتها ولا بم تتَّقد، ولا أين يكون موضعها، فذلك ممَّا لا يمكن لعقولنا أن تصل إليه، وليس بمحال عقلي حتىٰ نحتاج فيه إلىٰ تأويل " .

ولذا إ فإنَّ المطلوب من العباد هو أن يؤمنوا بأنَّ النَّار مخلوقة ، وأن يعملوا بما يُبعدهم عنها ، وليس مطلوباً منهم أن يعرفوا مكانها ، لأنَّ القرآن الكريم لم يحدِّد مكانها ... والله أعلم .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ سَتُعْرَضُ جَهَنَّمُ بِدَايَةً لِيَرَاهَا الكَفَرَةُ والمُجْرِمُوْن ؟

الجواب : قال تعالىٰ : **﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾** [النازعات:٣٦] .

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٣١/ ٤٨) : " قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يرى﴾** ، وَفِيهِ مَسْأَلَتَانِ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**لِمَنْ يرى**﴾ ، أَيْ : أَنَّهَا تَظْهَرُ إِظْهَارًا مَكْشُوفًا لِكُلِّ نَاظِرٍ ذِي بَصَرٍ ثُمَّ فِيهِ وَجْهَانِ
أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ اسْتِعَارَةٌ فِي كَوْنِهِ مُنْكَشِفًا ظَاهِرًا كَقَوْلِهِمْ: تَبَيَّنَ الصُّبْحُ لِذِي عَيْنَيْنِ " ، وَعَلَىٰ هَذَا التَّأْوِيلِ لَا يَجِبُ أَنْ يَرَاهُ كُلُّ أَحَدٍ .

وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّهَا بُرِّزَتْ لِيَرَاهَا كُلُّ مَنْ لَهُ عَيْنٌ وَبَصَرٌ، وَهَذَا يُفِيدُ أَنَّ كُلَّ النَّاسِ يَرَوْنَهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكُفَّارِ، إِلَّا أَنَّهَا مَكَانُ الْكُفَّارِ وَمَأْوَاهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا، وَهَذَا التَّأْوِيلُ مُتَأَكِّدٌ بقوله تعالىٰ: ﴿**وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها**﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿**ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا**﴾ [مَرْيَم- ٧١ ٧٢] ، فَإِنْ قِيلَ: إِنَّهُ تَعَالَىٰ قَالَ فِي سُورَةِ الشُّعَرَاءِ: ﴿**وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ * وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغاوِينَ**﴾ [الشعراء: ٩٠- ٩١] فخصَّ الغاوين بتبريرها لَهُمْ، قُلْنَا: إِنَّهَا بُرِّزَتْ لِلْغَاوِينَ، وَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَهَا أَيْضًا فِي الْمَمَرِّ، وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ " ...

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (٢٠٧/١٩) : ﴿**وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ**﴾ ، أَيْ : ظَهَرَتْ. ﴿**لِمَنْ يرى**﴾ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُكْشَفُ عَنْهَا فَيَرَاهَا تَتَلَظَّىٰ كُلُّ ذِي بَصَرٍ. وَقِيلَ: الْمُرَادُ الْكَافِرُ لِأَنَّهُ الَّذِي يَرَىٰ النَّارَ بِمَا فِيهَا مِنْ أَصْنَافِ الْعَذَابِ. وَقِيلَ: يَرَاهَا الْمُؤْمِنُ لِيَعْرِفَ قَدْرَ النِّعْمَةِ وَيُصْلَىٰ الْكَافِرُ بِالنَّارِ " .

وقال الإمام الشَّوكاني في " فتح القدير" (٤٥٩/٥) : " وَمَعْنَىٰ بُرِّزَتْ: أُظْهِرَتْ إِظْهَارًا لَا يَخْفَىٰ عَلَىٰ أَحَدٍ. قَالَ مُقَاتِلٌ: يُكْشَفُ عَنْهَا الْغِطَاءُ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا الْخَلْقُ، وَقِيلَ: لِمَنْ يرىٰ مِنَ الْكُفَّارِ، لَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالظَّاهِرُ أَنْ تَبْرُزَ لِكُلِّ رَاءٍ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَعْرِفُ بِرُؤْيَتِهَا قَدْرَ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ بِالسَّلَامَةِ مِنْهَا، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَزْدَادُ غَمًّا إِلَىٰ غَمِّهِ، وَحَسْرَةً إِلَىٰ حَسْرَتِهِ " .

وقال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير " (٩٠/٣٠-٩١) : " وَتَبْرِيزُ الْجَحِيمِ: إِظْهَارُهَا لِأَهْلِهَا. وَجِيءَ بِالْفِعْلِ الْمُضَاعَفِ لِإِفَادَةِ إِظْهَارِ الْجَحِيمِ لِأَنَّهُ إِظْهَارٌ لِأَجْلِ الْإِرْهَابِ. وَ ﴿**الْجَحِيمُ**﴾ : جَهَنَّمُ. وَلِذَلِكَ قُرِنَ فِعْلُهُ بِتَاءِ التَّأْنِيثِ لِأَنَّ جَهَنَّمَ مُؤَنَّثَةٌ فِي الِاسْتِعْمَالِ، أَوْ هُوَ بِتَأْوِيلِ النَّارِ، وَ ﴿**الْجَحِيمُ**﴾ كُلُّ نَارٍ عَظِيمَةٍ فِي حُفْرَةٍ عَمِيقَةٍ. وَبُنِيَ فِعْلُ بُرِّزَتِ لِلْمَجْهُولِ لِعَدَمِ الْغَرَضِ بِبَيَانِ مُبَرِّزِهَا إِذِ الْمَوْعِظَةُ فِي الْإِعْلَامِ بِوُقُوعِ إِبْرَازِهَا يَوْمَئِذٍ. ولِمَنْ يَرىٰ، أَيْ لِكُلِّ رَاءٍ، فَفِعْلُ يرىٰ مُنَزَّلٌ مَنْزِلَةَ اللَّازِمِ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ لِمَنْ لَهُ بَصَرٌ " .

وقال تعالىٰ : ﴿**وَعَرَضْنا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكافِرِينَ عَرْضاً**﴾ [الكهف:١٠٠] .

قال الإمام ابن كثير في" التَّفسير" (٢٠١/٥) : " يَقُولُ تَعَالَىٰ مُخْبِرًا عَمَّا يَفْعَلُهُ بِالْكُفَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِنَّهُ يَعْرِضُ عَلَيْهِمْ جَهَنَّمَ، أَيْ: يُبْرِزُهَا لَهُمْ وَيُظْهِرُهَا، لِيَرَوْا مَا فِيهَا مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ قَبْلَ دُخُولِهَا، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَبْلَغَ

فِي تَعْجِيلِ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ لَهُمْ. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (٤/ ٢١٨٤ برقم ٢٨٤٢) عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُقَادُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِسَبْعِينَ أَلْفَ زِمام، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا " .

وقال تعالى : ﴿**وَتَراهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْها خاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ**﴾ [الشورى:٤٥] .

قال الإمام السَّمرقندي في " بحر العلوم" (٣/ ٢٤٨) : " قوله تعالى: ﴿**وَتَراهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْها**﴾ ، يعني: يساقون إلى النَّار ﴿**خاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ**﴾ ، أي: خاضعين من الحزن، ويقال : ساكتين ذليلين، مقهورين من الحياء ، ﴿**يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ**﴾ ، قال الكلبي: يعني: ينظرون بقلوبهم، ولا يرونها بأعينهم، لأنَّهم يسحبون على وجوههم. وقال مقاتل: يعني: يستخفون بالنَّظر إليها، يعني: إلى النَّار ، قال القتبي: يعني: غضُّوا أبصارهم من الذُّل، وقال بعضهم: مرَّة ينظرون إلى العرش بأطراف أعينهم ماذا يأمر الله تعالى بهم، ومرَّة ينظرون إلى النَّار " .

وقال الإمام البغوي في" معالم التَّنزيل في تفسير القرآن" (٤/ ١٥٢) : ﴿**وَتَراهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْها**﴾ ، أَيْ عَلَى النَّارِ، ﴿**خاشِعِينَ**﴾ ، خَاضِعِينَ مُتَوَاضِعِينَ، ﴿**مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ**﴾ ، خَفِيِّ النَّظَرِ لِمَا عَلَيْهِمْ مِنَ الذُّلِّ يُسَارِقُونَ النَّظَرَ إِلَى النَّارِ خَوْفًا مِنْهَا وَذِلَّةً فِي أَنْفُسِهِمْ. وَقِيلَ: ﴿**مِنَ**﴾ بِمَعْنَى الْبَاءِ ، أَيْ : بِطَرْفٍ خَفِيٍّ ضَعِيفٍ مِنَ الذُّلِّ. وَقِيلَ: إِنَّمَا قَالَ: ﴿**مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ**﴾ لِأَنَّهُ لَا يَفْتَحُ عَيْنَهُ إِنَّمَا يَنْظُرُ بِبَعْضِهَا. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ يَنْظُرُونَ إِلَى النَّارِ بِقُلُوبِهِمْ لِأَنَّهُمْ يُحْشَرُونَ عُمْيًا وَالنَّظَرُ بِالْقَلْبِ خَفِيٌّ " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٦/ ٤٥-٤٦) : " قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَتَراهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْها**﴾ ، أَيْ عَلَى النَّارِ لِأَنَّهَا عَذَابُهُمْ، فَكَنَّى عَنِ الْعَذَابِ الْمَذْكُورِ بِحَرْفِ التَّأْنِيثِ، لِأَنَّ ذَلِكَ الْعَذَابَ هُوَ النَّارُ، وَإِنْ شِئْتَ جَهَنَّمُ، وَلَوْ رَاعَى اللَّفْظَ لَقَالَ عَلَيْهِ. ثُمَّ قِيلَ: هُمُ الْمُشْرِكُونَ جَمِيعًا يُعْرَضُونَ عَلَى جَهَنَّمَ عِنْدَ انْطِلَاقِهِمْ إِلَيْهَا، قَالَهُ الْأَكْثَرُونَ. وَقِيلَ: آلُ فِرْعَوْنَ خُصُوصًا، تُحْبَسُ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ سُودٍ تَغْدُو عَلَى جَهَنَّمَ وَتَرُوحُ، فَهُوَ عَرْضُهُمْ عَلَيْهَا، قَالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ. وَقِيلَ: إِنَّهُمْ عَامَّةُ الْمُشْرِكِينَ، تُعْرَضُ عَلَيْهِمْ ذُنُوبُهُمْ فِي قُبُورِهِمْ، وَيُعْرَضُونَ عَلَى الْعَذَابِ فِي قُبُورِهِمْ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ أَبِي الْحَجَّاجِ. ﴿**خاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ**﴾ ذَهَبَ بَعْضُ الْقُرَّاءِ إِلَى الْوَقْفِ عَلَى ﴿**خَاشِعِينَ**﴾ . وَقَوْلُهُ: ﴿**مِنَ الذُّلِّ**﴾ مُتَعَلِّقٌ بِـ ﴿**يَنْظُرُونَ**﴾ . وَقِيلَ: مُتَعَلِّقٌ بِـ ﴿**خاشِعِينَ**﴾ . وَالْخُشُوعُ الِانْكِسَارُ وَالتَّوَاضُعُ. وَمَعْنَى ﴿**يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ**﴾ ، أَيْ : لَا يَرْفَعُونَ

أَبْصَارَهُمْ لِلنَّظَرِ رَفْعًا تامَّاً، لأنَّهم ناكسو الُّرؤوس. وَالْعَرَبُ تَصِفُ الذَّلِيلَ بِغَضِّ الطَّرْفِ، كَمَا يَسْتَعْمِلُونَ فِي ضِدِّهِ حَدِيدَ النَّظَرِ إِذَا لَمْ يُتَّهَمْ بِرِيبَةٍ فَيَكُونُ عَلَيْهِ مِنْهَا غَضَاضَةٌ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ ، أَيْ : ذَلِيلٍ، قَالَ: وَإِنَّمَا يَنْظُرُونَ بِقُلُوبِهِمْ لِأَنَّهُمْ يُحْشَرُونَ عُمْيًا، وَعَيْنُ الْقَلْبِ طَرْفٌ خَفِيٌّ. وَقَالَ قَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ وَالْقُرَظِيُّ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: يُسَارِقُونَ النَّظَرَ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ. وَقِيلَ: الْمَعْنَى يَنْظُرُونَ مِنْ عَيْنٍ ضَعِيفَةِ النَّظَرِ. وَقَالَ يُونُسُ: ﴿مِنْ﴾ بِمَعْنَى الْبَاءِ، أَيْ يَنْظُرُونَ بِطَرْفٍ خَفِيٍّ، أَيْ ضَعِيفٍ مِنَ الذُّلِّ وَالْخَوْفِ، وَنَحْوُهُ عَنِ الْأَخْفَشِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: بِطَرْفٍ ذَابِلٍ ذَلِيلٍ. وَقِيلَ: أَيْ يَفْزَعُونَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَيْهَا بِجَمِيعِ أَبْصَارِهِمْ لِمَا يَرَوْنَ مِنْ أَصْنَافِ الْعَذَابِ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ مَجِيْء جَهَنَّم ؟

الجواب : قال تعالى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ [الفجر: ٢٣] .

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٣١/ ١٥٩) : " قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغاوِينَ﴾ [الشُّعَرَاءِ: ٩١] ، قَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ: جِيءَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَزْمُومَةً بِسَبْعِينَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا حَتَّى تَنْصَبَّ عَنْ يَسَارِ الْعَرْشِ فَتَشْرُدُ شَرْدَةً لَوْ تُرِكَتْ لَأَحْرَقَتْ أَهْلَ الْجَمْعِ، قَالَ الْأُصُولِيُّونَ: وَمَعْلُومٌ أَنَّهَا لَا تَنْفَكُّ عَنْ مَكَانِهَا، فَالْمُرَادُ وَبُرِّزَتِ أَيْ ظَهَرَتْ حَتَّى رَآهَا الْخَلْقُ، وَعَلِمَ الْكَافِرُ أَنَّ مَصِيرَهُ إِلَيْهَا " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (٢٠/ ٥٥) : ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ : قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَمُقَاتِلٌ: تُقَادُ جَهَنَّمُ بِسَبْعِينَ أَلْفَ زِمَامٍ، كُلُّ زِمَامٍ بِيَدِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ، لَهَا تَغَيُّظٌ وَزَفِيرٌ، حَتَّى تُنْصَبَ عَنْ يَسَارِ الْعَرْشِ. وَفِي صَحِيحِ، مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ، لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا. وَقَالَ أبو سعيد الخدري: لما نزلت وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ تَغَيَّرَ لَوْنُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعُرِفَ فِي وَجْهِهِ. حَتَّى اشْتَدَّ عَلَى أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ ﴿كَلَّا إِذا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ - الْآيَةَ- ﴿وجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ . قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يُجَاءُ بِهَا؟ قَالَ: "تُؤْتَى بِهَا تُقَادُ بِسَبْعِينَ أَلْفَ زِمَامٍ، يَقُودُ بِكُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، فَتَشْرُدُ شردة لو تركت لأحرقت أهل الجمع " .

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا» (أخرجه مسلم (٤/ ٢١٨٤ برقم ٢٨٤٢) .

فعلى ما جاء في الحديث الشَّريف فإنَّ عدد المَلَائِكَة الذين يجرُّون جهنَّم ويأتون بها يوم القيامة هو : (٤،٩٠٠،٠٠٠،٠٠٠) أي : أربعة مليارات وتسع مئة مليون مَلَك...

وروى البخاري (٩/ ١٢٩ برقم ٧٤٣٩) بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟» ، قُلْنَا: لاَ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ لاَ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ، إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا» ثُمَّ قَالَ: " يُنَادِي مُنَادٍ: لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، وَغُبَّرَاتٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ، فَيُقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللَّهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ ، لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلاَ وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ: اشْرَبُوا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ المَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ، وَلاَ وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ: اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ ... " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ سَتُبَشِّرُ المَلَائِكَةُ الكَفَرَةَ وَالمُنَافِقِيْنَ بِمَا يَسُوْؤهُم ؟

الجواب : نعم ... المَلَائِكَة يبشِّرون الكفرة والمنافقين بسَخَط الله عليهم وعذابه ، قال تعالى : **﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لا بُشْرى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُورا﴾** [الفرقان:٢٢] .

قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٣/ ٢٠-٢١) : **﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لَا بُشْرى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾** يُرِيدُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا يَرَاهَا أَحَدٌ إِلَّا عِنْدَ الْمَوْتِ، فَتُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْجَنَّةِ، وَتَضْرِبُ الْمُشْرِكِينَ وَالْكُفَّارَ بِمَقَامِعِ الْحَدِيدِ حَتَّى تَخْرُجَ أَنْفُسُهُمْ. **﴿وَيَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً﴾** يُرِيدُ تَقُولُ الْمَلَائِكَةُ حَرَامًا مُحَرَّمًا أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَقَامَ شَرَائِعَهَا، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ. وَقِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَعَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ. قَالَ عَطِيَّةُ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ تَلَقَّى الْمُؤْمِنَ بِالْبُشْرَى، فَإِذَا رَأَى ذَلِكَ الْكَافِرُ تَمَنَّاهُ فَلَمْ يَرَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ. وَانْتَصَبَ" يَوْمَ يَرَوْنَ" بِتَقْدِيرِ لَا بُشْرَى لِلْمُجْرِمِينَ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ. **﴿يَوْمَئِذٍ﴾** تَأْكِيدٌ لِـ **﴿يَوْمَ يَرَوْنَ﴾** . قال النَّحَّاس: لا يجور أَنْ يَكُونَ **﴿يَوْمَ يَرَوْنَ﴾** مَنْصُوبًا بِـ **﴿بُشْرى﴾** ، لِأَنَّ مَا فِي حَيِّزِ النَّفْيِ

لَا يَعْمَلُ فِيمَا قَبْلَهُ، وَلَكِنْ فِيهِ تَقْدِيرُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَىٰ يُمْنَعُونَ الْبِشَارَةَ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ، وَدَلَّ عَلَىٰ هَذَا الْحَذْفِ مَا بَعْدَهُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ التَّقْدِيرُ: لَا بُشْرَىٰ تَكُونُ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ، وَ **﴿يَوْمَئِذٍ﴾** مُؤَكِّدٌ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَىٰ: اذْكُرْ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ، ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ: **﴿لا بُشْرى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً﴾** ، أَيْ : وَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ حَرَامًا مُحَرَّمًا أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ الشَّاعِرُ:

أَلَا أَصْبَحَتْ أَسْمَاءُ حِجْرًا مُحَرَّمًا وَأَصْبَحَتْ مِنْ أَدْنَىٰ حُمُوَّتِهَا حَمَا

أَرَادَ : أَلَا أَصْبَحَتْ أَسْمَاءُ حراماً محرَّماً.

وقال آخر:

حَنَّتْ إِلَىٰ النَّخْلَةِ الْقُصْوَىٰ فَقُلْتُ لَهَا حِجْرٌ حَرَامٌ أَلَا تِلْكَ الدَّهَارِيسُ

وَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ: **﴿وَيَقُولُونَ حِجْراً﴾** وَقْفٌ مِنْ قَوْلِ الْمُجْرِمِينَ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: **﴿مَحْجُوراً﴾** عَلَيْهِمْ أَنْ يُعَاذُوا أَوْ يُجَارُوا، فَحَجَرَ اللهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَالْأَوَّلُ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَبِهِ قَالَ الْفَرَّاءُ، قَالَهُ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ. وَقَرَأَ الْحَسَنُ وَأَبُو رَجَاءٍ" حُجْرًا" بِضَمِّ الْحَاءِ وَالنَّاسُ عَلَىٰ كَسْرِهَا. وَقِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ الْكُفَّارِ قَالُوهُ لِأَنْفُسِهِمْ، قَالَهُ قَتَادَةُ فِيمَا ذَكَرَ الماوردي. وقيل: هو من قَوْلُ الْكُفَّارِ لِلْمَلَائِكَةِ. وَهِيَ كَلِمَةُ اسْتِعَاذَةٍ وَكَانَتْ مَعْرُوفَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَانَ إِذَا لَقِيَ الرَّجُلُ من يخافه قال: حجزا مَحْجُورًا، أَيْ حَرَامًا عَلَيْكَ التَّعَرُّضُ لِي. وَانْتِصَابُهُ عَلَىٰ مَعْنَىٰ: حَجَرْتُ عَلَيْكَ، أَوْ حَجَرَ اللهُ عَلَيْكَ، كَمَا تَقُولُ: سَقْيًا وَرَعْيًا. أَيْ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ إِذَا رَأَوُا الْمَلَائِكَةَ يُلْقُونَهُمْ فِي النَّارِ قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكُمْ، ذَكَرَهُ الْقُشَيْرِيُّ، وَحَكَىٰ معناه المهدىٰ عَنْ مُجَاهِدٍ.

وَقِيلَ: **﴿حِجْراً﴾** مِنْ قَوْلِ الْمُجْرِمِينَ . **﴿مَحْجُوراً﴾** مِنْ قَوْلِ الْمَلَائِكَةِ، أَيْ قَالُوا لِلْمَلَائِكَةِ نعوذ بالله منكم أن تتعرَّضوا لنا. فنقول الْمَلَائِكَةُ: **﴿مَحْجُوراً﴾** أَنْ تُعَاذُوا مِنْ شَرِّ هَذَا اليوم، قاله الحسن" .

وقال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (٦/١٠١-١٠٢) : " أي: هُمْ لَا يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ فِي يَوْمِ خَيْرٍ لَهُمْ، بَلْ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لَهُمْ ، وَذَلِكَ يَصْدُق عَلَىٰ وَقْتِ الِاحْتِضَارِ حِينَ تُبَشِّرُهُمُ الْمَلَائِكَةُ بِالنَّارِ، وَغَضَبِ الْجَبَّارِ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لِلْكَافِرِ عِنْدَ خُرُوجِ رُوحِهِ: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، اخْرُجِي إِلَىٰ سَموم وحَميم، وظلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ. فَتَأْبَىٰ الْخُرُوجَ وَتَتَفَرَّقُ فِي الْبَدَنِ ، فَيَضْرِبُونَهُ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: **﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾** [الأنفال: ٥٠] . وَقَالَ: **﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ**

الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾ ، أَيْ: بِالضَّرْبِ، ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣] ؛ ولهذا قال في هذه الآية الْكَرِيمَةِ﴿ :يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ ، وَهَذَا بِخِلَافِ حَالِ الْمُؤْمِنِينَ فِي وَقْتِ احْتِضَارِهِمْ، فَإِنَّهُمْ يُبَشَّرُونَ بِالْخَيْرَاتِ، وَحُصُولِ الْمَسَرَّاتِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنزلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٠-٣١] .

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ: أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَقُولُ لِرُوحِ الْمُؤْمِنِ: "اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، كُنْتِ تَعْمُرِينَهُ، اخْرُجِي إِلَى رَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ". أخرجه أحمد في" المسند" (٤٢/ ١٤ برقم ٢٥٠٩٠) . قال الأرنؤوط : "إسناده صحيح على شرط الشيخين ... " .

وَقَدْ تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ فِي سُورَةِ "إِبْرَاهِيمَ" عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧] . وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ﴾ يَعْنِي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَالضَّحَّاكُ؛ وَغَيْرُهُمَا. وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ مَا تَقَدَّمَ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ فِي هَذَيْنِ الْيَوْمَيْنِ يَوْمِ الْمَمَاتِ وَيَوْمِ الْمَعَادِ تَتَجَلَّى لِلْمُؤْمِنِينَ وَلِلْكَافِرِينَ، فَتُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ بِالرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَانِ، وَتُخْبِرُ الْكَافِرِينَ بِالْخَيْبَةِ وَالْخُسْرَانِ، فَلَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ سَتُمْلَأُ النَّار مِنَ الجِنَّة وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْن ؟

الجواب : قال تعالى : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود:١١٩] .

قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (٩/ ١١٠) : " مَنْ" لِبَيَانِ الْجِنْسِ، أَيْ : مِنْ جِنْسِ الْجِنَّةِ وَجِنْسِ النَّاسِ. ﴿أَجْمَعِينَ﴾ تَأْكِيدٌ، وَكَمَا أَخْبَرَ أَنَّهُ يَمْلَأُ نَارَهُ كَذَلِكَ أَخْبَرَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يَمْلَأُ جَنَّتَهُ بِقَوْلِهِ:" وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا " .

وقال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (٤/ ٣٦٣) : " وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأمْلأنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ قَدْ سَبَقَ فِي قَضَائِهِ وَقَدَرِهُ، لِعِلْمِهِ التَّامِّ وَحِكْمَتِهِ النَّافِذَةِ، أَنَّ مِمَّنْ خَلَقَهُ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْجَنَّةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَحِقُّ النَّارَ، وَأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَمْلَأَ جَهَنَّمَ مِنْ هَذَيْنِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَلَهُ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ وَالْحِكْمَةُ التَّامَّةُ. وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ: "اخْتَصَمَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضَعَفَةُ النَّاسِ وسَقطُهم؟ وَقَالَتِ النَّارَ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ. فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْجَنَّةِ، أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ. وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتَ عَذَابِي، أَنْتَقِمُ بِكِ مِمَّنْ أَشَاءُ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا. فَأَمَّا الْجَنَّةُ فَلَا يَزَالُ فِيهَا فَضْلٌ، حَتَّى يُنْشِئَ اللهُ لَهَا خَلْقًا يَسْكُنُ فَضْلَ الْجَنَّةِ، وَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَزَالُ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ رَبُّ الْعِزَّةِ قَدمه، فَتَقُولُ: قَطْ قَطٍ، وَعَزَّتِكَ " . أخرجه البخاري (٦/ ١٣٨ برقم ٤٨٥٠) ، مسلم (٤/ ٢١٨٧ برقم ٢٨٤٦) .

وقال الإمام الشَّعراوي في " التَّفسير" (١١/ ٦٧٦٧-٦٧٦٨) : " والحقُّ سبحانه قد علم أزلاً بمن يختار الإيمان ومن يختار الكفر، وهذا من صفات العلم الأزليّ لله سبحانه وتعالى ولذلك قال سبحانه: **﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾** أي: علم سبحانه مَنْ مِنْ عباده سيختار أن يعمل في الدُّنيا عملَ أهل النَّار، ومن سيختار أن يعمل عملَ أهل الجنَّة؛ لسبْق علمه الأزليّ بمرادات عباده واختياراتهم.

وسبق أن ضربنا مثلاً ولله المثل الأعلى بعميد الكليَّة الذي يعلن للأساتذة ضرورة ترشيح المتفوِّقين في كلِّ قسم؛ لأنَّ هناك جوائز في انتظارهم، فيرشح كلُّ أستاذ أسماء المتفوِّقين الذين لمسَ فيهم النُّبوغ والإخلاص للعلم، ويطلب العميد من أساتذة من خارج جامعته أن يضعوا امتحانات مفاجئة لمجموع الطلَّاب؛ ويُفاجأ العميد بتفُّوق الطَّلبة الذين لمس فيهم أساتذتهم النُّبوغ والإخلاص للعلم، وهنا يتحقَّق العميد من صدق تنبُّؤ الأساتذة الذين يعملون تحت قيادته.

ولكن قد تحدث مفاجأة: أن يتخلَّف واحد من هؤلاء الطَّلبة لمرض أصابه أو طارئ يطرأ عليه من تعب أعصاب أو إرهاق أو غير ذلك؛ وبهذا يختلُّ تقدير أستاذه؛ لكن تقدير الحقّ سبحانه مُنزَّه عن الخطأ، وما عَلِمه أزلاً فهو مُحقَّق لا محالة؛ لذلك بيَّن لنا أنه عِلْم أزليّ، ويتحدَّى الكافر به أن يغيِّره " .

وقال تعالى : **﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ * لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾**[ص:٨٤-٨٥] .

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢٦/ ٤١٥-٤١٦) : " قَوْلُهُ: **﴿مِنْكَ﴾** ، أَيْ مِنْ جِنْسِكَ، وَهُمُ الشَّيَاطِينُ **﴿وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾** مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ، فَإِنْ قِيلَ قَوْلُهُ: **﴿أَجْمَعِينَ﴾** تَأْكِيدٌ لِمَاذَا؟ قُلْنَا: يُحْتَمَلُ أَنْ يُؤَكَّدَ بِهِ الضَّمِيرُ فِي **﴿مِنْهُمْ﴾** ، أَوِ الْكَافُ فِي **﴿مِنْكَ﴾** مَعَ مَنْ تَبِعَكَ، وَمَعْنَاهُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْمَتْبُوعِينَ وَالتَّابِعِينَ لَا أَتْرُكُ مِنْهُمْ أَحَدًا " .

وقال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير " (٢٣/٣٠٦-٣٠٨) : " أَيْ : قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ تَفْرِيعًا، وَهَذَا التَّفْرِيعُ نَظِيرُ التَّفْرِيعِ فِي قَوْلِهِ: ﴿**فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [ص: ٨٢] .

وَقُوبِلَ تَأْكِيدُ عَزْمِهِ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ قَوْله فَبِعِزَّتِكَ بِتَأْكِيدٍ مِثْلِهِ، وَهُوَ لَفْظُ الْحَقَّ الدَّالِّ عَلَىٰ أَنَّ مَا بَعْدَهُ حَقٌّ ثَابِتٌ لَا يَتَخَلَّفُ، وَلَمْ يَزِدْ فِي تَأْكِيدِ الْخَبَرِ عَلَىٰ لَفْظِ الْحَقَّ تَذْكِيرًا بِأَنَّ وَعْدَ اللهِ تَعَالَىٰ حَقٌّ لَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ قَسَمٍ عَلَيْهِ تَرَفُّعًا مِنْ جَلَالِ اللهِ عَنْ أَنْ يُقَابِلَ كَلَامَ الشَّيْطَانِ بِقَسَمٍ مِثْلِهِ. وَلِذَلِكَ زَادَ هَذَا الْمَعْنَىٰ تَقْرِيرًا بِالْجُمْلَةِ الْمُعْتَرِضَةِ وَهِيَ وَالْحَقَّ أَقُولُ الَّذِي هُوَ بِمَعْنَىٰ: لَا أَقُولُ إِلَّا الْحَقَّ، وَلَا حَاجَةَ إِلَىٰ الْقَسَمِ.

وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ: فَالْحَقُّ بِالنَّصْبِ وَانْتِصَابُهُ عَلَىٰ الْمَفْعُولِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ بَدَلًا عَنْ فِعْلٍ مِنْ لَفْظِهِ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: أُحِقُّ، أَيْ أُوجِبُ وَأُحَقِّقُ. وَأَصْلُهُ التَّنْكِيرُ، فَتَعْرِيفُهُ بِاللَّامِ تَعْرِيفَ الْجِنْسِ كَالتَّعْرِيفِ فِي: أَرْسَلَهَا الْعِرَاكُ، فَهُوَ فِي حُكْمِ النَّكِرَةِ وَإِنَّمَا تَعْرِيفُهُ حِلْيَةٌ لَفْظِيَّةٌ إِشَارَةً إِلَىٰ مَا يَعْرِفُهُ السَّامِعُ مِنْ أَنَّ الْحَقَّ مَا هُوَ ... وَجُمْلَةُ ﴿**لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ**﴾ إِلَخْ مُبَيِّنَةٌ لِجُمْلَةِ فَالْحَقُّ وَهِيَ مُؤَكَّدَةٌ بِلَامِ الْقسم وَالنُّون.

وَتقدم الْمَفْعُولِ فِي وَالْحَقَّ أَقُولُ لِلِاخْتِصَاصِ، أَيْ وَلَا أَقُولُ إِلَّا الْحَقَّ.

وَ (مِنْ) فِي قَوْلِهِ: ﴿**مِنكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ**﴾ بَيَانِيَّةٌ وَهِيَ الَّتِي تَدْخُلُ عَلَىٰ التَّمْيِيزِ وَيَنْتَصِبُ التَّمْيِيزُ بِتَقْدِيرِ مَعْنَاهَا. وَتَدْخُلُ عَلَىٰ تَمْيِيزِ (كَمْ) فِي نَحْوِ ﴿**كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ**﴾ [ص: ٣] ، وَهِيَ هُنَا بَيَانٌ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ لَأَمْلَأَنَّ مِنْ مِقْدَارٍ مُبْهَمٍ فَبُيِّنَ بِآيَةِ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ وَلَمَّا كَانَ شَأْنُ مَدْخُولِ «مِنِ» الْبَيَانِيَّةِ أَنْ يَكُونَ نَكِرَةً تَعَيَّنَ اعْتِبَارُ كَافِ الْخِطَابِ فِي مَعْنَىٰ اسْمِ الْجِنْسِ، أَيْ مِنْ جِنْسِكَ الشَّيَاطِينِ إِذْ لَا تَكُونُ ذَات إِبْلِيس مَلأً لِجَهَنَّمَ. وَإِذْ قَدْ عُطِفَ عَلَيْهِ ﴿**وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ**﴾ ، أَيْ : مَنْ تَبِعَكَ مِنَ الَّذِينَ أَغْوَيْتَهُمْ مِنْ بَنِي آدَمَ، فَلَا جَائِزَ أَنْ يَبْقَىٰ مَنْ عَدَا هَذَيْنِ مِنَ الشَّيَاطِينِ وَالْجِنَّةِ غَيْرَ مِلْءٍ لِجَهَنَّمَ.

و﴿**أَجْمَعِينَ**﴾ تَوْكِيدٌ لضمير ﴿**مِنكَ**﴾ و «لمن» فِي قَوْلِهِ: ﴿**وَمِمَّنْ تَبِعَكَ**﴾ .

وَاعْلَمْ أَنَّ حِكَايَةَ هَذِهِ الْمُقَاوَلَةِ بَيْنَ كَلَامِ اللهِ وَبَيْنَ الشَّيْطَانِ حِكَايَةٌ لِمَا جَرَىٰ فِي خَلَدِ الشَّيْطَانِ مِنَ الْمَدَارِكِ الْمُتَرَتِّبَةِ الْمُتَوَلِّدَةِ فِي قَرَارَةِ نَفْسِهِ، وَمَا جَرَىٰ فِي إِرَادَةِ اللهِ مِنَ الْمُسَبَّبَاتِ الْمُتَرَتِّبَةِ عَلَىٰ أَسْبَابِهَا مِنْ خَوَاطِرِ الشَّيْطَانِ لِأَنَّ الْعَالَمَ الَّذِي جَرَتْ فِيهِ هَذِهِ الْأَسْبَابُ وَمُسَبَّبَاتُهَا عَالَمُ حَقِيقَةٍ لَا يَجْرِي فِيهِ إِلَّا الصِّدْقُ وَلَا مَطْمَعَ فِيهِ لِتَرْوِيجِ الْمُوَارَبَةِ وَلَا الْحِيلَةِ وَلِذَلِكَ لَا تُعَدُّ خَوَاطِرُ الشَّيْطَانِ الْمَذْكُورَةِ فِيهِ جَرْأَةً عَلَىٰ جَلَالِ اللهِ تَعَالَىٰ وَلَا تُعَدُّ مُجَازَاةُ اللهِ تَعَالَىٰ الشَّيْطَانَ عَلَيْهِ تَنَازُلًا مِنَ اللهِ لِمُحَاوَرَةِ عَبْدٍ بَغِيضٍ للهِ تَعَالَىٰ " .

وقال الله تعالى : **﴿وَلَوْ شِئْنا لَآتَيْنا كُلَّ نَفْسٍ هُداها وَلكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾** [السجدة:١٣] .

وروى البخاري (٩/ ١٣٤ برقم ٧٤٤٩) ، مسلم (٤/ ٢١٨٦ برقم ٢٨٤٦) بسندهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " اخْتَصَمَتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ إِلَى رَبِّهِمَا، فَقَالَتِ الجَنَّةُ: يَا رَبِّ، مَا لَهَا لاَ يَدْخُلُهَا إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ، وَقَالَتِ النَّارُ: - يَعْنِي - أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي، أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا، قَالَ: فَأَمَّا الجَنَّةُ، فَإِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَإِنَّهُ يُنْشِئُ لِلنَّارِ مَنْ يَشَاءُ، فَيُلْقَوْنَ فِيهَا، فَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، ثَلاَثًا، حَتَّى يَضَعَ فِيهَا قَدَمَهُ فَتَمْتَلِئُ، وَيُرَدُّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَتَقُولُ: قَطْ قَطْ قَطْ " .

قال الحافظ ابن حجر في " فتح الباري" (٨/ ٥٩٧) : " أَنَّ الْجَنَّةَ يَقَعُ امْتِلَاؤُهَا بِمَنْ يُنْشِؤُهُمُ اللهُ لِأَجْلِ مَلْئِهَا وَأَمَّا النَّارُ فَلَا يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا بَلْ يَفْعَلُ فِيهَا شَيْئًا عَبَّرَ عَنْهُ بِمَا ذُكِرَ يَقْتَضِي لَهَا أَنْ يَنْضَمَّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ فَتَصِيرُ مَلْأَى وَلَا تَحْتَمِلُ مَزِيدًا وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الثَّوَابَ لَيْسَ مَوْقُوفًا عَلَى الْعَمَلِ بَلْ يُنْعِمُ اللهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى مَنْ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ " .

وقال الإمام العيني في " عمدة القاري شرح صحيح البخاري " (٢٥/ ١٣٧) : " قَالَ الْقَابِسِيّ: الْمَعْرُوف فِي هَذَا الْموضع أَنَّ الله يُنشئ للجنَّة خلقاً، وَأَمَّا النَّار فَيَضَع فِيهَا قدمه قَالَ: وَلَا أعلم فِي شَيْء من الْأَحَادِيث أَنَّه يُنشئ للنار خلقا، وَأَمَّا النَّار فَيَضَع فِيهَا قدمه قَالَ: وَلَا أعلم فِي شَيْء من الْأَحَادِيث أَنَّه يُنشئ للنَّار خلقاً، إلاَّ هَذَا. وَقَالَ الْكرْمَانِي: وَاعْلَم أَنَّ هَذَا الحَدِيث مرَّ فِي سُورَة ق بعكس هَذِه الرِّوَايَة، قَالَ ثمَّة: وَأَمَّا النَّار فتمتلئ وَلَا يظلم الله من خلقه أحداً. وَأَمَّا الْجنَّة فَإِنَّ الله يُنشئ لَهَا خلقاً، كَذَا فِي صَحِيح مُسلم (٤/ ٢١٨٧ برقم ٢٨٤٦) .

وَقيل: هَذَا وهم من الرَّاوِي إِذْ تَعْذِيب غير العَاصِي لَا يَلِيق بكرم الله تَعَالَى، بِخِلَاف الإنعام على غير الْمُطِيع، ثمَّ قَالَ الْكرْمَانِي: لَا محذوراً فِي تَعْذِيب الله من لَا ذَنْب لَهُ إِذا الْقَاعِدَة القائلة بالْحسنِ والقبح العقليّين بَاطِلَة، فَلَو عذبه لَكَانَ عدلاً والإنشاء للجنَّة لَا يُنَافِي الْإِنْشَاء للنَّار، وَالله يفعل مَا يَشَاء فَلَا حَاجَة إِلَى الْحمل على الْوَهم " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا المَقْصُوْدُ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " حَتَّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ " .

الجواب : روى البخاري (٨/ ١٣٤ برقم ٦٦٦١) مسلم (٤/ ٢١٨٧ برقم ٢٨٤٨) بسندهما عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لاَ تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ وَعِزَّتِكَ، وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ " .

وروى البخاري (٦/ ١٣٨ برقم ٤٨٥٠) ، مسلم (٤/ ٢١٨٦ برقم ٢٨٤٦) بسندهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " تَحَاجَّتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الجَنَّةُ: مَا لِي لاَ يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ: فَلاَ تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلاَ يَظْلِمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الجَنَّةُ: فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا " .

ففي هذين الحديثين أضيفت القَدَمُ والرِّجل إلى الله تعالى ... ولمّا كانت الذَّات المقدَّسة لا تتبعَّض ولا يحويها مكان، ولا توصف بالتَّغيُّر ولا بالانتقال ، فقد سلك أهل الحقِّ في أمثال هذه النُّصوص مذهب التَّفويض أو التَّأويل ...

قال الإمام ابن بطَّال في " شرح صحيح البخاري" (٦/ ١٢٠) : " وقوله في حديث أنس: "يَضَعَ فِيهَا قَدَمَه" ، أي : ما قَدَّمَ لها من خلقه، وسبق لها به مشيئته ووعده ممَّن يدخلها ، ومثله قوله تعالى: **﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾** [يونس:٢] ، أي : متقدّم صدق " .

وقال الإمام القاضي عياض في " شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم " (٨/ ٣٧٨-٣٨٠) : " هذا الحديث من مشاهير الأحاديث التي وقعت موهمة للتَّشبيه ولما نقله الأثبات، واشتهر عند الرُّواة، كلف العلماء قديماً وحديثاً الكلام عليه والنَّظر في تأويله، فمنهم من حمل القَدَم على السَّابق المتقدِّم، ويقال للمتقدِّم: قَدَم، فيكون تقدير الحديث: حتى يضع الجبَّار فيها من قدَّم لها من أهل العذاب، وهذا كقوله تعالى: **﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾** [يونس:٢] ، معناه: التَّقدُّم والسَّبق، لا قَدَم الرِّجل. فإذا وقع مثل هذا في القرآن حملنا ما وقع في السُّنَّة عليه، وإلى هذا مال النَّضر بن شُميل. وقد أشار ابن الأعرابي إلى أنَّ القَدَم يعبَّر به عن هذا المعنى، ولكن في الشَّرف والجلالة.

ويحتمل أن يكون المراد ها هنا بالحديث: قَدَم بعض خلقه، وتكون الإضافة هنا إلى الله سبحانه إضافة فعل لا إضافة جارحة.

وقد قال بعضهم: يحتمل أن يريد أنَّ الله سبحانه يخلق في الآخرة خلقاً يسمَّى بهذه التَّسمية، فلا تمتلئ النَّار إلَّا به.

ويحتمل وجهاً آخر على رواية من رواه: " حَتَّى يَضَعَ الجَبَّار " أنْ يريد به الشَّيطان؛ لأنَّه أصل الجبَّارين، أو يريد به أحد الكفرة من الجبابرة، فيكون المعنى: لا تمتلئ حتى يضع إبليس فيها قدمه، أو هذا المشار إليه.

وأمَّا ما خرَّجه مسلم في بعض طُرُقه: " حَتَّى يَضَعَ اللهُ رِجْلَه " فقد أنكر هذه اللفظة بعض أهل العلم، وزعم ابن فورك أنَّها غير ثابتة عند أهل النَّقل، ولكن لابدَّ من تأويلها لأجل تخريج مسلم لها وهو كما وصفناه في كتابنا هذا أوَّلاً، ووصفنا أحاديثه، فيُّصح أن يكون المراد ها هنا: رِجْل بعض خليقته، وأضاف ذلك إليه عزَّ وجلَّ إضافة فعل لا إضافة جارحة، كما قدَّمناه في القَدَم.

ويصحُّ فيه تأويل آخر أيضاً وهو: أن يكون المراد ها هنا بالرِّجْل: الجماعة من النَّاس، كما يقال: رِجْلٌ من جراد، أي جماعة من جراد. وقد وقع ذلك في أشعار كثيرة.

وإذا أمكن حمل الحديث على هذه التَّأويلات الصَّحيحة الجائزة على الله سبحانه لم يصح حمله على ما يقوله المجسِّمة، من إفادته إثبات الجارحة لله تعالى الله عن قولهم. وقد قام الدَّليل القاطع العقلي على استحالة ذلك عليه جلَّ وعلا، وهذا واضح.

قال القاضي : وقد قيل: إنَّها عبارة عن شَّدة القدرة والقهر للنَّار، ومنه قولهم: وطئ الجيش بني فلان، وقال الشَّاعر: فوطئن وطئًا على خنق

وقيل: القَدَم هنا مستعار للذلَّة في قولهم: وضعت رِجْلي على قفاه.

وأظهر التَّأويلات فيها عندي ما تقدَّم؛ من أنَّهم قوم يقدم علم الله وقضاؤه كونهم من أهلها، أو خلقهم لها، كما قال في الحديث نفسه في الجَنَّة: " ولا يزال فيها فضل حتى ينشئ الله لها خلقًا فيسكنهم فضل الجنَّة ". وقوله: ولكلِّ واحدة منكما ملؤها ". وقوله في النَّار: " فتقول: قط قط، فهنالك تمتلئ " فالحديث يفسِّر بعضه بعضًا، ويرفع مفسّره الإشكال عن مجمله ومتشابهه " .

وقال الإمام أحمد بن عمر القرطبي في " المُفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم " (٧/ ١٩٤-١٩٦) : " وقوله: "وَأَمَّا النَّار فَلَا تَمْتَلِئ فَيَضَعُ قَدَمَهُ عَلَيْهَا" ، وفي اللفظ الآخر: حَتَّىٰ يَضَعَ رَبُّ العِزَّة فِيْهَا قَدَمَه" . وفي اللفظ الآخر: حتَّىٰ يَضَعَ اللهُ رِجْلَهُ " ، ولم يذكر لا فيها ولا عليها، وقد ضلَّ بظاهر هذا اللفظ من أذهب الله عقله، وأعدم فهمه، وهم المجسِّمة المشبِّهة، فاعتقدوا: أنَّ لله تعالىٰ رِجْلاً من لحم وعصب تشبه رِجْلنا، كما اعتقدوا في الله تعالىٰ أنَّه جسم يشبه أجسامنا ذو وجه وعينين، وجنب ويد ورجْل وهكذا ... وهذا ارتكاب جهالة خالفوا بها العقول وأدلَّة الشَّرع المنقول، وما كان سلف هذه الأمَّة عليه من التَّنزيه عن المماثلة والتَّشبيه، وكيف يستقرُّ هذا المذهب الفاسد في قلب من له أدنىٰ فكرة، ومن العقل أقل مسكة، فإنَّ الأجسام من حيث هي كذلك متساوية في الأحكام العقليَّة، وما ثبت للشَّيء ثبت لمثله، وقد ثبت لهذه الأجسام الحدوث، فيلزم عليه أن يكون الله تعالىٰ حادثاً، وهو محال باتِّفاق العقلاء والشَّرائع. ثمَّ انظر غفلتهم وجهلهم بكلام الله تعالىٰ وبمعانيه، فكأنَّهم لم يسمعوا قوله تعالىٰ: ﴿**لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾ [الشورىٰ:١١] ، ويلزم علىٰ قولهم أن يكون كلُّ واحد منَّا مِثلاً له تعالىٰ من جهة الجسميَّة والحيوانيَّة، والجوارح، وغير ذلك من الأعضاء والأعصاب واللحم والجلود والشُّعور، وغير هذا، وكلُّ ذلك جهالات وضلالات، ولله سرٌّ في إبعاد بعض العباد ﴿**وَمَن يُضلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ**﴾ [الرعد:٣٣] ، وقد تأوَّل علماؤنا ذلك الحديث تأويلات . وأشبه ما فيها تأويلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّ النَّار تتغيَّظ وتتهيَّج؛ حنقاً علىٰ الكفَّار والمتكبِّرين والعصاة، كما قال تعالىٰ: ﴿**تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيظِ**﴾ [الملك:٨] ، وكما قال: ﴿**يَومَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امتَلأتِ وَتَقُولُ هَل مِن مَزِيدٍ**﴾ [ق:٣٠] ، وكما قال في هذا الحديث: لا تزال جهنَّم يُلقىٰ فيها وتقول: هل من مزيد؟ ، وكما قال: تخرج عنق من النَّار فتقول: وكِّلت بالجبَّارين والمتكبِّرين " . فكأنَّها تعلو وتطغىٰ حَتىٰ كأنَّها تجاوز الحدّ، وفي بعض الحديث: أنَّها تكاد أن تلتقمُ أهل المحشر فيكسر الله سورتها، وحدَّتها، ويردها ويذلِّلها ذلّ متكبِّر وطئ بالقَدَم والرِّجل، فعبَّر عن تذليلها بذلك، ويشهد لذلك قوله النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ": فَيَضَعُ قَدَمَه عَلَيْهَا" ، وعلىٰ هذا فيكون فيها في الرِّواية الأخرىٰ بمعنىٰ عليها. كما قال: ﴿**وَلأُصَلِّبَنَّكُم فِي جُذُوعِ النَّخلِ**﴾ [طه:٧١] ، أي: علىٰ جذوع النَّخل.

وَثَانِيْهِمَا: أَنَّ القدَم والرِّجل عبارة عمَّن تأخَّر دخوله في النَّار من أهلها، وهم جماعات كثيرة؛ لأنَّ أهل النَّار يُلقون فيها فوجاً بعد فوج، كما قال تعالىٰ: **﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوجٌ سَأَلَهُم خَزَنَتُهَا﴾** [الملك:٨] ، ويؤيِّده قوله في هذا الحديث: لَا يَزَالُ يُلْقَىٰ فِيْهَا " ، فالخزنة تنتظر أولئك المتأخِّرين، إذ قد علموهم بأسمائهم وأوصافهم، كما روي عن ابن مسعود أنَّه قال: ما في النَّار بيت ولا سلسلة ولا مقمع ولا تابوت، إلَّا وعليه اسم صاحبه، فكلُّ واحد من الخزنة ينتظر صاحبه الذي قد عرف اسمه وصفته، فإذا استوفىٰ كلّ واحد منهم ما أمر به وما ينتظره ولم يبق منهم أحد، قالت الخزنة: قط قط؛ أي: حسبنا حسبنا، اكتفينا اكتفينا. فحينئذ تنزوي جهنَّم علىٰ من فيها؛ أي: تجتمع وتنطبق إذ لم يبق أحد ينتظر، فعبَّر عن ذلك الجمع المنتظر بالرِّجْل والقَدَم، كما عبَّرت العرب عن جماعة الجراد بالِّرجْل، فتقول: جاء رِجْلٌ من جراد؛ أي: جماعة منها، ويشهد بصحَّة هذا التَّأويل قوله في آخر الحديث: " وَلَا يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّىٰ يُنْشِئَ اللهُ لَهَا خَلْقًا، فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ ". والله بمراد رسوله أعلم، والتَّسليم في المشكلات أسلم " .

قال الإمام ابن حبَّان في " الصَّحيح" (٥٠٢/١) : " هذا الخبر من الأحبار الَّتي أُطْلِقَتْ بِتَمْثِيلِ الْمُجَاوَرَةِ وَذَلِكَ أَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ مِنَ الْأُمَمِ وَالْأَمْكِنَةِ الَّتِي عُصِيَ اللهُ عَلَيْهَا فَلَا تَزَالُ تَسْتَزِيدُ حَتَّىٰ يَضَعَ الرَّبُّ جَلَّ وَعَلَا مَوْضِعًا مِنَ الكفار والأمكنة في النار فتمتلئ فَتَقُولُ قَطْ قَطْ تُرِيدُ حَسْبِي حَسْبِي لِأَنَّ الْعَرَبَ تُطْلِقُ فِي لُغَتِهَا اسْمَ الْقَدَمِ عَلَىٰ الْمَوْضِعِ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا **﴿لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾**[يونس:٢]، يُرِيدُ مَوْضِعَ صِدْقٍ لَا أَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا يَضَعُ قَدَمَهُ فِي النَّارِ جَلَّ رَبُّنَا وَتَعَالَىٰ عَنْ مِثْلِ هَذَا وَأَشْبَاهِهِ " .

قال الإمام البيهقي في " الأسماء والصِّفات" (١٩٠/٢) : " قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ: وَذِكْرُ الْقَدَمِ هَهُنَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ: مَنْ قَدَّمَهُمُ اللهُ لِلنَّارِ مِنْ أَهْلِهَا، فَيَقَعُ بِهِمُ اسْتِيفَاءُ عَدَدِ أَهْلِ النَّارِ. وَكُلُّ شَيْءٍ قَدَّمْتُهُ فَهُوَ قَدَمٌ، كَمَا قِيلَ لِمَا هَدَمْتُهُ: هَدْمٌ، وَلِمَا قَبَضْتُهُ: قَبْضٌ، وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: **﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾** [يونس: ٢] ، أَيْ مَا قَدَّمُوهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ. وَقَدْ رُوِيَ مَعْنَىٰ هَذَا عَنِ الْحَسَنِ، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ: «وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللهَ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا» ، فَاتَّفَقَ الْمَعْنَيَانِ أَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ تُمَدُّ بِزِيَادَةِ عَدَدٍ يَسْتَوْفِي بِهَا عِدَّةَ أَهْلِهَا، فَتَمْتَلِئُ عِنْدَ ذَلِكَ". قَالَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ: وَفِيمَا كَتَبَ إِلَيَّ أَبُو نَصْرِ بْنُ قَتَادَةَ مِنْ كِتَابِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ الطَّبَرِيِّ حِكَايَةً عَنِ النَّضْرِ بْنِ شُمَيْلٍ أَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: «حَتَّىٰ يَضَعَ الْجَبَّارُ فِيهَا قَدَمَهُ» أَيْ مَنْ سَبَقَ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ: قَدْ تَأَوَّلَ بَعْضُهُمُ الرِّجْلَ عَلَىٰ نَحْوِ مِنْ هَذَا، قَالَ: وَالْمُرَادُ بِهِ اسْتِيفَاءُ عَدَدِ

الْجَمَاعَةِ الَّذِينَ اسْتَوْجَبُوا دُخُولَ النَّارِ. قَالَ: وَالْعَرَبُ تُسَمِّي جَمَاعَةَ الْجَرَادِ رِجْلًا كَمَا سَمَّوْا جَمَاعَةَ الظِّبَاءِ سِرْبًا وَجَمَاعَةَ النَّعَامِ خَيْطًا، وَجَمَاعَةَ الْحَمِيرِ عَانَةً، قَالَ: وَهَذَا وَإِنْ كَانَ اسْمًا خَاصًّا لِجَمَاعَةِ الْجَرَادِ، فَقَدْ يُسْتَعَارُ لِجَمَاعَةِ النَّاسِ عَلَى سَبِيلِ التَّشْبِيهِ. وَالْكَلَامُ الْمُسْتَعَارُ وَالْمَنْقُولُ مِنْ مَوْضِعِهِ كَثِيرٌ، وَالْأَمْرُ فِيهِ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ مَشْهُورٌ. قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ رَحِمَهُ اللهُ: وَفِيهِ وَجْهٌ آخَرُ، وَهُوَ أَنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ أَمْثَالٌ يُرَادُ بِهَا إِثْبَاتُ مَعَانٍ لَا حَظَّ لِظَاهِرِ الْأَسْمَاءِ فِيهَا مِنْ طَرِيقِ الْحَقِيقَةِ، وَإِنَّمَا أُرِيدَ بِوَضْعِ الرِّجْلِ عَلَيْهَا نَوْعٌ مِنَ الزَّجْرِ لَهَا وَالتَّسْكِينُ مِنْ غَرْبِهَا كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ لِلشَّيْءِ يُرِيدُ مَحْوَهُ وَإِبْطَالَهُ: جَعَلْتُهُ تَحْتَ رِجْلَيَّ، وَوَضَعْتُهُ تَحْتَ قَدَمَيَّ. وَخَطَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْفَتْحِ فَقَالَ: «أَلَا إِنَّ كُلَّ دَمٍ وَمَأْثُرَةٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ إِلَّا سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَسِدَانَةَ الْبَيْتِ» . يُرِيدُ مَحْوَ تِلْكَ الْمَآثِرِ وَإِبْطَالَهَا، وَمَا أَكْثَرَ مَا تَضْرِبُ الْعَرَبُ الْأَمْثَالَ فِي كَلَامِهَا بِأَسْمَاءِ الْأَعْضَاءِ، وَهِيَ لَا تُرِيدُ أَعْيَانَهَا، كَمَا تَقُولُ فِي الرَّجُلِ يَسْبِقُ مِنْهُ الْقَوْلُ أَوِ الْفِعْلُ ثُمَّ يَنْدَمُ عَلَيْهِ: قَدْ سُقِطَ فِي يَدِهِ؛ أَيْ نَدِمَ. وَكَقَوْلِهِمْ: رَغِمَ أَنْفُ الرَّجُلِ، إِذَا ذُلَّ. وَعَلَا كَعْبُهُ إِذَا جَلَّ. وَجَعَلْتُ كَلَامَ فُلَانٍ دُبُرَ أُذُنِي، وَجَعَلْتُ يَا هَذَا حَاجَتِي بِظَهْرٍ، وَنَحْوُهَا مِنْ أَلْفَاظِهِمُ الدَّائِرَةِ فِي كَلَامِهِمْ " .

وقال الإمام ابن الجوزي في "دفع شبه التَّشبيه بأكفِّ التَّنزيه " (ص١٧٠-١٧٢) : " ... قلت : الواجب علينا أن نعتقد أنَّ ذات الله تعالىٰ لا تتبعَّض ، ولا يحويها مكان ، ولا توصف بالتَّغيُّر ، ولا بالانتقال.

وقد حكىٰ أبو عبيد الهروي عن الحسن البصري أنَّه قال : القَدَم هم الذين قدَّمهم الله تعالىٰ من شرار خلقه وأثبتهم لها .

وقال الإمام ابن الأعرابي : القَدَم المتقدِّم ، وروىٰ أبو بكر البيهقي عن النَّضر بن شُميل أنَّه قال : القَدَمُ ههنا الكفَّار الذين سبق في علم الله أنَّهم من أهل النَّار.

وقال أبو منصور الأزهري : القَدَمُ هم الذين قدَّم الله بتخليدهم في النَّار ، فعلىٰ هذا يكون في المعنىٰ وجهين : أحدهما : كلُّ شيء قدمه ، يقال لما قُدِّم قَدَم ، ولما هُدِّم هَدَم ، ويؤيِّد هذا قوله في تمام الحديث : " وَأَمَّا الجَنَّة فَيُنْشِئُ لَهَا خَلْقاً " . ووَجْه ثَان : إنَّ كلّ قادم عليها سمِّي قادماً ، فالقَدَم جمعُ قادم.

فبعض الرُّواة رواه بما يظنُّه المعنىٰ من أنَّ المقدَّم الرِّجل ، وقد رواه الطَّبراني من طرق ، فقال : " لقَدَمِه وَرِجْله " . قلت : وهذا دليل علىٰ تغيُّر الرُّواة بما يظنُّونه علىٰ أنَّ الرِّجل في اللغة جماعة ، ومن يرويه بلفظ

الرِّجل فإنَّه يقول : رِجْلٌ من جراد ، فيكون المراد : يدخلها جماعة يشبهون في كثرتهم الجراد فيسرعون التَّهافت فيها " .

وقال الإمام ابن الجوزي في " كشف المُشكل من حديث الصَّحيحين " (٣/ ٢٤٤-٢٤٥) : " كَانَ من تقدَّم من السَّلف يسكتون عِنْد سَماع هَذِه الْأَشْيَاء ، وَلَا يفسِّرونها، مَعَ علمهمْ أَنَّ ذَات الله تَعَالَىٰ لَا تتبعَّض، وَلَا يحويها مَكَان، وَلَا تُوصَف بالتَّغيُّر وَلَا بالانتقال. وَمن صرف عَن نَفسه مَا يُوجب التَّشْبِيه وَسكت عَن تَفْسِير مَا يُضَاف إِلَىٰ الله عزَّ وَجلَّ من هَذِه الْأَشْيَاء فقد سلك طَرِيق السَّلف الصَّالح وَسلم، فَأَمَّا من ادَّعىٰ سلوك طَرِيق السَّلف ثمَّ فهم من هَذَا الحَدِيث أَنَّ الْقدَم صفة ذاتيَّة وَأَنَّهَا تُوضَع فِي جَهَنَّم، فَما عرف مَا يجب لله وَلَا مَا يَسْتَحِيل عَلَيْهِ، وَلَا سلك منهاج السَّلف فِي السُّكُوت، وَلَا مَذْهَب المتأوِّلين، وأخسس بِهِ من مَذْهَب ثَالِث ابتدعه من غضب من الْبدع. قَالَ أَبُو الْوَفَاء بن عقيل: تَعَالَىٰ الله أَن يكون لَهُ صفة تشغل الْأَمْكِنَة، هَذَا عين الَّتجسيم، ثمَّ إِنَّه لَا يعْمل فِي النَّار أمره وتكوينه حَتَّىٰ يَسْتَعِين بِشَيْء من ذَاته، وَهُوَ الْقَائِل للنَّار **﴿كُوْنِي بَرْدَاً وَسَلَامًا﴾** [الْأَنبِيَاء: ٦٩] ، فَمن أَمر نَاراً - أَجَّجَها غَيره - بانقلاب طبعها عَن الإحراق، لَا يضع فِي نَار أَجَّجها بِأَن يأمرها بالانزواء حَتَّىٰ يعالجها بِصفة من صِفَاته، مَا أسخف هَذَا الاعتقاد وأبعده عَن المكوِّن للأفلاك والأملاك، وَقد نطق الْقُرْآن بتكذيبهم، فَقَالَ تَعَالَىٰ: **﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَة مَا وَرَدُوْهَا﴾** [الْأَنبِيَاء: ٩٩] ، فَكيف يُظنُّ بِاللهَّ تَعَالَىٰ أَنَّه وردهَا، تَعَالَىٰ الله عَن تخاييل المتوهِّمة المجسِّمة.

وَقد حكىٰ أَبُو عبيد الْهَرَوِيّ عَن الْحسن الْبَصْرِيّ أَنَّه قَالَ: الْقدَم: قوم يقدِّمهم من شرار خلقه.

فَإِن قيل: كَأَن من قبل هَؤُلَاءِ مَا كَانُوا شرارا. فَالْجَوَاب: أَنَّ الَّذِي يَقع فِي هَذَا أَنَّه إِذا رمي فِيهَا الْكفَّار أَوَّلاً بادرت إِلَىٰ إحراقهم عَاجلاً، وَسَأَلت الْمَزِيد، فيلقي فِيهَا قوما من الْمُؤمنِينَ المذنبين، فتحسّ بِمَا مَعَهم من الْإِيمَان فتتوقَّف عَن إحراقهم وَتقول: قطّ قطّ، أَي حسبي. وَقد ورد فِي الصَّحِيح أَنَّهَا تحرق الْمُؤمنِينَ إِلَّا دارات وُجُوههم لأجل السُّجُود.

فَإِن قيل: كَيفَ يَصحُّ هَذَا التَّأْوِيل ، وَسَيَأْتِي فِي حَدِيث أبي هُرَيْرَة: "يَضَعُ فِيهَا رِجْلَه " ، فَالْجَوَاب: أَنَّ هَذَا من تَحْرِيف بعض الرُّوَاة، وهو أنَّ الرِّجل جمَاعَة، كَمَا يُقَال: رِجْلٌ من جَراد " .

وقال الإمام القرطبي في " الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ " (٢/ ٥٧) : "قال التِّرمذي: وقد روي عن النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ روايات كثيرة مثل هذا ممَّا يُذكر فيه أمر الرُّؤية وذكر القَدَم وما أشبه هذه

الأشياء. والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمَّة مثل سفيان الثَّوري، ومالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وابن المبارك، ووكيع، وغيرهم أنَّهم رووا هذه الأشياء، وقالوا: تُروىٰ هذه الأحاديث ونؤمن بها، ولا يقال: كيف؟ وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن يَرْووا هذه الأحاديث كيف جاءت ويُؤمنُ بها، ولا تفسَّر ولا تتوهَّم ولا يقال: كيف؟ قال: وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه " .

وقال الإمام القرطبي في "الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ" (٢/٥٧-٥٨) : "وقال الخطَّابي: وكان أبو عبيد القاسم بن سلام ، وهو أحد أئمَّة أهل العلم يقول: نحن نروي هذه الأحاديث ولا نريغ لها المعاني. قال أبو سليمان الخطَّابي: ونحن أحرىٰ بأن لا نتقدَّم فيما تأخَّر عنه من هو أكثر منَّا علماً وأقدم زماناً وسنّاً. ولكن الزَّمان الذي نحن فيه قد حصل أهله حزبين: منكر لما يُروىٰ من هذه الأحاديث، ومكذِّب به أصلاً، وفي ذلك تكذيب العلماء الذين رووا هذه الأحاديث، وهم أئمَّة الدِّين ونقلة السُّنن والواسطة بيننا وبين رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والطَّائفة الأخرىٰ مسلِّمة للرِّواية فيها، ذاهبة في تحقيق الظَّاهر منها مذهباً يكاد يفضي بهم إلىٰ القول بالتَّشبيه. ونحن نرغب عن الأمرين معاً ولا نرضى بواحدٍ منهما ، فيحقُّ لنا أن نطلب لما يَرِدُ من هذه الأحاديث- إذا صحَّت من طريق النَّقل والسَّند- تأويلاً يخرج علىٰ معاني أُصول الدِّين ومذاهب العلماء، ولا نبطل الرِّواية فيها أصلاً إذا كانت طُرقُها مرضيَّة ونَقَلَتها عدولاً " .

فالخطَّابي هنا – فيما نقل عنه القرطبي – ينقل مذهب جمهور السَّلف الذين رووا ما جاء من أحاديث الصِّفات، ولم يريغوا لها المعاني، وهذا هو حاصل مذهب جمهور السَّلف في أخبار الصِّفات، فإنَّهم أمرُّوها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل، مع نفيهم الظَّاهر المتبادر إلىٰ الأذهان عن الله تعالىٰ، لأنَّه سبحانه ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْء**﴾ [الشورىٰ:١١] ، قال الحافظ ابن حجر في " فتح الباري" (٨/٥٩٦) : " فَطَرِيقُ السَّلَفِ فِي هَذَا وَغَيْرِهِ مَشْهُورَةٌ وَهُوَ أَنْ تَمُرَّ كَمَا جَاءَتْ وَلَا يُتَعَرَّضُ لِتَأْوِيلِهِ بَلْ نَعْتَقِدُ اسْتِحَالَةَ مَا يُوهِم النَّقْص علىٰ الله " .

ومن جهة أخرىٰ فقد ذكر الخطَّابي أنَّ السَّبب الذي ألجأ الكثيرين للتَّأويل إنَّما هو إنكار البعض لما جاء من أحاديث الصِّفات، بينما ذهب البعض الآخر إلىٰ مذهب يكاد يفضي بهم إلىٰ التَّشبيه، ولذلك رغب الخطَّابي عن القولين وذهب إلىٰ التَّأويل، قال الإمام القرطبي في " الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ" (٢/٥٨) ناقلاً عن الخطَّابي : "وذكر القَدَم هاهنا يحتمل أن يكون المراد به من قدَّمهم الله للنَّار من أهلها، فيقع بهم استيفاء

عدد أهل النَّار. وكلُّ شيء قدَّمته فهو قَدَم، كما قيل لما هدَّمته هَدَم. ولما قبضته قبض، ومن هذا قوله عزَّ وجلَّ : ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِم﴾ [يونس :٢] ، أي : ما قدَّموه من الأعمال الصَّالحة، وقد روي معنى هذا عن الحسن. ويؤيِّد هذا قوله في الحديث: "وأمَّا الجنَّة فإنَّ الله ينشئ لها خلْقاً" فاتَّفق المعنيان في أنَّ كلّ واحدة من الجنَّة والنَّار تُمَدُّ بزيادة ليستوفي بها عـدَّة أهلها فتمتلئ عند ذلك " .

وقال الإمام القرطبي في " الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى" (٢/ ٦٠-٦١) : "على هذا التَّأويل أكثر العلماء، وأنَّ القَدَم وإن كان المفهوم منها الجارحة فإنَّ الله تعالى متعالٍ عن ذلك، والعرب تُطلق القَدَم على السَّابقة في الأمر ، يقال: لفلان قَدَم صدقٍ أي أثرة حسنة، قال الأخفش: هو -أي القَدَم- معناه التَّقديم، كأنَّه قدَّم خيراً وكان له فيه تقديم، وكذلك القُدْمة بالضَّمّ والتَّسكين- حكاه الجوهري وقال حسّان:

لنا القدَمُ الأولى إليك وخَلفنُا لأوَّلنـا في طـاعة الله تـابع

وقيل: إنَّ هؤلاء قوم تأخَّر دخولهم في النَّار-وهم جماعات- لأنَّ أهل النَّار يلقون فيها فوجاً فوجاً، كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيْهَا فَوْجٌ سَأَلَهُم خَزَنَتُهَا﴾ [الملك:٨] ، فالخزنة تنتظر أوُلئك المتأخِّرين ... فإذا استوفى كلُّ واحد منهم ما أُمر به وما ينتظر، ولم يبق أحد قالت الخزنة "قط قط" أي: حسبُنا حسبُنا، أي: اكتفينا اكتفينا. وحينئذ تنـزوي جهنَّم على من فيها وتنطبق إذ لم يبق أحد يُنتظر، فعبّر عن ذلك الجمع المنتظر بالرِّجل والقَدَم، لا أنَّ الله تعالى جسم من الأجسام، تعالى الله عمَّا يقول الَّظالمون علوَّاً كبيراً. وقال النَّضر بن شُميّل في معنى قوله: "حَتَّى يَضَعَ الجَبَّارُ فِيْهَا قَدَمَه" ، أي : من سبق في علمه أنَّه من أهل النَّار " .

وعند حديثه على الرِّواية التي تذكر الرِّجْل مضافة إلى الله تعالى، قال الإمام القرطبي في " الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى" (٢/ ٦١) : "وقال أبو سليمان الخطَّابي: وقد تأوَّل بعضُهم الرِّجل على معنى من هذا، قال: والمراد به استيفاء عدد الجماعة الذين استوجبوا دخول النَّار. قال: والعرب تسمِّي جماعة الجراد رِجْلاً، كما سمُّوا جماعة الظِّباء سِرْباً، وجماعة النَّعام خيطاً، وجماعة الحمير عانة. قال: وهذا وإن كان اسماً خاصَّاً لجماعة الجراد فقد يُستعار في جماعة النَّاس على سبيل التَّشبيه. والكلام المستعار والمنقول من موضعه كثير، والأمر فيه عند أهل اللغة مشهور " .

وبعد أن ذكر الإمام القرطبي في "الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى" (٢/ ٦٤) العديد من أقوال العلماء في القَدَم والرِّجْل خلص إلى القول: بأنَّ " هذه الأقوال وإن كانت محتملة فإنَّها تحتاج إلى توقيف لأجل

التَّعيين. وإذا كانت القَدَم والرِّجْل في كلام العرب شائعة في معنىٰ الجماعة علىٰ ما ذكرنا، فَحَمْلُ الخبر علىٰ مثله أهدىٰ إلىٰ الحقِّ وأقرب للصَّواب، وأنَّ الله يدخل النَّار خلقاً كثيراً يشبهون في الكثرة جماعة الجراد" ...

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (ص٩٠٩-٩١٠) : " وقوله : " حَتَّىٰ يَضَعَ فِيْهَا قَدَمَه " وفي رواية أخرىٰ: " حَتَّىٰ يَضَعَ عَلَيْهَا" ، وفي أُخرىٰ : " رِجْلَه " – ولم يذكر فيها ولا عليها – فمعناه : عبارة عمَّن تأخَّر دخوله في النَّار من أهلها، وهم جماعات كثيرة ، لأنَّ أهل النَّار يُلقون فيها فوجاً فوجاً، كما قال الله تعالىٰ : **﴿كُلَّما أُلْقِيَ فِيها فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها﴾** [الملك:٨] ، ويؤيِّده أيضاً قوله في الحديث: " لَا يَزَالُ يُلْقَىٰ فِيْهَا" .

فالخزنة تنظر أولئك المتأخِّرين إذ قد علَّموهم بأسمائهم وأوصافهم، كما روي عن ابن مسعود أنَّه قال: ما في النَّار بيت ولا سلسلة ولا مقمع ولا تابوت إلَّا وعليه اسم صاحبه، فكُّل واحد من الخزنة ينتظر صاحبه الذي قد عرف اسمه وصفته، فإذا استوفىٰ كلُّ واحد ما أُمر به وما ينتظره ولم يبق منهم أحد ، قالت الخزنة: قط قط، أي : حسبنا حسبنا اكتفينا اكتفينا، وحينئذ تنزوي جهنَّم علىٰ ما من فيها وتنطبق، إذ لم يبق أحد ينتظر فعبَّر عن ذلك الجمع المنتظر بالرِّجْل والقَدَم، لا أنَّ الله جسم من الأجسام، تعالىٰ الله عمَّا يقول الظَّالمون والجاحدون علوَّاً كبيراً.

والعرب تعبِّر عن جماعة والجراد بالرِّجْل، فتقول : جاءنا رِجْلٌ من جَراد وَرِجْلٌ من النَّاس، أي : جماعة منهم والجمع: أرجل ، ويشهد لهذا التَّأويل قوله في نفس الحديث: " وَلَا يَزَالُ فِي الجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّىٰ يُنْشِئُ اللهُ خَلْقَاً فَيُسْكِنُهُم فَضْل الجَنَّة" ، وفي الحديث تأويلات أتينا عليها في "الأسماء والصفات" أشبهها ما ذكرناه.

وفي التَّنزيل : **﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾** [يونس:٢] ، قال ابن عبَّاس: المعنىٰ منزل صدق، وقال الطَّبري: معنىٰ **﴿قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾** : عمل صالح ، وقيل: هو السَّابقة الحسنة، فدلَّ علىٰ أنَّ القَدَم ليس حقيقة في الجارحة، والله الموفِّق.

قال ابن فورك : وقال بعضُهم: القَدَم خلق من خلق الله يخلقه يوم القيامة فيسمِّيه قَدَماً، ويضيفه إليه من طريق الفعل ، يضعه في النَّار فتمتلئ النَّار منه، والله أعلم.

قلت: وهذا نحو ممَّا قلناه في الرِّجْل ، قال الشَّاعر:

فمرَّ بنا رِجْلٌ من النَّاس وانزوىٰ ... إليهم من الحيِّ اليماني أرجل

قبـــــــائل من لخم وعك وحمير على ابني نزار بالعداوة أحفـــــــــــــــل

وقال آخر:

يرى النَّاس أفواجاً إلى باب داره كأنَّهـــــــــــم رِجْلاً دباً وجراد

فيوم لإلحـاق الفقير بذي الغنى ويوم رقـــــاب بوكرت بحصاد

الدّبا: الجراد قبل أن يطير، والله أعلم" .

وقال الحافظ ابن حجر في " فتح الباري" (٥٩٦/٨) : " وَاخْتُلِفَ فِي الْمُرَادِ بِالْقَدَمِ ، فَطَرِيقُ السَّلَفِ فِي هَذَا وَغَيْرِهِ مَشْهُورَةٌ ، وَهُوَ أَنْ تَمُرَّ كَمَا جَاءَتْ وَلَا يُتَعَرَّضُ لِتَأْوِيلِهِ ، بَلْ نَعْتَقِدُ اسْتِحَالَةَ مَا يُوهم النَّقْص على الله . وَخَاضَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ ، فَقَالَ : الْمُرَادُ إِذْلَالُ جهَنَّم ، فَإِنَّهَا إِذَا بَالَغَتْ فِي الطُّغْيَانِ وَطَلَبِ الْمَزِيدِ أَذَلَّهَا اللهُ فَوَضَعَهَا تَحْتَ الْقَدَمِ ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ حَقِيقَةَ الْقَدَمِ ، وَالْعَرَبُ تَسْتَعْمِلُ أَلْفَاظَ الْأَعْضَاءِ فِي ضَرْبِ الْأَمْثَالِ ، وَلَا تُرِيدُ أَعْيَانَهَا ، كَقَوْلِهِمْ : رَغِمَ أَنْفُهُ ، وَسُقِطَ فِي يَدِهِ ، وَقِيلَ : الْمُرَادُ بِالْقَدَمِ الْفَرَطُ السَّابِقُ ، أَيْ: يَضَعُ اللهُ فِيهَا مَا قَدَّمَهُ لَهَا مِنْ أَهْلِ الْعَذَابِ . قَالَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ : الْقَدَمُ قَدْ يَكُونُ اسْمًا لِمَا قُدِّمَ كَمَا يُسَمَّى مَا خُبِطَ مِنْ وَرَقٍ خَبَطًا ، فَالْمَعْنَى : مَا قَدَّمُوا مِنْ عَمَلٍ ، وَقِيلَ : الْمُرَادُ بِالْقَدَمِ قَدَمُ بَعْضِ الْمَخْلُوقِينَ ، فَالضَّمِيرُ لِلْمَخْلُوقِ مَعْلُومٌ أَوْ يَكُونُ هُنَاكَ مَخْلُوقٌ اسْمُهُ قَدَمٌ أَوِ الْمُرَادُ بِالْقَدَمِ الْأَخِيرُ ، لِأَنَّ الْقَدَمَ آخِرُ الْأَعْضَاءِ ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى : حَتَّى يَضَعَ اللهُ فِي النَّارِ آخِرَ أَهْلِهَا فِيهَا ، وَيكون الضَّمِير للمزيد.

وَقَالَ بن حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ بَعْدَ إِخْرَاجِهِ : هَذَا مِنَ الْأَخْبَارِ الَّتِي أُطْلِقَتْ بِتَمْثِيلِ الْمُجَاوَرَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُلْقَى فِي النَّارِ مِنَ الْأُمَمِ وَالْأَمْكِنَةِ الَّتِي عُصِيَ اللهُ فِيهَا ، فَلَا تَزَالُ تَسْتَزِيدُ حَتَّى يَضَعَ الرَّبُّ فِيهَا مَوْضِعًا مِنَ الْأَمْكِنَةِ الْمَذْكُورَةِ فَتَمْتَلِئُ ، لِأَنَّ الْعَرَبَ تُطْلِقُ الْقَدَمَ عَلَى الْمَوْضِعِ ، قَالَ تَعَالَى : **﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صدق﴾** [يونس:٢] ، يُرِيدُ : مَوْضِعَ صِدْقٍ.

وَقَالَ الدَّاوُدِيُّ : الْمُرَادُ بِالْقَدَمِ قَدَمُ صِدْقٍ ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ ، وَالْإِشَارَةُ بِذَلِكَ إِلَى شَفَاعَتِهِ ، وَهُوَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ ، فَيُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَتُعُقِّبَ بِأَنَّ هَذَا مُنَابِذٌ لِنَصِّ الْحَدِيثِ ، لِأَنَّ فِيهِ يَضَعُ قَدَمَهُ بَعْدَ أَنْ قَالَتْ : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ، وَالَّذِي قَالَهُ مُقْتَضَاهُ أَنَّهُ يَنْقُصُ مِنْهَا وَصَرِيحُ الْخَبَرِ أَنَّهَا تَنْزَوِي بِمَا يُجْعَلُ فِيهَا لَا يَخْرُجُ مِنْهَا.

قُلْتُ : وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُوَجَّهَ بِأَنَّ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا يُبَدَّلُ عِوَضَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ كَمَا حَمَلُوا عَلَيْهِ حَدِيثَ أَبِي مُوسَى فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ : " يُعْطَى كُلُّ مُسْلِمٍ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، فَيُقَالُ : هَذَا فداءك مِنَ النَّارِ " ، فَإِنَّ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ قَالَ : الْمُرَادُ بِذَلِكَ أَنَّهُ يَقَعُ عِنْدَ إِخْرَاجِ الْمُوَحِّدِينَ ، وَأَنَّهُ يَجْعَلُ مَكَانَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَاحِدًا مِنَ الْكُفَّارِ بِأَنْ يَعْظُمَ حَتَّى يَسُدَّ مَكَانَهُ وَمَكَانَ الَّذِي خَرَجَ ، وَحِينَئِذٍ فَالْقَدَمُ سَبَبٌ لِلْعِظَمِ الْمَذْكُورِ ، فَإِذَا وَقَعَ الْعِظَمُ حَصَلَ الْمِلْءُ الَّذِي تَطْلُبُهُ " .

وقال الإمام العيني في " : عمدة القاري شرح صحيح البخاري " (١٨٦/٢٣) : " قَوْله: (قَدَمه) قَالَ الْكرْمَانِي: هُوَ من المتشابهات، وَقَالَ الْمُهلب: أَي مَا قدم لَهَا من خلقه وَسبق لَهَا بمشيئته ووعده مِمَّن يدخلهَا. وَقَالَ النَّضر بن شُمَيْل، معنى الْقدَم هُنَا الْكفَّار الَّذين سبق فِي علم الله تَعَالَى أَنهم من أهل النَّار، وَحمل الْقدَم على الْمُتَقَدّم لِأَن الْعَرَب تَقول للشَّيْء الْمُتَقَدّم: قدم، وَقيل: الْقدَم خلق يخلقه الله يَوْم الْقِيَامَة فيسميه قدماً ويضيفه إِلَيْهِ من طَرِيق الْفِعْل وَالْملك يَضَعهُ فِي النَّار فتمتلىء النَّار مِنْهُ، وَقيل: الْمُرَاد بِهِ قدم بعض خلقه فأضيف إِلَيْهِ كَمَا يَقُول: ضرب الْأَمِير اللص، على معنى أَنه عَن أمره، وَسُئِلَ الْخَلِيل عَن معنى هَذَا الْخَبَر فَقَالَ: هم قوم قدمهم الله تَعَالَى إِلَى النَّار. وَعَن عبد الله بن الْمُبَارك: من قد سبق فِي علمه أَنهم من أهل النَّار، وكلُّ مَا تقدَّم فَهُوَ قَدَم، قَالَ الله تَعَالَى: **﴿أَنَّ لَهُم قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِم﴾** [يُونُس: ٢] ، يَعْنِي: أعمالاً صَالِحَة قدَّموها، وَرُوِيَ عَن حسان بن عَطِيَّة: حَتَّى يضع الْجَبَّار قدمه، بِكَسْر الْقَاف ... فَإِن قلت: جَاءَ فِي مُسلم: حَتَّى يضع تبَارك وَتَعَالَى فِيهَا رجله، فَتَقول: قطّ قطّ. فهنالك تمتلىء.

قلت: الرِّجْلُ الْعدَد الْكثير من النَّاس وَغَيرهم، وَالْإِضَافَة من طَرِيق الْملك " .

قلت: قد تبيَّن من خلال ما تقدَّم أنَّ للعلماء في موضوع القَدَم غيرها من الألفاظ المُضافة لله تعالى مذهبين اثنين:

الأَوَّلُ : مذهب التَّفويض وهو ما نقله الإمام القرطبي عن التِّرمذي والخَّطابي والقاسم بن سلام، وهو مذهب جمهور السَّلف الذين سكتوا عن الكلام فيها وآمنوا على أنَّها حٌّق على ما أراد الله تعالى ...

الثَّاني: مذهب التَّأويل ، وهو ما نقله الإمام القرطبي عن الخطَّابي، والنَّضر بن شُمَيْل، وغيرهم وهذا هو المذهب الذي مال إليه بعض السَّلف وجمهور الخلف...

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ أَبْوَابِ جَهَنَّم ؟

الجواب : قال الله تعالى : **﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾** [الحجر:٤٣-٤٤] .

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (١٩/ ١٤٦) : " وَفِيهِ قَوْلَانِ:

الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: إِنَّهَا سَبْعُ طَبَقَاتٍ: بَعْضُهَا فَوْقَ الْبَعْضِ وَتُسَمَّى تِلْكَ الطَّبَقَاتُ بِالدَّرَكَاتِ، وَيَدُلُّ عَلَى كَوْنِهَا كَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾** [النِّسَاء: ١٤٥] .

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: إِنَّ قَرَارَ جَهَنَّمَ مَقْسُومٌ سَبْعَةَ أَقْسَامٍ: وَلِكُلِّ قِسْمٍ بَابٌ، وَعَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ: أَوَّلُهَا: جَهَنَّمُ. ثُمَّ لَظَى. ثُمَّ الْحُطَمَةُ. ثُمَّ السَّعِيرُ. ثُمَّ سَقَرُ. ثُمَّ الْجَحِيمُ. ثُمَّ الْهَاوِيَةُ. قَالَ الضَّحَّاكُ: الطَّبَقَةُ الْأُولَى: فِيهَا أَهْلُ التَّوْحِيدِ يُعَذَّبُونَ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ ثُمَّ يُخْرَجُونَ. وَالثَّانِيَةُ: لِلْيَهُودِ. وَالثَّالِثَةُ: لِلنَّصَارَى. وَالرَّابِعَةُ: لِلصَّابِئِينَ. وَالْخَامِسَةُ: لِلْمَجُوسِ. وَالسَّادِسَةُ: لِلْمُشْرِكِينَ. وَالسَّابِعَةُ: لِلْمُنَافِقِينَ.

وَقَوْلُهُ: لِكُلِّ بابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ وَفِيهِ مَسْأَلَتَانِ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: قَرَأَ عَاصِمٌ فِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: جُزُءٌ مَقْسُومٌ وَالْبَاقُونَ (جُزْ) بِتَخْفِيفِ الزَّايِ. وَقَرَأَ الزُّهْرِيُّ: (جُزٌّ) بِالتَّشْدِيدِ، كَأَنَّهُ حَذَفَ الْهَمْزَةَ وَأَلْقَى حَرَكَتَهَا عَلَى الزَّايِ، كَقَوْلِكَ: خَبٌّ فِي خَبْءٍ، ثُمَّ وَقَفَ عَلَيْهِ بِالتَّشْدِيدِ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: الْجُزْءُ بَعْضُ الشَّيْءِ، وَالْجَمْعُ الْأَجْزَاءُ، وَجَزَّأْتُهُ جَعَلْتُهُ أَجْزَاءً. وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ تَعَالَى يجزي أَتْبَاعَ إِبْلِيسَ أَجْزَاءً، بِمَعْنَى أَنَّهُ يَجْعَلُهُمْ أَقْسَامًا وَفِرَقًا، وَيُدْخِلُ فِي كُلِّ قِسْمٍ مِنْ أَقْسَامِ جَهَنَّمَ طَائِفَةً مِنْ هَؤُلَاءِ الطَّوَائِفِ. وَالسَّبَبُ فِيهِ أَنَّ مَرَاتِبَ الْكُفْرِ مُخْتَلِفَةٌ بِالْغِلَظِ وَالْخِفَّةِ، فَلَا جَرَمَ صَارَتْ مَرَاتِبُ الْعَذَابِ وَالْعِقَابِ مُخْتَلِفَةً بِالْغِلَظِ والخفة، والله أعلم " .

وقال الإمام القرطبي في" الجامع لأحكام القرآن" (١٠/ ٣٠-٣١) : **﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوابٍ﴾** ، أَيْ : أطباق، طبق فوق طبق **﴿لِكُلِّ بابٍ﴾** ، أي : لكلِّ طبقة **﴿مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾** ، أَيْ : حَظٌّ مَعْلُومٌ. ذَكَرَ ابْنُ الْمُبَارَكِ قَالَ: أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ أَبُو هَارُونَ الْغَنَوِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ حِطَّانَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الرَّقَاشِيَّ يَقُولُ سَمِعْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: هَلْ تَدْرُونَ كَيْفَ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ؟ قُلْنَا: هِيَ مِثْلُ أَبوابِنَا. قَالَ لَا، هِيَ هَكَذَا بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ- زَادَ الثَّعْلَبِيُّ: وَوَضَعَ إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى- وَأَنَّ اللَّهَ وَضَعَ الْجِنَانَ عَلَى الْأَرْضِ، وَالنِّيرَانَ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ، فَأَسْفَلُهَا جَهَنَّمُ، وَفَوْقَهَا الْحُطَمَةُ، وَفَوْقَهَا سَقَرُ، وَفَوْقَهَا الْجَحِيمُ، وَفَوْقَهَا لَظَى، وَفَوْقَهَا السَّعِيرُ،

وَفَوْقَهَا الْهَاوِيَةُ، وَكُلُّ بَابٍ أَشَدُّ حَرًّا مِنَ الَّذِي يَلِيهِ سَبْعِينَ مَرَّةً. قُلْتُ: كَذَا وَقَعَ هَذَا التَّفْسِيرُ. وَالَّذِي عَلَيْهِ الْأَكْثَرُ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ جَهَنَّمَ أَعْلَى الدَّرَكَاتِ، وَهِيَ مُخْتَصَّةٌ بِالْعُصَاةِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهِيَ الَّتِي تُخْلَى مِنْ أَهْلِهَا فَتَصْفِقُ الرِّيَاحُ أَبْوَابَهَا. ثُمَّ لَظَى، ثُمَّ الْحُطَمَةُ، ثُمَّ سَعِيرٌ، ثُمَّ سَقَرُ، ثُمَّ الْجَحِيمُ، ثُمَّ الْهَاوِيَةُ. قَالَ الضَّحَّاكُ: فِي الدَّرْكِ الْأَعْلَى الْمُحَمَّدِيُّونَ، وَفِي الثَّانِي النَّصَارَى، وَفِي الثَّالِثِ الْيَهُودِ، وَفِي الرَّابِعِ الصَّابِئُونَ، وَفِي الْخَامِسِ الْمَجُوسُ، وَفِي السَّادِسِ مُشْرِكُو الْعَرَبِ، وَفِي السَّابِعِ الْمُنَافِقُونَ وَآلُ فِرْعَوْنَ وَمَنْ كَفَرَ مِنْ أَهْلِ الْمَائِدَةِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: **﴿إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾** ، وَقَالَ: **﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذابِ﴾** ، وقال: **﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذاباً لَا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ﴾** . وَقَسَّمَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الْعُلَمَاءَ السُّوءَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ تَقْسِيمًا عَلَى تِلْكَ الْأَبْوَابِ، ذَكَرْنَاهُ فِي كِتَابِ (التَّذْكِرَةِ). وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" لِجَهَنَّمَ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ بَابٌ مِنْهَا لِمَنْ سَلَّ سَيْفَهُ عَلَى أُمَّتِي" قَالَ: حَدِيثٌ غَرِيبٌ. وَقَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ:: لِجَهَنَّمَ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ بَابٌ مِنْهَا لِلْحَرُورِيَّةِ . وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: بَيْنَ كُلِّ بابين مسيرة سبعين سَنَةً، كُلُّ بَابٍ أَشَدُّ حَرًّا مِنَ الَّذِي فَوْقَهُ بِسَبْعِينَ ضِعْفًا، وَقَدْ ذَكَرْنَا هَذَا كُلَّهُ فِي كِتَابِ التَّذْكِرَةِ. وَرَوَى سَلَّامٌ الطَّوِيلُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: **﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوابٍ لِكُلِّ بابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾** ، جُزْءٌ أَشْرَكُوا بِاللهِ، وَجُزْءٌ شَكُّوا فِي اللهِ، وَجُزْءٌ غَفَلُوا عَنِ اللهِ، وَجُزْءٌ آثَرُوا شَهَوَاتِهِمْ عَلَى اللهِ، وَجُزْءٌ شَفَوْا غَيْظَهُمْ بِغَضَبِ اللهِ، وَجُزْءٌ صَيَّرُوا رَغْبَتَهُمْ بِحَظِّهِمْ مِنَ اللهِ، وَجُزْءٌ عَتَوْا عَلَى اللهِ".

ذَكَرَهُ الْحَلِيمِيُّ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ فِي كِتَابِ (مِنْهَاجِ الدِّينِ) لَهُ، وَقَالَ: فَإِنْ كَانَ ثَابِتًا فَالْمُشْرِكُونَ بِاللهِ هُمُ الثَّنَوِيَّةُ . وَالشَّاكُّونَ هُمُ الَّذِينَ لَا يَدْرُونَ أَنَّ لَهُمْ إِلَهًا أَوْ لَا إِلَهَ لَهُمْ، وَيَشُكُّونَ فِي شَرِيعَتِهِ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِهِ أَمْ لَا. وَالْغَافِلُونَ عَنِ اللهِ هُمُ الَّذِينَ يَجْحَدُونَهُ أَصْلًا وَلَا يُثْبِتُونَهُ، وَهُمُ الدَّهْرِيَّةُ. وَالْمُؤْثِرُونَ شَهَوَاتِهِمْ عَلَى اللهِ هُمُ الْمُنْهَمِكُونَ فِي الْمَعَاصِي، لِتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَ اللهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ. وَالشَّافُونَ غَيْظَهُمْ بِغَضَبِ اللهِ هُمُ الْقَاتِلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ وَسَائِرَ الدَّاعِينَ إِلَيْهِ، الْمُعَذِّبُونَ مَنْ يَنْصَحُ لَهُمْ أَوْ يَذْهَبُ غَيْرَ مَذْهَبِهِمْ، وَالْمُصَيِّرُونَ رَغْبَتَهُمْ بِحَظِّهِمْ مِنَ اللهِ هُمُ الْمُنْكِرُونَ بِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ، فَهُمْ يَعْبُدُونَ مَا يَرْغَبُونَ فِيهِ، لَهُمْ جَمِيعُ حَظِّهِمْ مِنَ اللهِ تَعَالَى،

وَالْعَاتُونَ عَلَى اللهَّ الَّذِينَ لا يُبَالُونَ، بِأَنْ يَكُونَ مَا هُمْ فِيهِ حَقًّا أَوْ بَاطِلًا، فَلَا يَتَفَكَّرُونَ وَلَا يَعْتَبِرُونَ وَلَا يَسْتَدِلُّونَ. وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَ رَسُولُهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ ثَبَتَ الْحَدِيثُ " .

وقال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (٥٣٦/٤-٥٣٧) : " ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّ لِجَهَنَّمَ سَبْعَةَ أَبْوَابٍ: **﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾** ، أَيْ: قَدْ كَتَبَ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهَا جُزْءٌ مِنْ أَتْبَاعِ إِبْلِيسَ يَدْخُلُونَهُ، لا مَحِيدَ لَهُمْ عَنْهُ -أَجَارَنَا اللهُ مِنْهَا-وَكُلٌّ يَدْخُلُ مِنْ بَابٍ بِحَسَبِ عَمَلِهِ، وَيَسْتَقِرُّ في دَرَك بقدر فعله.

قال إسماعيل بن عُلَيَّة وَشُعْبَةُ كِلَاهُمَا، عَنْ أَبِي هَارُونَ الغَنَوِيّ، عَنْ حِطَّانَ بْنِ عَبْدِ اللهَّ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَهُوَ يَخْطُبُ قَالَ: إِنَّ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ هَكَذَا -قَالَ أَبُو هَارُونَ: أَطْبَاقًا بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ.

وَقَالَ إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ هُبَيْرَة بْنَ يَرِيمَ عَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ، قَالَ: أَبْوَابُ جَهَنَّمَ سَبْعَةٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، فَيَمْتَلِئُ الْأَوَّلُ، ثُمَّ الثَّانِي، ثُمَّ الثَّالِثُ، حَتَّى تُمْلأُ كُلُّهَا .

وَقَالَ عِكْرِمة: **﴿سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾** سَبْعَةُ أَطْبَاقٍ.

وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: **﴿سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾** أَوَّلُهَا جَهَنَّمُ، ثُمَّ لظَى، ثُمَّ الْحُطَمَة، ثُمَّ سَعِيرٌ، ثُمَّ سَقَرُ، ثُمَّ الْجَحِيمُ، ثُمَّ الْهَاوِيَةُ.

وَرَوَى الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، نَحْوَهُ. وَكَذَا رُوِيَ عَنِ الْأَعْمَشِ بِنَحْوِهِ أَيْضًا.

وَقَالَ قَتَادَةُ: **﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾** ، وَهِيَ وَاللهَّ مَنَازِلُ بِأَعْمَالِهِمْ. رَوَاهُنَّ ابْنُ جَرِيرٍ.

وَقَالَ جِوَيْبِرٍ، عَنِ الضَّحَّاكِ: **﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾** ، قال: باب لليهود، وَبَابٌ لِلنَّصَارَى، وَبَابٌ لِلصَّابِئِينَ، وَبَابٌ لِلْمَجُوسِ، وَبَابٌ لِلَّذِينِ أَشْرَكُوا -وَهُمْ كُفَّارُ الْعَرَبِ -وَبَابٌ لِلْمُنَافِقِينَ، وَبَابٌ لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ، فَأَهْلُ التَّوْحِيدِ يُرجى لَهُمْ وَلَا يُرجى لِأُولَئِكَ أَبَدًا.

وَقَالَ التِّرمِذِيُّ (١٤٨/٥ برقم ٣١٢٣) : حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْد، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ، عَنْ مَالِكِ بْنِ مِغْوَل، عَنْ جُنَيْد عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لِجَهَنَّمَ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ: بَابٌ مِنْهَا لِمَنْ سلَّ السَّيْفَ عَلَى أُمَّتِي -أَوْ قَالَ: عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ.

ثُمَّ قَالَ: لا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ مَالِكِ بْنِ مِغْوَل.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ (انظر : تفسيره ٢٢٥٧/٧ برقم ١٢٣٣٠) : حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا، عَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ الْخَلَّالُ، حَدَّثَنَا زَيْدُ -يَعْنِي: ابْنُ يحيى -حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ بَشِيرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنِ أبي نضرة، عَنْ سَمُرَة بْنِ جُنْدَب، عَنِ النَّبِيِّ

صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ: **﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾** ، قَالَ: "إِنَّ مِنَ أَهْلِ النَّارِ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَىٰ كَعْبَيْهِ، وَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَىٰ حُجزته، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَىٰ تَرَاقِيهِ، مَنَازِلُ بِأَعْمَالِهِمْ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: **﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾** " .

وروىٰ ابن أبي حاتم في " التَّفسير" (٧/ ٢٢٦٥) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ قَالَ: جهنَّم، والسَّعير، ولظىٰ ، والحطمة، وسقر، والجحيم، والهاوية، وهي أسفلها.

وروىٰ أحمد في " المسند" (١٢/ ٥٩ برقم ٧١٤٨) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: لَمَّا حَضَرَ رَمَضَانُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قَدْ جَاءَكُمْ رَمَضَانُ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا، فَقَدْ حُرِمَ " .

قال الأرنؤوط : " صحيح، وهذا إسناد رجاله رجال الشيخين، وأبو قلابة -واسمه عبد الله بن زيد الجرمي- روايته عن أبي هريرة مرسلة. إسماعيل: هو ابن إبراهيم المعروف بابن علية، وأيوب: هو ابن أبي تميمة السختياني. وأخرجه عبد الرزاق (٨٣٨٣) ، وابن أبي شيبة ٣/ ١، وإسحاق بن راهويه (١) و (٢) ، والنسائي ٤/ ١٢٩، وابن عبد البر في "التمهيد" ١٦/ ١٥٤ من طرق عن أيوب، بهذا الإسناد. وسيأتي من طريق أبي قلابة برقم (٨٩٩١) و (٨٩٩٢) ، وسيتكرر من هذا الطريق برقم (٩٤٩٧) . ولحديث أبي قلابة عن أبي هريرة هذا شاهد من حديث أنس بن مالك عند ابن ماجه (١٦٤٤) ، وحسن إسناده الحافظ المنذري في "الترغيب والترهيب" ٢/ ٩٩، وهو كما قال. وأخرجه ابن ماجه (١٦٤٢) ، والترمذي (٦٨٢) ، وابن خزيمة (١٨٨٣) ، وابن حبان (٣٤٣٥) ، والحاكم ١/ ٤٢١، والبيهقي في "السنن" ٤/ ٣٠٣، وفي "شعب الإيمان" (٣٥٩٨) ، والبغوي (١٧٠٥) من طريق أبي بكر بن عياش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومرة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها بابٌ، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها بابٌ، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار. وذلك كل ليلة". وصحح الحاكم إسناده علىٰ شرط الشيخين! قال الترمذي: حديث أبي هريرة الذي رواه أبو بكر بن عياش، حديث غريب لا نعرفه من رواية أبي بكر بن عياش عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، إلا من حديث أبي بكر. قال: وسألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث؟ فقال: حدثنا الحسن بن الربيع، حدثنا أبو الأحوص، عن الأعمش، عن مجاهد، قوله: إذا كان أول ليلة من شهر رمضان، فذكر الحديث. قال محمد وهذا (يعني حديث الأعمش عن مجاهد من قوله) أصح عندي من حديث أبي بكر بن عياش. قلنا: لكن يشهد له مرفوعا بسياقة أبي بكر بن عياش ما أخرجه ابن أبي شيبة ٣/ ١، وأحمد ٤/ ٣١١ و٣١٢ و٥/ ٤١١، والنسائي ٤/ ١٣٠، والبيهقي في "الشعب" (٣٦٠١) عن رجل من أصحاب النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وإسناده حسن " .

وروىٰ البخاري (٤/ ١٢٣ برقم ٣٢٧٧) ، مسلم (٢/ ٧٥٨ برقم ١٠٧٩) بسندهما عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي أَنَسٍ، مَوْلَىٰ التَّيْمِيِّينَ أَنَّ أَبَاهُ، حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ " .

قال الإمام ابن بطَّال في " شرح صحيح البخارىٰ " (٤/ ٢٠) : " وتأوَّل العلماء في قوله: "فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ"، معنيين :

أَحَدُهُمَا: أنَّهم يسلسلون علىٰ الحقيقة، فيقلُّ أذاهم ووسوستهم ولا يكون ذلك منهم كما هو في غير رمضان، وفتح أبواب الجنَّة علىٰ ظاهر الحديث .

وَالثَّانِي: علىٰ المجاز، ويكون المعنىٰ في فتح أبواب الجنَّة ما فتح الله علىٰ العياد فيه من الأعمال المستوجب بها الجنَّة من الصَّلاة والصِّيام وتلاوة القرآن، وأنَّ الطَّريق إلىٰ الجنَّة في رمضان أسهل والأعمال فيه أسرع إلىٰ القبول، وكذلك أبواب النَّار تُغلق بما قطع عنهم من المعاصي، وترك الأعمال المستوجب بها النَّار، ولقلَّة ما يؤاخذ الله العباد بأعمالهم السَّيِّئة، يستنفذ منها ببركة الشَّهر أقوامًا ويهب المسيء للمحسن، ويتجاوز عن السَّيِّئات ، فهذا معنىٰ الغلق " .

وقال الإمام ابن العربي في " القبس في شرح موطأ مالك بن أنس " (١/ ٢٨١) : " وغلقت أَبْوَابُ النَّارِ " يحتمل الحقيقة بأن يفعل ذلك فيهما، ويحتمل المجاز بأن يكون ذلك عبارة عن تيسير سبل الطَّاعة التي هي أبواب إلىٰ الجنَّة وتعذير سبل المعاصي التي هي أبواب النَّار.

ويجوز أن تجتمع الحقيقة والمجاز في هذه الأوجه كلّها فتكون مرادة بالحديث موجودة فيه لكن لم يرد من الشَّرع تعيين في ذلك كلِّه " .

وقال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج " (٧/ ١٨٨) : " وَأَمَّا قَوْلُهُ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجنة وغلقت أَبْوَابُ النَّارِ وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ ، فَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ : يَحْتَمِلُ أَنَّهُ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ وَحَقِيقَتِهِ ، وَأَنَّ تَفْتِيحَ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَتَغْلِيقَ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ وَتَصْفِيدَ الشَّيَاطِينِ عَلَامَةٌ لِدُخُولِ الشَّهْرِ وَتَعْظِيمٌ لِحُرْمَتِهِ ، وَيَكُونُ التَّصْفِيدُ لِيَمْتَنِعُوا مِنْ إِيذَاءِ الْمُؤْمِنِينَ وَالتَّهْوِيشِ عَلَيْهِمْ ، قَالَ : وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ الْمَجَازَ ، وَيَكُونَ إِشَارَةً إِلَىٰ كَثْرَةِ الثَّوَابِ وَالْعَفْوِ ، وأنَّ الشَّياطين يقلُّ اغواؤهم وإيذاؤهم ليصيرون كَالْمُصَفَّدِينَ ، وَيَكُونُ تَصْفِيدُهُمْ عَنْ أَشْيَاءَ دُونَ أَشْيَاءَ وَلِنَاسٍ دُونَ نَاسٍ ، وَيُؤَيِّدُ هَذِهِ الرِّوَايَةُ الثَّانِيَةُ : " فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ " ، وَجَاءَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ : صُفِّدَتْ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ .

قَالَ الْقَاضِي : وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ فَتْحُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ عِبَارَةً عَمَّا يَفْتَحُهُ اللهُ تَعَالَىٰ لِعِبَادِهِ مِنَ الطَّاعَاتِ فِي هَذَا الشَّهْرِ الَّتِي لَا تَقَعُ فِي غَيْرِهِ عُمُومًا ، كَالصِّيَامِ ، وَالْقِيَامِ ، وَفِعْلِ الْخَيْرَاتِ ، وَالِانْكِفَافِ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ

الْمُخَالَفَاتِ ، وَهَذِهِ أَسْبَابٌ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ وَأَبْوَابٌ لَهَا ، وَكَذَلِكَ تَغْلِيقُ أَبْوَابِ النَّارِ وَتَصْفِيدُ الشَّيَاطِينِ عِبَارَةٌ عَمَّا يَنْكَفُّونَ عَنْهُ مِنَ الْمُخَالَفَاتِ ز وَمَعْنَى " صُفِّدَتْ " : غُلِّلَتْ ، وَالصَّفَدُ بِفَتْحِ الْفَاءِ الْغُلُّ بِضَمِّ الْغَيْنِ ، وَهُوَ مَعْنَى سُلْسِلَتْ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى " .

وقال الحافظ ابن حجر في " فتح الباري " (٤/ ١١٤) : " ... قَالَ عِيَاضٌ : يَحْتَمِلُ أَنَّهُ عَلَى ظَاهِرِهِ وَحَقِيقَتِهِ ، وَأَنَّ ذَلِكَ كُله عَلامَة لِلْمَلَائكَة لدُخُول الشَّهْر وَتَعْظِيم حُرْمَتِهِ وَلِمَنْعِ الشَّيَاطِينِ مِنْ أَذَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ إِشَارَةً إِلَى كَثْرَةِ الثَّوَابِ وَالْعَفْوِ ، وَأَنَّ الشَّيَاطِينَ يَقِلُّ إِغْوَاؤُهُمْ فَيَصِيرُونَ كَالْمُصَفَّدِينَ ، قَالَ : وَيُؤَيِّدُ هَذَا الِاحْتِمَالَ الثَّانِيَ قَوْلُهُ فِي رِوَايَة يُونُس عَن بن شِهَابٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ : " فُتِحَتْ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ " ، قَالَ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ فَتْحُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ عِبَارَةً عَمَّا يَفْتَحُهُ اللهُ لِعِبَادِهِ مِنَ الطَّاعَاتِ ، وَذَلِكَ أَسْبَابٌ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ ، وَغَلْقُ أَبْوَابِ النَّارِ عِبَارَةً عَنْ صَرْفِ الْهِمَمِ عَنِ الْمَعَاصِي الْآيِلَةِ بِأَصْحَابِهَا إِلَى النَّارِ ، وَتَصْفِيدُ الشَّيَاطِينِ عِبَارَةً عَنْ تَعْجِيزِهِمْ عَنِ الْإِغْوَاءِ وَتَزْيِينِ الشَّهَوَاتِ ، قَالَ الزَّيْنُ بْنُ الْمُنِيرِ : وَالْأَوَّلُ أَوْجَهُ ، وَلَا ضَرُورَةَ تَدْعُو إِلَى صَرْفِ اللَّفْظِ عَنْ ظَاهِرِهِ.

وَأَمَّا الرِّوَايَةُ الَّتِي فِيهَا أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ وَأَبْوَابُ السَّمَاءِ فَمِنْ تَصَرُّفِ الرُّوَاةِ ، وَالْأَصْلُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ بِدَلِيلِ مَا يُقَابِلُهُ وَهُوَ غَلْقُ أَبْوَابِ النَّارِ ، وَاسْتُدِلَّ بِهِ عَلَى أَنَّ الْجَنَّةَ فِي السَّمَاءِ لِإِقَامَةِ هَذَا مَقَامَ هَذِهِ فِي الرِّوَايَةِ ، وَفِيهِ نَظَرٌ ، وَجَزَمَ التُّورِبِشْتِيُّ شَارِحُ الْمَصَابِيحِ بِالِاحْتِمَالِ الْأَخِيرِ ، وَعِبَارَتُهُ : فَتْحُ أَبْوَابِ السَّمَاءِ كِنَايَةٌ عَنْ تَنَزُّلِ الرَّحْمَةِ وَإِزَالَةِ الْغَلْقِ عَنْ مَصَاعِدِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ تَارَةً بِبَذْلِ التَّوْفِيقِ وَأُخْرَى بِحُسْنِ الْقَبُولِ ، وَغَلْقُ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ كِنَايَةٌ عَنْ تَنَزُّهِ أَنْفُسِ الصُّوَّامِ عَنْ رِجْسِ الْفَوَاحِشِ وَالتَّخَلُّصِ مِنَ الْبَوَاعِثِ عَنِ الْمَعَاصِي بِقَمْعِ الشَّهَوَاتِ .

وَقَالَ الطِّيبِيُّ : فَائِدَةُ فَتْحِ أَبْوَابِ السَّمَاءِ تَوْقِيفُ الْمَلَائِكَةِ عَلَى اسْتِحْمَادِ فِعْلِ الصَّائِمِينَ ، وَأَنَّهُ مِنَ اللهِ بِمَنْزِلَةٍ عَظِيمَةٍ ، وَفِيهِ إِذَا عَلِمَ الْمُكَلَّفُ ذَلِكَ بِإِخْبَارِ الصَّادِقِ مَا يَزِيدُ فِي نَشَاطِهِ وَيَتَلَقَّاهُ بِأَرْيَحِيَّةٍ " . وانظر : " تنوير الحوالك شرح موطأ مالك" للسيوطي (١/ ٢٢٨) .

وقال الإمام في " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح " (٤/ ١٣٦٤) : «وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ» " كَالتَّأْكِيدِ لِمَا قَبْلَهُ " «وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ» " وَلَعَلَّهَا أَبْوَابٌ مَخْصُوصَةٌ مِنْهُمَا، أَوْ أَبْوَابُهُمَا فِي غَيْرِ رَمَضَانَ، قَدْ تُفْتَحُ وَتُغْلَقُ، بِخِلَافِهَا فِي هَذَا الزَّمَنِ الْمُبَارَكِ، تَعْظِيمًا لِشَأْنِهِ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْأَزْمِنَةَ الشَّرِيفَةَ وَالْأَمْكِنَةَ اللَّطِيفَةَ لَهَا تَأْثِيرٌ فِي كَثْرَةِ الطَّاعَةِ وَقِلَّةِ الْمَعْصِيَةِ، وَيَشْهَدُ بِهِ الْحِسُّ وَالْمُشَاهَدَةُ، فَلْتُغْتَنَمِ الْفُرْصَةُ " .

وروى ابن ماجة (١/ ٥٢٦ برقم ١٦٤٢) ، التِّرمذي (٢/ ٥٩ برقم ٦٨٢) ، ابن خزيمة في الصَّحيح (٣/ ١٨٨ برقم ١٨٨٣) ، ابن حبَّان في الصَّحيح (٨/ ٢٢٢ برقم ٣٤٣٥) ، الآجري في " الشَّريعة" (٣/ ١٣٥٩ برقم ٩٢٩) ، الحاكم في " المستدرك على الصَّحيحين" (١/ ٥٨٢ برقم ١٥٣٢) ، أبو نعيم الأصبهاني في " حلية الأولياء وطبقات الأصفياء "(٨/ ٣٠٦) ، البيهقي في " شعب الإيمان " (٥/ ٢١٧ برقم ٣٣٢٧) ، فضائل الأوقات (ص١٣٩ برقم ٣٣) ، السُّنن الصَّغير (٢/ ١١٣ برقم ١٣٩٥) ، السُّنن الكبرى (٤/ ٥٠٠ برقم ٨٥٠١) بسندهم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا كَانَتْ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ، وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَنَادَى مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَللهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ " . قال الأرنؤوط في تخريجه لصحيح ابن حبَّان (٨/ ٢٢٢) : " إسناده قوي، رجاله ثقات رحال الشيخين غير أبي بكر بن عياش فمن رجال البخاري ولا يرقى حديثه إلى الصحة. وأخرجه الترمذي "٦٨٢" في أول كتاب الصوم، وابن ماجه "١٦٤٢" في الصيام: باب ما جاء في فضل شهر رمضان، وابن خزيمة "١٨٨٣"، والحاكم ١/ ٤٢١، والبغوي "١٧٠٥" من طريق أبي كريب، بهذا الإسناد، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وأخرجه البيهقي ٤/ ٣٠٣ - ٣٠٤ من طريق أحمد بن عبد الجبار، عن أبي بكر بن عياش به.وله شاهد قوي من حديث رجل من الصحابة عند ابن أبي شيبة ٣/ ١، وأحمد ٤/ ٣١١ و ٥/ ٤١١، والنسائي ٤/ ١٣٠ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ للنَّار أَصْوَاتُ مُنْكَرَةٌ مُفْزِعَةٌ مُرْعِبَة ؟

الجواب : قال تعالى : **﴿إِذا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَها تَغَيُّظاً وَزَفِيراً﴾** [الفرقان:١٢] .

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير " (٤/ ٤٣٧-٤٣٨) : " إِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَصَفَ السَّعِيرَ بِصِفَاتٍ إِحْدَاهَا قَوْلُهُ: إِذا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَها تَغَيُّظاً وَزَفِيراً وَفِيهِ مَسَائِلُ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: السَّعِيرُ مذكر ولكن جاء هاهنا مُؤَنَّثًا لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: **﴿رَأَتْهُمْ﴾** ، وَقَالَ: **﴿سَمِعُوا لَها﴾** ، وَإِنَّمَا جَاءَ مُؤَنَّثًا عَلَى مَعْنَى النَّارِ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: مَذْهَبُ أَصْحَابِنَا أَنَّ الْبِنْيَةَ لَيْسَتْ شَرْطًا فِي الْحَيَاةِ، فَالنَّارُ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ يَجُوزُ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ الْحَيَاةَ وَالْعَقْلَ وَالنُّطْقَ فِيهَا، وَعِنْدَ الْمُعْتَزِلَةِ ذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ، وَهَؤُلَاءِ الْمُعْتَزِلَةُ لَيْسَ لَهُمْ فِي هَذَا الْبَابِ حُجَّةٌ إِلَّا اسْتِقْرَاءُ الْعَادَاتِ، وَلَوْ صَدَقَ ذَلِكَ لَوَجَبَ التَّكْذِيبُ بِانْخِرَاقِ الْعَادَاتِ فِي حَقِّ الرُّسُلِ، فَهَؤُلَاءِ قَوْلُهُمْ مُتَنَاقِضٌ، بَلْ إِنْكَارُ الْعَادَاتِ لَا يَلِيقُ إِلَّا بِأُصُولِ الْفَلَاسِفَةِ، فَعَلَى هَذَا قَالَ أَصْحَابُنَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي صِفَةِ النَّارِ: **﴿إِذا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَها تَغَيُّظاً وَزَفِيراً﴾** يَجِبُ إِجْرَاؤُهُ عَلَى الظَّاهِرِ، لِأَنَّهُ لَا امْتِنَاعَ فِي أَنْ تَكُونَ النَّارُ حَيَّةً رَائِيَةً مُغْتَاظَةً عَلَى الْكُفَّارِ، أَمَّا الْمُعْتَزِلَةُ فَقَدِ احْتَاجُوا إِلَى التَّأْوِيلِ وَذَكَرُوا فِيهِ وُجُوهًا:

أَحَدُهَا: قَالُوا مَعْنَىٰ **﴿رَأَتْهُمْ﴾** ظَهَرَتْ لَهُمْ مِنْ قَوْلِهِمْ دُورُهُمْ تَتَرَاءَىٰ وَتَتَنَاظَرُ، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ لَا تَتَرَاءَىٰ نَارَاهُمَا" ، أَيْ : لَا تَتَقَابَلَانِ لِمَا يَجِبُ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِ مِنْ مُجَانَبَةِ الْكَافِرِ وَالْمُشْرِكِ، وَيُقَالُ دُورُ فُلَانٍ مُتَنَاظِرَةٌ، أَيْ مُتَقَابِلَةٌ .

وَثَانِيهَا: أَنَّ النَّارَ لِشِدَّةِ اضْطِرَامِهَا وَغَلَيَانِهَا صَارَتْ تَرَىٰ الْكُفَّارَ وَتَطْلُبُهُمْ وَتَتَغَيَّظُ عَلَيْهِمْ .

وَثَالِثُهَا: قَالَ الْجُبَّائِيُّ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذَكَرَ النَّارَ وَأَرَادَ الْخَزَنَةَ الْمُوَكَّلَةَ بِتَعْذِيبِ أَهْلِ النَّارِ، لِأَنَّ الرُّؤْيَةَ تَصِحُّ مِنْهُمْ وَلَا تَصِحُّ مِنَ النَّارِ فهو كقوله: **﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ﴾** [يُوسُفَ: ٨٢] أَرَادَ أَهْلَهَا.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: لِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ التَّغَيُّظُ عِبَارَةٌ عَنْ شِدَّةِ الْغَضَبِ وَذَلِكَ لَا يَكُونُ مَسْمُوعًا، فَكَيْفَ قَالَ اللهَّ تَعَالَىٰ: سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً؟ وَالْجَوَابُ عَنْهُ مِنْ وُجُوهٍ: أَحَدُهَا: أَنَّ التَّغَيُّظَ وَإِنْ لَمْ يُسْمَعْ فَإِنَّهُ قَدْ يُسْمَعُ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ مِنَ الصَّوْتِ وَهُوَ كَقَوْلِهِ: رَأَيْتُ غَضَبَ الْأَمِيرِ عَلَىٰ فُلَانٍ إِذَا رَأَىٰ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ يُقَالُ فِي الْمَحَبَّةِ فكذا هاهنا، وَالْمَعْنَىٰ سَمِعُوا لَهَا صَوْتًا يُشْبِهُ صَوْتَ الْمُتَغَيِّظِ وَهُوَ قَوْلُ الزَّجَّاجِ وَثَانِيهَا: الْمَعْنَىٰ عَلِمُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَسَمِعُوا لَهَا زَفِيرًا وَهَذَا قَوْلُ قُطْرُبٍ، وهو كقول الشاعر: مقلدا سَيْفًا وَرُمْحًا وَثَالِثُهَا: الْمُرَادُ تَغَيُّظُ الْخَزَنَةِ.

الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: قَالَ عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ: إِنَّ جَهَنَّمَ لَتَزْفِرُ زَفْرَةً لَا يَبْقَىٰ أَحَدٌ إِلَّا وَتُرْعَدُ فَرَائِصُهُ حَتَّىٰ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَجْثُو عَلَىٰ رُكْبَتَيْهِ وَيَقُولُ نَفْسِي نَفْسِي " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٣/ ٧-٨) : " **﴿وَأَعْتَدْنا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً﴾** يُرِيدُ جَهَنَّمَ تَتَلَظَّىٰ عَلَيْهِمْ. **﴿إِذا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ﴾** ، أَيْ : مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ. **﴿سَمِعُوا لَها تَغَيُّظاً وَزَفِيراً﴾** قِيلَ: الْمَعْنَىٰ إِذَا رَأَتْهُمْ جَهَنَّمُ سَمِعُوا لَهَا صَوْتَ التَّغَيُّظِ عَلَيْهِمْ. وَقِيلَ: الْمَعْنَىٰ إِذَا رَأَتْهُمْ خُزَّانُهَا سَمِعُوا لَهُمْ تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا حِرْصًا عَلَىٰ عَذَابِهِمْ. وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ، لِمَا رُوِيَ مَرْفُوعًا أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ بَيْنَ عَيْنَيْ جَهَنَّمَ مَقْعَدًا" قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهَّ! وَلَهَا عَيْنَانِ؟ قَالَ:" أَمَا سَمِعْتُمُ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: **﴿إِذا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَها تَغَيُّظاً وَزَفِيراً﴾** يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ لَهُ عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ وَلِسَانٌ يَنْطِقُ فَيَقُولُ : وُكِّلْتُ بِكُلِّ مَنْ جَعَلَ مَعَ اللهَّ إِلَهًا آخَرَ فَلَهُوَ أَبْصَرُ بِهِمْ مِنَ الطَّيْرِ بِحَبِّ السِّمْسِمِ فَيَلْتَقِطُهُ" فِي رِوَايَةٍ" فَيَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ فَيَلْتَقِطُ الْكُفَّارَ لَقْطَ الطَّائِرِ حَبَّ السِّمْسِمِ" ذَكَرَهُ رَزِينٌ فِي كِتَابِهِ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِي قَبَسِهِ، وَقَالَ: أَيْ تَفْصِلُهُمْ عَنِ الْخَلْقِ فِي الْمَعْرِفَةِ كَمَا يَفْصِلُ الطَّائِرُ حَبَّ السِّمْسِمِ مِنَ

التُّرْبَةِ. وَخَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ." يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ ولسان ينطق بقول إني وكلت بثلاث بكل جبار عنيد وبكل مَنْ دَعَا مَعَ اللهَّ إِلَهًا آخَرَ وَبِالْمُصَوِّرِينَ". وَفِي الْبَابِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ. وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا كَتَغَيُّظِ بَنِي آدَمَ وَصَوْتًا كَصَوْتِ الْحِمَارِ. وَقِيلَ: فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، سَمِعُوا لَهَا زَفِيرًا وَعَلِمُوا لَهَا تَغَيُّظًا. وَقَالَ قُطْرُبٌ: التَّغَيُّظُ لَا يُسْمَعُ، وَلَكِنْ يُرَى، وَالْمَعْنَى: رَأَوْا لَهَا تَغَيُّظًا وَسَمِعُوا لَهَا زَفِيرًا، كَقَوْلِ الشاعر:

ورأيت زوجك في الورى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا

أَيْ وَحَامِلًا رُمْحًا. وَقِيلَ:" سَمِعُوا لَهَا" أَيْ فِيهَا، أَيْ سَمِعُوا فِيهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا لِلْمُعَذَّبِينَ " .

وقال الإمام ابن كثير في " التَّفسير " (٦/ ٩٦-٩٧) : " وَقَوْلُهُ: **﴿إِذَا رَأَتْهُمْ﴾** ، أَيْ: جَهَنَّمُ **﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾** يَعْنِي: فِي مَقَامِ الْمَحْشَرِ. قَالَ السُّدِّيُّ: مِنْ مَسِيرَةِ مِائَةِ عَامٍ **﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾** ، أَيْ: حَنَقًا عَلَيْهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: **﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾** [الْمُلْكِ: ٧-٨] ، أَيْ: يَكَادُ يَنْفَصِلُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ؛ مِنْ شِدَّةِ غَيْظِهَا عَلَى مَنْ كَفَرَ بِاللهَّ.

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا إِدْرِيسُ بْنُ حَاتِمِ بْنِ الْأَخْيَفِ الْوَاسِطِيُّ: أَنَّهُ سَمِعَ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ الْوَاسِطِيَّ، عَنْ أَصْبَغَ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ كَثِيرٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ دُرَيْك، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّم: "من يَقُلْ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ، أَوِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ وَالِدَيْهِ، أَوِ انْتَمَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ". وَفِي رِوَايَةٍ: "فَلْيَتَبَوَّأْ بَيْنَ عَيْنَيْ جهَنَّمَ مَقْعَدًا" قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهَّ، وَهَلْ لَهَا مِنْ عَيْنَيْنِ؟ قَالَ: "أَمَا سَمِعْتُمُ اللهَّ يَقُولُ: **﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾** الْآيَةَ.

وَرَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خِدَاش، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ الْوَاسِطِيِّ، بِهِ .

وَقَالَ أَيْضًا: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الطَّنَافِسِي، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ، عَنْ عِيسَى بْنِ سُلَيْمٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ عَبْدِ اللهَّ -يَعْنِي: ابْنَ مَسْعُودٍ -وَمَعَنَا الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْم فَمَرُّوا عَلَى حَدَّادٍ، فَقَامَ عَبْدُ اللهَّ يَنْظُرُ إِلَى حَدِيدَةٍ فِي النَّارِ، وَنَظَرَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْم إِلَيْهَا فَتَمَايَلَ لِيَسْقُطَ، فَمَرَّ عَبْدُ اللهَّ عَلَى أَتُونٍ عَلَى شَاطِئِ الْفُرَاتِ، فَلَمَّا رَآهُ عَبْدُ اللهَّ وَالنَّارُ تَلْتَهِبُ فِي جَوْفِهِ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: **﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا**

وَزَفِيرًا﴾ فَصُعِقَ -يَعْنِي: الرَّبِيعَ بْنَ خُثَيْم -فَحَمَلُوهُ إِلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَرَابَطَهُ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى الظُّهر فَلَمْ يَفِقْ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَحَدَّثَنَا أَبِي: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَجَاءٍ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي يَحْيَى، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ لَيُجَرُّ إِلَى النَّارِ، فَتَشْهَقُ إِلَيْهِ شَهْقَةَ الْبَغْلَةِ إِلَى الشَّعِيرِ، ثُمَّ تَزْفِرُ زَفْرَةً لَا يبقى أحد إلَّا خاف.

هَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مُخْتَصَرًا، وَقَدْ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَبُو جَعْفَرِ بْنُ جَرِيرٍ:

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِي، حَدَّثَنَا عُبَيْد اللَّهِ بْنُ مُوسَى، أَخْبَرَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي يَحْيَى، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيُجَرُّ إِلَى النَّارِ، فَتَنْزَوِي وَتَنْقَبِضُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَيَقُولُ لَهَا الرَّحْمَنُ: مَا لَكِ؟ قَالَتْ: إِنَّهُ يَسْتَجِيرُ مِنِّي. فَيَقُولُ: أَرْسِلُوا عَبْدِي. وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُجَرّ إِلَى النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا كَانَ هَذَا الظَّنُّ بِكَ؟ فَيَقُولُ: فَمَا كَانَ ظَنُّكَ؟ فَيَقُولُ: أَنْ تَسَعني رَحْمَتُكَ. فيقول: أرسلوا عبدي، وإن الرَّجل ليجر إلى النَّارِ، فَتَشْهَقُ إِلَيْهِ النَّارُ شُهُوقَ الْبَغْلَةِ إِلَى الشَّعِيرِ، وَتَزْفِرُ زَفْرَةً لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا خَافَ. وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ.

وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ: أَخْبَرَنَا مَعْمَر، عَنِ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ عُبَيد بْنِ عُمَيْرٍ فِي قَوْلِهِ: **﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾** ، قَالَ: إِنَّ جَهَنَّمَ تَزْفَرُ زَفْرَةً، لَا يَبْقَى مَلِكٌ وَلَا نَبِيٌّ إِلَّا خرّ تَرْعَد فَرَائِصُهُ، حَتَّى إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِيَجْثُو عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَيَقُولَ: رَبِّ، لَا أَسْأَلُكَ الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِي .

وَقَوْلُهُ: **﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا﴾** ، قَالَ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: مِثْلَ الزُّجِّ فِي الرُّمْحِ ، أَيْ: مِنْ ضِيقِهِ " .

وقال الإمام الشَّوكاني في " فتح القدير" (٤/ ٧٥) : " هَذِهِ الْجُمْلَةُ الشَّرْطِيَّةُ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ صِفَةٌ لسعيرا لِأَنَّهُ مُؤَنَّثٌ بِمَعْنَى النَّارِ، قِيلَ: مَعْنَى إِذَا رَأَتْهُمْ:

إِذَا ظَهَرَتْ لَهُمْ فَكَانَتْ بِمَرْأَى النَّاظِرِ فِي الْبُعْدِ، وَقِيلَ الْمَعْنَى: إِذَا رَأَتْهُمْ خَزَنَتُهَا، وَقِيلَ: إِنَّ الرُّؤْيَةَ مِنْهَا حَقِيقِيَّةٌ وَكَذَلِكَ التَّغَيُّظُ وَالزَّفِيرُ، وَلَا مَانِعَ مِنْ أَنْ يَجْعَلَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُدْرِكَةً هَذَا الْإِدْرَاكَ. وَمَعْنَى مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ أَنَّهَا رَأَتْهُمْ وَهِيَ بَعِيدَةٌ عَنْهُمْ، قِيلَ: بَيْنَهَا وَبَيْنَهُمْ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ. وَمَعْنَى التَّغَيُّظِ: أَنَّ لَهَا صَوْتًا يَدُلُّ عَلَى التَّغَيُّظِ عَلَى الْكُفَّارِ، أَوْ لِغَلَيَانِهَا صَوْتًا يُشْبِهُ صَوْتَ الْمُغْتَاظِ. وَالزَّفِيرُ: هُوَ الصَّوْتُ الَّذِي يُسْمَعُ مِنَ الْجَوْفِ.

قَالَ الزَّجَّاجُ: الْمُرَادُ سَمَاعُ مَا يَدُلُّ عَلَى الْغَيْظِ وَهُوَ الصَّوْتُ، أَيْ: سَمِعُوا لَهَا صَوْتًا يُشْبِهُ صَوْتَ الْمُتَغَيِّظِ. وَقَالَ قُطْرُبٌ: أَرَادَ عَلِمُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَسَمِعُوا لَهَا زَفِيرًا، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ: مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا، أَيْ: وَحَامِلًا رُمْحًا، وَقِيلَ الْمَعْنَى: سَمِعُوا فِيهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا لِلْمُعَذَّبِينَ كما قال: لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ " .

وقال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير" (١٨/ ٣٣٢-٣٣٣) : " وَإِسْنَادُ الرُّؤْيَةِ إِلَى النَّارِ اسْتِعَارَةٌ وَالْمَعْنَى: إِذَا سِيقُوا إِلَيْهَا فَكَانُوا مِنَ النَّارِ بِمَكَانٍ مَا يَرَى الرَّائِي مَنْ وَصَلَ إِلَيْهِ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى: رَأَتْهُمْ رَآهُمْ مَلَائِكَتُهَا أَطْلَقُوا مَنَافِذَهَا فَانْطَلَقَتْ أَلْسِنَتُهَا بِأَصْوَاتِ اللَّهِيبِ كَأَصْوَاتِ الْمُتَغَيِّظِ وَزَفِيرِهِ فَيَكُونُ إِسْنَادُ الرُّؤْيَةِ إِلَى جَهَنَّمَ مَجَازًا عَقْلِيًّا.

وَالتَّغَيُّظُ: شِدَّةُ الْغَيْظِ. وَالْغَيْظُ: الْغَضَبُ الشَّدِيدُ، وَتَقَدَّمَ عِنْدَ قَوْلِهِ: **﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾** فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ [١١٩] . فَصِيغَةُ التَّفَعُّلِ هُنَا الْمَوْضُوعَةُ فِي الْأَصْلِ لِتَكَلُّفِ الْفِعْلِ مُسْتَعْمَلَةٌ مَجَازًا فِي قُوَّتِهِ لِأَنَّ الْمُتَكَلِّفَ لِفِعْلٍ يَأْتِي بِهِ كَأَشَدِّ مَا يَكُونُ.

وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا صَوْتُ الْمُتَغَيِّظِ، بِقَرِينَةِ تَعَلُّقِهِ بِفِعْلِ: سَمِعُوا فَهُوَ تَشْبِيهٌ بَلِيغٌ.

وَالزَّفِيرُ: امْتِدَادُ النَّفَسِ مِنْ شِدَّةِ الْغَيْظِ وَضِيقِ الصَّدْرِ، أَيْ صَوْتًا كَالزَّفِيرِ فَهُوَ تَشْبِيهٌ بَلِيغٌ أَيْضًا. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللهُ قَدْ خَلَقَ لِجَهَنَّمَ إِدْرَاكًا لِلْمَرْئِيَّاتِ بِحَيْثُ تَشْتَدُّ أَحْوَالُهَا عِنْدَ انْطِبَاعِ الْمَرْئِيَّاتِ فِيهَا فَتَضْطَرِبُ وَتَفِيضُ وَتَتَهَيَّأُ لِالْتِهَامِ بَعْثِهَا فَتَحْصُلُ مِنْهَا أَصْوَاتُ التَّغَيُّظِ وَالزَّفِيرِ فَيَكُونُ إِسْنَادُ الرُّؤْيَةِ وَالتَّغَيُّظِ وَالزَّفِيرِ حَقِيقَةً، وَأُمُورُ الْعَالَمِ الْأُخْرَى لَا تُقَاسُ عَلَى الْأَحْوَالِ الْمُتَعَارَفَةِ فِي الدُّنْيَا.

وَعَلَى هَذَيْنِ الِاحْتِمَالَيْنِ يُحْمَلُ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾** [ق: ٣٠] ، وَقَوْلِ النَّبِيءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ يَا رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ نَفَسٍ فِي الصَّيْفِ وَنَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ» رَوَاهُ فِي «الْمُوَطَّأِ» : زَادَ فِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ: «فَمَا تَرَوْنَ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ فَذَلِكَ مِنْ زَمْهَرِيرِهَا وَمَا تَرَوْنَ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ فَهُوَ مِنْ سَمُومِهَا" .

وَجُعِلَ إِزْجَاؤُهُمْ إِلَى النَّارِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ زِيَادَةً فِي الْكِنَايَةِ بِهِمْ لِأَنَّ بُعْدَ الْمَكَانِ يَقْتَضِي زِيَادَةَ الْمَشَقَّةِ إِلَى الْوُصُولِ وَيَقْتَضِي طُولَ الرُّعْبِ مِمَّا سَمِعُوا " .

وقال الإمام الشَّنقيطي في " أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن " (٥/ ٢٤-٢٥) : " ذَكَرَ جَلَّ وَعَلَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِذَا رَأَتِ الْكُفَّارَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ: أَيْ فِي عَرَصَاتِ الْمَحْشَرِ اشْتَدَّ غَيْظُهَا عَلَى مَنْ كَفَرَ بِرَبِّهَا وَعَلَا زَفِيرُهَا فَسَمِعَ الْكُفَّارُ صَوْتَهَا مِنْ شِدَّةِ غَيْظِهَا، وَسَمِعُوا زَفِيرَهَا.

وَمَا ذَكَرَهُ جَلَّ وَعَلَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ بَيَّنَ بَعْضَهُ فِي سُورَةِ الْمُلْكِ، فَأَوْضَحَ فِيهَا شِدَّةَ غَيْظِهَا عَلَى مَنْ كَفَرَ بِرَبِّهَا، وَأَنَّهُمْ يَسْمَعُونَ لَهَا أَيْضًا شَهِيقًا مَعَ الزَّفِيرِ الَّذِي ذَكَرَهُ فِي آيَةِ الْفُرْقَانِ هَذِهِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾** [الفرقان:٦-٨] ، أَيْ يَكَادُ بَعْضُهَا يَنْفَصِلُ عَنْ بَعْضٍ مِنْ شِدَّةِ غَيْظِهَا، عَلَى مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ تَعَالَى.

وَلِلْعُلَمَاءِ أَقْوَالٌ فِي مَعْنَى الزَّفِيرِ وَالشَّهِيقِ، وَأَقْرَبُهَا أَنَّهُمَا يُمَثِّلُهُمَا مَعًا صَوْتُ الْحِمَارِ فِي نَهِيقِهِ، فَأَوَّلُهُ زَفِيرٌ، وَآخِرُهُ الَّذِي يُرَدِّدُهُ فِي صَدْرِهِ شَهِيقٌ.

وَالْأَظْهَرُ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا﴾** ، أَيْ : سَمِعُوا غَلَيَانَهَا مِنْ شِدَّةِ غَيْظِهَا، وَلَمَّا كَانَ سَبَبُ الْغَلَيَانِ التَّغَيُّظَ أَطْلَقَهُ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ أُسْلُوبٌ عَرَبِيٌّ مَعْرُوفٌ. وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: **﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا﴾** : أَيْ أَدْرَكُوهُ، وَالْإِدْرَاكُ يَشْمَلُ الرُّؤْيَةَ وَالسَّمْعَ، وَعَلَى هَذَا فَالسَّمْعُ مُضَمَّنٌ مَعْنَى الْإِدْرَاكِ، وَمَا ذَكَرْنَا أَظْهَرُ.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: قِيلَ الْمَعْنَى إِذَا رَأَتْهُمْ جَهَنَّمُ سَمِعُوا لَهَا صَوْتَ التَّغَيُّظِ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ ذَكَرَ فِي آخِرِ كَلَامِهِ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ هُوَ الْأَصَحُّ" .

﴿سُؤَالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ خَزَنَةِ النَّار ؟

الجواب : خزنة النَّار هم القائمون عليها وعلى أهلها ، قال تعالى : **﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذا جاؤُها فُتِحَتْ أَبْوابُها وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آياتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قالُوا بَلى وَلكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذابِ عَلَى الْكافِرِينَ * قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِين ﴾** [الزمر:٧١-٧٢] ، وقال تعالى : **﴿وَقالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِنَ الْعَذابِ * قالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّناتِ قالُوا بَلى قالُوا فَادْعُوا وَما دُعاءُ الْكافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ﴾** [غافر:٤٩-٥٠] ، وقال تعالى : **﴿تَكادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّما أُلْقِيَ فِيها فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قالُوا بَلى قَدْ جاءَنا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنا وَقُلْنا ما نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ * وَقالُوا لَوْ كُنَّا**

نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحابِ السَّعِيرِ * فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً لِأَصْحابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك:٨-١١] ، وهم الزَّبانية...

وقد جاء في وصفهم آيات عديدة ، منها : قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَّ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦] ، قال الإمام الطَّبَري في التَّفسير (٢٣/ ١٠٥) : " وَقَوْلُهُ: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم: ٦] يَقُولُ: عَلَى هَذِهِ النَّارِ مَلَائِكَةٌ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهَّ، غِلَاظٌ عَلَى أَهْلِ النَّارِ، شِدَادٌ عَلَيْهِــمْ ﴿لا يَعْصُونَ اللهَّ مَا أَمَرَهُمْ﴾ [التحريم: ٦] يَقُولُ: لَا يُخَالِفُونَ اللهَّ فِي أَمْرِهِ الَّذِي يَأْمُرُهُمْ بِهِ ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠] يَقُولُ: وَيَنْتَهُونَ إِلَى مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ " .

ورؤساء ونقباء خزنة النَّار عددهم تسعة عشر مَلَكاً ، وهم المُشار إليهم في قوله تعالى: ﴿عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ ، وروى التِّرمذيُّ في السُّنن (٥/ ٢٨٦ برقم ٣٣٢٧) بسنده عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله قَالَ: قَالَ نَاسٌ مِنَ اليَهُودِ لأُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ يَعْلَمُ نَبِيُّكُمْ كَمْ عَدَدُ خَزَنَةِ جَهَنَّمَ؟ قَالُوا: لاَ نَدْرِي حَتَّى نَسْأَلَهُ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، غُلِبَ أَصْحَابُكَ اليَوْمَ. قَالَ: وَبِمَ غُلِبُوا؟ قَالَ: سَأَلَهُمْ يَهُودُ: هَلْ يَعْلَمُ نَبِيُّكُمْ كَمْ عَدَدُ خَزَنَةِ جَهَنَّمَ؟ قَالَ: فَمَا قَالُوا؟ قَالَ: قَالُوا: لاَ نَدْرِي حَتَّى نَسْأَلَ نَبِيَّنَا. قَالَ: أَفَغُلِبَ قَوْمٌ سُئِلُوا عَمَّا لاَ يَعْلَمُونَ؟ فَقَالُوا: لاَ نَعْلَمُ حَتَّى نَسْأَلَ نَبِيَّنَا، لَكِنَّهُمْ قَدْ سَأَلُوا نَبِيَّهُمْ، فَقَالُوا: أَرِنَا اللهَّ جَهْرَةً، عَلَيَّ بِأَعْدَاءِ الله، إِنِّي سَائِلُهُمْ عَنْ تُرْبَةِ الجَنَّةِ وَهِيَ الدَّرْمَكُ، فَلَمَّا جَاءُوا قَالُوا: يَا أَبَا القَاسِمِ، كَمْ عَدَدُ خَزَنَةِ جَهَنَّمَ؟ قَالَ: هَكَذَا وَهَكَذَا فِي مَرَّةٍ عَشَرَةٌ، وَفِي مَرَّةٍ تِسْعَةٌ، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا تُرْبَةُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: فَسَكَتُوا هُنَيْهَةً، ثُمَّ قَالُوا: خُبْزَةٌ يَا أَبَا القَاسِمِ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الخُبْزُ مِنَ الدَّرْمَكِ " . قال التِّرمذيُّ : هَذَا حَدِيثٌ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ مُجَالِدٍ . قلت : الدَّرمك هو : هُوَ الدَّقِيقُ الْمُحَوَّرُ . انظر : لسان العرب (١٠/ ٩٦) ، النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١١٤) .

قال الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير" (٢٩/ ٣١٢) : " وَمَعْنَى ﴿عَلَيْها﴾ عَلَى حِرَاسَتِهَا، فَـ (عَلَى) لِلِاسْتِعْلَاءِ الْمَجَازِيِّ بِتَشْبِيهِ التَّصَرُّفِ وَالْوِلَايَةِ بِالِاسْتِعْلَاءِ كَمَا يُقَالُ: فُلَانٌ عَلَى الشُّرْطَةِ، أَوْ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ، أَيْ يَلِي ذَلِكَ وَالْمَعْنَى: أَنَّ خَزَنَةَ سَقَرَ تِسْعَةَ عَشَرَ مَلَكًا.

وَقَالَ جَمْعٌ: إِنَّ عَدَدَ تِسْعَةَ عَشَرَ: هُمْ نُقَبَاءُ الْمَلَائِكَةِ الْمُوَكَّلِينَ بِجَهَنَّمَ.

وَقِيلَ: تِسْعَةَ عَشَرَ صِنْفًا مِنَ المَلَائِكَة وَقِيلَ تِسْعَةَ عَشَرَ صَفًّا. وَفِي «تَفْسِيرِ الْفَخْرِ" : ذَكَرَ أَرْبَابُ الْمَعَانِي فِي تَقْدِيرِ هَذَا الْعَدَدِ وُجُوهًا: أَحَدُهَا قَوْلُ أَهْلِ الْحِكْمَةِ: إِنَّ سَبَبَ فَسَادِ النَّفْسِ هُوَ الْقُوَىٰ الْحَيَوَانِيَّةُ وَالطَّبِيعِيَّةُ أَمَّا الْحَيَوَانِيَّةُ فَهِيَ الْخَمْسُ الظَّاهِرَةُ وَالْخَمْسُ الْبَاطِنَةُ، وَالشَّهْوَةُ وَالْغَضَبُ، فَمَجْمُوعُهَا اثْنَتَا عَشْرَةَ. وَأَمَّا الْقُوَىٰ الطَّبِيعِيَّةُ فَهِيَ: الْجَاذِبَةُ، وَالْمَاسِكَةُ، وَالْهَاضِمَةُ، وَالدَّافِعَةُ، وَالْغَاذِيَةُ، وَالنَّامِيَةُ، وَالْمُوَلِّدَةُ، فَهَذِهِ سَبْعَةٌ، فَتِلْكَ تِسْعَ عَشْرَةَ. فَلَمَّا كَانَ مَنْشَأُ الْآفَاتِ هُوَ هَذِهِ التِسْعَ عَشْرَةَ كَانَ عَدَدُ الزَّبَانِيَةِ كَذَلِكَ اهـ.

وَالَّذِي أَرَاهُ أَنَّ المَلَائِكَة التِسْعَةَ عَشَرَ مُوَزَّعُونَ عَلَىٰ دَرَكَاتِ سَقَرَ أَوْ جَهَنَّمَ لِكُلِّ دَرْكٍ مَلَكٌ فَلَعَلَّ هَذِهِ الدَّرَكَاتِ مُعَيَّنٌ كُلُّ دَرْكٍ مِنْهَا لِأَهْلِ شُعْبَةٍ مِنْ شُعَبِ الْكُفْرِ، وَمِنْهَا الدَّرْكُ الْأَسْفَلُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ: **﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾** [النِّسَاءِ :١٤٥] فَإِنَّ الْكُفْرَ أَصْنَافٌ مِنْهَا إِنْكَارُ وُجُودِ اللهِ، وَمِنْهَا الْوَثَنِيَّةُ، وَمِنْهَا الشِّرْكُ بِتَعَدُّدِ الْإِلَهِ، وَمِنْهَا عِبَادَةُ الْكَوَاكِبِ، وَمِنْهَا عبادَة الشَّيْطَان وَالْجِنِّ، وَمِنْهَا عِبَادَةُ الْحَيَوَانِ، وَمِنْهَا إِنْكَارُ رِسَالَةِ الرُّسُلِ، وَمِنْهَا الْمَجُوسِيَّةُ الْمَانَوِيَّةُ وَالْمَزْدَكِيَّةُ وَالزَّنْدَقَةُ، وَعِبَادَةُ الْبَشَرِ مِثْلَ الْمُلُوكِ، وَالْإِبَاحِيَّةُ وَلَوْ مَعَ إِثْبَاتِ الْإِلَهِ الْوَاحِدِ.

وَفِي ذِكْرِ هَذَا الْعَدَدِ تَحَدٍّ لِأَهْلِ الْكِتَابَيْنِ يَبْعَثُهُمْ عَلَىٰ تَصْدِيقِ الْقُرْآنِ إِذْ كَانَ ذَلِكَ مِمَّا اسْتَأْثَرَ بِهِ عُلَمَاؤُهُمْ " .

واسم كبير الخَزَنة هو " مَالِك " ، قال تعالىٰ : **﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ * لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾** [الزخرف:٧٧-٧٨] ، وروىٰ مسلم في الصَّحيح (١/ ١٥١ برقم ١٦٥) بسنده عَن ابْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَىٰ مُوسَىٰ بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، رَجُلٌ آدَمُ طُوَالٌ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ مَرْبُوعَ الْخَلْقِ إِلَىٰ الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، سَبْطَ الرَّأْسِ»، وَأُرِيَ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ ... " .

وقال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير" (٢٥/ ٢٥٩-٢٦١) في تفسير قوله تعالىٰ : **﴿وَنَادَوْا يَا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ قالَ إِنَّكُمْ ماكِثُونَ﴾** [الزخرف: ٧٧] : " **﴿مَالِكُ﴾** الْمُنَادَىٰ اسْمُ الْمَلَكِ الْمُوَكَّلِ بِجَهَنَّمَ خَاطَبُوهُ لِيَرْفَعَ دَعْوَتَهُمْ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ شَفَاعَةً.

وَاللَّامُ فِي **﴿لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ﴾** لَامُ الْأَمْرِ بِمَعْنَىٰ الدُّعَاءِ. وَتَوْجِيهُ الْأَمْرِ إِلَىٰ الْغَائِبِ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَىٰ مَعْنَىٰ التَّبْلِيغِ كَمَا هُنَا، أَوْ تَنْزِيلِ الْحَاضِرِ مَنْزِلَةَ الْغَائِبِ لِاعْتِبَارٍ مَا مِثْلَ التَّعْظِيمِ فِي نَحْوِ قَوْلِ الْوَزِيرِ لِلْخَلِيفَةِ: لِيَرَ الْخَلِيفَةُ رَأْيَهُ.

وَالْقَضَاءُ بِمَعْنَى: الْإِمَاتَةِ كَقَوْلِهِ: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسى فَقَضى عَلَيْهِ﴾ [الْقَصَص: ١٥] ، سَأَلُوا اللهَّ أَنْ يُزِيلَ عَنْهُمُ الْحَيَاةَ لِيَسْتَرِيحُوا مِنْ إِحْسَاسِ الْعَذَابِ. وَهُمْ إِنَّمَا سَأَلُوا اللهَّ أَنْ يُمِيتَهُمْ فَأُجِيبُوا بِأَنَّهُمْ مَاكِثُونَ جَوَابًا جَامِعًا لِنَفْيِ الْإِمَاتَةِ وَنَفْيِ الْخُرُوجِ فَهُوَ جَوَابٌ قَاطِعٌ لِمَا قَدْ يَسْأَلُونَهُ مِنْ بَعْدُ.

وَمِنَ النَّوَادِرِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهَذِهِ الْآيَةِ مَا رُوِيَ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ قَرَأَ (وَنَادَوْا يَا مَالِ) بِحَذْفِ الْكَافِ عَلَى التَّرْخِيمِ، فَذُكِرَتْ قِرَاءَتُهُ لِابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ: مَا كَانَ أَشْغَلَ أَهْلَ النَّارِ عَنِ التَّرْخِيمِ، قَالَ فِي «الْكَشَّافِ» : وَعَنْ بَعْضِهِمْ: حَسَّنَ التَّرْخِيمَ أَنَّهُمْ يَقْتَطِعُونَ بَعْضَ الِاسْمِ لِضَعْفِهِمْ وَعِظَمَ مَا هم فِيهِ اهـ. وَأَرَادَ بِبَعْضِهِمُ ابْنَ جِنِّي فِيمَا ذَكَرَهُ الطِّيبِيُّ أَنَّ ابْنَ جِنِّي قَالَ: وَلِلتَّرْخِيمِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ سِرٌّ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لِعِظَمِ مَا هُمْ عَلَيْهِ ضَعُفَتْ وَذَلَّتْ أَنْفُسُهُمْ وَصَغُرَ كَلَامُهُمْ فَكَانَ هَذَا مِنْ مَوَاضِعِ الِاخْتِصَارِ. وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» عَنْ يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ سَمِعت النبيء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ عَلَى الْمِنْبَرِ وَنَادَوْا يَا مالِكُ بِإِثْبَاتِ الْكَافِ. قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَقِرَاءَةُ (وَنَادَوْا يَا مَالِ) رَوَاهَا أَبُو الدَّرْدَاءِ عَن النبيء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيكون النبيء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ بِالْوَجْهَيْنِ وَتَوَاتَرَتْ قِرَاءَةُ إِثْبَاتِ الْكَافِ وَبَقِيَتِ الْأُخْرَى مَرْوِيَّةً بِالْآحَادِ فَلَمْ تَكُنْ قُرْآنًا.

وَجُمْلَةُ لَقَدْ جِئْناكُمْ بِالْحَقِّ إِلَى آخِرِهَا فِي مَوْضِعِ الْعِلَّةِ لِجُمْلَةِ إِنَّكُمْ ماكِثُونَ بِاعْتِبَارِ تَمَامِ الْجُمْلَةِ وَهُوَ الِاسْتِدْرَاكُ بقوله: ﴿وَلكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كارِهُونَ﴾ ، وَضَمِيرُ جِئْناكُمْ لِلْمَلَائِكَةِ، وَالْحَقُّ: الْوَحْيُ الَّذِي نَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ فَنَسَبَ مَالِكٌ الْمَجِيءَ بِالْحَقِّ إِلَى جَمْعِ الْمَلَائِكَةِ عَلَى طَرِيقَةِ اعْتِزَازِ الْفَرِيقِ وَالْقَبِيلَةِ بِمَزَايَا بَعْضِهَا، وَهِيَ طَرِيقَةٌ مَعْرُوفَةٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كَقَوْلِ الْحَارِثِ بْنِ حِلِّزَةَ:

وَفَكَكْنَا غِلَّ امْرِئِ الْقَيْسِ عَنْهُ   بَعْدَ مَا طَالَ حَبْسُهُ وَالْعَنَاءُ

وَإِنَّمَا نُسِبَتْ كَرَاهَةُ الْحَقِّ إِلَى أَكْثَرِهِمْ دُونَ جَمِيعِهِمْ لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ فَرِيقَانِ أَحَدُهُمَا سَادَةٌ كُبَرَاءُ لِمِلَّةِ الْكُفْرِ وَهُمُ الَّذِينَ يَصُدُّونَ النَّاسَ عَنِ الْإِيمَانِ بِالْإِرْهَابِ وَالتَّرْغِيبِ مِثْلُ أَبِي جَهْلٍ حِينَ صَدَّ أَبَا طَالِبٍ عِنْدَ احْتِضَارِهِ عَنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ وَقَالَ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَثَانِيهِمَا دَهْمَاءُ وَعَامَّةٌ وهم تبع لأيمة الْكُفْرِ. وَقَدْ أَشَارَتْ إِلَى ذَلِكَ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا قَوْلُهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ الْآيَاتِ ، فَالْفَرِيقُ الْأَوَّلُ هُمُ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كارِهُونَ﴾ ، وَأُولَئِكَ إِنَّمَا كَرِهُوا الْحَقَّ لِأَنَّهُ يَرْمِي إِلَى زَوَالِ سُلْطَانِهِمْ وَتَعْطِيلِ مَنَافِعِهِمْ" .

وروى البخاري (٢/ ١٠٠ برقم ١٣٨٦) بسنده عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى صَلاَةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟» قَالَ: فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ قَصَّهَا، فَيَقُولُ: «مَا شَاءَ اللَّهُ» فَسَأَلَنَا يَوْمًا فَقَالَ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟» قُلْنَا: لاَ، قَالَ: «لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَى الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ، بِيَدِهِ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ» قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ مُوسَى: " إِنَّهُ يُدْخِلُ ذَلِكَ الكَلُّوبَ فِي شِدْقِهِ حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الآخَرِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْتَئِمُ شِدْقُهُ هَذَا، فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالاَ: انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى قَفَاهُ وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِفِهْرٍ - أَوْ صَخْرَةٍ - فَيَشْدَخُ بِهِ رَأْسَهُ، فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَهْدَهَ الحَجَرُ، فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ، فَلاَ يَرْجِعُ إِلَى هَذَا حَتَّى يَلْتَئِمَ رَأْسُهُ وَعَادَ رَأْسُهُ كَمَا هُوَ، فَعَادَ إِلَيْهِ، فَضَرَبَهُ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالاَ: انْطَلِقْ فَانْطَلَقْنَا إِلَى ثَقْبٍ مِثْلِ التَّنُّورِ، أَعْلاَهُ ضَيِّقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارًا، فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجُوا، فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا، وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالاَ: انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى وَسَطِ النَّهَرِ - قَالَ يَزِيدُ، وَوَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ: عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ - وَعَلَى شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهَرِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ، فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ، فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالاَ: انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، فِيهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ، وَفِي أَصْلِهَا شَيْخٌ وَصِبْيَانٌ، وَإِذَا رَجُلٌ قَرِيبٌ مِنَ الشَّجَرَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ نَارٌ يُوقِدُهَا، فَصَعِدَا بِي فِي الشَّجَرَةِ، وَأَدْخَلاَنِي دَارًا لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا، فِيهَا رِجَالٌ شُيُوخٌ وَشَبَابٌ، وَنِسَاءٌ، وَصِبْيَانٌ، ثُمَّ أَخْرَجَانِي مِنْهَا فَصَعِدَا بِي الشَّجَرَةَ، فَأَدْخَلاَنِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ فِيهَا شُيُوخٌ، وَشَبَابٌ، قُلْتُ: طَوَّفْتُمَانِي اللَّيْلَةَ، فَأَخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتُ، قَالاَ: نَعَمْ، أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ، فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالكَذْبَةِ، فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ يُشْدَخُ رَأْسُهُ، فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ القُرْآنَ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ، يُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي الثَّقْبِ فَهُمُ الزُّنَاةُ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهَرِ آكِلُوا الرِّبَا، وَالشَّيْخُ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَالصِّبْيَانُ، حَوْلَهُ، فَأَوْلاَدُ النَّاسِ ، **وَالَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ**، وَالدَّارُ الأُولَى الَّتِي دَخَلْتَ دَارُ عَامَّةِ المُؤْمِنِينَ، وَأَمَّا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ، وَأَنَا جِبْرِيلُ، وَهَذَا مِيكَائِيلُ، فَارْفَعْ رَأْسَكَ،

فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا فَوْقِي مِثْلُ السَّحَابِ، قَالاَ: ذَاكَ مَنْزِلُكَ، قُلْتُ: دَعَانِي أَدْخُلْ مَنْزِلِي، قَالاَ: إِنَّهُ بَقِيَ لَكَ عُمُرٌ لَمْ تَسْتَكْمِلْهُ فَلَو اسْتَكْمَلْتَ أَتَيْتَ مَنْزِلَكَ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : أُذْكُرْ بَعْضَ صِفَاتِ خَزَنَةِ النَّار ؟

الجواب : قال تعالىٰ : **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لا يَعْصُونَ اللهَّ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ﴾** [التحريم:٦] .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير " (٣٠/ ٥٧٢) : " وَقَوْلُهُ: **﴿عَلَيْها مَلائِكَةٌ﴾** يَعْنِي الزَّبانية تسعة عَشَرَ وَأَعْوَانَهُمْ **﴿غِلاظٌ شِدادٌ﴾** فِي أَجْرَامِهِمْ غِلْظَةٌ وَشِدَّةٌ ، أَيْ : جَفَاءٌ وَقُوَّةٌ، أَوْ فِي أَفْعَالِهِمْ جَفَاءٌ وَخُشُونَةٌ، وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونُوا بِهَذِهِ الصِّفَاتِ فِي خَلْقِهِمْ، أَوْ فِي أَفْعَالِهِمْ بِأَنْ يَكُونُوا أَشِدَّاءَ عَلَىٰ أَعْدَاءِ اللهَّ، رُحَمَاءَ عَلَىٰ أَوْلِيَاءِ اللهَّ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: **﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ﴾** [الْفَتْحِ: ٢٩] . وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ﴾** يَدُلُّ عَلَىٰ اشْتِدَادِهِمْ لِمَكَانِ الْأَمْرِ، لَا تَأْخُذُهُمْ رَأْفَةٌ فِي تَنْفِيذِ أَوَامِرِ اللهَّ تَعَالَىٰ وَالِانْتِقَامِ مِنْ أَعْدَائِهِ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ مُكَلَّفُونَ فِي الْآخِرَةِ بِمَا أَمَرَهُمُ اللهَّ تَعَالَىٰ بِهِ وَبِمَا يَنْهَاهُمْ عَنْهُ وَالْعِصْيَانُ منهم مخالفة للأمر والنَّهي "

.

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٨/ ١٩٦) : " يَعْنِي الْمَلَائِكَةَ الزَّبَانِيَةَ غِلَاظَ الْقُلُوبِ لَا يَرْحَمُونَ إِذَا اسْتُرْحِمُوا، خُلِقُوا مِنَ الْغَضَبِ، وَحُبِّبَ إِلَيْهِمْ عَذَابُ الْخَلْقِ كَمَا حُبِّبَ لِبَنِي آدَمَ أَكْلُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ. **﴿شِدادٌ﴾** ، أَيْ شِدَادُ الْأَبْدَانِ. وَقِيلَ: غِلَاظُ الْأَقْوَالِ شِدَادُ الْأَفْعَالِ. وَقِيلَ غِلَاظٌ فِي أَخْذِهِمْ أَهْلَ النَّارِ شِدَادٌ عَلَيْهِمْ. يُقَالُ: فُلَانٌ شَدِيدٌ عَلَىٰ فُلَانٍ، أَيْ قَوِيٌّ عَلَيْهِ يُعَذِّبُهُ بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ. وَقِيلَ: أَرَادَ بِالْغِلَاظِ ضَخَامَةَ أَجْسَامِهِمْ، وَبِالشِّدَّةِ الْقُوَّةَ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا بَيْنَ مَنْكِبَي الْوَاحِدِ مِنْهُمْ مسيرة سنة، وقوة الواحد منهم أن يضرب بالمقمع فيدفع بتلك الضَّربة سبعين ألف إنسان فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ. وَذَكَرَ ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: وَحَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْد". قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿لا يَعْصُونَ اللهَّ ما أَمَرَهُمْ﴾** ، أَيْ : لَا يُخَالِفُونَهُ فِي أَمْرِهِ مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ. **﴿وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ﴾** ، أَيْ فِي وَقْتِهِ، فَلَا يُؤَخِّرُونَهُ وَلَا يُقَدِّمُونَهُ. وَقِيلَ أَيْ لَذَّتُهُمْ فِي امْتِثَالِ أَمْرِ اللهَّ، كَمَا أَنَّ سُرُورَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي الْكَوْنِ فِي الْجَنَّةِ " .

وقال الإمام النَّسفي في " مدارك التَّنزيل وحقائق التَّأويل" (٣/ ٥٠٦) : **﴿غِلاَظٌ شِدَادٌ﴾** في أَجْرامهم غلظة وشدَّة أو غلاظ الأقوال شِداد الأفعال **﴿لاَّ يَعْصُونَ الله﴾** في موضع الرَّفع علىٰ النَّعت **﴿مَا أَمَرَهُمْ﴾** في محلِّ

النَّصب على البدل ، أي : لا يعصون ما أمر الله ، أي : أمره كقوله : **﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾** [طه:٩٣] أو لا يعصونه فيما أمرهم **﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾** ، وليست الجملتان في معنى واحد ، إذ معنى الأولى أنَّهم يتقَّبلون أوامره ويلتزمونها ، ومعنى الثَّانية أنَّهم يؤدُّون ما يؤمرون به ولا يتثاقلون عليه ولا يتوانون فيه " .

وقال الإمام أبو حيَّان في " البحر المحيط" (١٠/٢١٣) : **﴿عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ﴾** : هِيَ الزَّبَانِيَةُ التِسْعَةَ عَشَرَ وَأَعْوَانُهُمْ. وَوَصَفَهُمْ بِالْغِلَظِ، إِمَّا لِشِدَّةِ أَجْسَامِهِمْ وَقُوَّتِهَا، وَإِمَّا لِفَظَاظَتِهِمْ لِقَوْلِهِ: **﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾** ، أَيْ لَيْسَ فِيهِمْ رِقَّةٌ وَلَا حِنَّةٌ عَلَى الْعُصَاةِ. وَانْتَصَبَ مَا أَمَرَهُمْ عَلَى الْبَدَلِ، أَيْ لَا يَعْصُونَ أَمْرَهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾** ، أَوْ عَلَى إِسْقَاطِ حَرْفِ الْجَرِّ. أَيْ : فِيمَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ. قِيلَ: كَرَّرَ الْمَعْنَى تَوْكِيدًا. وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: فَإِنْ قُلْتَ: أَلَيْسَ الْجُمْلَتَانِ فِي مَعْنًى وَاحِدٍ؟ قُلْتُ: لَا فَإِنَّ مَعْنَى الْأُولَى: أَنَّهُمْ يَتَقَبَّلُونَ أَوَامِرَهُ وَيَلْتَزِمُونَهَا وَلَا يَأْبَوْنَهَا وَلَا يُنْكِرُونَهَا، ومعنى الثَّانية: أنَّهم يودون مَا يُؤْمَرُونَ، لَا يَتَثَاقَلُونَ عَنْهُ وَلَا يَتَوَانُونَ فِيهِ " .

وقال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (٨/١٦٨) : " وَقَوْلُهُ: **﴿عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ﴾** ، أَيْ: طِبَاعُهُمْ غَلِيظَةٌ، قَدْ نُزِعَتْ مِنْ قُلُوبِهِمُ الرَّحْمَةُ بِالْكَافِرِينَ بِاللهِ، **﴿شِدَادٌ﴾** أَيْ: تَرْكِيبُهُمْ فِي غَايَةِ الشِّدَّةِ وَالْكَثَافَةِ وَالْمَنْظَرِ الْمُزْعِجِ.

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَكَمِ بْنِ أَبَانٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّهُ قَالَ: إِذَا وَصَلَ أَوَّلُ أَهْلِ النَّارِ إِلَى النَّارِ، وَجدوا عَلَى الْبَابِ أَرْبَعَمِائَةِ أَلْفٍ مِنْ خزنة جهَنَّمَ، سُودٌ وُجُوهُهُمْ، كَالِحَةٌ أَنْيَابُهُمْ، قَدْ نَزَعَ اللهُ مِنْ قُلُوبِهِمُ الرَّحْمَةَ، لَيْسَ فِي قَلْبِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِثْقَالُ ذرة مِنَ الرَّحْمَةِ، لَوْ طُيِّرَ الطَّيْرُ مِنْ مَنْكِبِ أَحَدِهِمْ لَطَارَ شَهْرَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ مَنْكِبَهُ الْآخَرَ، ثُمَّ يَجِدُونَ عَلَى الْبَابِ التِّسْعَةَ عَشَرَ، عَرْضُ صَدْرِ أَحَدِهِمْ سَبْعُونَ خَرِيفًا، ثُمَّ يَهْوُونَ مِنْ بَابٍ إِلَى بَابٍ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، ثُمَّ يَجِدُونَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْهَا مثلَ مَا وَجَدُوا عَلَى الْبَابِ الْأَوَّلِ، حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى آخِرِهَا.

وَقَوْلُهُ: **﴿لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾** ، أَيْ: مَهْمَا أَمَرَهُمْ بِهِ تَعَالَى يُبَادِرُوا إِلَيْهِ، لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى فِعْلِهِ لَيْسَ بِهِمْ عَجْزٌ عَنْهُ. وَهَؤُلَاءِ هُمُ الزَّبَانِيَةُ عِيَاذًا بِاللهِ مِنْهُمْ " .

وقال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير" (٣٦٦/٢٨) : " وَمَعْنَى **﴿عَلَيْها﴾** أَنَّهُمْ مُوَكَّلُونَ بِهَا. فَالِاسْتِعْلَاءُ الْمُفَادُ مِنْ حَرْفِ (عَلَى) مُسْتَعَارٌ لِلتَّمَكُّنِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿أُولئِكَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ﴾** [الْبَقَرَة: ٥] .

وَفِي الْحَدِيثِ «فَلَمْ يَكُنْ عَلَى بَابِهِ بَوَّابُونَ " . و**﴿غِلاظٌ﴾** جَمْعُ غَلِيظٍ وَهُوَ الْمُتَّصِفُ بِالْغِلْظَةِ. وَهِيَ صِفَةٌ مُشَبَّهَةٌ وَفِعْلُهَا مِثْلُ كَرُمَ.

وَهِيَ هُنَا مُسْتَعَارَةٌ لِقَسَاوَةِ الْمُعَامَلَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾** [آل عمران: ١٥٩] ، أَيْ : لَوْ كُنْتَ قَاسِيًا لَمَا عَاشَرُوكَ.

وَ **﴿شِدادٌ﴾** : جَمْعُ شَدِيدٍ. وَالشِّدَّةُ بِكَسْرِ الشِّينِ حَقِيقَتُهَا قُوَّةُ الْعَمَلِ الْمُؤْذِي وَالْمَوْصُوفُ بِهَا شَدِيدٌ. وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ أَقْوِيَاءُ فِي مُعَامَلَةِ أَهْلِ النَّارِ الَّذِينَ وُكِّلُوا بِهِمْ: يُقَالُ: اشْتَدَّ فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ، أَيْ أَسَاءَ مُعَامَلَتَهُ، وَيُقَالُ: اشْتَدَّتِ الْحَرْبُ، وَاشْتَدَّتِ الْبَأْسَاءُ. وَالشِّدَّةُ مِنْ أَسْمَاءِ الْبُؤْسِ وَالْجُوعِ وَالْقَحْطِ.

وَجُمْلَةُ **﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾** ثَنَاءٌ عَلَيْهِمْ أُعْقِبَ بِهِ وَصْفُهُمْ بِأَنَّهُمْ غِلَاظٌ شِدَادٌ تَعْدِيلًا لِمَا تَقْتَضِيَانِهِ مِنْ كَرَاهِيَةِ نُفُوسِ النَّاسِ إِيَّاهُمْ، وَهَذَا مُؤْذِنٌ بِأَنَّهُمْ مَأْمُورُونَ بِالْغِلْظَةِ وَالشِّدَّةِ فِي تَعْذِيبِ أَهْلِ النَّارِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: **﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾** فَهُوَ تَصْرِيحٌ بِمَفْهُومِ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ دَعَا إِلَيْهِ مَقَامُ الْإِطْنَابِ فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، مَعَ مَا فِي هَذَا التَّصْرِيحِ مِنِ اسْتِحْضَارِ الصُّورَةِ الْبَدِيعَةِ فِي امْتِثَالِهِمْ لِمَا يُؤْمَرُونَ بِهِ. وَقَدْ عُطِفَ هَذَا التَّأْكِيدُ عَطْفًا يَقْتَضِي الْمُغَايَرَةَ تَنْوِيهًا بِهَذِهِ الْفَضِيلَةِ لِأَنَّ فِعْلَ الْمَأْمُورِ أَوْضَحُ فِي الطَّاعَةِ مِنْ عَدَمِ الْعِصْيَانِ وَاعْتِبَارٌ لِمُغَايَرَةِ الْمَعْنَيَيْنِ وَإِنْ كَانَ مَآلُهُمَا وَاحِدٌ وَلَكَ أَنْ تَجْعَلَ مَرْجِعَ **﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾** أَنَّهُمْ لَا يَعْصُونَ فِيمَا يُكَلَّفُونَ بِهِ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْخَاصَّةِ بِهِمْ، وَمَرْجِعُ **﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾** إِلَى مَا كُلِّفُوا بِعَمَلِهِ فِي الْعُصَاةِ فِي جَهَنَّم " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ قَعْرِ جَهَنَّم ؟

الجواب : روى مسلم (٢١٨٤/٤ برقم ٢٨٤٤) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قَالَ: قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا» .

وروىٰ أحمد في " المسند " (٢٩/ ١١٤ برقم ١٧٥٧٥) بسنده عَنْ خَالِدِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: خَطَبَ عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ – قَالَ بَهْزٌ: وَقَالَ قَبْلَ هَذِهِ الْمَرَّةِ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، قَالَ: فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ:: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بِصَرْمٍ، وَوَلَّتْ حَذَّاءَ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ، يَتَصَابُّهَا صَاحِبُهَا، وَإِنَّكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَىٰ دَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا، فَانْتَقِلُوا بِخَيْرِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الْحَجَرَ يُلْقَىٰ مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا مَا يُدْرِكُ لَهَا قَعْرًا، وَاللهِ لَتَمْلَؤُنَّهُ، أَفَعَجِبْتُمْ؟ وَاللهِ لَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مَصَرَاعَيِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةَ أَرْبَعِينَ عَامًا، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهِ يَوْمٌ كَظِيظُ الزِّحَامِ " . قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم. وأخرجه ابن المبارك في "الزهد" (٥٣٤) ، والطيالسي (١٢٧٦) ، ومسلم (٢٩٦٧) (١٤) ، والنسائي في "الكبرىٰ" كما في "تحفة الأشراف" ٧/ ٢٣٤، وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (٣٠٠) ، وابن حبان (٧١٢١) ، والطبراني في "الكبير" ١٧/ (٢٨٠) ، والبيهقي في "الشعب" (١٠٣٢٧) ، وفي "البعث والنشور" (٥٣٦) ، وابن عبد البر في "الاستيعاب" ٣/ ١١٦، والمزي في "تهذيب الكمال" ٨/ ١٤٥-١٤٦ من طرق عن سليمان بن المغيرة، بهذا الإسناد، ولم يقل أحد منهم: خطبنا رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. والحديث عند بعضهم مختصر. وتحرف اسم سليمان بن المغيرة في مطبوع الحاكم إلىٰ سليمان بن موسىٰ. وأخرجه مطولاً ومختصراً ابن سعد ٥/ ٧-٦، وهناد في "الزهد" (٧٧٠) ، والترمذي (٢٥٧٥) ، والطبراني ١٧/ (٢٧٨) و (٢٨٤) و (٢٨٦) ، والخطيب في "تاريخه " ١/ ١٥٥-١٥٦ من طرق عن عتبة بن غزوان، به " .

جاء في موقع " ملتقىٰ أهل التَّفسير" دراسة بعنوان : " عمق قَعْر جهنَّم " ، بقلم : ماجد تيم :

كلُّ امرئ يقرأ الوحي –كتاب وسُنَّة– بالقلب الذي يهوىٰ وبالفنِّ الذي يتقنه ، فكلُّنا نتعلَّم من الوحي ، ولكن تختلف مخرجات تعلُّمنا له ، فحال سماعي للقرآن أو السُّنَّة يبدأ فؤادي بالتَّناغم والعشق والغرام مع الآيات والأحاديث التي لها علاقة بالأرقام و الحسابات أو بالعلوم الطَّبيعيَّة ، و بالمثل يصيب هذا العشق كلَّ أصحاب الفنون العلميَّة الدِّينيَّة و الدُّنيوية ولكن بأشكال متفاوتة ومختلفة فالوحي هو مورد العشَّاق .

ولا أدري لم أصحاب علوم الأحكام الشَّرعَّية يحتكرون فهم القرآن ويدعون ذلك لأنفسهم من دون النَّاس ويشطحون في تبديع وتكفير مالا يفهمون من علوم مرتبطة به ، فمن أين حكموا علىٰ علوم القرآن بذلك أوَ كان قولهم من قرآن أو سُنَّة ؟ فوالله ما ذلك إلَّا منكراً من القول وزوراً .

فما الأحكام الشَّرعَّية إلَّا لون واحد من أطياف ألوان القرآن الكريم، أمَّا بقيَّة الألوان تجدها متمازجة في شتَّىٰ فنون العلوم الأخرىٰ ، فأنا أرىٰ القرآن لوحة إلهيَّة صبغ بكلِّ فنون العلوم ، فكلُّ لون فيه يعطيك نظرة خاصَّة لمعرفة الله والوصول إلىٰ الغاية التي يريدها الله منَّا .

بل ما كانت سروج العلوم وفنونها المختلفة في الغالب إلَّا مطيَّة لإيمان النَّاس بالله وبأحكامه الشَّرعيَّة ...
﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّـهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] .

البداية :

... فكأنِّي بالأحاديث السَّابقة في مجلس علم نبوي يُعلم به الرَّسول الصَّحابة رضوان الله عليهم أجمعين ومن خلفهم من أمَّته قدر عمق (قَعْر) جهنم بواقع يعيشه الصَّحابة و يعاينوه ويمكن أن يقيسوه .

وكأنَّ الرَّسول يقول للصَّحابة رضوان الله عليهم أجمعين : أنَّه لو تمَّ قياس عمق جهنَّم بجسم ساقط فوق أرضكم فإنَّه يحتاج هذا الجسم السَّاقط (٧٠ خريفاً)

من هنا انطلقت ...فتبادر إلىٰ ذهني وأنا أطلع علىٰ الأحاديث السَّابقة ...

هل توجد علاقة تربط بين مدَّة السُّقوط ومدىٰ ارتفاع الجسم السَّاقط لحظة سقوطه ؟

حقيقة توجد معادلة فيزيائيَّة مشهورة أعلِّمها لطلابي ... وهي إحدىٰ معادلات الحركة ، وهي تطبق علىٰ الأجسام السَّاقطة في مجال الأرض (المكان الذي قورن به عمق جهنَّم وضرب به المثل)

والمعادلة تعطىٰ بالشَّكل ...

ف = ع١ .ز + ٠.٥ .ج.ز٢ ... حيث :

• ف : ارتفاع الجسم السَّاقط عن سطح الأرض

• ع١ : سرعة الجسم لحظة السُّقوط .

• فإذا كان الجسم ساقطاً سقوطاً حرَّاً بدون تأثير قوَّة خارجيَّة تكون ع١ = صفر ويكون علىٰ إثرها ع١ .ز = صفر .

• ز : الزَّمن المستغرق للسُّقوط " ، وفي الحديث يساوي سبعين خريفاً .

إذن تقريباً ...

ز = ٧٠× ٣٥٥×٢٤×٦٠×٦٠ = ٢١٤٧٠٤٠٠٠٠ ثانية علىٰ فرض أنَّ السَّنة = ٣٥٥ يوم تقريباً .

• ز٢ = ز × ز

= ٢١٤٧٠٤٠٠٠٠ × ٢١٤٧٠٤٠٠٠٠ = ٤٦٠٩٧٨٠٧٦١٦٠٠٠٠٠٠٠٠ ث٢ تقريباً .

• ج = ١٠ م/ ث٢ " تقريباً " تسارع الجسم السَّاقط في مجال الجاذبيَّة الأرضيَّة .

... المكان الذي ضرب به المثل ، فالجسم يهوي ويتسارع بنفس النِّسبة متزايدا لمدَّة (٧٠) خريفاً ، وينتج عن هذا بالتَّعويض في المعادلة ...

ف = صفر + ٠.٥.ج.ز٢

ف = ٠.٥ × ١٠ × ٤٦٠٩٧٨٠٧٦١٦٠٠٠٠٠٠٠٠٠

ف = ٢٣٠٤٨٩٠٣٨٠٨٠٠٠٠٠٠٠٠٠ م

ف = ٢٣٠٤٨٩٠٣٨٠٨٠٠٠٠٠٠٠ كم

ف = ٢٤٣٦ سنة ضوئيَّة على الأقل

تعقيب :

اعلم أنَّ معرفة عمق جهنَّم من العلم الذي لا ينفع وجهله لا يضرّ ، ولست أبحث في هذا الموضوع لأصل لنتيجة دقيقة ١٠٠٪ ، ولكن لأصل لنتيجة مفادها كبر وعظم ولطف خَلْقِ الله ، وما السَّموات وما فيهنَّ إلَّا خلق من خلقه، وليست كلّ خلقه كما الجنَّة و النَّار والكرسي والعرش مخلوقات من خلقه ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

تساوي سرعة سقوط الأجسام في جهنَّم :

ومن جماليَّة ما قرأت في الأحاديث السَّابقة اتِّفاقها على أنَّ الزَّمن المستغرق لسقوط الأجسام المختلفة من شفير جهنَّم إلى قَعرها استغرقت سبعين خريفاً ، وهذا يؤكِّد على قانون آخر مهم جداً الذي نصّه : أنَّ تسارع سقوط الأجسام السَّاقطة و المختلفة في نفس مجال الجاذبيَّة متساوية ...أو بصيغة أخرى أنَّ سرعة سقوط الأجسام المختلفة في زمن معيَّن في نفس مجال الجاذبيَّة متساوية ، وهذا ما أكَّده نيوتن في قانون الجاذبيَّة ومن قبله غاليليو غاليلي .

فلو ألقيت فيلاً ونملة من أي علو على الأرض بنفس اللحظة (بعدم وجود قوى ممانعة) فإنَّهما يصلان إلى الأرض بنفس اللحظة ، ولو ألقيت أي جسمين مختلفين في الكتلة فوق أي نظام جذبي فإنَّهما كذلك سيصلان سطح ذلك النِّظام بنفس اللحظة .

الصَّوت يحتاج لوسط مادِّي لانتقاله فكيف وصل صوت ارتطام سقوط الحجر في قعر جهنَّم لأذن الرَّسول و الصَّحابة رضوان الله عليهم .

كما بيَّنت الأحاديث أنَّ سماع صوت ارتطام الحجر في قعر جهنَّم لم يكن خاصَّاً للرَّسول بل كان عامَّاً لوجود الصَّحابة رضوان الله عليهم ، فالحدث يقع ضمن قدرات النَّاس عامَّة ، التي أودعها الله فيهم حيث أنَّ المدىٰ السَّمعي للإنسان يتراوح في نطاق بين (٢٠٠٠٠-٢٠) Hz تقريباً .

وقبل ولن أتحدَّث بشكل موسوعي عن الصَّوت وخصائصه وصفاته وأهميَّته ، ولكن قد أمرّ علىٰ بعضها لضرورة الموضوع . فالصَّوت عبارة عن الأثر النَّاتج عن مؤثر يؤثِّر علىٰ أدوات الإحساس والإدراك السَّمعي فيترجم هذا الأثر علىٰ شكل صوت أو صورة سمعيَّة في نفس وجنان الكائن الحي .

فالمؤثِّر ينتج طاقة ميكانيكيَّة تنتقل عبر وسط مادي علىٰ شكل اهتزازات وتذبذبات (تخلخلات وتضاغطات) لتصل إلىٰ آلة السَّمع لتترجم هذه النَّبضات الاهتزازيَّة و التَّذبذبيَّة في المحصِّلة إلىٰ رسائل عصبيَّة صوتيَّة .

فلولا وجود المؤثِّر والمادَّة التي نقلت الأثر لما تكوَّن صوت ، ولا حدث سمع ، وهذا من بدهيَّات العلوم التي ندرِّسها للطُّلَّاب في المدارس أو في الجامعات ، فالأثر الَّناتج الذي يسبِّب الصَّوت طاقة ميكانيكيَّة متحوِّلة عن المؤثِّر والذي قد يتحوَّل ويترجم إلىٰ أشكال ولغات أخرىٰ من الطَّاقة ، كالكهرومغناطيسيَّة والحراريَّة والميكانيكيَّة ، فالمؤثِّر هو طاقة مرمزة بمعاني واحدة يتحوَّل إلىٰ أشكال مختلفة من الطَّاقة . فالصَّوت مخلوق عجيب فأثره يفتت ويفلق الحجر ويلين الحديد ، ويرسم مشاعر الإنسان بالتَّأثير علىٰ القلب بالتَّوافق والتَّناغم مع سموفونيَّاته ، فإنَّ من البيان لسحرا .

التَّفسير وربط الموضوع :

حقيقة لا ينكرها كلُّ ذو علم نحن في الأرض يحيطنا بحار من الفراغ تفصلنا عن جهنَّم ، وبما أنَّ الصَّوت شكل من أشكال الطَّاقة يمكن أن يتحوَّل من شكل لآخر ، وما تلك المخترعات ببعيدة عنَّا التي تعمل علىٰ تحوّل الصَّوت البشري وانتقاله علىٰ شكل موجات كهرومغناطيسيَّة ، وإعادة تشكُّله علىٰ شكل موجات ميكانيكيَّة يمكن للأذن البشريَّة من استقبالها والتَّعامل معها وإدراكها والإحساس بها من جديد ، إلا شكل من الأشكال التي يمكن تفسير انتقال الصَّوت عبر الفراغ من جهنَّم إلىٰ الأرض ، فالصَّوت المتكوِّن في قَعر جهنَّم بوجود تلك الحرارة المهولة وتلك الظُّروف الاستثائيَّة قد يؤدي إلىٰ تحوِّل الصَّوت إلىٰ موجات كهرومغناطيسيَّة وانتقالها عبر الفراغ حتىٰ وصلت إلىٰ مسامع الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته

الكرام ، فإذا تمَّ استهلاك الطَّاقة تحوَّلت إلىٰ موجات ميكانيكيَّة مرَّة أخرىٰ ، فبزيادة الطَّاقة يتحوَّل الصَّوت لطاقة كهرومغناطيسيَّة ، وبنقصان الطَّاقة تتحوَّل الطَّاقة الكهرومغناطيسيَّة إلىٰ صوت ، فالصَّوت كلَّما زاد طاقته تحوَّل إلىٰ موجات كهرومغناطيسيَّة ، والعكس صحيح ... هذا و الله أعلم " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا هُوَ وَقُوْدُ النَّار ؟

الجواب : قال تعالىٰ : **﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ﴾** [البقرة:٢٤] .

وقال تعالىٰ : **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ﴾** [التحريم:٦] .

قال الإمام السَّمرقندي في " بحر العلوم" (١/ ٣٥) : " أي: احذروا النَّار الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ، يعني حطبها النَّاس إذا صاروا إليها، والحجارة قبل أن يصيروا إليها. ويقال معناه: إنَّ مع كلِّ إنسان من أهل النَّار حجراً معلَّقاً في عنقه حتىٰ إذا طفئت النَّار، رسبه به الحجر إلىٰ أسفل.

ويقال: وقودها النَّاس والحجارة، أي حجارة الكبريت، وإنَّما جُعل حطبها من حجارة الكبريت لأنَّ لها خمسة أشياء ليست لغيرها: أَحَدُهَا: أنَّها أسرع وقوداً، وَالثَّانِي: أنَّها أبطأ خموداً، والثَّالِثُ: أنَّها أنتن رائحة، والرَّابعُ: أنَّها أشدّ حرَّاً، وَالخَامِسُ: أنَّها ألصق بالبدن " .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢/ ٣٥٢-٣٥٣) : " مَا مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: **﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ﴾** ؟
الْجَوَابُ: أَنَّهَا نَارٌ مُمْتَازَةٌ مِنَ النِّيرَانِ بِأَنَّهَا لَا تَتَّقِدُ إِلَّا بِالنَّاسِ وَالْحِجَارَةِ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَىٰ قُوَّتِهَا مِنْ وَجْهَيْنِ:
الْأَوَّلُ: أَنَّ سَائِرَ النِّيرَانِ إِذَا أُرِيدَ إِحْرَاقُ النَّاسِ بِهَا أو إحماء الْحِجَارَةِ أُوقِدَتْ أَوَّلًا بِوَقُودٍ ثُمَّ طُرِحَ فِيهَا مَا يُرَادُ إِحْرَاقُهُ أَوْ إِحْمَاؤُهُ، وَتِلْكَ أَعَاذَنَا اللهُ مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ تُوقَدُ بِنَفْسِ مَا تُحْرِقُ.
الثَّانِي: أَنَّهَا لِإِفْرَاطِ حَرِّهَا تَتَّقِدُ فِي الْحَجَرِ.

وأضاف : لِمَ قُرِنَ النَّاسُ بِالْحِجَارَةِ وَجُعِلَتِ الْحِجَارَةُ مَعَهُمْ وَقُودًا؟
الْجَوَابُ: لِأَنَّهُمْ قَرَنُوا بها أَنْفُسَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَيْثُ نَحَتُوهَا أَصْنَامًا وَجَعَلُوهَا للهِ أَنْدَادًا وَعَبَدُوهَا مِنْ دُونِهِ قَالَ تَعَالَىٰ: **﴿إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾** [الْأَنْبِيَاءِ: ٩٨] ، وَهَذِهِ الْآيَةُ مُفَسِّرَةٌ لَهَا فَقَوْلُهُ: **﴿إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾** فِي مَعْنَىٰ النَّاسِ وَالْحِجَارَةِ وَحَصَبُ جَهَنَّمَ فِي مَعْنَىٰ وَقُودِهَا ، وَلَمَّا اعْتَقَدَ الْكُفَّارُ فِي حِجَارَتِهِمُ الْمَعْبُودَةِ مِنْ دُونِ اللهِ أَنَّهَا الشُّفَعَاءُ وَالشُّهَدَاءُ الَّذِينَ يَسْتَشْفِعُونَ بِهِمْ وَيَسْتَدْفِعُونَ الْمَضَارَّ عَنْ

أَنْفُسِهِمْ تمسُّكاً بهم، وجعلها اللهُ عَذَابَهُمْ فَقَرَنَهُمْ بِهَا مُحْمَاةً فِي نَارِ جَهَنَّمَ إِبْلَاغًا وَإِغْرَابًا فِي تَحَسُّرِهِمْ، وَنَحْوُهُ مَا يَفْعَلُهُ بِالْكَافِرِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا ذَهَبَهُمْ وَفِضَّتَهُمْ عُدَّةً وَذَخِيرَةً فَشَحُّوا بِهَا وَمَنَعُوهَا مِنَ الْحُقُوقِ حَيْثُ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ، وَقِيلَ هِيَ حِجَارَةُ الْكِبْرِيتِ، وَهُوَ تَخْصِيصٌ بِغَيْرِ دَلِيلٍ، بَلْ فِيهِ مَا يدل علىٰ فساده، وذلك لأنَّ الغرض هاهنا تَعْظِيمُ صِفَةِ هَذِهِ النَّارِ وَالْإِيقَادُ بِحِجَارَةِ الْكِبْرِيتِ أَمْرٌ مُعْتَادٌ فَلَا يَدُلُّ الْإِيقَادُ بِهَا عَلَىٰ قُوَّةِ النَّارِ، أَمَّا لَوْ حَمَلْنَاهُ عَلَىٰ سَائِرِ الْأَحْجَارِ دَلَّ ذَلِكَ عَلَىٰ عِظَمِ أَمْرِ النَّارِ فَإِنَّ سَائِرَ الْأَحْجَارِ تُطْفَأُ بِهَا النِّيرَانُ فَكَأَنَّهُ قَالَ تِلْكَ النِّيرَانُ بَلَغَتْ لِقُوَّتِهَا أَنْ تَتَعَلَّقَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهَا بِالْحِجَارَةِ الَّتِي هِيَ مُطْفِئَةٌ لِنِيرَانِ الدُّنْيَا " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١/ ٢٣٥-٢٣٦) : " الوقود (بالفتح): الحطب. وبالضَّم: التَّوقُّد ، و" النَّاسُ" عُمُومٌ، وَمَعْنَاهُ الْخُصُوصُ فِيمَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ أَنَّهُ يَكُونُ حَطَبًا لَهَا، أَجَارَنَا اللهُ مِنْهَا" **﴿وَالْحِجارَةُ﴾** هِيَ حِجَارَةُ الْكِبْرِيتِ الْأَسْوَدِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَالْفَرَّاءِ وَخُصَّتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَزِيدُ عَلَىٰ جَمِيعِ الْأَحْجَارِ بِخَمْسَةِ أَنْوَاعٍ مِنَ الْعَذَابِ: سُرْعَةِ الِاتِّقَادِ، نَتْنِ الرَّائِحَةِ، كَثْرَةِ الدُّخَانِ، شِدَّةِ الِالْتِصَاقِ بِالْأَبْدَانِ، قُوَّةِ حَرِّهَا إِذَا حَمِيَتْ. وَلَيْسَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ﴾** دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنْ لَيْسَ فِيهَا غَيْرُ النَّاسِ وَالْحِجَارَةِ، بِدَلِيلِ مَا ذَكَرَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كَوْنِ الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ فِيهَا. وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْحِجَارَةِ الْأَصْنَامُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾** [الأنبياء: ٩٨] ، أَيْ حَطَبُ جَهَنَّمَ. وَعَلَيْهِ فَتَكُونُ الْحِجَارَةُ وَالنَّاسُ وَقُودًا لِلنَّارِ، وَذُكِرَ ذَلِكَ تَعْظِيمًا لِلنَّارِ أَنَّهَا تحرق الحجارة مع إحراقها للنَّاس وَعَلَىٰ التَّأْوِيلِ الْأَوَّلِ يَكُونُونَ مُعَذَّبِينَ بِالنَّارِ وَالْحِجَارَةِ. وَقَدْ جَاءَ الْحَدِيثُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "كُلُّ مُؤْذٍ فِي النَّارِ" . وَفِي تَأْوِيلِهِ وَجْهَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ كُلَّ مَنْ آذَىٰ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا عَذَّبَهُ اللهُ فِي الْآخِرَةِ بِالنَّارِ.

الثَّانِي: أَنَّ كُلَّ مَا يُؤْذِي النَّاسَ فِي الدُّنْيَا مِنَ السِّبَاعِ وَالْهَوَامِّ وَغَيْرِهَا فِي النَّارِ مُعَدٌّ لِعُقُوبَةِ أَهْلِ النَّارِ. وَذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ إِلَىٰ أَنَّ هَذِهِ النَّارَ الْمَخْصُوصَةَ بِالْحِجَارَةِ هِيَ نَارُ الْكَافِرِينَ خَاصَّةً. وَاللهُ أَعْلَمُ. رَوَىٰ مُسْلِمٌ عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبَا طَالِبٍ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَنْصُرُكَ، فَهَلْ نَفَعَهُ ذَلِكَ؟ قَالَ: "نَعَمْ وَجَدْتُهُ فِي غَمَرَاتٍ مِنَ النَّارِ فَأَخْرَجْتُهُ إِلَىٰ ضَحْضَاحٍ - فِي رِوَايَةٍ- وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ " ...

وقال تعالىٰ : **﴿إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَها وارِدُونَ﴾** [الأنبياء:٩٨] .

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢٢/١٨٦) : " أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

رُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَصَنَادِيدُ قُرَيْشٍ فِي الْحَطِيمِ وَحَوْلَ الْكَعْبَةِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ صَنَمًا فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ فَعَرَضَ لَهُ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ فَكَلَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَفْحَمَهُ ثُمَّ تَلَا عَلَيْهِمْ: إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ الْآيَةَ فَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزِّبَعْرَىٰ فَرَآهُمْ يَتَهَامَسُونَ فَقَالَ: فِيمَ خَوْضُكُمْ؟ فَأَخْبَرَهُ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ بِقَوْلِ رسول اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال عَبْدُ اللَّهِ أَمَّا واللَّهِ لَوْ وَجَدْتُهُ لَخَصَمْتُهُ فَدَعَوْهُ، فَقَالَ ابْنُ الزِّبَعْرَىٰ أَأَنْتَ قُلْتَ ذَلِكَ؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَ قَدْ خَصَمْتُكَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ أَلَيْسَ الْيَهُودُ عَبَدُوا عُزَيْرًا وَالنَّصَارَىٰ عَبَدُوا الْمَسِيحَ وبنوا مَلِيحٍ عَبَدُوا الْمَلَائِكَةَ ثُمَّ رُوِيَ فِي ذَلِكَ روايتان:

إِحْدَاهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَكَتَ وَلَمْ يُجِبْ فَضَحِكَ الْقَوْمُ فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ وَقالُوا أَآلِهَتُنا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ما ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾** [الزُّخْرُفِ: ٥٧- ٥٨] وَنَزَلَ فِي عِيسَىٰ وَالْمَلَائِكَةِ: **﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى﴾** [الْأَنْبِيَاءِ: ١٠١] الْآيَةَ هَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ.

الرِّوَايَةُ الثَّانِيَةُ: أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَجَابَ وَقَالَ بَلْ هُمْ عَبَدُوا الشَّيَاطِينَ الَّتِي أَمَرَتْهُمْ بِذَلِكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: **﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى﴾** [الْأَنْبِيَاءِ: ١٠١] الْآيَةَ.

يَعْنِي عُزَيْرًا وَالْمَسِيحَ وَالْمَلَائِكَةَ وَاعْلَمْ أَنَّ سُؤَالَ ابْنِ الزِّبَعْرَىٰ سَاقِطٌ مِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ قَوْلَهُ: إِنَّكُمْ خِطَابُ مُشَافَهَةٍ وَكَانَ ذَلِكَ مَعَ مُشْرِكِي مَكَّةَ وَهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ فَقَطْ.

وَثَانِيهَا: أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ بَلْ قَالَ مَا تَعْبُدُونَ وَكَلِمَةُ مَا لَا تَتَنَاوَلُ الْعُقَلَاءَ.

أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿وَالسَّماءِ وَما بَناها﴾** [الشَّمْسِ: ٥] ، وَقَوْلُهُ: **﴿لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ﴾** [الْكَافِرُونَ: ٢] ، فَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَىٰ الشَّيْءِ وَنَظِيرُهُ هَاهُنَا أَنْ يُقَالَ: إِنَّكُمْ وَالشَّيْءَ الَّذِي تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَكِنْ لَفْظُ الشَّيْءِ لَا يُفِيدُ الْعُمُومَ فَلَا يَتَوَجَّهُ سُؤَالُ ابْنِ الزِّبَعْرَىٰ.

وَثَالِثُهَا: أَنَّ مَنْ عَبَدَ الْمَلَائِكَةَ لَا يَدَّعِي أَنَّهُمْ آلِهَةٌ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: **﴿لَوْ كانَ هؤُلاءِ آلِهَةً ما وَرَدُوها﴾** .

وَرابِعُهَا: هَبْ أَنَّهُ ثَبَتَ الْعُمُومُ لَكِنَّهُ مَخْصُوصٌ بِالدَّلَائِلِ الْعَقْلِيَّةِ وَالسَّمْعِيَّةِ فِي حَقِّ الْمَلَائِكَةِ وَالْمَسِيحِ وَعُزَيْرٍ لِبَرَاءَتِهِمْ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، وَوَعَدَ اللهُ إِيَّاهُمْ بِكُلِّ مَكْرُمَةٍ، وَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: **﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾** [الأَنبِيَاءِ: ١٠١].

وَخَامِسُهَا: الْجَوَابُ الَّذِي ذَكَرَهُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الشَّيَاطِينَ، فَإِنْ قِيلَ الشَّيَاطِينُ عُقَلَاءُ، وَلَفْظُ مَا لَا يَتَنَاوَلُهُمْ فَكَيْفَ قَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا كَأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: لَوْ ثَبَتَ لَكُمْ أَنَّهُ يَتَنَاوَلُ الْعُقَلَاءَ فَسُؤَالُكُمْ أَيْضًا غَيْرُ لَازِمٍ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وَأَمَّا مَا قِيلَ: إِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَكَتَ عِنْدَ إِيرَادِ ابْنِ الزِّبَعْرَى هَذَا السُّؤَالَ فَهُوَ خَطَأٌ لِأَنَّهُ لَا أَقَلَّ مِنْ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَتَنَبَّهُ لِهَذِهِ الْأَجْوِبَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْمُفَسِّرُونَ، لِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ أَعْلَمَ مِنْهُمْ بِاللُّغَةِ وَبِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ تَظْهَرَ هَذِهِ الْأَجْوِبَةُ لِغَيْرِهِ، وَلَا يَظْهَرَ شَيْءٌ مِنْهَا لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَإِنْ قِيلَ: جَوَّزُوا أَنْ يَسْكُتَ عَلَيْهِ السَّلَامُ انْتِظَارًا لِلْبَيَانِ قُلْنَا: لَمَّا كَانَ الْبَيَانُ حَاضِرًا مَعَهُ لَمْ يَجُزْ عَلَيْهِ السُّكُوتُ لِكَيْ لَا يُتَوَهَّمُ فِيهِ الِانْقِطَاعُ عَنْ سُؤَالِهِمْ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ أَجَابَ عَنْ سُؤَالِ ابْنِ الزِّبَعْرَى فَقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُصَوِّرُ لَهُمْ فِي النَّارِ مَلَكًا عَلَى صُورَةِ مَنْ عَبَدُوهُ، وَحِينَئِذٍ تَبْقَى الْآيَةُ عَلَى ظَاهِرِهَا وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا ضَعِيفٌ مِنْ وَجْهَيْنِ.

الْأَوَّلُ: أَنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَعْبُدُوا تِلْكَ الصُّورَةَ وَإِنَّمَا عَبَدُوا شَيْئًا آخَرَ لَمْ يَحْصُلْ مَعَهُمْ فِي النَّارِ.

الثَّانِي: وَهُوَ أَنَّ الْمَلَكَ لَا يَصِيرُ حَصَبَ جَهَنَّمَ فِي الْحَقِيقَةِ وَإِنْ صَحَّ أَنْ يَدْخُلَهَا، فَإِنَّ خَزَنَةَ النَّارِ يَدْخُلُونَهَا مَعَ أَنَّهُمْ لَيْسُوا حَصَبَ جَهَنَّمَ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: الْحِكْمَةُ في أنهم قرنوا بآلهتهم أمور :

أَحَدُهَا: أَنَّهُمْ لَا يَزَالُونَ لِمُقَارَنَتِهِمْ فِي زِيَادَةِ غم وَحَسْرَةٍ، لِأَنَّهُمْ مَا وَقَعُوا فِي ذَلِكَ الْعَذَابِ إِلَّا بِسَبَبِهِمْ وَالنَّظَرُ إِلَى وَجْهِ الْعَدُوِّ بَابٌ مِنَ الْعَذَابِ .

وَثَانِيهَا: أَنَّ الْقَوْمَ قَدَّرُوا أَنَّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ فِي دَفْعِ الْعَذَابِ، فَإِذَا وَجَدُوا الْأَمْرَ عَلَى عَكْسِ مَا قَدَّرُوا لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَيْهِمْ مِنْهُمْ.

وَثَالِثُهَا: أَنَّ إِلْقَاءَهَا فِي النَّارِ يَجْرِي مَجْرَى الِاسْتِهْزَاءِ بِعِبَادِهَا.

وَرابِعُهَا: قِيلَ مَا كَانَ مِنْهَا حَجَرًا أَوْ حَدِيدًا يُحْمَى وَيَلْزَقُ بِعُبَّادِهَا، وَمَا كَانَ خَشَبًا يُجْعَلُ جَمْرَةً يُعَذَّبُ بِهَا صَاحِبُهَا.

أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**حَصَبُ جَهَنَّمَ**﴾ فَالْمُرَادُ يُقْذَفُونَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَشَبَّهَهُمْ بِالْحَصْبَاءِ الَّتِي يُرْمَىٰ بِهَا الشَّيْءُ فَلَمَّا رَمَىٰ بِهَا كَرَمْيِ الْحَصْبَاءِ، جَعَلَهُمْ حَصَبَ جَهَنَّمَ تَشْبِيهًا، قَالَ صَاحِبُ «الْكَشَّافِ» : **الْحَصْبُ** الرَّمْيُ وَقُرِئَ بِسُكُونِ الصَّادِ وَصْفًا بِالْمَصْدَرِ، وَقُرِئَ حطب وحضب بِالضَّادِ الْمَنْقُوطَةِ مُتَحَرِّكًا وَسَاكِنًا " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١١/ ٣٤٣-٣٤٤) : " فِيهِ أَرْبَعُ مَسَائِلَ :

الْأُولَى: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**إِنَّكُمْ وما تَعْبُدُونَ**﴾ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: آيَةٌ لَا يَسْأَلُنِي النَّاسُ عَنْهَا! لَا أَدْرِي أَعَرَفُوهَا فَلَمْ يَسْأَلُوا عَنْهَا، أَوْ جَهِلُوهَا فَلَا يَسْأَلُونَ عَنْهَا، فَقِيلَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: ﴿**إِنَّكُمْ وما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وارِدُونَ**﴾ لَمَّا أُنْزِلَتْ شَقَّ عَلَىٰ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، وَقَالُوا: شَتَمَ آلِهَتَنَا، وَأَتَوُا ابْنَ الزِّبَعْرَىٰ وَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: لَوْ حَضَرْتُهُ لَرَدَدْتُ عَلَيْهِ. قَالُوا: وَمَا كُنْتَ تَقُولُ لَهُ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُولُ لَهُ: هَذَا الْمَسِيحُ تَعْبُدُهُ الْيَهُودُ تَعْبُدُ عُزَيْرًا أَفَهُمَا مِنْ حَصَبِ جَهَنَّمَ؟ فَعَجِبَتْ قُرَيْشٌ مِنْ مَقَالَتِهِ، وَرَأَوْا أَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ خُصِمَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ**﴾ [الأنبياء: ١٠١] ، وَفِيهِ نَزَلَ : ﴿**وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا**﴾ [الزخرف: ٥٧] ، يَعْنِي ابْنَ الزِّبَعْرَىٰ ﴿**إِذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ**﴾ [الزخرف: ٥٧] بِكَسْرِ الصَّادِ، أَيْ يَضِجُّونَ، وَسَيَأْتِي .

الثَّانِيَةُ : هَذِهِ الآية أصل فِي الْقَوْلِ بِالْعُمُومِ وَأَنَّ لَهُ صِيَغًا مَخْصُوصَةً، خِلَافًا لِمَنْ قَالَ لَيْسَتْ لَهُ صِيغَةٌ مَوْضُوعَةٌ لِلدَّلَالَةِ عَلَيْهِ، وَهُوَ بَاطِلٌ بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ وَغَيْرُهَا، فَهَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزِّبَعْرَىٰ قَدْ فَهِمَ" مَا" فِي جَاهِلِيَّتِهِ جَمِيعَ مَنْ عُبِدَ، وَوَافَقَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ قُرَيْشٌ وَهُمُ الْعَرَبُ الْفُصَحَاءُ، وَاللُّسْنُ الْبُلَغَاءُ، وَلَوْ لَمْ تَكُنْ لِلْعُمُومِ لَمَا صَحَّ أَنْ يُسْتَثْنَىٰ مِنْهَا، وَقَدْ وُجِدَ ذَلِكَ فَهِيَ لِلْعُمُومِ وَهَذَا وَاضِحٌ .

الثَّالِثَةُ: قِرَاءَةُ الْعَامَّةِ بِالصَّادِ الْمُهْمَلَةِ أَيْ إِنَّكُمْ يَا مَعْشَرَ الْكُفَّارِ وَالْأَوْثَانَ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَقُودُ جَهَنَّمَ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ وعكرمة وقتادة: حطبها. وقرا علي ابن أَبِي طَالِبٍ وَعَائِشَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا:" حَطَبُ جَهَنَّمَ" بِالطَّاءِ. وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ" حَضَبُ" بِالضَّادِ الْمُعْجَمَةِ، قَالَ الْفَرَّاءُ: يُرِيدُ الْحَصَبَ. قَالَ: وَذُكِرَ لنا أن الحضب في لغة أهل الْيَمَنِ الْحَطَبُ، وَكُلُّ مَا هَيَّجْتَ بِهِ النَّارَ وَأَوْقَدْتَهَا بِهِ فَهُوَ حَضَبٌ، ذَكَرَهُ الْجَوْهَرِيُّ. وَالْمَوْقِدُ مِحْضَبٌ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿**حَصَبُ جَهَنَّمَ**﴾ كُلُّ مَا أَلْقَيْتَهُ فِي النَّارِ فَقَدْ حَصَبْتَهَا بِهِ. وَيَظْهَرُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ النَّاسَ مِنَ الْكُفَّارِ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنَ الْأَصْنَامِ حَطَبٌ لِجَهَنَّمَ. وَنَظِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ**﴾ [البقرة: ٢٤] . وَقِيلَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِالْحِجَارَةِ حِجَارَةُ

الْكِبْرِيتِ، عَلَىٰ مَا تَقَدَّمَ فِي" الْبَقَرَةِ" وَأَنَّ النَّارَ لَا تَكُونُ عَلَىٰ الْأَصْنَامِ عَذَابًا وَلَا عُقُوبَةً، لِأَنَّهَا لَمْ تُذْنِبْ، وَلَكِنْ تَكُونُ عَذَابًا عَلَىٰ مَنْ عبدها: أوَّل شيء بِالْحَسْرَةِ، ثُمَّ تُجْمَعُ عَلَىٰ النَّارِ فَتَكُونُ نَارُهَا أَشَدَّ مِنْ كُلِّ نَارٍ، ثُمَّ يُعَذَّبُونَ بِهَا. وَقِيلَ: تُحْمَىٰ فَتُلْصَقُ بِهِمْ زِيَادَةً فِي تَعْذِيبِهِمْ. وَقِيلَ: إِنَّمَا جُعِلَتْ فِي النَّارِ تَبْكِيتًا لِعِبَادَتِهِمْ .

الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿أَنْتُمْ لَهَا وارِدُونَ﴾** ، أَيْ : فِيهَا دَاخِلُونَ. وَالْخِطَابُ لِلْمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الْأَصْنَامِ، أَيْ أنتم وأردؤها مَعَ الْأَصْنَامِ. وَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: الْخِطَابُ لِلْأَصْنَامِ وَعَبَدَتِهَا، لِأَنَّ الْأَصْنَامَ وَإِنْ كَانَتْ جَمَادَاتٍ فَقَدْ يُخْبَرُ عَنْهَا بِكِنَايَاتِ الْآدَمِيِّينَ. وَقَالَ الْعُلَمَاءُ: لَا يَدْخُلُ فِي هَذَا عِيسَىٰ وَلَا عُزَيْرٌ وَلَا الْمَلَائِكَةُ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ، لِأَنَّ" مَا" لِغَيْرِ الْآدَمِيِّينَ. فَلَوْ أَرَادَ ذَلِكَ لَقَالَ:" وَمَنْ". قَالَ الزَّجَّاجُ: وَلِأَنَّ الْمُخَاطَبِينَ بِهَذِهِ الْآيَةِ مُشْرِكُو مَكَّةَ دون غيرهم " .

وقال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّفسير" (١٧/١٥٢-١٥٤) : " جُمْلَةُ **﴿إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾** جَوَابٌ عَنْ قَوْلِهِمْ : **﴿يَا وَيْلَنا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذا﴾** [الْأَنبِيَاء: ٩٧] إِلَىٰ آخِرِهِ. فَهِيَ مَقُولُ قَوْلٍ مَحْذُوفٍ عَلَىٰ طَرِيقَةِ الْمُحَاوَرَاتِ. فَالتَّقْدِيرُ: يُقَالُ لَهُمْ: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ.

وَهُوَ ارْتِقَاءٌ فِي ثُبُورِهِمْ فَهُمْ قَالُوا: **﴿يَا وَيْلَنا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذا﴾** [الْأَنبِيَاء: ٩٧] فَأُخْبِرُوا بِأَنَّ آلِهَتَهُمْ وَهُمْ أَعَزُّ عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَبْعَدُ فِي أَنْظَارِهِمْ عَنْ أَنْ يَلْحَقَهُمْ سُوءٌ صَائِرُونَ إِلَىٰ مَصِيرِهِمْ مِنَ الْخِزْيِ وَالْهَوَانِ، وَلِذَلِكَ أُكِّدَ الْخَبَرُ بِحَرْفِ التَّأْكِيدِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا بِحَيْثُ يُنْكِرُونَ ذَلِكَ.

وَ (مَا) مَوْصُولَةٌ وَأَكْثَرُ اسْتِعْمَالِهَا فِيمَا يَكُونُ فِيهِ صَاحِبُ الصِّلَةِ غَيْرَ عَاقِلٍ. وَأُطْلِقَتْ هُنَا عَلَىٰ مَعْبُودَاتِهِمْ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ تَغْلِيبًا، عَلَىٰ أَنَّ (مَا) تُسْتَعْمَلُ فِيمَا هُوَ أَعَمُّ مِنَ الْعَاقِلِ وَغَيْرِهِ اسْتِعْمَالًا كَثِيرًا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ. وَكَانَتْ أَصْنَامُهُمْ وَمَعْبُودَاتُهُمْ حَاضِرَةً فِي ذَلِكَ الْمَشْهَدِ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْإِشَارَةُ لَوْ كانَ هؤُلاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوها.

وَالْحَصَبُ: اسْمٌ بِمَعْنَىٰ الْمَحْصُوبِ بِهِ، أَيِ الْمَرْمِيِّ بِهِ. وَمِنْهُ سُمِّيَتِ الْحَصْبَاءَ لِأَنَّهَا حِجَارَةٌ يُرْمَىٰ بِهَا، أَيْ يُرْمَوْنَ فِي جَهَنَّمَ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: **﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ﴾** [الْبَقَرَة: ٢٤] ، أَيِ : الْكُفَّارُ وَأَصْنَامُهُمْ.

وَجُمْلَةُ أَنْتُمْ لَهَا وارِدُونَ بَيَانٌ لِجُمْلَةِ إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهَّ حَصَبُ جَهَنَّمَ. وَالْمَقْصُودُ مِنْهُ: تَقْرِيبُ الْحَصَبِ بِهِمْ فِي جَهَنَّمَ لِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ وارِدُونَ مِنَ الِاتِّصَافِ بِوُرُودِ النَّارِ فِي الْحَالِ كَمَا هُوَ شَأْنُ الْخَبَرِ بِاسْمِ الْفَاعِلِ فَإِنَّهُ حَقِيقَةٌ فِي الْحَالِ مَجَازٌ فِي الِاسْتِقْبَالِ.

وَقَدْ زِيدَ فِي نِكَايَتِهِمْ بِإِظْهَارِ خَطَئِهِمْ فِي عِبَادَتِهِمْ تِلْكَ الْأَصْنَامَ بِأَنْ أُشْهِدُوا إِيرَادَهَا النَّارَ وَقِيلَ لَهُمْ: لَوْ كانَ هؤُلاءِ آلِهَةً ما وَرَدُوها. وَذُيِّلَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: وَكُلٌّ فِيها خالِدُونَ أَيْ هُمْ وَأَصْنَامُهُمْ.

وَالزَّفِيرُ: النَّفَسُ يَخْرُجُ مِنْ أَقْصَى الرِّئَتَيْنِ لِضَغْطِ الْهَوَاءِ مِنَ التَّأَثُّرِ بِالْغَمِّ. وَهُوَ هُنَا مِنْ أَحْوَالِ الْمُشْرِكِينَ دُونَ الْأَصْنَامِ. وَقَرِينَةُ مُعَادِ الضَّمَائِرِ وَاضِحَةٌ.

وَعَطْفُ جُمْلَةِ **﴿وَهُمْ فِيها لا يَسْمَعُونَ﴾** اقْتَضَاهُ قَوْلُهُ **﴿هُمْ فِيها زَفِيرٌ﴾** لِأَنَّ شَأْنَ الزَّفِيرِ أَنْ يُسْمَعَ فَأَخْبَرَ اللَّهُ بِأَنَّهُمْ مِنْ شِدَّةِ الْعَذَابِ يَفْقِدُونَ السَّمْعَ بِهَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ. فَالْآيَةُ وَاضِحَةُ السِّيَاقِ فِي الْمَقْصُودِ مِنْهَا غَنِيَّةٌ عَنِ التَّلْفِيقِ.

وَقَدْ رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «سِيرَتِهِ» أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَلَسَ يَوْمًا مَعَ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَجَاءَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ فَجَلَسَ مَعَهُمْ فِي مَجْلِسٍ مِنْ رِجَالِ قُرَيْشٍ، فَتَلَا رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ: إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَها وارِدُونَ ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزِّبَعْرَى السَّهْمِيُّ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ فَحَدَّثَهُ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ بِمَا جَرَى فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزِّبَعْرَى: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ وَجَدْتُهُ لَخَصَمْتُهُ، فَاسْأَلُوا مُحَمَّدًا أَكُلُّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ فِي جَهَنَّمَ مَعَ مَنْ عَبَدُوهُمْ؟ فَنَحْنُ نَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، وَالْيَهُودُ تَعْبُدُ عُزَيْرًا، وَالنَّصَارَى تَعْبُدُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ. فَحُكِيَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: إِنَّ كُلَّ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَهُوَ مَعَ مَنْ عَبَدَهُ، إِنَّهُمْ إِنَّمَا يَعْبُدُونَ الشَّيْطَانَ الَّذِي أَمَرَهُمْ بِعِبَادَتِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: **﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ﴾** [الْأَنْبِيَاء: ١٠١] .

وَقَرِيبٌ مِنْ هَذَا فِي «أَسْبَابِ النُّزُولِ» لِلْوَاحِدِيِّ، وَفِي «الْكَشَّافِ» مَعَ زِيَادَاتٍ أَنَّ ابْنَ الزِّبَعْرَى لَقِيَ النَّبِيءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ هَذَا وَزَادَ فَقَالَ: خُصِمْتَ وَرَبِّ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدٌ صَالِحٌ، وَأَنَّ عُزَيْرًا عَبْدٌ صَالِحٌ، وَهَذِهِ بَنُو مُلَيْحٍ يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ، وَهَذِهِ النَّصَارَى يَعْبُدُونَ الْمَسِيحَ، وَهَذِهِ الْيَهُودَ يَعْبُدُونَ عُزَيْرًا، فَضَجَّ أَهْلُ مَكَّةَ (أَيْ فَرَحًا) وَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ خُصِمَ. وَرُوِيَتِ الْقِصَّةُ فِي بَعْضِ كُتُبِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَنَّ النَّبِيءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِابْنِ الزِّبَعْرَى: مَا أَجْهَلَكَ بِلُغَةِ قَوْمِكَ إِنِّي قُلْتُ وَما تَعْبُدُونَ، وَ (مَا) لِمَا لَا يَعْقِلُ وَلَمْ أَقُلْ «وَمَنْ تَعْبُدُونَ» . وَإِنَّ الْآيَةَ حَكَتْ مَا يَجْرِي يَوْمَ الْحَشْرِ وَلَيْسَ سِيَاقُهَا إِنْذَارًا لِلْمُشْرِكِينَ حَتَّى يَكُونَ قَوْلُهُ : **﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى﴾** [الْأَنْبِيَاء: ١٠١] تَخْصِيصًا لَهَا، أَوْ تَكُونَ الْقِصَّةُ سَبَبا لنزوله " .

﴿سُؤالٌ﴾ : لِمَ جَاءَتِ النَّارُ الْمَوْصُوفَةُ بِهَذِهِ الجُمْلَة مُنكَّرَة فِي سُورَةِ التَّحريم حَيْثُ قَالَ : **﴿نارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ﴾** [التحريم: ٦] ، **وَفِي سُورَةِ البَقَرَةِ مُعَرَّفَةً** ، قَالَ : **﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ ﴾** ؟

الجواب : قال الإمام الرَّزي في " التَّفسير" (٢/ ٣٥٢) : " تِلْكَ الْآيَةُ نَزَلَتْ بِمَكَّةَ فَعَرَفُوا مِنْهَا نَارًا مَوْصُوفَةً بِهَذِهِ الصِّفَةِ ، ثُمَّ نَزَلَتْ هَذِهِ بِالْمَدِينَةِ مُسْتَنِدَةً إِلَى مَا عَرَفُوهُ أَوَّلًا " .

﴿سُؤالٌ﴾ : **مَا صِفَةُ ظِلِّ النَّار ؟**

الجواب : قال تعالى: **﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ * لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾** [الواقعة: ٤١- ٤٤] .

وقال تعالى: **﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَاعِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾** [الزُّمَر: ١٦] .

وقال تعالى: **﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ * لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾** [المرسلات: ٣٠- ٣١] ...

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٣٠/ ٧٧٤-٧٧٥) : " وَقَوْلُهُ: **﴿إِلى ظِلٍّ﴾** يَعْنِي دُخَانَ جَهَنَّمَ ، كَقَوْلِهِ: **﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾** [الْوَاقِعَةِ: ٤٣] ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى وَصَفَ هَذَا الظِّلَّ بِصِفَاتٍ:

الصِّفَةُ الْأُولَى: قَوْلُهُ: **﴿ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ﴾** ، وَفِيهِ وُجُوهٌ :

أَحَدُهَا: قَالَ الْحَسَنُ: مَا أَدْرِي مَا هَذَا الظِّلُّ، وَلَا سَمِعْتُ فِيهِ شَيْئًا .

وَثَانِيهَا: قَالَ قَوْمٌ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: **﴿إِلى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ﴾** كَوْنُ النَّارِ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَمُحِيطَةً بِهِمْ، وَتَسْمِيَةُ النَّارِ بِالظِّلِّ مَجَازٌ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا مُحِيطَةٌ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ كَقَوْلِهِ: **﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ، وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾** [الزُّمَرِ: ١٦] ، وَقَالَ تَعَالَى: **﴿يَوْمَ يَغْشاهُمُ الْعَذابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾** [الْعَنْكَبُوتِ: ٥٥] .

وَثَالِثُهَا: قَالَ قَتَادَةُ: بَلِ الْمُرَادُ الدُّخَانُ وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِ: **﴿أَحاطَ بِهِمْ سُرادِقُها﴾** [الْكَهْفِ: ٢٩] ، وَسُرَادِقُ النَّارِ هُوَ الدُّخَانُ، ثُمَّ إِنَّ شُعْبَةً مِنْ ذَلِكَ الدُّخَانِ عَلَى يَمِينِهِ وَشُعْبَةً أُخْرَىٰ عَلَى يَسَارِهِ، وَشُعْبَةً ثَالِثَةً مِنْ فَوْقِهِ.

وَأَقُولُ : هَذَا غَيْرُ مُسْتَبْعَدٍ لِأَنَّ الْغَضَبَ عَنْ يَمِينِهِ وَالشَّهْوَةَ عَنْ شِمَالِهِ، وَالْقُوَّةَ الشَّيْطَانِيَّةَ فِي دماغه، ومنبع جميع الآفاق الصَّادِرَةِ عَنِ الْإِنْسَانِ فِي عَقَائِدِهِ، وَفِي أَعْمَالِهِ، لَيْسَ إِلَّا هَذِهِ الثَّلَاثَةُ، فَتَوَلَّدَتْ مِنْ هَذِهِ الْيَنَابِيعِ

الثَّلَاثَةِ أَنْوَاعٌ مِنَ الظُّلُمَاتِ، وَيُمْكِنُ أَيْضًا أن يقال: هاهنا درجات ثلاث، وَهِيَ الْحِسُّ وَالْخَيَالُ، وَالْوَهْمُ، وَهِيَ مَانِعَةٌ لِلرُّوحِ عَنِ الِاسْتِنَارَةِ بِأَنْوَارِ عَالَمِ الْقُدْسِ وَالطَّهَارَةِ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ تِلْكَ الْمَرَاتِبِ الثَّلَاثَةِ نَوْعٌ خَاصٌّ مِنَ الظُّلْمَةِ.

وَرَابِعُهَا: قَالَ قَوْمٌ: هَذَا كِنَايَةٌ عَنْ كَوْنِ ذَلِكَ الدُّخَانِ عَظِيمًا، فَإِنَّ الدُّخَانَ الْعَظِيمَ يَنْقَسِمُ إِلَى شُعَبٍ كَثِيرَةٍ

وَخَامِسُهَا: قَالَ أَبُو مُسْلِمٍ وَيَحْتَمِلُ فِي ثَلاثِ شُعَبٍ مَا ذَكَرَهُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَهُوَ أَنَّهُ: غَيْرُ ظَلِيلٍ، وَأَنَّهُ لا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ وَبِأَنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ.

الصِّفَةُ الثَّانِيَةُ: لِذَلِكَ الظِّلِّ قَوْلُهُ: **﴿لا ظَلِيلٍ﴾** ، وَهَذَا تَهَكُّمٌ بِهِمْ وَتَعْرِيضٌ بِأَنَّ ظللهم غير ظلل الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمَعْنَى أَنَّ ذَلِكَ الظِّلَّ لَا يَمْنَعُ حَرَّ الشَّمْسِ.

الصِّفَةُ الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾** ، يُقَالُ: أَغْنِ عَنِّي وَجْهَكَ، أَيْ أَبْعِدْهُ لِأَنَّ الْغَنِيَّ عَنِ الشَّيْءِ يُبَاعِدُهُ، كَمَا أَنَّ الْمُحْتَاجَ يُقَارِبُهُ، قَالَ صَاحِبُ «الْكَشَّافِ» : إِنَّهُ فِي مَحَلِّ الْجَرِّ، أَيْ وَغَيْرُهُ مُغْنٍ عَنْهُمْ، مِنْ حَرِّ اللَّهَبِ شَيْئًا، قَالَ الْقَفَّالُ: وَهَذَا يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ :

أَحَدُهُمَا: أَنَّ هَذَا الظِّلَّ إِنَّمَا يَكُونُ فِي جَهَنَّمَ، فَلَا يُظِلُّهُمْ مِنْ حَرِّهَا، وَلَا يَسْتُرُهُمْ مِنْ لَهِيبِهَا، وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْوَاقِعَةِ الظِّلَّ فَقَالَ: **﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ لا بارِدٍ وَلا كَرِيمٍ﴾** [الْوَاقِعَةِ: ٤٢- ٤٤] ، وَهَذَا كَأَنَّهُ فِي جَهَنَّمَ إِذَا دَخَلُوهَا، ثُمَّ قَالَ: **﴿لا بارِدٍ وَلا كَرِيمٍ﴾** ، فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: **﴿لا ظَلِيلٍ﴾** فِي مَعْنَى: لَا بارِدٍ وَقَوْلُهُ: **﴿وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾** فِي مَعْنَى: **﴿وَلا كَرِيمٍ﴾** ، أَيْ : لَا رَوْحَ لَهُ يَلْجَأُ إِلَيْهِ مِنْ لَهَبِ النَّارِ .

وَالثَّانِي: أَنَّ تَكُونَ ذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ قَبْلَ ان يدخلوا جهنم بل عند ما يُحْبَسُونَ لِلْحِسَابِ وَالْعَرْضِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا الظِّلَّ لَا يُظِلُّكُمْ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ وَلَا يَدْفَعُ لَهَبَ النَّارِ، وَفِي الْآيَةِ وَجْهٌ ثَانٍ : وَهُوَ الَّذِي قَالَهُ قُطْرُبٌ: وَهُوَ أَنَّ اللَّهَبَ هاهنا هُوَ الْعَطَشُ يُقَالُ: لَهِبَ لَهَبًا وَرَجُلٌ لَهْبَانُ وَامْرَأَةٌ لَهْبَى.

الصِّفَةُ الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿إِنَّها تَرْمِي بِشَرَرٍ﴾** ، قَالَ الْوَاحِدِيُّ: يُقَالُ شَرَرَةٌ وَشَرَرٌ وَشَرَارَةٌ وَشَرَارٌ، وَهُوَ مَا تَطَايَرَ مِنَ النَّارِ مُتَبَدِّدًا فِي كُلِّ جِهَةٍ وَأَصْلُهُ مِنْ شَرَرْتُ الثَّوْبَ إِذَا أَظْهَرْتَهُ وَبَسَطْتَهُ لِلشَّمْسِ وَالشَّرَارُ يَنْبَسِطُ مُتَبَدِّدًا، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَصَفَ النَّارَ الَّتِي كَانَ ذَلِكَ الظِّلُّ دُخَانًا لَهَا بِأَنَّهَا ترمي بالشَّرارة العظيمة، والمقصود منه بيان أَنَّ تِلْكَ النَّارَ عَظِيمَةٌ جِدًّا" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ فِي الجَنَّة أَغْلَالٌ وَسَلَاسِل وَقُيُوْدٌ وَسِيَاط ؟

الجواب : قال تعالىٰ : **﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفادِ﴾** [إبراهيم:٤٩] .

قال الإمام الطَّبري في " التَّفسير" (١٣/ ٧٤٠) : **﴿مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾** [إبراهيم: ٤٩] ، يَقُولُ: مُقَرَّنَةٌ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ إِلَىٰ رِقَابِهِمْ بِالْأَصْفَادِ، وَهِيَ الْوَثَاقُ مِنْ غَلٍّ وَسِلْسِلَةٍ، وَاحِدُهَا: صَفَدٌ، يُقَالُ مِنْهُ: صَفَدْتُهُ فِي الصَّفَدِ صَفْدًا وَصِفَادًا، وَالصِّفَادُ: الْقَيْدُ " .

وقال الإمام البغوي في " التَّفسير" (٣/ ٤٨) : " وَتَرَىٰ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ، مَشْدُودِينَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ، فِي الْأَصْفادِ، فِي الْقُيُودِ وَالْأَغْلَالِ وَاحِدُهَا صَفَدٌ، وَكُلُّ مَنْ شَدَدْتَهُ شَدًا وَثِيقًا فَقَدْ صَفَدْتَهُ. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : صَفَدْتُ الرَّجُلَ فَهُوَ مَصْفُودٌ وَصَفَّدْتُهُ بِالتَّشْدِيدِ فَهُوَ مُصَفَّدٌ.

وَقِيلَ: يُقْرَنُ كُلُّ كَافِرٍ مَعَ شَيْطَانِهِ فِي سِلْسِلَةٍ، بَيَانُهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْواجَهُمْ﴾** [الصَّافَّاتِ: ٢٢] ، يَعْنِي: قُرَنَاءَهُمْ مِنَ الشَّيَاطِينِ وَقِيلَ: مَعْنَاهُ مُقَرَّنَةٌ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ إِلَىٰ رِقَابِهِمْ بِالْأَصْفَادِ والقيود " .

وقال الإمام ابن الجوزي في " زاد المسير في علم التَّفسير " (٢/ ٥٢٠) : " قوله تعالىٰ: **﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾** ، يعني: الكفَّار **﴿مُقَرَّنِينَ﴾** ، يقال: قرنت الشَّيء إلىٰ الشَّيء: إذا وصلته به. وفي معنىٰ **﴿مُقَرَّنين﴾** ثلاثة أقوال :

أَحَدُهَا: أنَّهم يُقرَّنون مع الشَّياطين، قاله ابن عبَّاس.

والثَّانِي: أَّن أيديَهم وأرجلَهم قُرنت إلىٰ رقابهم، قاله ابن زيد .

وَالثَّالِثُ: يُقرَّن بعضهم إلىٰ بعض، قاله ابن قتيبة.

وفي الأصفاد ثلاثة أقوال:

أَحَدُهَا: أنَّها الأغلال، قاله ابن عبَّاس، وابن زيد، وأبو عبيدة، وابن قتيبة، والزَّجَّاج، وابن الأنباري.

وَالثَّانِي: القيود والأغلال، قاله قتادة.

وَالثَّالِثُ: القيود، قاله أبو سليمان الدِّمشقي " .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (١٩/ ١١٣) : " فِي قَوْلِهِ: **﴿مُقَرَّنِينَ﴾** ثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ:

أَحَدُهَا: قَالَ الْكَلْبِيُّ: مُقَرَّنِينَ كُلُّ كَافِرٍ مَعَ شَيْطَانٍ فِي غُلٍّ، وَقَالَ عَطَاءٌ: هُوَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: **﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾** [التَّكوير: ٧٠] ، أَيْ : قُرِنَتْ فَيَقْرِنُ اللهُ تَعَالَىٰ نُفُوسَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحُورِ الْعِينِ، وَنُفُوسَ الْكَافِرِينَ بِقُرَنَائِهِمْ مِنَ الشَّيَاطِينِ، وَأَقُولُ حَظُّ البحث الْعَقْلِيِّ مِنْهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا فَارَقَ الدُّنْيَا، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ رَاضَ نَفْسَهُ وَهَذَّبَهَا وَدَعَاهَا إِلَىٰ مَعْرِفَةِ اللهِّ تَعَالَىٰ وَطَاعَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ، أَوْ مَا فَعَلَ ذَلِكَ، بَلْ تَرَكَهَا مُتَوَغِّلَةً فِي اللَّذَّاتِ

الْجَسَدَانِيَّةِ مُقْبِلَةً على الأحوال الوهميَّة والخيالة، فَإِنْ كَانَ الْأَوَّلَ فَتِلْكَ النَّفْسُ تُفَارِقُ مَعَ تِلْكَ الْجِهَةِ بِالْحَضْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَالسَّعَادَةِ بِالْعِنَايَةِ الصَّمَدَانِيَّةِ، وَإِنْ كَانَ الثَّانِيَ فَتِلْكَ النَّفْسُ تُفَارِقُ مَعَ الْأَسَفِ وَالْحُزْنِ وَالْبَلَاءِ الشَّدِيدِ، بِسَبَبِ الْمَيْلِ إِلَى عَالَمِ الْجِسْمِ، وَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ وَشَيْطَانُ النَّفْسِ الْكَافِرَةِ هِيَ الْمَلَكَاتُ الْبَاطِلَةُ، وَالْحَوَادِثُ الْفَاسِدَةُ، وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِ عَطَاءٍ: إِنَّ كُلَّ كَافِرٍ مَعَ شَيْطَانِهِ يَكُونُ مَقْرُونًا فِي الْأَصْفَادِ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ: **﴿مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفادِ﴾** هُوَ قَرْنُ بَعْضِ الْكُفَّارِ بِبَعْضٍ، وَالْمُرَادُ أَنَّ تِلْكَ النُّفُوسَ الشَّقِيَّةَ وَالْأَرْوَاحَ الْمُكَدَّرَةَ الظُّلْمَانِيَّةَ، لِكَوْنِهَا مُتَجَانِسَةً مُتَشَاكِلَةً يَنْضَمُّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَتُنَادِي ظُلْمَةُ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا إِلَى الْأُخْرَى، فَانْحِدَارُ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا إِلَى الْأُخْرَى فِي تِلْكَ الظُّلُمَاتِ، وَالْخَسَارَاتِ هِيَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفادِ.

وَالْقَوْلُ الثَّالِثُ: قَالَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ: قُرِنَتْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ إِلَى رِقَابِهِمْ بِالْأَغْلَالِ، وَحَظُّ الْعَقْلِ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْمَلَكَاتِ الْحَاصِلَةَ فِي جَوْهَرِ النَّفْسِ إِنَّمَا تَحْصُلُ بِتَكْرِيرِ الْأَفْعَالِ الصَّادِرَةِ مِنَ الْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ، فَإِذَا كَانَتْ تِلْكَ الْمَلَكَاتُ ظُلْمَانِيَّةً كَدِرَةً، صَارَتْ فِي الْمِثَالِ كَأَنَّ أَيْدِيَهَا وَأَرْجُلَهَا قُرِنَتْ وَغُلَّتْ فِي رِقَابِهَا " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن " (٩/ ٣٨٤-٣٨٥) : " قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾** وَهُمُ الْمُشْرِكُونَ. **﴿يَوْمَئِذٍ﴾** ، أَيْ : يَوْمَ الْقِيَامَةِ. **﴿مُقَرَّنِينَ﴾** ، أَيْ : مَشْدُودِينَ **﴿فِي الْأَصْفادِ﴾** وَهِيَ الْأَغْلَالُ وَالْقُيُودُ وَاحِدُهَا صَفْدٌ وَصَفَدٌ. وَيُقَالُ: صَفَدْتُهُ صَفْدًا أَيْ قَيَّدْتُهُ وَالِاسْمُ الصَّفَدُ، فَإِذَا أَرَدْتَ التَّكْثِيرَ قُلْتَ: صَفَّدْتُهُ تصفيدا، قال عمر بْنُ كُلْثُومٍ:

فَآبُوا بِالنِّهَابِ وَبِالسَّبَايَا وَأُبْنَا بِالْمُلُوكِ مُصَفَّدِينَا

أَيْ : مُقَيَّدِينَا. وَقَالَ حَسَّانُ:

مِنْ كُلِّ مَأْسُورٍ يُشَدُّ صِفَادُهُ صَقْرٍ إِذَا لَاقَى الْكَرِيهَةَ حَامِ

أَيْ : غُلُّهُ، وَأَصْفَدْتُهُ إِصْفَادًا أَعْطَيْتُهُ. وَقِيلَ: صَفَدْتُهُ وَأَصْفَدْتُهُ جَارِيَانِ فِي الْقَيْدِ وَالْإِعْطَاءِ جَمِيعًا، قَالَ النَّابِغَةُ:

فَلَمْ أُعَرِّضْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ بِالصَّفَدِ

فَالصَّفَدُ الْعَطَاءُ، لِأَنَّهُ يُقَيِّدُ وَيُعْبِدُ، قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ:

وَقَيَّدْتُ نَفْسِي فِي ذَرَاكَ مَحَبَّةً   وَمَنْ وجد الإحسان قيداً تقيَّدا

قِيلَ: يُقْرَنُ كُلُّ كَافِرٍ مَعَ شَيْطَانٍ فِي غُلٍّ، بَيَانُهُ قَوْلُهُ: **﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾** ، يَعْنِي : قُرَنَاءَهُمْ مِنَ الشَّيَاطِينِ. وَقِيلَ إِنَّهُمُ الْكُفَّارُ يُجْمَعُونَ فِي الْأَصْفَادِ كَمَا اجْتَمَعُوا فِي الدُّنْيَا عَلَى الْمَعَاصِي " .

وقال تعالى : **﴿وَلَهُمْ مَقامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾** [الحج:٢١] .

قال الإمام البغوي في " التَّفسير" (٣/ ٣٣١) : " قَوْلُهُ تَعَالَى: وَلَهُمْ مَقامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ، سِيَاطٌ مِنْ حَدِيدٍ وَاحِدَتُهَا مِقْمَعَةٌ، قَالَ اللَّيْثُ: الْمِقْمَعَةُ شِبْهُ الجزر مِنَ الْحَدِيدِ، مِنْ قَوْلِهِمْ: قَمَعْتُ رَأْسَهُ إِذَا ضَرَبْتَهُ ضَرْبًا عَنِيفًا. وَفِي الْخَبَرِ: «لَوْ وُضِعَ مِقْمَعٌ مِنْ حَدِيدٍ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ الثَّقَلَانِ مَا أَقَلُّوهُ مِنَ الْأَرْضِ " .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢٣/ ٢١٥) : " كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها مِنْ غَمٍّ، يعني: كُلَّمَا حَاوَلُوا الْخُرُوجَ مِنَ النَّارِ لِمَا يَلْحَقُهُمْ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ الذي يأخذ بأنفسهم أُعِيدُوا فِيها، يعني: رُدُّوا إِلَيْهَا بِالْمَقَامِعِ. وَفِي التَّفْسِيرِ: إِنَّ جَهَنَّمَ لَتَجِيشُ بِهِمْ فَتُلْقِيهِمْ إِلَى أَعْلَاهَا فَيُرِيدُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا فتضربهم الزَّبانية بمقامع الْحَدِيدِ فَيَهْوُونَ فِيهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا " .

قَوْلُهُ: **﴿وَلَهُمْ مَقامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾** . الْمَقَامِعُ السِّيَاطُ ، وَفِي الْحَدِيثِ : «لَوْ وُضِعَتْ مِقْمَعَةٌ مِنْهَا فِي الْأَرْضِ فَاجْتَمَعَ عَلَيْهَا الثَّقَلَانِ مَا أَقَلُّوهَا " .

وَأَمَّا قَوْلُهُ: كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيها فَاعْلَمْ أَنَّ الْإِعَادَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بَعْدَ الْخُرُوجِ وَالْمَعْنَى كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ فَخَرَجُوا أُعِيدُوا فِيهَا، وَمَعْنَى الْخُرُوجِ مَا يُرْوَى عَنِ الْحَسَنِ أَنَّ النَّارَ تَضْرِبُهُمْ بِلَهَبِهَا فَتَرْفَعُهُمْ حَتَّى إِذَا كَانُوا فِي أَعْلَاهَا ضربوا بالمقاطع فَهَوُوا فِيهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ، وَالْحَرِيقُ الْغَلِيظُ مِنَ النَّارِ الْعَظِيمُ الْإِهْلَاكِ " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٢/ ٢٧) : **﴿وَلَهُمْ مَقامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾** ، أَيْ : يُضْرَبُونَ بِهَا وَيُدْفَعُونَ، الْوَاحِدَةُ مِقْمَعَةٌ، وَمِقْمَعٌ أَيْضًا كَالْمِحْجَنِ، يُضْرَبُ بِهِ عَلَى رَأْسِ الْفِيلِ. وَقَدْ قَمَعْتُهُ إِذَا ضَرَبْتُهُ بِهَا. وَقَمَعْتُهُ وَأَقْمَعْتُهُ بِمَعْنًى، أَيْ قَهَرْتُهُ وَأَذْلَلْتُهُ فَانْقَمَعَ. قَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ: أَقْمَعْتُ الرَّجُلَ عَنِّي إِقْمَاعًا إِذَا طَلَعَ عَلَيْكَ فَرَدَدْتَهُ عَنْكَ. وَقِيلَ: الْمَقَامِعُ الْمَطَارِقُ، وَهِيَ الْمَرَازِبُ أَيْضًا. وَفِي الْحَدِيثِ : " بِيَدِ كُلِّ مَلَكٍ مِنْ خَزَنَةِ جَهَنَّمَ مِرْزَبَةٌ لَهَا شُعْبَتَانِ فَيَضْرِبُ الضَّرْبَةَ فَيَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ أَلْفًا" . وَقِيلَ: الْمَقَامِعُ سِيَاطٌ مِنْ نَارٍ، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَقْمَعُ الْمَضْرُوبَ، أَيْ تذله " .

وقال الإمام القرطبي في " التَّذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة" (ص٨٦٩) : " قال ابن زيد: **﴿وَلَهُمْ مَقامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾** يقمعون بها هؤلاء، فإذا قال : خذوه فيأخذونه كذا وكذا ألف ملك فلا يضعون أيديهم علىٰ شيء من عظامه إلَّا صار تحت أيديهم رفاتاً ، العظام واللحم يصير رفاتاً. قال: فتُجمع أيديهم وأرجلهم ورقابهم في الأغلال فيُلقون في النَّار مصفودين . قال : فليس لهم شيء يتَّقون به إلَّا الوجوه وهم مصفودون ، قد ذهبت الأبصار فهم عُمي ، وقرأ: **﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذابِ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾** [الزمر:٢٤] ، قال : إذا ألقوا فكادوا يبلغون قعرها تلقَّاهم لهبها فردَّهم إلىٰ أعلاها، حتَّىٰ إذا كادوا يخرجون تلقَّتهم الملائكة بمقامع من حديد فضربوهم بها، فجاء أمر يغلب اللهب فهووا كما هم سافلين هكذا ، وقرأ قول الله : **﴿كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها أُعِيدُوا فِيها﴾** [السجدة:٢٠] ، فهم كما قال الله تعالىٰ : **﴿عامِلَةٌ ناصِبَةٌ * تَصْلى نَارًا حامِيَةً﴾** [الغاشية:٣-٤] " .

وقال تعالىٰ : **﴿إِنَّ لَدَيْنا أَنْكالاً وَجَحِيماً﴾** [المزمل:١٢] .

قال الإمام الماوردي في "النُّكت والعيون" (٦/ ١٣٠) : " في **﴿أَنْكَالاً﴾** ثلاثة أوجه:

أَحَدُهَا: أغلالاً ، قاله الكلبي.

الثَّانِي: أنَّها القيود ، قاله الأخفش وقطرب ، قالت الخنساء:

دَعاك فَقَطّعْتَ أنكاله وقد كُنّ قبْلك لا تقطع

الثَّالِثُ: أنَّها أنواع العذاب الَّشديد ، قاله مقاتل . وقد جاء عن النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: "إنَّ الله تعالىٰ يحبُّ النّكل علىٰ النّكل ، قيل: وما النّكل؟ قال: الرّجل القوي المجرّب علىٰ الفرس القوي المجرّب" ، ومن ذلك سمِّي القيد نكلاً لقوته ، وكذلك الغل ، وكلُّ عذاب قوي واشتدّ " .

وقال الإمام الرَّازي في "التَّفسير" (٣٠/ ٦٨٩-٦٩٠) : " أَيْ : إِنَّ لَدَيْنَا فِي الْآخِرَةِ مَا يُضَادُّ تَنَعُّمَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَذَكَرَ أُمُورًا أَرْبَعَةً :

أَوَّلُهَا: قَوْلُهُ: أَنْكالًا وَاحِدُهَا نِكْلٌ وَنُكْلٌ، قَالَ الْوَاحِدِيُّ: النِّكْلُ الْقَيْدُ، وَقَالَ صَاحِبُ الْكَشَّافِ: النِّكْلُ الْقَيْدُ الثَّقِيلُ .

وَثَانِيهَا: قَوْلُهُ: وَجَحِيماً وَلَا حَاجَةَ بِهِ إِلَى التَّفْسِيرِ .

وَثَالِثُهَا: قَوْلُهُ: وَطَعاماً ذا غُصَّةٍ الْغُصَّةُ ما يُغَصُّ بِهِ الْإِنْسَانُ، وَذَلِكَ الطَّعَامُ هُوَ الزَّقُّومُ وَالضَّرِيعُ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: **﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾** [الْغَاشِيَةِ: ٦] ، قَالُوا: إِنَّهُ شَوْكٌ كَالْعَوْسَجِ يَأْخُذُ بِالْحَلْقِ يَدْخُلُ وَلَا يَخْرُجُ **وَرَابِعُهَا:** قَوْلُهُ: وَعَذاباً أَلِيماً وَالْمُرَادُ مِنْهُ سَائِرُ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ يُمْكِنُ حَمْلُ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ الْأَرْبَعَةِ عَلَىٰ الْعُقُوبَةِ الرُّوحَانِيَّةِ، أَمَّا الْأَنْكَالُ فَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ بَقَاءِ النَّفْسِ فِي قَيْدِ التَّعَلُّقَاتِ الْجُسْمَانِيَّةِ وَاللَّذَّاتِ الْبَدَنِيَّةِ، فَإِنَّهَا فِي الدُّنْيَا لَمَّا اكْتَسَبَتْ مَلَكَةَ تِلْكَ الْمَحَبَّةِ وَالرَّغْبَةِ، فَبَعْدَ الْبَدَنِ يَشْتَدُّ الْحَنِينُ، مَعَ أَنَّ آلَاتِ الْكَسْبِ قَدْ بَطَلَتْ فَصَارَتْ تِلْكَ كَالْأَنْكَالِ وَالْقُيُودِ الْمَانِعَةِ لَهُ مِنَ التَّخَلُّصِ إِلَىٰ عَالَمِ الرُّوحِ وَالصَّفَاءِ، ثُمَّ يَتَوَلَّدُ مِنْ تِلْكَ الْقُيُودِ الرُّوحَانِيَّةِ نِيرَانٌ رُوحَانِيَّةٌ، فَإِنَّ شَدَّةَ مَيْلِهَا إِلَىٰ الْأَحْوَالِ الْبَدَنِيَّةِ وَعَدَمَ تَمَكُّنِهَا مِنَ الْوُصُولِ إليها، يوجب حُرْقَةً شَدِيدَةً رُوحَانِيَّةً كَمَنْ تَشْتَدُّ رَغْبَتُهُ فِي وِجْدَانِ شَيْءٍ، ثُمَّ إِنَّهُ لَا يَجِدُهُ فَإِنَّهُ يَحْتَرِقُ قَلْبُهُ عَلَيْهِ، فَذَاكَ هُوَ الْجَحِيمُ، ثُمَّ إِنَّهُ يَتَجَرَّعُ غُصَّةَ الْحِرْمَانِ وَأَلَمَ الْفِرَاقِ، فَذَاكَ هُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: **﴿وَطَعاماً ذَا غُصَّةٍ﴾** ثُمَّ إِنَّهُ بِسَبَبِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ بَقِيَ مَحْرُومًا عَنْ تَجَلِّي نُورِ اللَّهِ وَالِانْخِرَاطِ فِي سِلْكِ الْمُقَدَّسِينَ " .

وقال الإمام القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن" (١٩/ ٤٦-٤٧) : " قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿إِنَّ لَدَيْنا أَنْكالًا وَجَحِيماً﴾** الْأَنْكَالُ: الْقُيُودُ. عَنِ الْحَسَنِ وَمُجَاهِدٍ وَغَيْرِهِمَا. وَاحِدُهَا نِكْلٌ، وَهُوَ مَا مَنَعَ الْإِنْسَانَ مِنَ الْحَرَكَةِ. وَقِيلَ: سُمِّيَ نِكْلًا، لِأَنَّهُ يُنَكَّلُ بِهِ. قَالَ الشَّعْبِيُّ: أَتَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ جَعَلَ الْأَنْكَالَ فِي أَرْجُلِ أَهْلِ النَّارِ خَشْيَةَ أَنْ يَهْرُبُوا؟ لَا وَاللَّهِ! وَلَكِنَّهُمْ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَرْتَفِعُوا اسْتَفَلَتْ بِهِمْ. وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: الْأَنْكَالُ: الْأَغْلَالُ، وَالْأَوَّلُ أَعْرَفُ فِي اللُّغَةِ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْخَنْسَاءِ:

دَعَاكَ فَقَطَّعْتَ أَنْكَالَهُ   وَقَدْ كُنَّ قَبْلَكَ لَا تُقْطَعُ

وَقِيلَ: إِنَّهُ أَنْوَاعُ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ، قَالَهُ مُقَاتِلٌ. وَقَدْ جَاءَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ النَّكَلَ عَلَىٰ النَّكَلِ" بِالتَّحْرِيكِ، قَالَهُ الْجَوْهَرِيُّ. قِيلَ: وَمَا النَّكَلُ؟ قَالَ: "الرَّجُلُ الْقَوِيُّ الْمُجَرَّبُ، عَلَىٰ الْفَرَسِ الْقَوِيِّ الْمُجَرَّبِ" ، ذَكَرَهُ الْمَاوَرْدِيُّ. قَالَ: وَمِنْ ذَلِكَ سُمِّيَ الْقَيْدُ نِكْلًا لِقُوَّتِهِ، وَكَذَلِكَ الْغُلُّ، وَكُلُّ عَذَابٍ قَوِيٍّ فَاشْتَدَّ، وَالْجَحِيمُ النَّارُ الْمُؤَجَّجَةُ. **﴿وَطَعاماً ذَا غُصَّةٍ﴾** ، أَيْ غَيْرُ سَائِغٍ، يَأْخُذُ بِالْحَلْقِ، لَا هُوَ نَازِلٌ وَلَا هُوَ خَارِجٌ، وَهُوَ الْغِسْلِينُ وَالزَّقُّومُ وَالضَّرِيعُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَعَنْهُ أَيْضًا: أَنَّهُ شَوْكٌ يَدْخُلُ الْحَلْقَ، فَلَا يَنْزِلُ وَلَا يَخْرُجُ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: أَيْ طَعَامُهُمُ الضَّرِيعُ، كَمَا قَالَ: **﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾** [الغاشية: ٦] ، وَهُوَ شَوْكٌ كَالْعَوْسَجِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ الزَّقُّومُ، كَمَا قَالَ: **﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعامُ الْأَثِيمِ﴾** [الدخان: ٤٤ - ٤٣] .

وَالْمَعْنَىٰ وَاحِدٌ. وَقَالَ حُمْرَانُ بْنُ أَعْيَنَ: قَرَأَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **﴿إِنَّ لَدَيْنا أَنْكالًا وَجَحِيماً * وَطَعاماً ذا غُصَّةٍ﴾** فَصَعِقَ. وَقَالَ خُلَيْدُ بْنُ حَسَّانٍ: أَمْسَىٰ الْحَسَنُ عِنْدَنَا صَائِمًا، فَأَتَيْتُهُ بِطَعَامٍ فَعَرَضَتْ لَهُ هَذِهِ الْآيَةُ : **﴿إِنَّ لَدَيْنا أَنْكالًا وَجَحِيماً * وَطَعاماً﴾** فَقَالَ: ارْفَعْ طَعَامَكَ. فَلَمَّا كَانَتِ الثَّانِيَةُ أَتَيْتُهُ بِطَعَامٍ فَعَرَضَتْ لَهُ هَذِهِ الْآيَةُ، فَقَالَ: ارْفَعُوهُ. وَمِثْلُهُ فِي الثَّالِثَةِ، فَانْطَلَقَ ابْنُهُ إِلَىٰ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ وَيَزِيدَ الضَّبِّيِّ وَيَحْيَىٰ الْبَكَّاءِ فَحَدَّثَهُمْ، فَجَاءُوهُ فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّىٰ شَرِبَ شَرْبَةً مِنْ سَوِيقٍ " .

وقال تعالىٰ : **﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلالَ فِي أَعْناقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [سبأ:٣٣] .

قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن " (١٤/ ٣٠٤) : **﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلالَ فِي أَعْناقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** الْأَغْلَالُ جَمْعُ غُلٍّ، يُقَالُ: فِي رَقَبَتِهِ غُلٌّ مِنْ حَدِيدٍ. وَمِنْهُ قِيلَ لِلْمَرْأَةِ السَّيِّئَةِ الْخُلُقَ: غُلٌّ قَمِلٌ، وَأَصْلُهُ أَنَّ الْغُلَّ كَانَ يَكُونُ مِنْ قِدٍّ وَعَلَيْهِ شَعْرٌ فَيَقْمَلُ. وَغَلَلْتُ يَدَهُ إِلَىٰ عنقه، وقد غل فهو مغلول، يقال: ماله أُلَّ وَغُلَّ. وَالْغُلُّ أَيْضًا وَالْغُلَّةُ: حَرَارَةُ الْعَطَشِ، وَكَذَلِكَ الْغَلِيلُ، يُقَالُ مِنْهُ: غُلَّ الرَّجُلُ يُغَلُّ غَلَلًا فَهُوَ مَغْلُولٌ، عَلَىٰ مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، عَنِ الْجَوْهَرِيِّ. أَيْ جَعَلْتُ الْجَوَامِعَ فِي أَعْنَاقِ التَّابِعِينَ وَالْمَتْبُوعِينَ. قِيلَ مِنْ غَيْرِ هَؤُلَاءِ الْفَرِيقَيْنِ. وَقِيلَ يَرْجِعُ **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** إِلَيْهِمْ. وَقِيلَ: تم الكلال عِنْدَ قَوْلِهِ: **﴿لَمَّا رَأَوُا الْعَذابَ﴾** ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ: **﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلالَ﴾** بَعْدَ ذَلِكَ فِي أَعْنَاقِ سَائِرِ الْكُفَّارِ " .

وقال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير " (٢٢/ ٢١٠) : **﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلالَ فِي أَعْناقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا ما كانُوا يَعْمَلُونَ ﴾** عَطْفٌ عَلَىٰ جُمْلَةِ **﴿إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ﴾** [سبأ: ٣١] . وَالتَّقْدِيرُ: وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ جَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاق الَّذين كفرُوا. وَجَوَاب (لَو) الْمَحْذُوف جَوَاب للشَّرطين.

و**﴿الْأَغْلالَ﴾** : جمع غلّ بِضَم الْغَيْن، وَهُوَ دَائِرَة من حَدِيد أَو جلد علىٰ سَعَة الرَّقَبَة تُوضَع فِي رَقَبَةِ الْمَأْسُورِ وَنَحْوِهِ وَيُشَدُّ إِلَيْهَا بِسِلْسِلَةٍ أَوْ سَيْرٍ مِنْ جِلْدٍ أَوْ حَبْلٍ، وَتَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الرَّعْدِ. وَجَعْلُ الْأَغْلَالِ فِي الْأَعْنَاقِ شِعَارٌ عَلَىٰ أَنَّهُمْ يُسَاقُونَ إِلَىٰ مَا يُحَاوِلُونَ الْفِرَارَ وَالِانْفِلَاتَ مِنْهُ. وَتَقَدَّمَ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿وَأُولئِكَ الْأَغْلالُ فِي أَعْناقِهِمْ﴾** فِي الرَّعْدِ . والَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ جَرَتْ عَلَيْهِمُ الضَّمَائِرُ الْمُتَقَدِّمَةُ فَالْإِتْيَانُ بِالِاسْمِ الظَّاهِرِ وَكَوْنُهُ مَوْصُولًا لِلْإِيمَاءِ إِلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ جَزَاءُ الْكُفْرِ، وَلِذَلِكَ عَقَّبَ بِجُمْلَةِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كانُوا يَعْمَلُونَ مُسْتَأْنَفَةً اسْتِئْنَافًا بَيَانِيًّا " .

وقال تعالى : **﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾** [غافر ٧١] ، قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن"(١٥/ ٣٣٢) : " قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿إِذِ الْأَغْلالُ فِي أَعْناقِهِمْ﴾** ، أَيْ : عَنْ قَرِيبٍ يَعْلَمُونَ بُطْلَانَ مَا هُمْ فِيهِ إِذَا دَخَلُوا النَّارَ وَغُلَّتْ أَيْدِيهِمْ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ. قَالَ التَّيْمِيُّ: لَوْ أَنَّ غُلًّا مِنْ أَغْلَالِ جَهَنَّمَ وُضِعَ عَلَى جَبَلٍ لَوَهَصَهُ حَتَّى يَبْلُغَ الْمَاءَ الْأَسْوَدَ. **﴿وَالسَّلاسِلُ﴾** بِالرَّفْعِ قِرَاءَةُ الْعَامَّةِ عَطْفًا عَلَى الْأَغْلَالِ. قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: **﴿يُسْحَبُونَ﴾** مُسْتَأْنَفٌ عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ. وَقَالَ غَيْرُهُ: هُوَ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ عَلَى الْحَالِ، وَالتَّقْدِيرُ: **﴿إِذِ الْأَغْلالُ فِي أَعْناقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ﴾** مَسْحُوبِينَ. وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَأَبُو الْجَوْزَاءِ وَعِكْرِمَةُ وَابْنُ مَسْعُودٍ" وَالسَّلاسِلَ" بِالنَّصْبِ" يَسْحَبُونَ" بِفَتْحِ الْيَاءِ وَالتَّقْدِيرُ فِي هَذِهِ الْقِرَاءَةِ وَيَسْحَبُونَ السَّلَاسِلَ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِذَا كَانُوا يَجُرُّونَهَا فَهُوَ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ. وَحُكِيَ عَنْ بَعْضِهِمْ" وَالسَّلَاسِلِ" بِالْجَرِّ وَوَجْهُهُ أَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى الْمَعْنَى، لِأَنَّ الْمَعْنَى أعناقهم في الأغلال والسَّلاسل " .

وقال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير" (٢٤/ ٢٠٢) : " وَالظَّرْفُ الَّذِي فِي قَوْلِهِ: **﴿إِذِ الْأَغْلالُ فِي أَعْناقِهِمْ﴾** مُتَعَلِّقٌ بِـ **﴿يَعْلَمُونَ﴾** ، أَيْ يَعْلَمُونَ فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ. وَشَأْنُ **﴿إِذْ﴾** أَنْ تَكُونَ اسْمًا لِلزَّمَنِ الْمَاضِي وَاسْتُعْمِلَتْ هُنَا لِلزَّمَنِ الْمُسْتَقْبَلِ بِقَرِينَةِ (سَوْفَ) فَهُوَ إِمَّا اسْتِعْمَالُ الْمَجَازِ بِعَلَاقَةِ الْإِطْلَاقِ، وَإِمَّا اسْتِعَارَةٌ تَبَعِيَّةٌ لِلزَّمَنِ الْمُسْتَقْبَلِ الْمُحَقَّقِ الْوُقُوعِ تَشْبِيهًا بِالزَّمَنِ الْمَاضِي وَقَدْ تَكَرَّرَ ذَلِكَ. وَمِنْهُ اقْتِرَانُهَا بِـ (يَوْمَ) فِي نَحْوِ قَوْلِهِ: **﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبارَها﴾** [الزلزلة: ٤] ، وَقَوْلِهِ: **﴿يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾** [الروم: ٤- ٥] . وَأَوَّلُ مَا يَعْلَمُونَهُ حِينَ تَكُونُ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ أَنَّهُمْ يَتَحَقَّقُونَ وُقُوعَ الْبَعْثِ.

وَ**﴿الْأَغْلَالُ﴾** : جَمْعُ غل، بِضَم الْعين، وَهُوَ حَلَقَةٌ مِنْ قِدٍّ أَوْ حَدِيدٍ تُحِيطُ بِالْعُنُقِ تُنَاطُ بِهَا سِلْسِلَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، أَوْ سَيْرٌ مِنْ قِدٍّ يُمْسَكُ بِهَا الْمُجْرِمُ وَالْأَسِيرُ.

﴿وَالسَّلَاسِلُ﴾ : جَمْعُ سِلْسِلَةٍ بِكَسْرِ السِّينَيْنِ وَهِيَ مَجْمُوعُ حِلَقٍ غَلِيظَةٍ مِنْ حَدِيدٍ مُتَّصِلٍ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ " .

وقال سبحانه: **﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ﴾** [الحاقة ٣٢] .

وقال الإمام الشَّوكاني في " فتح القدير" (٤/ ٤١٤) : " وَجُمْلَةُ **﴿إِنَّا جَعَلْنا فِي أَعْناقِهِمْ أَغْلالًا﴾** تَقْرِيرٌ لِمَا قَبْلَهَا مَثَّلَتْ حَالَهُمْ بِحَالِ الَّذِينَ غُلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ فَهِيَ أَيِ: الْأَغْلَالُ مُنْتَهِيَةٌ إِلَى الْأَذْقَانِ فَلَا يَقْدِرُونَ عِنْدَ ذَلِكَ عَلَى الِالْتِفَاتِ وَلَا يَتَمَكَّنُونَ مِنْ عَطْفِهَا، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ: **﴿فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾** ، أي: رافعون رؤوسهم غاضُّون أَبْصَارَهُمْ. قَالَ الْفَرَّاءُ وَالزَّجَّاجُ: الْمُقْمَحُ: الْغَاضُّ بَصَرَهُ بَعْدَ رَفْعِ رَأْسِهِ وَمَعْنَى الْإِقْمَاحِ رَفْعُ الرَّأْسِ وَغَضُّ

الْبَصَرِ، يُقَالُ أَقْمَحَ الْبَعِيرُ رَأْسَهُ وَقَمَحَ: إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ وَلَمْ يَشْرَبِ الْمَاءَ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: أَرَادَ اللهُ أَنَّ أَيْدِيَهُمْ لَمَّا غُلَّتْ عِنْدَ أَعْنَاقِهِمْ رَفَعَتِ الْأَغْلَالَ إِلَى أَذْقَانِهِمْ ورؤوسهم صعداء، فهم مرفوعو الرُّؤوس رفع الْأَغْلَالِ إِيَّاهَا. وَقَالَ قَتَادَةُ: مَعْنَى مُقْمَحُونَ: مَغْلُولُونَ، وَالْأَوَّلُ أَوْلَى " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ دُخَانِهَا وَشَرَرِهَا وَلَهَبِهَا ؟

الجواب :

جاء في تفسير مجاهد (ص٦٤٣) : **﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾** [الواقعة: ٤٣] ، قَالَ: " يَقُولُ: ظِلٌّ مِنْ دُخَانِ جَهَنَّمَ أَسْوَدَ هُوَ الْيَحْمُومُ " .

وعَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾** [الواقعة: ٤٣] ، قَالَ: «ظِلٌّ مِنْ دُخَانٍ» . انظر : تفسير عبد الرزاق (٣/ ٢٨٠) .

وقال الإمام الطَّبري في " التَّفسير" (٢٢/ ٣٣٤ فما بعدها) : " وَقَوْلُهُ: **﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾** [الواقعة: ٤٣] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَظِلٍّ مِنْ دُخَانٍ شَدِيدِ السَّوَادِ وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِكُلِّ شَيْءٍ وَصِفَتُهُ بِشِدَّةِ السَّوَادِ: أَسْوَدُ يَحْمُومٍ وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ.

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ: حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي الشَّوَارِبِ قَالَ: ثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ قَالَ: ثَنَا سُلَيْمَانُ الشَّيْبَانِيُّ قَالَ: ثَنِي يَزِيدُ بْنُ الْأَصَمِّ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، يَقُولُ فِي **﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾** [الواقعة: ٤٣] ، قَالَ: «هُوَ ظِلُّ الدُّخَانِ» حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ الْمُحَارِبِيُّ قَالَ: ثَنَا قَبِيصَةُ بْنُ لَيْثٍ، عَنِ الشَّيْبَانِيِّ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، مِثْلَهُ حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ قَالَ: ثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ قَالَ: سَمِعْتُ الشَّيْبَانِيَّ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، بِمِثْلِهِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ قَالَ: ثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ قَالَ: ثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الشَّيْبَانِيِّ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ **﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾** [الواقعة: ٤٣] ، قَالَ: «هُوَ الدُّخَانُ" .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ قَالَ: ثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ قَالَ: ثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ **﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾** [الواقعة: ٤٣] ، قَالَ: «الدُّخَانُ" .

حَدَّثَنِي عَلِيٌّ قَالَ: ثَنَا أَبُو صَالِحٍ قَالَ: ثَنِي مُعَاوِيَةُ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلَهُ: **﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾** [الواقعة: ٤٣] يَقُولُ: «مِنْ دُخَانٍ حَمِيمٍ" .

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى قَالَ: ثنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ: ثنَا شُعْبَةُ، عَنْ سِمَاكٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، أَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٣]، قَالَ: «الدُّخَانُ".

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ قَالَ: ثَنَا عَثَّامٌ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٣]، قَالَ: «دُخَانٍ حَمِيمٍ» حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى الْأُمَوِيُّ قَالَ: ثنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ بِمِثْلِهِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ قَالَ: ثنَا حَكَّامٌ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، ﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٣]، قَالَ: «الدُّخَانُ» قَالَ: ثنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، مِثْلَهُ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ: ثنَا أَبُو عَاصِمٍ قَالَ: ثنَا عِيسَى، وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ قَالَ: ثنَا الْحَسَنُ قَالَ: ثنَا وَرْقَاءُ، جَمِيعًا، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلَهُ: ﴿مِنْ يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٣]، قَالَ: «مِنْ دُخَانٍ حَمِيمٍ".

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ قَالَ: ثنَا مِهْرَانُ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ سُلَيْمَانَ الشَّيْبَانِيِّ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ ﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٣] قَالَا: «دُخَانٌ".

حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى قَالَ: ثنَا ابْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، ﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٣]، قَالَ: «مِنْ دُخَانٍ".

حَدَّثَنَا بِشْرٌ قَالَ ثنا يَزِيدُ قَالَ ثنا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، ﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٣] «كُنَّا نُحَدَّثُ أَنَّهَا ظِلُّ الدُّخَانِ".

حَدَّثَنِي يُونُسُ قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٣]، قَالَ: «ظِلُّ الدُّخَانِ دُخَانِ جَهَنَّمَ، زَعَمَ ذَلِكَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ".

وقال تعالى: ﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ * لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾ [المرسلات: ٣٠-٣١].

جاء في تفسير عبد الرزَّاق (٣/ ٣٨٠): "عَنِ الْكَلْبِيِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾، قَالَ: هُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩]، وَالسُّرَادِقُ: الدُّخَانُ، دُخَانُ النَّارِ قَدْ أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا، ثُمَّ تَفَرَّقَ فَكَانَ ثَلَاثَ شُعَبٍ، فَقَالَ: ﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾، شُعْبَةٌ هَاهُنَا، وَشُعْبَةٌ هَاهُنَا، وَشُعْبَةٌ هَاهُنَا ﴿لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾.

قال الإمام الطَّبري في " التَّفسير" (٢٣/ ٦٠٠-٦٠١) : " حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: ثنا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: ثنا عِيسَىٰ، وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: ثنا الْحَسَنُ، قَالَ: ثنا وَرْقَاءُ، جَمِيعًا عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلُهُ: ﴿إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ ، قَالَ: دُخَانُ جَهَنَّمَ .

حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَىٰ، قَالَ: ثنا ابْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، ﴿ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ ، قَالَ: هُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩] ، قَالَ: وَالسُّرَادِقُ: دُخَانُ النَّارِ، فَأَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا، ثُمَّ تَفَرَّقَ، فَكَانَ ثَلَاثَ شُعَبٍ، فَقَالَ: انْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ: شُعْبَةٌ هَهُنَا، وَشُعْبَةٌ هَهُنَا، وَشُعْبَةٌ هَهُنَا ﴿لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾ ...

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ [المرسلات: ٣٢] ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: إِنَّ جَهَنَّمَ تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ، فَقَرَأَ ذَلِكَ قُرَّاءُ الْأَمْصَارِ: ﴿كَالْقَصْرِ﴾ [المرسلات: ٣٢] بِجَزْمِ الصَّادِ. وَاخْتَلَفَ الَّذِينَ قَرَءُوا ذَلِكَ كَذَلِكَ فِي مَعْنَاهُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ وَاحِدُ الْقُصُورِ.

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ حَدَّثَنِي عَلِيٌّ، قَالَ ثنا أَبُو صَالِحٍ، قَالَ: ثني مُعَاوِيَةُ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ [المرسلات: ٣٢] يَقُولُ: كَالْقَصْرِ الْعَظِيمِ " ...

وروىٰ أحمد في " المسند" (١٢/ ٤٥٠ برقم ٧٤٨٠) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي مُنْخُرَيْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ، وَلَا يَجْتَمِعُ شُحٌّ وَإِيمَانٌ فِي قَلْبِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ " . قال الأرنؤوط : " صحيح بطرقه وشواهده، حصين بن اللجلاج، اختلف في اسمه، فقيل: خالد بن اللجلاج، وقيل: القعقاع بن اللجلاج، وقيل: أبو العلاء بن اللجلاج، لم يرو عنه غير صفوان بن أبي يزيد، وذكره ابن حبان في "الثقات"، وجهله المزي والذهبي وابن حجر، وصفوان بن أبي يزيد، ويقال: ابن يزيد، ويقال: ابن سليم، روىٰ عنه غير واحد، وذكره ابن حبان في "الثقات"، وقال ابن حجر في "التقريب": مقبول، يعني إذا توبع، وإلا فلين الحديث، ومحمد بن عمرو: هو ابن علقمة بن وقاص الليثي، وهو حسن الحديث. وأخرجه المزي في ترجمة حصين من "تهذيب الكمال" ٦/ ٥٣٢-٥٣٣ من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه، بهذا الإسناد. وأخرجه النسائي ٦/ ١٤ من طريق يزيد بن هارون، به. وأخرجه سعيد بن منصور في "سننه" (٢٤٠٢) ، وابن أبي شيبة ٥/ ٣٣٤ و٩/ ٩٧، وهناد في "الزهد" (٤٦٧) ، والبخاري في "تاريخه" ٤/ ٣٠٧، والنسائي ٦/ ١ من طرق عن محمد بن عمرو، به. وعند ابن أبي شيبة في الموضع الثاني الشطر الثاني من الحديث فقط، وعند النسائي الشطر الأول منه. وأخرجه النسائي ٦/ ١٤ من طريق عبيد الله بن أبي جعفر، عن صفوان بن أبي يزيد، عن أبي العلاء بن اللجلاج، عن أبي هريرة موقوفا. وأوردها البخاري ٤/ ٣٠٧. وعبيد الله بن أبي جعفر ثقة. وسيأتي الحديث مرفوعا برقم (٨٥١٢) و (٩٦٩٣) من طريق صفوان بن أبي يزيد، به. وأخرج الشطر الأول منه ابن أبي عاصم في "الجهاد" (١١٩) ، والطبراني في "الأوسط" (١٩٣٢) من طريق إسحاق بن إبراهيم الحنيني، عن مالك بن أنس، عن الزهري، عن الأعرج، عن أبي هريرة مرفوعا. وهذا الحديث تفرد به الحنيني عن مالك، وهو ضعيف. وسيأتي الحديث في "المسند" بشطريه برقم

(٨٤٧٩) من طريق سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، والشطر الأول منه سيأتي برقم (١٠٥٦٠) من طريق محمد بن عبد الرحمن مولى آل طلحة، عن عيسى بن طلحة، عن أبي هريرة. وله شاهد من حديث أنس بن مالك عند بحشل في "تاريخ واسط" ص ٦٩، وفي سنده ضعف. ويشهد للشطر الأول بنحو لفظه حديث أبي الدرداء، سيأتي في مسنده ٦/ ٤٤٣-٤٤٤. ويشهد له أيضا حديث عائشة عند ابن أبي عاصم في "الجهاد" (١٢٠) ، وفيه: شيخه وهو متروك. ولحديث عائشة لفظ آخر، سيأتي في مسندها ٦/ ٨٥، ونصه: "ما خالط قلب امرئ مسلم رهج في سبيل الله، إلا حرم الله عليه النار"، والرهج: الغبار. وله لفظ ثالث عند العقيلي في "الضعفاء" ٢/ ١٢٢، وابن الأعرابي في "معجمه" (١٥٦) ، ونصه: "من اغبرت قدماه في سبيل الله، فلن يلج النار أبدا"، وفي إسناديهما ضعف، لكنه يتحسن بما سيأتي في "المسند" ٣/ ٤٧٩ من حديث أبي عبس بن جبر، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "من اغبرت قدماه في سبيل الله عز وجل، حرمهما الله عز وجل على النار"، وهو في "صحيح البخاري" (٩٠٧) ، وستأتي بقية شواهده بهذا اللفظ في موضعه من "المسند". قوله: "ولا يجتمع شح وإيمان"، الشح: أشد البخل، قال السندي: أي: لا ينبغي للمؤمن أن يجمع بينهما، إذ الشح أبعد شيء من الإيمان، أو المراد بالإيمان كماله، أو المراد أنه قلما يجتمع الشح والإيمان، فاعتبر ذلك بمنزلة العدم، وأخبر بأنهما لا يجتمعان، ويؤيد الوجهين الأخيرين عطفه على ما سبق، ضرورة أن السابق خبر محض، وأيضا قد جاء في بعض الروايات: "لا يجمع الله تعالى الإيمان والشح في قلب مسلم"، والله تعالى أعلم " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ حَرَارَةِ النَّار ؟

الجواب : أخبر الله تعالى في القرآن العظيم أنَّ النَّار شديدة الحرارة ، وأنَّه زِيْدَ في إحمائها بحيث لا تُبقي ولا تذر ، قال تعالى : **﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾** [التكوير:١٢] .

قال الإمام الماوردي في " النُّكت والعيون" (٦/ ٢١٥) : " فيه ثلاثة تأويلات: أحدها: أحميت ، قاله السدِّي. الثَّاني: أُوقدت ، قاله معمر عن قتادة. الثَّالث: سعَّرها غضب الله وخطايا بني آدم ، قاله سعيد عن قتادة " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٩/ ٢٣٥) : " أَيْ : أُوقِدَتْ فَأُضْرِمَتْ لِلْكُفَّارِ وَزِيْدَ فِي إِحْمَائِهَا. يُقَالُ: سَعَّرْتُ النَّارَ وَأَسْعَرْتُهَا. وَقِرَاءَةُ الْعَامَّةِ بِالتَّخْفِيفِ مِنَ السَّعِيرِ. وَقَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ ذَكْوَانَ وَرُوَيْسٌ بِالتَّشْدِيدِ لِأَنَّهَا أُوقِدَتْ مدة بَعْدَ مَرَّةٍ. قَالَ قَتَادَةُ: سَعَّرَهَا غَضَبُ اللهَّ وَخَطَايَا بَنِي آدَمَ " .

وقال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " الجامع لأحكام القرآن" (٣٠/ ١٥٠) : " وَالْجَحِيمُ أَصْلُهُ: النَّارُ ذَاتُ الطَّبَقَاتِ مِنَ الْوَقُودِ مِنْ حَطَبٍ وَنَحْوِهِ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وَصَارَ عَلَمًا بِالْغَلَبَةِ عَلَى جَهَنَّمَ دَارِ الْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ فِي اصْطِلَاحِ الْقُرْآنِ، وَتَسْعِيرُهَا أَوْ إِسْعَارُهَا: إِيقَادُهَا، أَيْ هُيِّئَتْ لِعَذَابِ مَنْ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ. وَقَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ ذَكْوَانَ عَنِ ابْنِ عَامِرٍ وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ وَأَبُو جَعْفَرٍ وَرُوَيْسٌ عَنْ يَعْقُوبَ: سُعِّرَتْ بِتَشْدِيدِ الْعَيْنِ مُبَالَغَةً فِي الْإِسْعَارِ " .

وروى البخاري (٤/ ١٢١ برقم ٣٢٦٥) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ» ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً قَالَ: «فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا " .

قال الإمام العراقي في " رح التَّثريب في شرح التَّقريب " (٨/ ٢٧٥) : " قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْقُرْطُبِيُّ : مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّهُ لَوْ جُمِعَ كُلُّ مَا فِي الْوُجُودِ مِنْ النَّارِ الَّتِي يُوقِدُهَا بَنُو آدَمَ لَكَانَتْ جُزْءًا مِنْ أَجْزَاءِ جَهَنَّمَ الْمَذْكُورَةِ ، وَبَيَانُهُ : أَنَّهُ لَوْ جُمِعَ حَطَبُ الدُّنْيَا فَأُوقِدَ كُلُّهُ حَتَّى صَارَ نَارًا لَكَانَ الْجُزْءُ الْوَاحِدُ مِنْ أَجْزَاءِ نَارِ جَهَنَّمَ الَّذِي هُوَ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا أَشَدُّ مِنْ حَرِّ نَارِ الدُّنْيَا " .

وقال الإمام علي بن سلطان القاري في " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح " (٩/ ٣٦١٢) : " أَيْ إِنَّ هَذِهِ النَّارَ الَّتِي نَرَاهَا فِي الدُّنْيَا كَانَتْ كَافِيَةً فِي الْعُقْبَى لِاحْتِرَاقِ الْكُفَّارِ وَعُقُوبَةِ الْفُجَّارِ، فَهَلَّا اكْتُفِيَ بِهَا، وَلِأَيِّ شَيْءٍ زِيدَتْ فِي حَرِّهَا؟ (قَالَ: " فُضِّلَتْ) أَيْ نَارُ جَهَنَّمَ (عَلَيْهِنَّ) ؟ أَيْ عَلَى أَنْيَارِ الدُّنْيَا (بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهُنَّ) أَيْ حَرَارَةُ كُلِّ جُزْءٍ مِنْ تِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ (مِثْلُ حَرِّهَا) أَيْ مِثْلُ حَرَارَةِ نَارِكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَحَاصِلُ الْجَوَابِ مَنْعُ الْكِفَايَةِ، أَيْ لَا بُدَّ مِنَ التَّفَضُّلِ لِحِكْمَةِ كَوْنِ عَذَابِ اللهِ أَشَدَّ مِنْ عَذَابِ النَّاسِ؛ وَلِذَلِكَ أُوثِرَ ذِكْرُ النَّارِ عَلَى سَائِرِ أَصْنَافِ الْعَذَابِ فِي كَثِيرٍ مِنْ كُتُبِ السُّنَّةِ، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾** [البقرة: ١٧٥] ، وَقَوْلُهُ: **﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾** [البقرة: ٢٤] ، وَإِنَّمَا أَظْهَرَ اللهُ هَذَا الْجُزْءَ مِنَ النَّارِ فِي الدُّنْيَا أُنْمُوذَجًا لِمَا فِي تِلْكَ الدَّارِ.

قَالَ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ عَلَيْهِ رَحْمَةُ الْبَارِي فِي " الْإِحْيَاءِ ": اعْلَمْ أَنَّكَ أَخْطَأْتَ فِي الْقِيَاسِ، فَإِنَّ نَارَ الدُّنْيَا لَا تُنَاسِبُ نَارَ جَهَنَّمَ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ أَشَدُّ عَذَابٍ فِي الدُّنْيَا عَذَابَ هَذِهِ النَّارِ، عُرِفَ عَذَابُ جَهَنَّمَ بِهَا، وَهَيْهَاتَ لَوْ وَجَدَ أَهْلُ الْجَحِيمِ مِثْلَ هَذِهِ النَّارِ لَخَاضُوهَا هَرَبًا مِمَّا هُمْ فِيهِ " .

فالنَّار هي من الشِّدَّة بحيث لا تُبقي ولا تذر ، قال تعالى : **﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾** [المدثر:٢٨] ، قال الإمام الرَّازي في" التَّفسير" (٣٠/ ٧٠٨) : " وَاخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: هُمَا لَفْظَانِ مُتَرَادِفَانِ مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ، وَالْغَرَضُ مِنَ التَّكْرِيرِ التَّأْكِيدُ وَالْمُبَالَغَةُ كَمَا يُقَالُ: صَدَّ عَنِّي وَأَعْرَضَ عَنِّي. وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: لَا بُدَّ مِنَ الْفَرْقِ، ثُمَّ ذَكَرُوا وُجُوهًا أَحَدُهَا: أَنَّهَا لَا تُبْقِي مِنَ الدَّمِ وَاللَّحْمِ وَالْعَظْمِ شيئاً ، فإذا أعيدوا خلقاً جديداً فلا تَذَرُ أَنْ تُعَاوِدَ إِحْرَاقَهُمْ بِأَشَدَّ مِمَّا كَانَتْ، وَهَكَذَا أَبَدًا، وَهَذَا رِوَايَةُ عَطَاءٍ عَنِ ابْنِ عباس وثانيها: لا تبقي مِنَ الْمُسْتَحِقِّينَ

لِلْعَذَابِ إِلَّا عَذَّبَتْهُمْ، ثُمَّ لَا تَذَرُ مِنْ أَبْدَانِ أُولَئِكَ الْمُعَذَّبِينَ شَيْئًا إِلَّا أَحْرَقَتْهُ وَثَالِثُهَا: لَا تُبْقِي مِنْ أَبْدَانِ الْمُعَذَّبِينَ شَيْئًا، ثُمَّ إِنَّ تِلْكَ النِّيرَانَ لَا تَذَرُ مِنْ قُوَّتِهَا وَشِدَّتِهَا شَيْئًا إِلَّا وَتَسْتَعْمِلُ تِلْكَ القوة والشدة في تعذيبهم " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٩/ ٧٧) : ﴿**لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ**﴾ ، أَيْ : لَا تَتْرُكُ لَهُمْ عَظْمًا وَلَا لَحْمًا وَلَا دَمًا إِلَّا أَحْرَقَتْهُ. وَكَرَّرَ اللَّفْظَ تَأْكِيدًا. وَقِيلَ: لَا تُبْقِي مِنْهُمْ شَيْئًا ثُمَّ يُعَادُونَ خَلْقًا جَدِيدًا، فَلَا تَذَرُ أَنْ تُعَاوِدَ إِحْرَاقَهُمْ هَكَذَا أَبَدًا. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: لَا تُبْقِي مَنْ فِيهَا حَيًّا وَلَا تَذَرُهُ مَيِّتًا، تُحْرِقُهُمْ كُلَّمَا جُدِّدُوا. وَقَالَ السُّدِّيُّ: لَا تُبْقِي لَهُمْ لَحْمًا وَلَا تَذَرُ لَهُمْ عَظْمًا " .

حتَّىٰ أنَّها لتَّخلص إلىٰ الأفئدة فتأكلها وتبلعها، ثمَّ يُكسىٰ لحمًا جديدًا، فتُقبل عليه فتأكله، قال تعالىٰ : ﴿**الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ**﴾ [الهمزة: ٧] ، قال الإمام السَّمرقندي في " بحر العلوم" (٣/ ٦١٧) : " يعني: تأكل اللحم، حتىٰ تبلغ أفئدتهم. وقال القتبي: تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ أي: تشرف علىٰ الأفئدة، وخصَّ الأفئدة، لأنَّ الألم إذا وصل إلىٰ الفؤاد، مات صاحبه. فأخبر أنَّهم في حال من يموت، وهم لا يموتون " .

وقال الإمام الماوردي في " النُّكت والعيون" (٦/ ٣٣٧) : " ويحتمل اطِّلاعها علىٰ الأفئدة وجهين:

أَحَدُهُمَا: لتحسّ بألم العذاب مع بقاء الحياة ببقائها.

الثَّانِي: استدلَّ بما في قلوبهم من آثار المعاصي وعقاب علىٰ قدر استحقاقهم لألم العذاب ، وذلك بما استبقاه الله تعالىٰ من الإمارات الدالَّة عليه " .

وقال الإمام البغوي في " معالم التَّنزيل في تفسير القرآن " (٥/ ٣٠٤) : " أَيِ : الَّتِي يَبْلُغُ أَلَمُهَا وَوَجَعُهَا إِلَىٰ القلوب، والاطِّلاع والبلوغ التَّطلُّع بِمَعْنًىٰ وَاحِدٍ، يُحْكَىٰ عَنِ الْعَرَبِ مَتَىٰ طَلَعْتَ أَرْضَنَا ، أَيْ : بَلَغْتَ، وَمَعْنَىٰ الْآيَةِ: أَنَّهَا تَأْكُلُ كُلَّ شَيْءٍ مِنْهُ حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ فُؤَادِهِ، قَالَهُ الْقُرَظِيُّ وَالْكَلْبِيُّ " .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٣٢/ ٢٨٦) : " فَاعْلَمْ أَنَّهُ يُقَالُ: طَلَعَ الْجَبَلَ وَاطَّلَعَ عَلَيْهِ إِذَا عَلَاهُ، ثُمَّ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ وَجْهَانِ :

الْأَوَّلُ: أَنَّ النَّارَ تَدْخُلُ فِي أَجْوَافِهِمْ حَتَّىٰ تَصِلَ إِلَىٰ صُدُورِهِمْ وَتَطَّلِعَ عَلَىٰ أَفْئِدَتِهِمْ، وَلَا شَيْءَ فِي بَدَنِ الْإِنْسَانِ أَلْطَفُ مِنَ الْفُؤَادِ، وَلَا أَشَدُّ تَأَلُّمًا مِنْهُ بِأَدْنَىٰ أَذًىٰ يُمَاسُّهُ، فَكَيْفَ إِذَا اطَّلَعَتْ نَارُ جَهَنَّمَ وَاسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ. ثُمَّ إِنَّ

الْفُؤَادَ مَعَ اسْتِيلَاءِ النَّارِ عَلَيْهِ لَا يَحْتَرِقُ إِذْ لَوِ احْتَرَقَ لَمَاتَ، وَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ مِنْ قوله: **﴿لا يَمُوتُ فِيها وَلا يَحْيى﴾** [الأعلى: ١٣] ، وَمَعْنَى الِاطِّلَاعِ هُوَ أَنَّ النَّارَ تَنْزِلُ مِنَ اللَّحْمِ إِلَى الْفُؤَادِ.

وَالثَّانِي: أَنَّ سَبَبَ تَخْصِيصِ الْأَفْئِدَةِ بِذَلِكَ هُوَ أَنَّهَا مَوَاطِنُ الْكُفْرِ وَالْعَقَائِدِ الْخَبِيثَةِ وَالنِّيَّاتِ الْفَاسِدَةِ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ النَّارَ تَأْكُلُ أَهْلَهَا حَتَّى إِذَا اطَّلَعَتْ عَلَى أَفْئِدَتِهِمُ انْتَهَتْ، ثُمَّ إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُعِيدُ لَحْمَهُمْ وَعَظْمَهُمْ مَرَّةً أُخْرَى " .

وبلغت حرارتها من الشِّدَّة لدرجة أنَّ بعضها يأكل بعضاً، ويحطم بعضها بعضاً، وأشدُّ حرٍّ نجده في الصَّيف ما هو إلَّا نَفَس من أنفاسها، وأشدّ ما نجد من برد في الشِّتاء نَفَس من أنفاسها .

روى البخاري (٤/ ١٢٠ برقم ٣٢٦٠) ، مسلم (١/ ٤٣١ برقم ٦١٧) بسندهما عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ: نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ" .

قال الإمام ابن عبد البر في " الاستذكار " (١/ ١٠٢) : " وَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى مَا فَسَّرَهُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ قَالَ اشْتَكَتِ النَّارُ إلى ربِّها ، فقالت : يا رب أكل بعضي بَعْضًا فَخَفِّفْ عَنِّي ، قَالَ : فَخَفَّفَ عَنْهَا وَجَعَلَ لَهَا كُلَّ عَامٍ نَفَسَيْنِ ، فَمَا كَانَ مِنْ بَرْدٍ يُهْلِكُ شَيْئًا فَهُوَ مِنْ زَمْهَرِيرِهَا ، وَمَا كَانَ مِنْ سَمُومٍ يُهْلِكُ شَيْئًا فَهُوَ مِنْ حَرِّهَا . فَقَوْلُهُ : "مِنْ زَمْهَرِيرٍ" يُهْلِكُ شَيْئًا وَحَرٍّ يُهْلِكُ شَيْئًا يُفَسِّرُ مَا أُشْكِلَ مِنْ ذَلِكَ لِكُلِّ ذِي فَهْمٍ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ نَفَسَهَا فِي الشِّتَاءِ غَيْرُ الشِّتَاءِ وَنَفَسَهَا فِي الصَّيْفِ غَيْرُ الصَّيْفِ لِقَوْلِهِ نَفَسٌ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٌ فِي الصَّيْفِ " .

وقال الإمام القرطبي في " التَّذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة" (ص٨٦٤-٨٦٥) : " قوله: " اشْتَكَتِ النَّارُ " شكواها إلى ربِّها بأن أكل بعضها بعضاً محمول على الحقيقة لا على المجاز، إذ لا إحالة في ذلك.

وليس من شرط الكلام عند أهل السُّنَّة في القيام بالجسم إلَّا الحياة ، وأمَّا البِنْيَة واللسان والبَلَهُ، فليس من شرطه وليس يحتاج في الشَّكوى إلى أكثر من وجود الكلام.

وأمَّا الاحتجاج في قوله عليه السَّلام: «احتَجَّتِ النَّارُ وَالجَنَّة» فلا بدَّ فيه من العلم والتَّفطُّن للحجَّة.

وقيل: إنَّ ذلك مجاز عبَّر عنه بلسان الحال، كما قال عنترة:

فازوَرَّ من وقع القنا بلبانه　　　وشكا إليَّ بعبرة وتحمحم

وقال آخر:

شكا إليَّ جملي طول السّرىٰ　　صبراً جميلاً فكلانا مبتلىٰ

والأوَّل أصحُّ ، إذ لا استحالة في ذلك، وقد قال تعالىٰ وهو أصدق القائلين : **﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفاصِلِينَ﴾** [الأنعام:٥٧] ، وقد تقدَّم من كلامها: لا إله إلَّا الله وعزَّتك وجلالك، وقال : **﴿كَلاَّ إِنَّها لَظى * نَزَّاعَةً لِلشَّوى * تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى * وَجَمَعَ فَأَوْعى﴾** [المعارج:١٥-١٨] ، أي : أدبر عن الإيمان، **﴿وَتَوَلَّى﴾** ، أي : أعرض عن اتِّباع الحقّ ، ﴿وَجَمَعَ﴾ يعني المال، **﴿فَأَوْعَى﴾** ، أي : جعله في الوعاء أي كنزه ولم ينفقه في طاعة الله تعالىٰ.

قال ابن عبَّاس: تدعو المنافق والكافر بلسان فصيح ثمَّ تلتقطهم كما يلتقط الطَّائر الحبَّ .

قلت: قول ابن عبَّاس هذا قد جاء معناه مرفوعاً، وهو يدلُّ علىٰ أنَّ المراد بالشَّكوىٰ والحجَّة الحقيقة" .

وقال الإمام العراقي في " طرح التَّثريب في شرح التَّقريب " (٢/ ١٦١) : " فِيهِ فَوَائِدُ:

(الْأُولَى) اسْتَدَلَّ بِهِ عَلَىٰ أَنَّ قَوْلَهُ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَقَدِّمِ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ، وَهُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ كَمَا تَقَدَّمَ لِكَوْنِهِ صَرَّحَ فِيهِ بِشَكْوَىٰ النَّارِ إلَىٰ رَبِّهَا مِنْ أَكْلِ بَعْضِهَا بَعْضًا وَإِذْنِهِ لَهَا بِنَفَسَيْنِ، وَأَنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ ذَلِكَ النَّفَسِ، وَهَذَا لَا يُمْكِنُ مَعَهُ الْحَمْلُ عَلَىٰ الْمَجَازِ، وَلَوْ حَمَلْنَا شَكْوَىٰ النَّارِ عَلَى الْمَجَازِ؛ لِأَنَّ الْإِذْنَ لَهَا فِي التَّنَفُّسِ وَنَشْأَةِ شِدَّةِ الْحَرِّ عَنْهُ لَا يُمْكِنُ فِيهِ التَّجَوُّزُ ، وَاَللَّهُ أَعْلَمُ.

(الثَّانِيَةُ) إنْ قُلْت: قَوْلُهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَشَدُّ مَا يَكُونُ مِنْ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ أَخَصُّ مِنْ قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَقَدِّمِ: فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ؛ لِأَنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ بَعْضُهَا أَشَدُّ مِنْ بَعْضٍ فَمُقْتَضَىٰ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ لَا يَكُونُ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ إلَّا مَا هُوَ أَشَدُّ.

(قُلْت) لَا يُرَادُ بِأَشَدِّ مَا يَكُونُ مِنْ الْحَرِّ التَّحْقِيقُ، فَإِنَّهُ لَا يَصْدُقُ ذَلِكَ إلَّا عَلَىٰ شَيْءٍ يَسِيرٍ لَا يُوجَدُ إلَّا فِي بَعْضِ أَيَّامِ السَّنَةِ وَفِي بَعْضِ الْبِلَادِ ، فَلَا يُؤْمَرُ حِينَئِذٍ بِالْإِبْرَادِ بِصَلَاةِ الظُّهْرِ إلَّا فِي تِلْكَ الْحَالَةِ وَلَا قَائِلَ بِهِ، وَإِنَّمَا يُرَادُ بِذَلِكَ التَّقْرِيبُ ، فَمَا قَارَبَ مَا هُوَ أَشَدُّ جُعِلَ مِنْ الْأَشَدِّ أَوْ يُرَادُ الْأَشَدُّ الَّذِي يَكُونُ غَالِبًا دُونَ الْأَشَدِّ الَّذِي لَا يُوجَدُ إلَّا نَادِرًا ، فَيَسْتَوِي حِينَئِذٍ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ شِدَّةُ الْحَرِّ وَأَشَدُّ الْحَرِّ . وَحَكَىٰ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي " الِاسْتِذْكَارِ " عَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: فَمَا كَانَ مِنْ بَرْدٍ يُهْلِكُ شَيْئًا فَهُوَ مِنْ زَمْهَرِيرِهَا، وَمَا كَانَ مِنْ

سَمُومٍ يُهْلِكُ شَيْئًا فَهُوَ مِنْ حَرِّهَا ، قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: وَالشِّدَّةُ أَيِ الْمَذْكُورَةُ فِي الْحَدِيثِ مَعْنَى قَوْلِ الْحَسَنِ ، انْتَهَى . فَبَيَّنَ هَذَا الْكَلَامُ أَنَّ ضَابِطَ شِدَّةِ الْبَرْدِ، وَالْحَرِّ مَا يُهْلِكُ شَيْئًا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ " .

وروى مسلم (٤/ ٢١٦٢ برقم ٢٨٠٧) بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ " .

وروى الطَّبراني في " المعجم الكبير" (٩/ ٢٠٢ برقم ٨٩٨٨) بسنده عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: «تَطْلُعُ الشَّمْسُ مِنْ جَهَنَّمَ فِي قَرْنِ شَيْطَانٍ، وَبَيْنَ قَرْنِ شَيْطَانٍ، فَمَا تَرْتَفِعُ فِي السَّمَاءِ قَصْمَةً إِلَّا فُتِحَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ، فَإِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا كُلُّهَا» . قال الهيثمي في " " (١/ ٣٠٧ برقم ١٧٠٤) : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ، وَلَهُ طَرِيقٌ تَأْتِي فِي الْأَوْقَاتِ الَّتِي يُكْرَهُ فِيهَا الصَّلَاةُ " .

وروى البخاري (١/ ١١٣ برقم ٥٣٣) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَنَافِعٌ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ: أَنَّهُمَا حَدَّثَاهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا اشْتَدَّ الحَرُّ فَأَبْرِدُوا عَنِ الصَّلاَةِ، فَإِنَّ شِدَّةَ الحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ " .

قال الإمام العراقي في " طرح التَّثريب في شرح التَّقريب " (٢/ ١٥٧-١٥٨) : " وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي قَوْلِهِ: فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ هَلْ هُوَ حَقِيقَةٌ أَوْ مَجَازٌ ، فَحَمَلَهُ الْجُمْهُورُ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، وَقَالُوا: إنَّ وَهَجَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ ، وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ الْآتِي : «اشْتَكَتْ النَّارُ إلَى رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ " .

وَقِيلَ: إنَّهُ كَلَامٌ خَرَجَ مَخْرَجَ التَّشْبِيهِ ، أَيْ : كَأَنَّهُ نَارُ جَهَنَّمَ فِي الْحَرِّ فَاجْتَنِبُوا ضَرَرَهُ . قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: وَكِلَا الْوَجْهَيْنِ ظَاهِرٌ ، وَحَمْلُهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ أَوْلَى، وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: الْقَوْلُ الْأَوَّلُ يَعْضُدُهُ عُمُومُ الْخِطَابِ وَظَاهِرُ الْكِتَابِ، وَهُوَ أَوْلَى بِالصَّوَابِ ، انْتَهَى.

وَعَلَى تَقْدِيرِ حَمْلِهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ فَفِيهِ أَنَّ النَّارَ مَخْلُوقَةٌ الْآنَ مَوْجُودَةٌ، وَهَذَا إجْمَاعٌ مِمَّنْ يُعْتَدُّ بِهِ إلَّا أَنَّ الْمُعْتَزِلَةَ قَالُوا: إنَّهَا إنَّمَا تُخْلَقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْأَدِلَّةُ السَّمْعِيَّةُ مُتَوَافِرَةٌ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ هُنَاكَ مَنْ قَالَ بِفَنَاءِ النَّارِ وَأَنَّ أَهْلَهَا غَيْر مُخَلَّدِيْنَ فِيْهَا ؟

الجواب : بقاء النَّار ودوام عذاب الكفرة فيها دائم ، وهم مخلَّدون فيها أبد الدَّهر ، وقد دلَّت على ذلك عشرات الآيات القرآنيَّة الكريمة ، وكذا أحاديث الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقام عليه إجماع الأُمَّة

وممَّا يَدلُّ على ذلك قوله تعالىٰ : **﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾** [الحج:٢٢] ، ومعنىٰ الآية : أنَّهم كلَّما أرادوا أن يخرجوا منها من غمّ فخرجوا ، أُعيدوا فيها . ومعنىٰ الخروج ما يروىٰ عن الحسن : أنَّ النَّار تضربهم بلهبها فترفعهم ، حتىٰ إذا كانوا في أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفاً ... انظر : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (٣/ ١٥٠) ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٤/ ٦٨) ، الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ٢٨) .

وقوله تعالىٰ : **﴿وَقالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَما تَبَرَّؤُا مِنَّا كَذلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمالَهُمْ حَسَراتٍ عَلَيْهِمْ وَما هُمْ بِخارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾** [البقرة:١٦٧] .

قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن " (٢/ ٢٠٧) : " قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿وَما هُمْ بِخارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾** دَلِيلٌ عَلَىٰ خُلُودِ الْكُفَّارِ فِيهَا وَأَنَّهُمْ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا. وَهَذَا قَوْلُ جَمَاعَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ، لِهَذِهِ الْآيَةِ " .

وقوله : تعالىٰ : **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً * إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها أَبَداً وَكانَ ذلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً﴾** [النساء : ١٦٨-١٦٩] .

قال الإمام الألوسي في " روح المعاني" (٣/ ١٩٧) : " وقوله تعالىٰ : **﴿أَبَداً﴾** نصب على الظَّرفيَّة رافع احتمال أن يراد بالخلود المكث الطَّويل وَكانَ ذلِكَ ، أي : انتفاء غفرانه وهدايته سبحانه إيَّاهم وطرحهم في النَّار إلى الأبد عَلَى الله يَسِيراً سهلاً لا صارف له عنه ، وهذا تحقير لأمرهم وبيان لأنَّه تعالىٰ لا يعبأ بهم ولا يبالي " .

وقوله تعالىٰ : **﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَما هُمْ بِخارِجِينَ مِنْها وَلَهُمْ عَذابٌ مُقِيمٌ﴾** [المائدة : ٣٧] .

قال الإمام ابن عطيَّة في " المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز "(٢/ ٢١٨) " في تفسيرها : " ... وأخبر تعالىٰ عن هؤلاء الكفَّار أنَّهم ليسوا بخارجين من النَّار بل عذابهم فيها مقيم متأبِّد " .

وقوله تعالىٰ : **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْها لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِياطِ وَكَذلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾** [الأعراف : ٤٠] .

قال الإمام القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن" (٧/ ٢٠٦) : " قَوْلُهُ: **﴿وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِياطِ﴾** وَالْجَمَلُ لَا يَلِجُ فَلَا يَدْخُلُونَهَا الْبَتَّةَ. وَهَذَا دَلِيلٌ قَطْعِيٌّ لَا يَجُوزُ الْعَفْوُ عَنْهُمْ. وَعَلَىٰ هَذَا أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الْخَطَأُ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَا يَغْفِرُ لَهُمْ وَلَا لِأَحَدٍ مِنْهُمْ " .

وقوله تعالى : ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء : ٩٧] .

قال الإمام القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن" (١٠/ ٣٣٤) : " يُقَالُ: خَبَتِ النَّارُ تَخْبُو خَبْوًا ، أَيْ : طَفِئَتْ، وَأَخْبَيْتُهَا أَنَا. ﴿زِدْناهُمْ سَعِيراً﴾ أي : نار تَتَلَهَّبُ. وَسُكُونُ الْتِهَابِهَا مِنْ غَيْرِ نُقْصَانٍ فِي آلَامِهِمْ وَلَا تَخْفِيفٍ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهِمْ. وَقِيلَ: إِذَا أَرَادَتْ أَنْ تَخْبُوَ " .

وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذابَها كانَ غَراماً﴾ [الفرقان : ٦٥] .

قال الإمام القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن" (١٣/ ٧٢) في تفسيرها : " أَيْ : لَازِماً دَائِماً غَيْرَ مُفَارِقٍ " .

وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها أَبَداً﴾ [الجن : ٢٣] . قال صاحب " روح البيان " (١٠/ ٢٠٠) في تفسيرها : " أي : في النَّار أو في جهنَّم ، والجمع باعتبار المعنى ﴿أَبَدًا﴾ بلا نهاية ، فهو دفع لأن يراد بالخلود المكث الطَّويل" .

وقوله تعالى : ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذاباً﴾ [النبأ: ٣٠] .

قال الإمام ابن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير" (٣٠/ ٤٢-٤٣) في تفسيرها : " ... وَالْمَعْنَى : فَسَنَزِيدُكُمْ عَذَاباً زِيَادَةً مُسْتَمِرَّةً فِي أَزْمِنَةِ الْمُسْتَقْبَلِ ، فَصِيغَ التَّعْبِيرُ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى بِهَذَا التَّرْكِيبِ الدَّقِيقِ ، إِذِ ابْتُدِئَ بِنَفْيِ الزِّيَادَةِ بِحَرْفِ تَأْبِيدِ النَّفْيِ وَأُرْدِفَ الِاسْتِثْنَاءُ الْمُقْتَضِي ثُبُوتَ نَقِيضِ حُكْمِ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ لِلْمُسْتَثْنَى ، فَصَارَتْ دِلَالَةُ الِاسْتِثْنَاءِ عَلَى مَعْنَى : سَنَزِيدُكُمْ عَذَابًا مُؤَبَّداً . وَهَذَا مِنْ تَأْكِيدِ الشَّيْءِ بِمَا يُشْبِهُ ضِدَّهُ ، وَهُوَ أُسْلُوبٌ طَرِيفٌ مِنَ التَّأْكِيدِ إِذْ لَيْسَ فِيهِ إِعَادَةُ لَفْظٍ ، فَإِنَّ زِيَادَةَ الْعَذَابِ تَأْكِيدٌ لِلْعَذَابِ الْحَاصِلِ.

وَلَمَّا كَانَ الْمَقْصُودُ الْوَعِيدَ بِزِيَادَةِ الْعَذَابِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ جِيءَ فِي أُسْلُوبِ نَفْيِهِ بِحَرْفِ نَفْيِ الْمُسْتَقْبَلِ ، وَهُوَ (لَنْ) الْمُفِيدُ تَأْكِيدَ النِّسْبَةِ الْمَنْفِيَّةِ وَهِيَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ مَجْمُوعُ النَّفْيِ وَالِاسْتِثْنَاءِ ، فَإِنَّ قَيْدَ تَأْبِيدِ نَفْيِ الزِّيَادَةِ الَّذِي يُفِيدُهُ حَرْفُ (لَنْ) فِي جَانِبِ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ يَسْرِي إِلَى إِثْبَاتِ زِيَادَةِ الْعَذَابِ فِي جَانِبِ الْمُسْتَثْنَى ، فَيَكُونُ مَعْنَى جُمْلَةِ الِاسْتِثْنَاءِ : سَنَزِيدُكُمْ عَذَابًا أَبداً ، وَهُوَ مَعْنَى الْخُلُودِ فِي الْعَذَابِ . وَفِي هَذَا الْأُسْلُوبِ ابْتِدَاءٌ مُطْمِعٌ بِانْتِهَاءٍ مُؤَيِسٍ وَذَلِكَ أَشَدُّ حُزْناً وَغَمّاً بِمَا يُوهِمُهُمْ أَنَّ مَا أُلْقُوا فِيهِ هُوَ مُنْتَهَى التَّعْذِيبِ حَتَّى إِذَا وَلَج ذَلِكَ أَسْمَاعَهُمْ فَحَزِنُوا لَهُ ، أُتْبِعَ بِأَنَّهُمْ يَنْتَظِرُهُمْ عَذَابٌ آخَرُ أَشَدُّ ، فَكَانَ ذَلِكَ حُزْناً فَوْقَ حَزَنٍ ، فَهَذَا مِنْوَالُ هَذَا النَّظْمِ وَهُوَ مُؤَذِّنٌ بِشِدَّةِ الْغَضَبِ " .

وفي كتابه " فتح الباري" (١١/ ٤٢١) ذكر الإمام ابن حجر العديد من الأحاديث التي تدلُّ على خلود أهل النَّار في النَّار ، قال بعدها : " قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : وَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ التَّصْرِيحُ بِأَنَّ خُلُودَ أَهْلِ النَّار فِيهَا لَا إِلَىٰ غَايَةِ أَمَدٍ ، وَإِقَامَتَهُمْ فِيهَا عَلَىٰ الدَّوَامِ بِلَا مَوْتٍ وَلَا حَيَاةٍ نَافِعَةٍ وَلَا رَاحَةٍ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ : **﴿لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾** [فاطر:٣٦] ، وَقَالَ تَعَالَىٰ : **﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا اعيدوا فِيهَا﴾** [الحج:٢٢] ، قَالَ : فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُمْ يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَأَنَّهَا تَبْقَىٰ خَالِيَةً أَوْ أَنَّهَا تَفْنَىٰ وَتَزُولُ فَهُوَ خَارِجٌ عَنْ مُقْتَضَىٰ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ " .

وقال الإمام المناوي في " فيض القدير شرح الجامع الصَّغير" (٦/ ٢٤١) : "وهذا صريح في أنَّ الجنَّة أبديَّة لا تفنىٰ والنَّار مثلها ، وزعم جهم بن صفوان أنَّهما فانيتان ، لأنَّهما حادثتان ، ولم يتابعه أحد من الإسلاميِّين ، بل كفَّروه به ، وذهب بعضهم إلى إفناء النَّار دون الجنَّة ، وأطال ابن القيِّم كشيخه ابن تيمية في الانتصار له في عدَّة كراريس ، وقد صار بذلك أقرب إلى الكفر منه إلى الإيمان لمخالفته نصَّ القرآن ، وختم بذلك كتابه الذي في وصف الجنان ، فكان من قبيل خبر : " إِنَّ أَحَدَكُمْ يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ لَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، ثُمَّ يُدْرِكُهُ مَا سَبَقَ لَهُ فِي الْكِتَابِ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّار فَيَدْخُلُ النَّار" ، وقد سلف عن الزَّمخشري في ذلك ما فيه بلاغ فراجعه ، وقد قال السُّبكي في ابن تيمية : هو ضالٌّ مضل " .

ومن المعلوم أنَّ القول بفناء النَّار هو أحد المزالق الخطيرة التي وقع فيها ابن تيمية – غفر الله له– مع العلم أنَّ تلميذه ابن القيِّم انتصر له في هذه المسألة في كتابيه : "حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح " (ص٢٥٣ فما بعدها) ، مطبعة المدني، القاهرة ، "شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتَّعليل "(ص٢٥٥٧ فما بعدها) ، تحقيق : محمَّد بدر الدِّين أبو فراس النَّعساني الحلبي ، دار الفكر ، بيروت ، (١٣٩٨هـ) ، (١٩٧٨م) .

وقد ذكر الدُّكتور سعيد فودة في تحقيقه لكتاب "رسالة في الرَّدِّ على ابن تيمية في مسألة حوادث لا أوَّل لها" للعلَّامة الأخميمي (ص٩٧) " أنَّ لابن تيمية تصنيفاً مستقلَّاً في هذه المسألة ، ذكره تلميذه ابن القيِّم والصَّفدي في : "الوافي بالوفيات" (٧/ ٢٦) ، وابن شاكر في "فوات الوفيات" (١/ ٧٨) ، وغيرهم . وأنَّ لهذا التَّصنيف نسخة مخطوطة تامَّة ضمن مجموع محفوظ في مكتبة تشتر بيتي تحت الرقم (٣٤٠٦) (٦) ...

ومن الجدير بالذِّكر هنا أنَّ المتمسِّحون بالسَّلف قاموا ببتر وشطب جزء كبير جداً من كتاب " الصَّواعق المُرسلة في الرَّدِّ على الجهميَّة والمعطِّلة " لشيخهم محمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب بن سعد شمس الدِّين ابن قيِّم

الجوزيَّة ، لا سيَّما كلامه عن فناء النَّار ، لكن فضح فعلهم هذا تلميذه الموصلي الذي أثبت القول في " مختصر الصَّواعق" فيما يقارب خمسين صفحة ...

والحقّ أنَّ الآيات لتي دلَّت على خلود الكفرة في النَّار كثيرة ، وقد ذكر عدداً كثيراً منها الإمام السُّبكي في كتابه : "الاعتبار ببقاء الجنَّة والنَّار" والذي ردَّ فيه على ابن تيمية في زعمه بفناء النَّار.

وكذا ردَّ عليه الإمام الصَّنعاني في كتاب : "رفع الأستار لإبطال أدلَّة القائلين بفناء النَّار" وقد قام الشَّيخ الألباني –رحمه الله– بتحقيق هذا الكتاب ، وقال في مقدِّمته له : "فأخذت في البطاقات نظراً وتقليباً ، عمَّا قد يكون فيها من الكنوز بحثاً وتفتيشاً ، حتى وقعت عيني على رسالة للإمام الصَّنعاني تحت اسم "رفع الأستار لإبطال أدلَّة القائلين بفناء النَّار" في مجموع رقم الرِّسالة فيه (٢٦١٩) ، فطلبته ، فإذا فيه عدَّة رسائل ، هذه الثَّالثة منها ، فدرستها دراسة دقيقة واعية ، لأنَّ مؤلِّفها الإمام الصَّنعاني رحمه الله تعالى ردَّ فيها على شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيِّم ميلهما إلى القول بفناء النَّار ، بأسلوب علمي رصين دقيق ، من غير عصبيَّة مذهبيَّة ، ولا متابعة أشعريَّة !!! ولا معتزليَّة ، كما قال هو نفسه رحمه الله تعالى في آخرها . وقد كنت تعرَّضت لردِّ قولهما هذا منذ أكثر من عشرين سنة بإيجاز في : "سلسلة الأحاديث الضَّعيفة" في المجلَّد الثَّاني منه (ص٧١-٧٥) بمناسبة تخريجي فيه بعض الأحاديث المرفوعة ، والآثار الموقوفة التي احتجَّا ببعضها على ما ذهبا إليه من القول بفناء النَّار ، وبيَّنت هناك وهاءها ، وأنَّ لابن القيِّم قولاً آخر ، وهو أنَّ النَّار لا تفنى أبداً ، وأنَّ لابن تيمية قاعدة في الرَّدِّ على من قال بفناء الجنَّة والنَّار.

وكنت توهَّمت يومئذ أنَّه يلتقي فيه مع ابن القيِّم في قوله الآخر ، فإذا بالمؤلِّف الصَّنعاني يبيِّن بما نقله عن ابن القيِّم ، أنَّ الرَّد المُشار إليه ، إنَّما يعني الرَّدّ على من قال بفناء الجنَّة فقط من الجهميَّة دون من قال بفناء النَّار ، وأنَّه هو نفسه – أعني ابن تيمية– يقول بفنائها ، وليس هذا فقط وأنَّ أهلها يدخلون بعد ذلك جنَّات تجري من تحتها الأنهار.

وذلك واضح كلّ الوضوح في الفصول الثَّلاثة التي عقدها ابن القيِّم لهذه المسألة الخطيرة في كتابه "حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح" (٢/١٦٧-٢٢٨) ، وقد حشد فيها من خيل الأدلَّة ورجِلها ، وكثيرها وقليلها ، ودقّها وجلّها ، وأجرى فيها قلمه ، ونشر فيها عمله ، وأتى بكلِّ ما قدر عليه من قال وقيل ، واستنفر كلَّ قبيل وجيل ، كما قال المؤلِّف رحمه الله ، ولكنَّه أضفى بهذا الوصف على ابن تيمية وابن القيِّم أولى به

وأحرى ، لأنَّنا من طريقه عرفنا رأي ابن تيمية في هذه المسألة ، وبعض أقواله فيها ، وأمَّا حشد الأدلَّة المزعومة وتكثيرها ، فهي من ابن القيِّم وصياغته ، وإنَّ كان ذلك لا ينفي عنه أنَّه تلقَّى ذلك كلّه أو جلّه من شيخه في بعض مجالسه " .

ثم إنَّ الألباني قال في (ص٢٥) : "فكيف يقول ابن تيمية : ولو قدِّر عذاب لا آخر له لم يكن هناك رحمة البتَّة!! فكأنَّ الرحَّمة عنده لا تتحقَّق إلَّا بشمولها للكفَّار المعاندين الطَّاعنين !! أليس هذا من أكبر الأدلَّة على خطأ ابن تيمية وبُعده هو ومن تبعه عن الصَّواب في هذه المسألة الخطيرة " . انظر : موسوعة الإمام محمد ناصر الدين الألباني «موسوعة تحتوي على أكثر من (٥٠) عملاً ودراسة حول العلامة الألباني وتراثه الخالد ، الألباني ، (٩/ ٤٣٩-٤٤٠) ، صَنَعَهُ : شادي بن محمد بن سالم آل نعمان ، نشر : مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة ، صنعاء ، اليمن ، الطبعة: الأولى، ١٤٣١هـ ،٢٠١٠م .

ومن العجيب أنَّنا رأينا في هذه الأيام كتاباً لرجل معاصر مقلِّد لابن تيمية وهو يردُّ فيه على الألباني في تعدِّيه بزعمه على ابن القيِّم وابن تيمية سمَّاه " القول المختار لبيان فناء النَّار " واسم مؤلِّفه : عبد الكريم صالح الحميد ، طبع مطبعة السَّفير ، الرِّياض ، (١٤١٢هـ) ، وخلاصة ما تضمَّنه الكتاب المُشار إليه في النِّقاط التَّالية :

(١) اتَّهم الكاتب الألبانيَّ – صاحب الحقّ في هذه المسألة – بأنَّه تكلَّم بحقِّ ابن القيِّم وابن تيمية بما لا يصلح ، وأنَّه سقط بما سقط به أهل البدع والأهواء من الغلو في التَّأويل ، وأنَّ ابن القيِّم قد انتصر لشيخه في ذلك.

(٢) كما اتَّهم الكاتب الشَّيخ الألبانيَّ بأنَّه يعيب على ابن تيمية حشده لكلِّ ما يتوهَّمه من الأدلَّة ، وأنَّه يتكلَّف في الرَّدِّ على الأدلَّة المخالفة له تكلُّفاً ظاهراً.

(٣) كما اتَّهم الكاتب الشَّيخ الألبانيَّ بأنَّه بلغ الأمر بابن تيمية وتلميذه ابن القيِّم إلى تحكيم العقل فيما لا مجال فيه ، كما يفعل المعتزلة تماماً ، حتى زعم أنَّ تأويل المعتزلة والأشاعرة لآيات وأحاديث الصِّفات كاستواء الله على عرشه ، ونزوله إلى السَّماء ، ومجيئه يوم القيامة ، وغير ذلك من التَّأويل أيسر من تأويل ابن القيِّم للنُّصوص من أجل القول بفناء النَّار.

(٤) وأخيراً ، أوضح الكاتب بأنَّ الباعث له على الكتابة هو الدِّفاع عن ابن تيمية وابن القيِّم ، وبيان أنَّ الحق معهما في قولهما بفناء النَّار ... " . انظر : مجموع رسائل السقاف (ص١٨-٢٠ باختصار) .

والنَّاظر في مجموع الأدلَّة التي استدلُّوا بها على ما ذهبوا إليه من القول بفناء النَّار ، يرى أنَّها انطوت على سفسطة من الكلام ، ولعلَّ أبرز دليل استدلُّوا به هو قوله تعالى : **﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقالَ أَوْلِياؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنا قالَ النَّارُ مَثْواكُمْ خالِدِينَ فِيها إِلاَّ مَا شاءَ اللهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾** [الأنعام: ١٢٨] ، وقوله تعالى : **﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خالِدِينَ فِيها مَا دامَتِ السَّماواتُ وَالْأَرْضُ إِلاَّ مَا شاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ﴾** [هود: ١٠٦ – ١٠٧] .

وقال الإمام القرطبي في " التَّذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة" (ص٩٢٠) : " أجمع أهل السُّنَّة على أنَّ أهل النَّار مخلَّدون فيها غير خارجين منها: كإبليس، وفرعون، وهامان، وقارون، وكلُّ من كفر وتكبَّر وطغى، فإنَّ له جهنَّم لا يموت فيها ولا يحيا.

وقد وعدهم الله عذاباً أليماً، فقال عزَّ وجلَّ : **﴿كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ﴾** [النساء:٥٦] .

وأجمع أهل السُّنَّة أيضاً على أنَّه لا يبقى فيها مؤمن ولا يخلَّد إلَّا كافر جاحد، فاعلم.

قلت: وقد زلَّ هنا بعض من ينتمي إلى العلم والعلماء ، فقال: إنَّه يخرج من النَّار كلّ كافر ومبطل وجاحد ويدخل الجنَّة، فإنَّه جائز في العقل أن تنقطع صفة الغضب فيعكس عليه فيقال: وكذلك جائز في العقل أن تنقطع صفة الرَّحمة فيلزم عليه أن يدخل الأنبياء والأولياء النَّار يعذَّبون فيها، وهذا فاسد مردود بوعده الحقّ وقوله الصِّدق، قال الله تعالى في حقِّ أهل الجنان: **﴿عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾** [هود:١٠٨] ، أي: غير مقطوع، وقال : **﴿وَما هُمْ مِنْها بِمُخْرَجِينَ﴾** [الحجر:٤٨] ، وقال: **﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾** [فصلت:٨] ، وقال: **﴿لَهُمْ فِيها نَعِيمٌ مُقِيمٌ * خالِدِينَ فِيها أَبَداً﴾** [التوبة:٢١-٢٢] ، وقال في حقِّ الكافرين : **﴿وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِياطِ﴾** [الأعراف:٤٠] ، وقال: **﴿فَالْيَوْمَ لا يُخْرَجُونَ مِنْها وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾** [الجاثية:٣٥] ، وهذا واضح، وبالجملة فلا مدخل للمعقول فيما اقتطع أصله الإجماع والرَّسول **﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ﴾** [النور:٤٠] .

وفي كتابه "البراهين السَّاطعة" (ص٢٨٣ فما بعدها) تكفَّل الإمام العزّامي بالرَّدِّ على أدلَّتهم ، فقال : "فإن قلت : فما معنى قوله تعالى في سورة الأنعام في خطاب الكفَّار يوم القيامة : ﴿ **النَّارُ مَثْواكُمْ خالِدِينَ فِيها إِلاَّ مَا شاءَ اللهُ** ﴾ [الأنعام: ١٢٨] .

قلت : معنى هذا الاستثناء في الكلام العزيز : المبالغة في أنَّ خلودهم أبدي في دار العذاب ، لا مخلِّص لهم منه البتَّة إلَّا أن يشاء الله خلاصهم منه ، وهو ممَّا لا يشاؤه ، كما قال : ﴿**إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ**﴾ [النساء: ١٣٧] ، وكما قال : ﴿**لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ**﴾ [النساء: ١٣٧] ، وكما قال : ﴿**وَما هُمْ بِخارِجِينَ مِنْها**﴾ [المائدة: ٣٧] ، ولكنه أخرجه مخرج الاستثناء وعلى صورة الإطماع لهم تهكُّماً بهم ، وتشديداً للأمر عليهم ببيان أنَّ ذلك الخلاص الذي يطلبونه ليس مربوطاً إلَّا بمشيئته وحده ، وهو لا يشاؤه ، وفيه من الفوائد غير ما ذكر ، أنَّ الأمور كلّها مربوطة بمشيئته ، لا يجب عليه منها شيء ، فلو شاء ألَّا يخلّدهم في دار العذاب خلوداً أبديَّاً لفعل ، ولكنَّه لا يشاء ذلك كما أخبر عن نفسه.

وإلى هذه الفائدة أشار الحبر ابن عبَّاس فيما روى علي بن أبي طلحة عنه أنَّه قال في قوله : ﴿**إِلاَّ مَا شاءَ اللهُ**﴾ [الأنعام : ١٢٨] : " إنَّ هذه الآية آية لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه ألَّا ينزلهم جنَّة ولا ناراً " ومعناه : أنَّه لا يجب عليه إدخال المؤمنين الجنَّة ولا إدخال الكافرين النَّار ، بل ذلك راجع إلى محض مشيئته ، فما شاء كان ، ولم يرد رضي الله عنه أنَّا لا نحكم على الكافرين بتأبيد عذابهم في دار العقاب وتخليد المؤمنين إلى غير النِّهاية في دار النَّعيم ، فإنَّ هذا الحكم على الفريقين ليس حكماً منَّا على الله ، وإنَّما هو حكم منا بما أخبر الله به عن نفسه أنَّه فاعله لا محالة . فهكذا ينبغي أن تفهم كلام الحبر ، وإيَّاك وما قال الجاهلون فيه.

وكذلك القول في قوله تعالى في سورة هود في خلود الأشقياء في النَّار أبداً والسُّعداء في الجنَّة أبداً : ﴿**إِلاَّ مَا شاءَ رَبُّكَ**﴾ [هود : ١٠٧] : المقصود منه تأكيد الدَّوام والأبديَّة ببيان أنه لا يقطع تلك الأبديَّة للفريقين وداريهما إلَّا مشيئته وحده وقد أعلمهم في غير ما آية من كتابه أنَّه لا يشاء قطع تلك الأبديَّة ، كما قال في الجنَّة وأهلها ، ﴿**أُكُلُها دائِمٌ وَظِلُّها تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا**﴾ [الرعد: ٣٥] ، وكما قال في أصحاب النَّار وفي عذابها : ﴿**إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذابِ جَهَنَّمَ خالِدُونَ * لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ**﴾ [الزخرف : ٧٤-٧٥] ، أي : يائسون من الفرج أبد الآباد ، نعوذ بالله من ذلك ، فمعنى الكلام : أنَّ أهل الشَّقاء من الكفَّار خالدون في النَّار أبداً إلَّا الوقت الذي يشاء الله خلاف ذلك فيه ، وأنَّ هذا الوقت الذي تقع فيه تلك المشيئة غير كائن

البتَّة ، وأنَّ أهل الجنَّة خالدون فيها أبداً إلَّا الزَّمان الذي يشاء الله فيه قطع تلك الأبديَّة ، وأنَّ هذا الزَّمان الذي تحصل فيه تلك المشيئة لا يوجد قطعاً . ومن فوائد الاستثناء في الآيتين : الإعلام بأنَّ الأمر في الثَّواب والعقاب ودوامهما مربوط بمحض مشيئته لا لوجوب عليه سبحانه ولا تحتم ، فإنَّ العظمة الإلهيَّة أرفع من ذلك وأعلى . ولمَّا كان ممَّا يستبعده الجاهلون تأبيد العذاب والمعذَّبين ، ولا سيَّما إذا كانت دار العذاب هي النَّار ، وقد أخبرهم أنه فاعل ذلك لا محالة بمشيئته ، دفع ذلك الاستبعاد بخاتمة الآية الأولى ، وهي قوله سبحانه : ﴿**إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ**﴾ [هود :١٠٧] . مهما كان المراد بعيداً في أنظار القاصرين عن معرفة سعة القدرة الربَّانيَّة وعظم نفوذ الإرادة الإلهيَّة ، فليس شيء على ذلك الجناب ببعيد ، وزاد عزَّ وجلَّ أهل الجنَّة طمأنينة على أنَّ مشيئة انقطاع نعيمهم غير واقعة منه سبحانه في وقت من الأوقات ، فقال وله الحمد : ﴿**عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**﴾ [هود : ١٠٨] ، يعني : غير مقطوع.

قال المولى أبو السُّعود في تفسير قوله : ﴿**إِلاَّ مَا شاءَ رَبُّكَ**﴾ [هود : ١٠٧] في الآية الأولى : "يعني أنَّهم مستقرُّون في النَّار في جميع الأزمنة إلَّا في زمان مشيئة الله تعالى لعدم قرارهم فيها ، وإذ لا إمكان لتلك المشيئة ولا لزمانها بحكم النُّصوص القاطعة الموجبة للخلود ، فلا إمكان لانتهاء مدَّة قرارهم فيها ، ولدفع ما عسى أن يتوهَّم من كون استحالة تعلُّق مشيئة الله تعالى بعدم الخلود بطريق الوجوب على الله تعالى قال : ﴿**إِلاَّ مَا شاءَ رَبُّكَ**﴾ [هود : ١٠٧] ، يعني أنَّه في تخليد الأشقياء في النَّار بحيث يستحيل وقوع خلافه ، فعال بموجب إرادته ، قاض بمقتضى مشيئته الجارية على سنن حكمته الدَّاعية إلى ترتيب الأجزية على أفعال العباد " أهـ.

ومن أهل العلم من جعل الاستثناء من الخلود في عذاب النَّار ونعيم الجنَّة ، وذلك بأنَّ أهل النَّار لا يخلَّدون في عذاب النَّار وحده ، بل يعذَّبون بالزَّمهرير ، وبأنواع من العذاب سوى عذاب النَّار ، وبما هو أغلظ منها كلّها ، وهو سخط الله عليهم وخسؤه لهم بقوله سبحانه لهم : ﴿**اخْسَؤُا فِيها وَلا تُكَلِّمُونِ**﴾ [المؤمنون : ١٠٨] ، وإهانته إيَّاهم ، وكذلك أهل الجنَّة لهم سوى الجنَّة ما هو أكبر منها وأجلّ موقعاً منهم ، وهو رضوان الله كما قال تعالى : ﴿**وَرِضْوانٌ مِنَ اللهِّ أَكْبَرُ**﴾ [التوبة : ٧٢] ، وكشف الحجاب عنهم ، وإباحتهم النَّظر إلى ذاته العليَّة ، كما قال تعالى : ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ * إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ**﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] ، وكما قال النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ " . أخرجه مسلم (١/ ١٦٣ برقم ١٨١)

ومعنى قوله : ﴿**إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ**﴾ [هود :١٠٧] : أنَّه يفعل بأهل النَّار ما يريد من أنواع العذاب ، وعذاب النَّار وسواه لا مانع لما أراده ، وعلى هذا الوجه الثَّاني اقتصر الزَّمخشري ، وعلى هذين الوجهين في تفسير الآيتين الكريمتين .

فالمراد من ﴿**الَّذِينَ شَقُوا**﴾ [هود: ١٠٦] : مَنْ مات كافراً ، ومن ﴿**الَّذِينَ سُعِدُوا**﴾ [هود:١٠٨] : مَنْ مات مؤمناً ، وإن كان فاسقاً ، فإنَّ الأوَّلين في النَّار خالدون في دار عقابهم أبداً ودارهم باقية أبداً ، والآخرون مشتركون في الحكم بخلودهم في الجنَّة أبداً ، وإن اختلفوا في ابتداء الدُّخول كما تدلُّ عليه صحاح الأحاديث" .

وأخيراً أرى أنَّ من المناسب ذكر رسالة الإمام الحافظ أبي الحسن تقي الدِّين علي بن عبد الكافي السُّبكي " الاعتبار ببقاء الجنَّة والنَّار " التي ردَّ بها على ابن تيمية في نفيه الخلود في النَّار تبعاً لجهم بن صفوان ، وتبعه في ذلك تلميذه ابن قيِّم الجوزيَّة ، فقد كفى ووفى وشفى ...

قال الإمام تقي الدِّين السُّبكي : بسم الله الرَّحمن الرَّحيم :

الحمد لله ربِّ العالمين وصلَّى الله على سِّيدنا محمَّد وآله وصحبه وسلَّم. وبعد فإنَّ اعتقاد المسلمين أنَّ الجنَّة والنَّار لا تفنيان ، وقد نقل أبو محمَّد بن حزم الإجماع على ذلك ، وأنَّ من خالفه كافر بإجماع، ولا شكَّ في ذلك ، فإنَّه معلوم من الدِّين بالضّرورة ، وتواردت الأدلَّة عليه، قال الله تعالى : ﴿**بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّار هُمْ فِيها خالِدُونَ**﴾ [البقرة:٨١] ، وقال تعالى :﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَماتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهَّ وَالْملائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خالِدِينَ فِيها لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ**﴾ [البقرة:١٦١-١٦٢] ، ، وقال تعالى : ﴿**وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كافِرٌ فَأُولئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّار هُمْ فِيها خالِدُونَ**﴾ [البقرة:٢١٧] ، ، وقال تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ أُولئِكَ أَصْحابُ النَّار هُمْ فِيها خالِدُونَ**﴾ [البقرة:٢٥٧] ، وقال تعالى : ﴿**خالِدِينَ فِيها لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ تابُوا**﴾ [آل عمران:٨٨-٨٩] ، وقال تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللهَّ شَيْئاً وَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّار هُمْ فِيها خالِدُونَ**﴾ [ال عمران :١١٦] ، وقال تعالى : ﴿**وَمَنْ يَعْصِ اللهَّ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خالِداً فِيها**﴾ [النساء:١٤] ، وقال تعالى : ﴿**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِيها**﴾ [النساء :٩٣] ، وقال تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللهَّ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً * إِلاَّ**

طَرِيقَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها أَبَداً﴾ [النساء:١٦٨-١٦٩] ، وقال تعالى : ﴿النَّار مَثْواكُمْ خالِدِينَ فِيها إِلاَّ مَا شاءَ اللهُ﴾ [الأنعام:١٢٨] ، وقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْها أُولئِكَ أَصْحابُ النَّار هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ [الأعراف:٣٦] ، وقال تعالى : ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحادِدِ اللهَّ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِداً﴾ [التوبة:٦٣] ، وقال تعالى : ﴿وَعَدَ اللهُّ الْمُنافِقِينَ وَالْمُنافِقاتِ وَالْكُفَّارَ نارَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللهُّ وَلَهُمْ عَذابٌ مُقِيمٌ﴾ [التوبة:٦٨] ، وقال تعالى : ﴿كَأَنَّما أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً أُولئِكَ أَصْحابُ النَّار هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ [يونس:٢٧] ، وقال تعالى : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّار لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَالْأَرْضُ إِلاَّ مَا شاءَ رَبُّكَ﴾ [هود:١٠٦-١٠٧] ، وقال تعالى : ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولئِكَ الْأَغْلالُ فِي أَعْناقِهِمْ وَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّار هُمْ فيها خالِدُونَ﴾ [الرعد:٥] ، وقال تعالى : ﴿فَادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل:٢٩] ، وقال تعالى : ﴿لَوْ كانَ هؤُلاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوها وَكُلٌّ فِيها خالِدُونَ﴾ [الأنبياء:٩٩] ، وقال تعالى : ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ فَأُولئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خالِدُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٣] ، وقال تعالى : ﴿وَذُوقُوا عَذابَ الْخُلْدِ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٤] ، وقال تعالى : ﴿يُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهاناً﴾ [الفرقان:٦٩] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ اللهَّ لَعَنَ الْكافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً * خالِدِينَ فِيها أَبَداً﴾ [الأحزاب:٦٤-٦٥] ، وقال تعالى : ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر:٧٢] ، وقال تعالى : ﴿ذلِكَ جَزاءُ أَعْداءِ اللهَّ النَّارُ لَهُمْ فِيها دارُ الْخُلْدِ﴾ [فصلت:٢٨] ، وقال تعالى : ﴿كَمَنْ هُوَ خالِدٌ فِي النَّارِ﴾ [محمد:١٥] ، وقال تعالى : ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللهَّ شَيْئاً أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ [المجادلة:١٧] ، وقال تعالى : ﴿فَكانَ عاقِبَتَهُما أَنَّهُما فِي النَّارِ خالِدَيْنِ فِيها﴾ [الحشر:١٧] ، وقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآياتِنا أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ خالِدِينَ فِيه﴾ [التغابن:١٠] ، وقال تعالى : ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَّ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها أَبَداً﴾ [الجن:٢٣] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نارِ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها﴾ [البينة:٦] .

فهذه أربع وثلاثون ءاية فيها لفظ الخلود وما اشتقّ منه أربع مع التَّأبيد، والآيات التي فيها معناه كثيرة أيضاً. كقوله تعالى : ﴿فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ﴾ [البقرة:٨٦] ، وقوله تعالى : ﴿لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ﴾ [البقرة:١٦٢] ، وقوله تعالى : ﴿وَما هُمْ بِخارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧] ، وقوله تعالى : ﴿وَما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ

خَلاقٍ﴾ [البقرة:٢٠٠] ، وقوله تعالى : ﴿وَما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ﴾ [آل عمران:٢٢] ، وقوله تعالى : ﴿كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها﴾ [النساء:٥٦] ، وقوله تعالى : ﴿وَلا يَجِدُونَ عَنْها مَحِيصاً﴾ [النساء:١٢١] ، وقوله تعالى : ﴿وَما هُمْ بِخارِجِينَ مِنْها وَلَهُمْ عَذابٌ مُقِيمٌ﴾ [المائدة:٣٧] ، وقوله تعالى : ﴿لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ﴾ [هود:٨] ، وقوله تعالى : ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ﴾ [هود:١١] ، وقوله تعالى حكاية عنهم : ﴿مَا لَنا مِنْ مَحِيصٍ﴾ [إبراهيم٢١] ، وقوله تعالى : ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها وَبِئْسَ الْقَرارُ﴾ [إبراهيم:٢٩] ، وقوله تعالى : ﴿اخْسَؤُا فِيها وَلا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون:١٠٨] ، وقوله تعالى : ﴿أُولئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾ [العنكبوت:٢٣] ، وقوله تعالى : ﴿فَالْيَوْمَ لا يُخْرَجُونَ مِنْها﴾ [الجاثية:٣٥] ، وقوله تعالى : ﴿كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيها﴾ [الحج:٢٢] ، وقوله تعالى : ﴿كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها أُعِيدُوا فِيها﴾ [السجدة:٢٠] ، وقوله تعالى : ﴿لا يُقْضى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذابِها﴾ [فاطر:٣٦] ، وقوله تعالى : ﴿مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيراً﴾ [الإسراء:٩٧] ، وقوله تعالى : ﴿فَالْيَوْمَ لا يُخْرَجُونَ مِنْها وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الجاثية:٣٥] ، وقوله تعالى : ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِنَ الْعَذابِ * قالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّناتِ قالُوا بَلى قالُوا فَادْعُوا وَما دُعاءُ الْكافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ﴾ [غافر:٤٩-٥٠] ، وقوله تعالى : ﴿أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذابٍ مُقِيمٍ﴾ [الشورى:٤٥] ، وقوله تعالى : ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هاهُنا حَمِيمٌ * وَلا طَعامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة:٣٥-٣٦] ، وقال تعالى : ﴿فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذاباً﴾ [النبأ:٣٠] ، وقال تعالى : ﴿ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيها وَلا يَحْيى﴾ [الأعلى:١٣] ، وقال تعالى : ﴿نارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾ [البلد:٢٠] ، وقال تعالى : ﴿وَما هُمْ عَنْها بِغائِبِينَ﴾ [الانفطار:١٦] .

وغيرها من الآيات كثير في هذا المعنى جدّاً ، وذلك يمنع من احتمال التَّأويل ويوجب القطع بذلك، كما أنَّ الآيات الدالَّة على البعث الجسماني لكثرتها يمتنع تأويلها، وَمَنْ أوَّلها حكمنا بكفره بمقتضى العلم جملة.

وكذلك الأحاديث متظاهرة جدّاً على ذلك، كقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَءالِهِ وَسَلَّم " : " مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ شَرِبَ سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا " أخرجه البخاري (٧/ ١٣٩ برقم ٥٧٧٨) ، مسلم (١/ ١٠٣ برقم ١٠٩) ، واللفظ له . متَّفق عليه من حديث أبي سعيد، وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَءالِهِ وَسَلَّم : " أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ " صحيح من حديث أبي سعيد . أخرجه مسلم (١/ ١٧٢ برقم ١٨٥) .

وقوله عليه السَّلام : " إِذَا صَارَ أَهْلُ الجَنَّةِ إِلَى الجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ لاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لاَ مَوْتَ " . أخرجه البخاري (٨/ ١١٣ برقم ٦٥٤٨) .

وفي رواية صحيحة : " فخلود فلا موت وفي الجنَّة مثل ذلك" .

وقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ [البقرة:٨٢] ، وقال تعالى : ﴿قُلْ أَأُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَأَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوانٌ مِنَ اللهِّ﴾ [آل عمران:١٥] ، وقال تعالى : ﴿لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢] ، وقال تعالى : ﴿لكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها نُزُلاً مِنْ عِنْدِ اللهِّ﴾ [آل عمران:١٩٨] ، وقال تعالى : ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَّ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء:١٣] ، وقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً وَعْدَ اللهَّ حَقًّا﴾ [النساء:١٢٢] ، وقال تعالى : ﴿فَأَثابَهُمُ اللهَّ بِما قالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها﴾ [المائدة:٨٥] ، وقال تعالى : ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً﴾ [المائدة:١١٩] ، وقال تعالى : ﴿أَعَدَّ اللهَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها﴾ [التوبة:٨٩] ، وقال تعالى : ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَالْأَنْصارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِيَ اللهَّ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً﴾ [التوبة:١٠٠]، وقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَأَخْبَتُوا إِلى رَبِّهِمْ أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ [هود:٢٣] ، وقال تعالى : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَزِيادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ [يونس:٢٦] ، وقال تعالى : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَالْأَرْضُ إِلاَّ مَا شاءَ رَبُّكَ عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٨] ، وقال تعالى : ﴿أُكُلُها دائِمٌ وَظِلُّها﴾ [الرعد:٣٥] ، وقال تعالى : ﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [إبراهيم:٢٣] ، وقال تعالى : ﴿لا يَمَسُّهُمْ فِيها نَصَبٌ وَما هُمْ مِنْها بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر:٤٨] ، وقال تعالى : ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً * ماكِثِينَ فِيهِ أَبَداً﴾ [الكهف:٢-٣] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ كانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً *خالِدِينَ فِيها لا يَبْغُونَ عَنْها حِوَلاً﴾ [الكهف:١٠٧-١٠٨] ، وقال تعالى : ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي

مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَذلِكَ جَزاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴾ [طه:٧٦] ، وقال تعالى : ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خالِدُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٢] ، وقال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ [المؤمنون:١١] ، وقال تعالى : ﴿قُلْ أَذلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [الفرقان:١٥] ، وقال تعالى : ﴿خالِدِينَ فِيها حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقاماً﴾ [الفرقان:٧٦] ، وقال تعالى : ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها﴾ [العنكبوت:٥٨] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ * خالِدِينَ فِيها وَعْدَ اللهِ حَقًّا﴾ [لقمان:٨-٩] ، وقال تعالى : ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خالِدِينَ﴾ [الزمر:٧٣] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصلت:٨] ، وقال تعالى : ﴿وَفِيها مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ [الزخرف:٧١] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ خالِدِينَ فِيها جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف:١٣-١٤] ، وقال تعالى : ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها﴾ [الفتح:٥] ، وقال تعالى : ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ [الإنسان:١٩] ، وقال تعالى : ﴿بُشْراكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد:١٢] ، وقال تعالى : ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المجادلة:٢٢] ، وقال تعالى : ﴿ذلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ [ق:٣٤] ، وقال تعالى : ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ صالِحاً يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التغابن:٩] ، وقال تعالى : ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ صالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللهُ لَهُ رِزْقاً﴾ [الطلاق:١١] ، وقال تعالى : ﴿أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [البينة:٧-٨] .

فهذه الآيات التي استحضرناها في بقاء الجنَّة والنَّار ، وبدأنا بالنَّار لأنَّا وقفنا على تصنيف لبعض أهل العصر في فنائها ، وقد ذكرنا نحو مائة ءاية منها نحو من ستِّين في النَّار ونحو من أربعين في الجنَّة ، وقد ذكر الخلد أو ما اشتقَّ منه في أربع وثلاثين في النَّار وثمان وثلاثين في الجنَّة ، وذكر التَّصريح بعدم الخروج أو معناه في أكثر من ثلاثين، وتضافر هذه الآيات ونظائرها يفيد القطع بإرادة حقيقتها ومعناها ، وأنَّ ذلك ليس ممَّا استعمل فيه الظَّاهر في غير المراد به ، ولذلك أجمع المسلمون على اعتقاد ذلك ، وتلقّوه خلفاً عن

سلف عن نبيِّهم النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو مركوز في فِطرة المسلمين ، معلوم من الدِّين بالضّرور ،ة بل وسائر الملل غير المسلمين يعتقدون ذلك ، ومن ردَّ ذلك فهو كافر ، ومن تأوَّله فهو كمن تأوَّل الآيات الواردة في البعث الجسماني ، وهو كافر أيضاً بمقتضىٰ العلم ، وإن كنت لا أُطلق لساني بذلك.

وقد وقفت علىٰ التَّصنيف المذكور ، وذكر فيه ثلاثة أقوال في فناء الجنَّة والنَّار :

أَحَدُهَا : أنَّهما تفنيان ، وقال : إنَّه لم يقل به أحد من السَّلف.

وَالثَّانِي : أنَّهما لا تفنيان.

وَالثَّالِثُ : أنَّ الجنَّة تبقىٰ والنَّار تفنىٰ ومال إلىٰ هذا واختاره، وقال: إنَّه قول السَّلف، ومعاذ الله وأنا أبرئ السَّلف عن ذلك ، ولا اعتقد أنَّ أحداً منهم قاله ، وإنَّما روي عن بعضهم كلمات تتأوَّل كما تتأوَّل المشكلات التي ترد ، وتحمل علىٰ غير ظاهرها ، فكما أنَّ الآيات والأحاديث يقع فيها ما يجب تأويله كذلك كلام العلماء يقع فيه ما يجب تأويله ، ومن جاء إلىٰ كلمات ترد عن السَّلف في ترغيب أو ترهيب أو غير ذلك فأخذ بظاهرها وأثبتها أقوالاً ضلَّ وأضلّ ، وليس ذلك من دأب العلماء ، ودأب العلماء التَّنقير عن معنىٰ الكلام ، والمراد به ، وما انتهىٰ إلينا عن قائله ، فإذا تحقَّقنا أنَّ ذلك مذهبه واعتقاده نسبناه إليه ، وأمَّا بدون ذلك فلا ، ولا سيَّما في مثل هذه العقائد التي المسلمون مطبقون فيها علىٰ شيء كيف يعمد إلىٰ خلاف ما هم عليه ينسبه إلىٰ جلَّة المسلمين وقدوة المؤمنين ، ويجعلها مسألة خلاف كمسألة في باب الوضوء !!! ما أبعد من صنع هذا عن العلم والهدىٰ ، وهذه بدعة من أنحس البدع وأقبحها ، أضلَّ الله من قالها علىٰ علم.

فإن قلت: قد قال الله تعالىٰ : ﴿**لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً**﴾ [النبأ:٢٣] ، قلت: هو جمع منكر يصدق علىٰ القليل والكثير وعلىٰ ما لا نهاية له، فإن قلت : هو جمع قلَّة لأنَّ أفعالاً من جموع القلَّة، قلت: قد تجمع القلَّة بجمع الكثرة ، وأيضاً فالحقب الزَّمان ، والزَّمان يصدق علىٰ القليل والكثير ، فإذا كان المفرد كذلك فما ظنُّك بالجمع، فإن قلت: قد قيل إنَّ الحقب ثمانون سنة ، السَّنة ثلثمائة وستُّون يوماً ، اليوم كألف سنة ممَّا تعدُّون اليوم منها كالدُّنيا كلّها. قلت: إذا صحَّ ذلك فغاية الأخبار بأنَّهم لابثون فيها ذلك ، ولا يدلُّ علىٰ نفي الزِّيادة إلَّا بالمفهوم ، والمنطوق يدلُّ علىٰ التَّأييد ، والمنطوق مقدَّم علىٰ المفهوم، هذا إن جعلنا أحقاباً ءاخر الكلام ، وقد جعله الزَّجَّاج وغيره موصوفاً بقوله : ﴿**لَا يَذُوقُونَ فِيها بَرْداً وَلا شَراباً**﴾ [النبأ:٢٤] ، وعلىٰ هذا لا يبقىٰ فيه متعلَّق البتَّة.

فإن قلت: قد روي عن الحسن الأحقاب لا يدري أحد ما هي ، ولكن الحقب سبعون ألف سنة اليوم منها كألف سنة ممَّا تعدُّون. قلت: إن ثبت ذلك عنه يرجع الجواب إلى بعض ما تقدَّم من الصِّفة أو إلغاء المفهوم أو أنَّ الذي لا يتناهى ، يقال : إنَّه لا يدري أحد ما هو ، وإن كان يدري أنَّه لا يتناهى ، فإنَّ دراية عدم العدد يلزم منها عدم دراية العدد، فإن قلت: قد قال هذا المصنِّف : إنَّ قول الحسن لا يدري ما هي يقتضي أنَّ لها عدداً والله أعلم به ، ولو كانت لا عدد لها لعلم كُلُّ أحد أنَّه لا عدد لها، قلت: إنَّ قوله لا يدري ما هي يقتضي أنَّ لها عدداً ليس بصحيح ، لأنَّه لم يقل : لا يدري عددها ، بل قال : لا يدري ما هي ، وما هي أعمّ المطالب ، فيدخل فيه المتناهي وغير المتناهي ، وقوله : ولو كانت لا عدد لها لعلم كُلُّ أحد بذلك ، فقد يعلمه بعض النَّاس دون بعض، والحاصل أنَّ الأحقاب قيل محدودة ، وهو قول الزَّجَّاج القائل بأنَّ **﴿لَا يَذُوْقُوْنَ﴾** صفة"، وقيل غير محدودة ، وقيل الآية منسوخة بقوله تعالى : **﴿فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذاباً﴾** [النبأ:٣٠] ، ولا يُستبعد النَّسخ في الأخبار ولا سيَّما مثل هذا ، فإنَّ هذا ممَّا يقبل التَّغيير ، وهو أمر مستقبل ، والأكثرون على أنَّها غير محدودة ، وأنَّ المراد : كلَّما مضى حقب جاء حقب.

فإن قلت: فما تقول فيما روي عن الحسن البصري أنَّه سئل عن هذه الآية فقال: الله أعلم بالأحقاب فليس فيها عدد إلَّا الخلود؟ قلت: قول صحيح لا يخالف لما تقدَّم ، وتصريحه بالخلود بين مراده. فإن قلت: فقد قال هذا المصنِّف : إنَّ قول الحسن حقٌّ ، فإنَّهم خالدون فيه ،ا لا يخرجون منها ما دامت باقية. قلت: قوله : إنَّ قول الحسن حقٌّ صحيح، وأمَّا فهمه إيَّاه وتفسيره الخلود بعدم الخروج منها ما دامت باقية فليس بصحيح، وليس ذلك بخلود ، فإنَّك إذا قلت : فلان خالد في هذه الدَّار الفانية لا يصحُّ ، وحقيقة الخلود التَّأبيد ، وقد يستعمل في المكث الطَّويل مجازاً ، وأمَّا استعماله في الخلود في مكان إلى حين فنائه ، فهذا معنى ثالث لم يسمع من العرب .

فإن قلت: ما تقول في قول من قال : إنَّ الآية في عصاة المؤمنين . قلت: ضعيف لقوله : **﴿إِنَّهُمْ كانُوا لا يَرْجُونَ حِساباً * وَكَذَّبُوا بِآياتِنا كِذَّاباً﴾** [النبأ:٢٧-٢٨] ، اللهمَّ إلَّا أن نجعلها عامَّة ، ويكون التَّعليل ليس للجميع بل لبعضهم ، وقد يجيء في الكلام الفصيح مثل ذلك أو يراد بالطَّاغي الكفَّار ، فإنَّها مرصاد لهم ، والعصاة فيها تبع لهم ، فجاء قوله : **﴿لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً﴾** [النبأ:٢٣] ، للتَّابعين والمتبوعين جميعاً ، ثمَّ جاء التَّعليل للمتبوعين لأنَّهم الأصل.

فإن قلت: قوله تعالىٰ في سورة الأنعام : ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقالَ أَوْلِياؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنا قالَ النَّار مَثْواكُمْ خالِدِينَ فِيها إِلاَّ مَا شاءَ اللّٰهُ﴾ [الأنعام:١٢٨] ، وأولياؤهم هم الكفَّار لقوله : ﴿وَإِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيائِهِمْ﴾ [الأنعام:١٢١] ، وقوله في سورة هود في أهل الجنَّة وأهل النَّار : ﴿إِلاَّ مَا شاءَ رَبُّكَ﴾ [هود:١٠٧،١٠٨] ، علىٰ ماذا يحمل إذا كانتا باقيتين؟

قلت: قد تكلَّم النَّاس في ذلك وأكثروا ، وذكر أبو عمرو الدَّاني في تصنيف له في ذلك سبعة وعشرين قولاً ، ليس فيها أنَّ الكفَّار يخرجون من النَّار ، وإنَّما أقوال أخر ، منها : أنَّه استثناء المدَّة التي قبل دخولهم أو الأزمنة التي يكون أهل النَّار فيها في الَّزمهرير ونحوه ، وأهل الجنَّة فيها هو أعلىٰ منها من رضوان الله وما لا يعلمه إلَّا هو ، أو أنَّه استثناء معلَّق بالمشيئة ، وهو لا يشاء خروجهم ، فهو أبلغ في التَّأبيد ، أو أنَّ ﴿إِلَّا﴾ بمعنىٰ الواو ، كقوله : إلَّا الفرقدان ، أو أنَّها بمعنىٰ سوىٰ ، حكاه الكوفيُّون ، كقوله : ﴿إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء:٢٢] ، وقوله : ﴿لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلاَّ اللّٰهُ لَفَسَدَتا﴾ [الأنبياء:٢٢] ، أو أنَّ الاستثناء لما بعد السَّموات والأرض ، كقوله : لا تكسل حولاً إلَّا ما شئت ، معناه : الزِّيادة علىٰ الحول أو أنَّه لعصاة المؤمنين ، والذي يدلُّ علىٰ التَّأبيد قوله في الجنَّة : ﴿عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٨] ، فلو لم يكن مؤبَّداً لكان مقطوعاً ، فيتعيَّن الجمع بين أَّول الآية وآخرها ، فبقي يقيناً الاستثناء علىٰ ظاهر هذا المجاز في قوله : ﴿عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ ، وليس التَّجوُّز فيه بأولىٰ من التَّجوُّز في الاستثناء ، ويرجِّح التَّجوُّز في الاستثناء الأدلَّة علىٰ التَّخليد وقوله في النَّار : ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ﴾ [هود:١٠٧] ، يناسب الوعيد والزِّيادة في العذاب ولا يناسب الانقطاع.

واعلم أنَّ ﴿مَا شاءَ رَبُّكَ﴾ ظاهره استثناء مدَّة زمانيَّة من قوله : ﴿ما دامَتِ السَّماواتُ وَالْأَرْضُ﴾ [هود:١٠٧] ، ويحتمل أن يراد بها ظرف مكان ويكون الاستثناء من الضَّمير في ﴿فِيْهَا﴾ ، ويراد به الطَّبقة العليا التي هي لعصاة المؤمنين ، فكأنَّه قال : إلا ما شاء ربك من أمكنة جهنَّم.

فإن قلت : قد قال أبو نضرة: القرءان كلُّه ينتهي إلىٰ هذه الآية : ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ﴾ [هود:١٠٧] ، قلت: هذا كلام صحيح ، والله يفعل ما يريد ، وليس في ذلك أنَّه يخرج الكفَّار من النَّار.

فإن قلت: قد قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه وقتادة : الله أعلم بثنيته علىٰ ما وقعت. قلت: صحيح ، لأنَّ تعيين كلّ واحد من الأقوال التي حكيناها ضعيف ، والله أعلم به وبغيره ، وليس في كلام أبي سعيد وقتادة ما يحتمل خروج الكفَّار من النَّار.

فإن قلت: قد روىٰ الطَّبراني عن يونس عن ابن أبي ذئب عن ابن زيد في قوله : عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ، قال : أخبرنا الذي شاء لأهل الجنَّة فقال ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوْذ﴾ ولم يخبرنا بالذي شاء لأهل النَّار. قلت: هذا الذي يقتضي أن ابن زيد يقول بعدم الانقطاع لأنَّه جعل ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوْذ﴾ هو الذي شاءه وهو الذي بعد الاستثناء ، فكذا يكون في أهل النَّار أنَّ الاستثناء لا يدلُّ علىٰ الانقطاع ، ولكنَّه لم يبيِّن ما بعده بل قال تعالىٰ : ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود:١٠٧] .

فان قلت: فقد قال السدِّي : إنَّها يوم نزلت كانوا يطمعون في الخروج. قلت: إن صَّح هذا عن السدِّي أنَّها يوم نزلت كانوا يطمعون في الخروج ، فهو محمول علىٰ أنَّه حملها علىٰ العصاة ، لأنَّ الطَّامعين هم المسلمون.

فإن قلت: قد روىٰ عبد بن حميد في تفسيره عن سليمان بن حرب نا حماد بن سلمة عن ثابت عن الحسن قال عمر رضي الله عنه : لو لبث أهل النَّار في النَّار بقدر رمل عالج لكان لهم علىٰ ذلك يوم يخرجون. قلت: الحسن لم يسمع من عمر ، وقد رأيت هذا الأثر في تفسير عبد في موضعين ، في أحدهما : يخرجون ، وفي الآخر يرجون لا تصريح فيه ، فقد يحصل لهم رجاء ثمَّ ييأسون ويخرجون يحتمل أن يكون من النَّار إلىٰ الزَّمهرير ، ويحتمل أن يكون ذلك في عصاة المؤمنين ، فلم يجيء في شيء من الآثار أنَّه في الكفَّار.

فإن قلت: قد قال: هذا المصنِّف : إنَّه يحتجُّ علىٰ فناء النَّار بالكتاب والسُّنَّة وأقوال الصَّحابة ، وأنَّ القائلين ببقائها ليس معهم كتاب ولا سُنَّة ولا أقوال الصَّحابة رضي الله عنهم. قلت: هذا الكتاب والسُّنَّة بين أظهرنا بحمد الله ، وهما دالَّان علىٰ بقائها.

فإن قلت: قد قال في (مسند أحمد) حديث ذكر فيه أنَّه ينبت فيها الجرجير، قلت : ليس في "مسند أحمد" ، ولكنَّه في غيره ، وهو ضعيف ، ولو صحَّ حمل علىٰ طبقة العصاة.

فإن قلت: قال حرب الكرماني: سألت إسحق عن قول الله تعالىٰ : ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّك﴾ ، فقال: أتت هذه الآية علىٰ كلِّ وعيد في القرءان، وعن أبي نضرة عن بعض أصحاب النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: هذه الآية تأتي علىٰ القرءان كلِّ ،ه حيث كان في القرءان ﴿خَالِدِيْنَ فِيْهَا﴾ تأتي عليه. قلت: إن صحَّت هذه الآثار حُملت علىٰ العصاة ، لأن القرءان لم يرد فيه خروج العصاة من النَّار صريحاً ، إنَّما ورد في السُّنَّة بالشَّفاعة فالمراد بهذه الآثار موافقة القرءان للسُّنَّة في ذلك ، فإنَّ السَّلف كانوا شديدي الخوف ، ولم يجدوا في القرءان خروج الموحِّدين من النَّار ، وكانوا يخافون الخلود كما تقوله المعتزلة.

فإن قلت: قال ابن مسعود رضي الله عنه : ليأتينَّ علىٰ جهنَّم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد ، وذلك بعدما يلبثون فيها أحقاباً. قلت: إن صحَّ هذا عن ابن مسعود حمل علىٰ طبقة العصاة ، وقوله : **﴿أَحْقَابَاً﴾** يحمل علىٰ أحقاب غير الأحقاب المذكورة في القرءان حتَّىٰ يصحّ الحمل علىٰ العصاة.

فإن قلت: قال الشَّعبي: جهنَّم أسرع الدَّارين عمرانا وأسرعهما خراباً. قلت: أنا أعيذ الشَّعبي من ذلك ، فإنَّه يقتضي خراب الجنَّة.

فإن قلت: قد اعترض هذا المصنِّف علىٰ الإجماع ، لأنَّه غير معلوم ، فإنَّ هذه المسائل لا يقطع فيها بإجماع ، نعم قد يظنّ فيها الإجماع قبل أن يعرف النِّزاع ، وقد عرف النِّزاع قديماً وحديثاً بل إلىٰ السَّاعة. قلت: الإجماع لا يعترض عليه بأنَّه غير معلوم بل يعترض بنقل خلاف صريح ، ولم ينقله وإنَّما هو من تصرُّفه وفهمه ، وقوله : "إنَّ هذه المسائل لا يقطع فيها بإجماع " ، دعوىٰ مجرَّدة.

فإن قلت : قد قال : لم أعلم أحداً من الصَّحابة رضي الله عنهم قال : لا تفنىٰ ، وإنَّما المنقول عنهم ضدّ ذلك ، لكن التَّابعون نقل عنهم هذا وهذا. قلت: هو مطالب بالنَّقل عن الصَّحابة رضي الله عنهم والتَّابعين ، ولن يجده ، وغايته كما قلت لك أن يأخذه من كلمات وردت فَهِمَ منها ذلك، ويجب تأويلها تحسيناً للظَّنِّ بهم.

فإن قلت: قد قال إنَّه ليس في القرءان ما يدلُّ علىٰ أنَّها لا تفن ،ىٰ بل الذي يدلُّ عليه ظاهر القرءان أنَّهم خالدون فيها أبدً ،ا وأنَّه يقتضي خلودهم فيها ما دامت باقية لا يخرجون منها مع بقائها وبقاء عذابها ، كما يخرج أهل التَّوحيد. قلت: قد قلت لك إنَّ حقيقة الخلود في مكان يقتضي بقاء ذلك المكان ، وقد تأمَّلت كلام المصنِّف فلم أر فيه زيادة علىٰ ذلك ، بل اندفع في ذكر الآيات وأحاديث الشَّفاعة ، ولم يبيِّن ما يؤول إليه أمر الكفَّار بعد فناء النَّار.

فإن قلت: قد فرَّق بين الجنَّة والنَّار شرعاً وعقلاً ، أمَّا شرعاً فمن وجوه :

أَحَدُهَا أنَّ الله تعالىٰ أخبر ببقاء نعيم أهل الجنَّة ودوامها ، وأنَّه لا نفاد له ولا انقطاع في غير موضع من كتابه ، كما أخبر أنَّ أهل الجنَّة لا يخرجون منها، وأمَّا النَّار وعذابها فلم يخبر ببقاء ذلك ، بل أخبر أنَّ أهلها لا يخرجون منها .

قلت: قد أخبر في النَّار وأهلها أنَّهم في عذاب مقيم ، وأنَّهم لا يفتر عنهم ولا يخفف عنهم ، فلو فنيت لكان إمَّا أن يموتوا فيها أو يخرجوا ، وكلٌّ منهما أخبر في القرءان بنفيه.

فإن قلت: قد ذكره من الوجوه الشَّرعية أنَّ الجنَّة من مقتضى رحمته والنَّار من عذابه ، فالنَّعيم من موجب أسمائه التي هي من لوازم ذاته ، فيجب دوامه بدوام معاني أسمائه وصفاته ، والعذاب من مخلوقاته ، والمخلوق قد يكون له انتهاء لا سيَّما مخلوق خلق لحكمة تتعلَّق بغيره . قلت: ومن أسمائه تعالى : شديد العقاب ، والجبَّار ، والقهَّار ، والمذلّ ، والمنتقم ، فيجب دوامه بدوام ذاته وأسمائه أيضاً ، فنقول لهذا الرَّجل : إن كانت هذه الأسماء والصِّفات تقتضي دوام ما يقتضيه من الأفعال فيلزم قدم العالم ، وإن كانت لا تقتضي فلا يلزم دوام الجنَّة ، فأحد الأمرين لازم لكلام هذا الرَّجل ، وكلٌّ من الأمرين باطل.

فإن قلت: قد قال إنَّه أخبر أنَّ رحمته وسعت كلَّ شيء ، وسبقت رحمتي غضبي ، فإذا قدِّر عذاب لا آخر له لم يكن هناك رحمة البتَّة. قلت: الآخرة داران : دار رحمة لا يشوبها شيء ، وهي الجنَّة ، ودار عذاب لا يشوبه شيء وهي النَّار ، وذلك دليل على القدرة، والدُّنيا مختلطة بهذا وبهذا ، فقوله : " إذا قدِّر عذاب لا آخر له لم يكن هناك رحمة البتة " إن أراد نفي الرَّحمة مطلقًا فليس بصحيح ، لأنَّ هناك كمال الرَّحمة في الجنَّة ، وإن أراد لم يكن في النَّار ، قلنا له : مه ؟ وإن قال : إنَّها شيء والعقاب شيء، وقد قال تعالى : **﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾** [الأعراف:١٥٦] .

فإن قلت: قد ثبت أنَّه حكيم رحيم ، والنُّفوس الشَّريرة التي لو رَّدت إلى الدُّنيا لعادت ، لا تصلح أن تسكن دار السَّلام ، فإذا عذِّبوا عذاباً تخلص نفوسهم من ذلك الشَّر، كان هذا معقولاً في الحكمة ، أمَّا خلق نفوس تعمل الشَّر في الُّدنيا ، وفي الآخرة لا تكون إلَّا في العذاب ، فهذا تناقض يظهر فيه من مناقضة الحكمة والرَّحمة ما لا يظهر في غيره، ولهذا كان جهم ينكر أن يكون الله تعالى أرحم الرَّاحمين ، بل يفعل ما يشاء ، والذين سلكوا طريقته كالأشعري وغيره ليس عندهم في الحقيقة له حكمة ولا رحمة ، وإذا ثبت أنَّه حكيم رحيم وعلم بطلان قول جهم تعيَّن إثبات ما تقتضيه الحكمة والرَّحمة ، وما قاله المعتزلة أيضاً باطل ، فقول القدريَّة والمجبرة والنُّفاة في حكمته ورحمته باطل ، ومن أعظم غلطهم : اعتقادهم تأبيد جهنَّم ، فإن ذلك مستلزم ما قالوه ، وقد أخبر تعالى أنَّ أهل الجنَّة والنَّار لا يموتون ، فلا بدَّ لهم من دار ، ومحال أن يعذَّبوا بعد دخول الجنَّة ، فلم يبق إلَّا دار النَّعيم ، والحيّ لا يخلو من لذَّة أو ألم ، فإذا انتفى الألم تعيَّنت اللذَّة الدَّائمة .

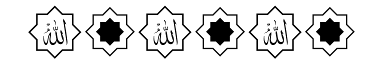
قلت : قد صرَّح بما صرَّح به في آخر كلامه فيقتضي أنَّ ابليس وفرعون وهامان وسائر الكفَّار يصيرون إلى النَّعيم المقيم واللذَّة الدَّائمة ، وهذا ما قال به مسلم ولا نصراني ولا يهودي ولا مشرك ولا فيلسوف ، أمَّا المسلمون فيعتقدون دوام الجنَّة والنَّار ، وأمَّا المشرك فيعتقد عدم البعث ، وأمَّا الفيلسوف فيعتقد أنَّ النُّفوس الشَّريرة في ألم ، فهذا القول الذي قاله هذا الرَّجل ما نعرف أحداً قاله ، وهو خروج عن الإسلام بمقتضى أهل العلم إجمالاً ، ولا أُكفِّر أحداً معيَّناً من أهل القبلة بلساني ولا بقلبي ولا بقلمي إلَّا أن يعتقد مشاققة الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فهذا ضابط التَّكفير عندي ، وسبحان الله إذا كان الله تعالى يقول :
وسبحان الله إذا كان الله تعالى يقول : **﴿أُولئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾** [العكبوت:٢٣] ، وكذلك قوله تعالى : **﴿كُلَّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيراً﴾** [الإسراء:٩٧] ، ونبيّه النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخبر بذبح الموت بين الجنَّة والنَّار ، ولا شكَّ أنَّ ذلك إنَّما يفعل إشارة إلى إياسهم وتحقّقهم البقاء الدَّائم في العذاب ، فلو كانوا ينتقلون إلى اللذَّة والنَّعيم ، لكان ذلك رجاء عظيماً لهم وخيراً من الموت ولم يحصل لهم إياس ، فمن يصدِّق بهذه الآيات والأحاديث كيف يقول هذا الكلام ، وما قاله من مخالفة الحكمة جهل ، وما ينسبه إلى الأشعري رضي الله عنه افتراء عليه نعوذ بالله تعالى منه.

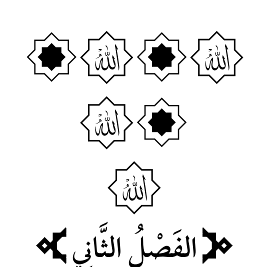
فإن قلت: قد يقول إنَّه تخلص نفوسهم من الشَّر بذلك العذاب فيسلمون. قلت: معاذ الله ، أمَّا إسلامهم في الآخرة ، فلا ينفعهم بإجماع المسلمين ، وبقوله تعالىٰ: **﴿لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾** [الأنعام:١٥٨] ، وأمَّا خلوصهم من الشَّرط فباطل لقوله تعالىٰ : **﴿خَتَمَ اللهُ عَلى قُلُوبِهِمْ﴾** [البقرة:٧] ، و**﴿طَبَعَ اللهُ عَلى قُلُوبِهِمْ﴾** [محمد:١٦] ، فهذا يستحيل أن يخرج الشَّر من قلوبهم أو يدخل فيها خير.

فإن قلت: ما في خلق هؤلاء من الحكمة . قلت: إظهار القدرة واعتبار المؤمنين وفكرتهم في عظمة الله تعالىٰ القادر علىٰ أن يخلق الملائكة والبشر الصَّالحين والأنبياء ومحمَّداً النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيِّد الخلق ، وعلىٰ أن يخلق من الطَّرف الآخر فرعون وهامان وأبا جهل وشياطين الجنّ والإنس وإبليس رأس الضَّلال، والقادر علىٰ خلق دارين متمحضة كلّ واحدة منهما ، هذه للنَّعيم المقيم وهذه للعذاب الأليم ، ودار ثالثة وهي الدُّنيا ممتزجة من النَّوعين ، فسبحان من هذه قدرته ، وجلَّت عظمته ، وكان الله سبحانه قادراً أن يخلق النَّاس كلّهم مؤمنين طائعين ، ولكن أراد سبحانه أن يبيِّن الَّشيء وضدّه، علمه من علمه وجهله من جهله، والعلم منشأ السَّعادة كلّها ، نشأ عنه الإيمان والطاعة، والجهل منشأ الشَّقاوة كلّها ، نشأ عنه الكفر والمعصية ، وما رأيت مفسدة من أمور الدُّنيا والآخرة تنشأ إلَّا عن الجهل، فهو أضرّ الأشياء .

فإن قلت: قد نقل عن جهم وأصحابه أنَّهم قالوا بفناء الجنَّة والنَّار ، وأنَّ أئمَّة الإسلام كفَّروهم بذلك لأربع آيات من القرءان : قوله تعالىٰ : **﴿أُكُلُها دائِمٌ﴾** [الرعد:٣٥] و **﴿مَا لَهُ مِنْ نَفادٍ﴾** [ص:٥٤] و **﴿لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ﴾** [الواقعة:٣٣] ، و **﴿عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾** [هود:١٠٨] ، ولما رواه الطَّبراني وابن ماجه في التَّفسير. قلت: من قال بفناء الجنة والنَّار أو أحدهما فهو كافر.

فإن قلت: قد قال هذا المصنِّف إنَّ هذا قاله جهم لأصله الذي اعتقده وهو امتناع وجود ما لا يتناهىٰ من الحوادث ، وهو عمدة أهل الكلام ، استدلُّوا به علىٰ حدوث الأجسام وحدوث ما لا يخلو من الحوادث . قلت: في هذا دسيسة يشبه أن يكون هذا المصنِّف قصد به التَّطرُّق إلىٰ حلول الحوادث بذات الباري تعالىٰ وتنـزَّه ، وقد أطال الكلام في ذلك وقال بعده إنَّه اشتبه هذا علىٰ كثير من أهل الكلام هذا ما اعتقدوه حقًا حتىٰ بنوا عليه حدوث ما لم يخل عن الحوادث ، ثمَّ قال : وعليه أيضاً نفي الصِّفات لأنَّها أعراض لا تقوم إلَّا بجسم ، هذا كلامه ، ويشبه أن يكون عمل هذا التَّصنيف وسيلة إلىٰ تقرير ذلك ... ".





الفَصْلُ الثَّانِي

أَهْلُ النَّـــــــــــار

في هذا الفصل سنتكلَّم عن أهل النَّار ... وهم كلُّ من حاد عن سواء السَّبيل ، فأشرك بالله العظيم ، وكفر بما جاء به المرسلون ، وعصىٰ أوامر الله تعالىٰ وأوامر رسله الكرام ... فمن أشرك وكفر ... فهؤلاء خالدون مخلَّدون في النَّار ... أمَّا من عصىٰ من الموحِّدين الذين لم يلبسوا إيمانهم بالشِّرك ... فهؤلاء يُعذَّبون بقدْر معاصيهم ، ثمَّ يتفضَّل الله تعالىٰ عليهم بإخراجهم من النَّار وإدخالهم الجنَّة...

وللإحاطة بأهل النَّار وصفاتهم كان هذا الفصْل الذي اشتمل علىٰ الأسئلة التَّالية وأجوبتها ...

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ ثَنَاءُ النَّاسِ عَلَى الإِنْسَانِ بِالشَّرِّ يُوْجِبُ لَهُ النَّار ؟

الجواب : روىٰ مسلم (٢/ ٦٥٥ برقم ٩٤٩) بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ نَبِيُّ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ»، وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ نَبِيُّ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ»، قَالَ عُمَرُ: فِدًىٰ لَكَ أَبِي وَأُمِّي، مُرَّ بِجَنَازَةٍ، فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرٌ، فَقُلْتَ: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ»، وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ، فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرٌّ، فَقُلْتَ: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ»؟ فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ الله فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ الله فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ الله فِي الْأَرْضِ» .

قال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج" (٧/١٩-٢٠) : " وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ اسْتِحْبَابُ تَوْكِيدِ الْكَلَامِ الْمُهْتَمِّ بِتَكْرَارِهِ لِيُحْفَظَ وَلِيَكُونَ أَبْلَغَ وَأَمَّا مَعْنَاهُ فَفِيهِ قَوْلَانِ لِلْعُلَمَاءِ أَحَدُهُمَا أَنَّ هَذَا الثَّنَاءُ بِالْخَيْرِ لِمَنْ أَثْنَىٰ عَلَيْهِ أَهْلُ الْفَضْلِ فَكَانَ ثَنَاؤُهُمْ مُطَابِقًا لِأَفْعَالِهِ فَيَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَلَيْسَ هُوَ مُرَادًا بِالْحَدِيثِ وَالثَّانِي وَهُوَ الصَّحِيحُ الْمُخْتَارُ أَنَّهُ عَلَىٰ عُمُومِهِ وَإِطْلَاقِهِ وَأَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ مَاتَ فَأَلْهَمَ اللهُ تَعَالَىٰ النَّاسَ أَوْ مُعْظَمَهُمُ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ كَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَىٰ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ سَوَاءٌ كَانَتْ أَفْعَالُهُ تَقْتَضِي ذَلِكَ أَمْ لَا وَإِنْ لَمْ تَكُنْ أَفْعَالُهُ تَقْتَضِيهِ فَلَا تُحَتَّمُ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةُ بَلْ هُوَ فِي خَطَرِ الْمَشِيئَةِ فَإِذَا أَلْهَمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ

النَّاسَ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ اسْتَدْلَلْنَا بِذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَدْ شَاءَ الْمَغْفِرَةَ لَهُ وَبِهَذَا تَظْهَرُ فَائِدَةُ الثَّنَاءِ وَقَوْلُهُ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَجَبَتْ وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ) وَلَوْ كَانَ لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ أَعْمَالُهُ تَقْتَضِيهِ لَمْ يَكُنْ لِلثَّنَاءِ فَائِدَةٌ وَقَدْ أَثْبَتَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ فَائِدَةً فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ مُكِّنُوا بِالثَّنَاءِ بِالشَّرِّ مَعَ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ فِي الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ فِي النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الْأَمْوَاتِ فَالْجَوَابُ أَنَّ النَّهْيَ عَنْ سَبِّ الْأَمْوَاتِ هُوَ فِي غَيْرِ الْمُنَافِقِ وَسَائِرِ الْكُفَّارِ وَفِي غَيْرِ الْمُتَظَاهِرِ بِفِسْقٍ أَوْ بِدْعَةٍ فَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَلَا يَحْرُمُ ذِكْرُهُمْ بِشَرٍّ لِلتَّحْذِيرِ مِنْ طَرِيقَتِهِمْ وَمِنَ الِاقْتِدَاءِ بِآثَارِهِمْ وَالتَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِهِمْ وَهَذَا الْحَدِيثُ مَحْمُولٌ عَلَىٰ أَنَّ الَّذِي أَثْنَوْا عَلَيْهِ شَرًّا كَانَ مَشْهُورًا بِنِفَاقٍ أَوْ نَحْوِهِ مما ذكرنا هَذَا هُوَ الصَّوَابُ فِي الْجَوَابِ عَنْهُ وَفِي الْجَمْعِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّهْيِ عَنِ السَّبِّ وَقَدْ بَسَطْتُ مَعْنَاهُ بِدَلَائِلِهِ فِي كِتَابِ الْأَذْكَارِ قَوْلُهُ (فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرًّا) قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ الثَّنَاءُ بِتَقْدِيمِ الثَّاءِ وَبِالْمَدِّ يُسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْرِ وَلَا يُسْتَعْمَلُ فِي الشَّرِّ هَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ وَفِيهِ لُغَةٌ شَاذَّةٌ أَنَّهُ يُسْتَعْمَلُ فِي الشَّرِّ أَيْضًا وَأَمَّا النَّثَا بِتَقْدِيمِ النُّونِ وَبِالْقَصْرِ فَيُسْتَعْمَلُ فِي الشَّرِّ خَاصَّةً وَإِنَّمَا اسْتُعْمِلَ الثَّنَاءُ الْمَمْدُودُ هُنَا فِي الشَّرِّ مَجَازًا لِتَجَانُسِ الْكَلَامِ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ ، وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ" .

وقال الإمام العيني في " عمدة القاري شرح صحيح البخاري" (٨/ ١٩٥) : " قَوْله: (وَجَبت) أَي: وَجَبت الْجنَّة فِي الأول، وَوَجَبَت النَّار فِي الثَّانِي، وَالْمرَاد بِالْوُجُوب الثُّبُوت، أَو هُوَ فِي صِحَة الْوُقُوع كالشيء الْوَاجِب، وَحَاصِل الْمَعْنىٰ أَن ثناءهم عَلَيْهِ بِالْخَيرِ يدل علىٰ أَن أَفعاله كَانَت خيرا فَوَجَبت لَهُ الْجنَّة، وثناءهم عَلَيْهِ بِالشَّرِّ يدل علىٰ أَن أَفعاله كَانَت شرا فَوَجَبت لَهُ النَّار، وَذَلِكَ لِأَن الْمُؤمنِينَ شُهَدَاء بَعضهم علىٰ بعض، لما صرح فِي الحَدِيث، والتكرير فِيهِ فِي رِوَايَة مُسلم وَغَيره لتأكيد الْكَلَام وتحقيقه لِئَلَّا يشكوا فِيهِ، وَقَالَ الدَّاودِيّ: معنىٰ هَذَا الحَدِيث عِنْد الْفُقَهَاء إِذا أثنىٰ عَلَيْهِ أهل الْفضل والصدق، لِأَن الفسقة قد يثنون علىٰ الفسقة فَلَا يدْخلُونَ فِي معنىٰ هَذَا الحَدِيث، وَالْمرَاد، وَالله أعلم، إِذا كَانَ الثَّنَاء بِالشَّرِّ مِمَّن لَيْسَ لَهُ بعدوٍّ، لِأَنَّهُ قد يكون للرجل الصَّالح الْعَدو، وَإِذا مَاتَ عدوه فَذكر عَن ذَلِك الرجل الصَّالح شرا فَلَا يدْخل الْمَيِّت فِي معنىٰ هَذَا الحَدِيث، لِأَن شَهَادَته كَانَت لَا تجوز عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا، وَإِن كَانَ عدلا للعداوة والبشر غير معصومين. فَإِن قيل: كَيفَ يجوز ذكر شَرّ الْمَوْتىٰ، مَعَ وُرُود الحَدِيث الصَّحِيح عَن زيد بن أَرقم فِي النَّهْي عَن سبّ الْمَوْتىٰ وَذكرهمْ إلاَّ بِخَير.

وَأجِيب: بِأَن النَّهْي عَن سبّ الْأَمْوَات غير الْمُنَافِق وَالْكَافِر والمجاهر بِالْفِسْقِ أَو بالبدعة، فَإِن هَؤُلَاءِ لَا يحرم، وَذكرهمْ بِالشَّرِّ للحذر من طريقهم، وَمن الِاقْتِدَاء بهم، وَقيل: لَا بُد أَن يكون ثناؤهم مطابقا لأفعاله. وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ: يحْتَمل أَن يكون النَّهْي عَن سبّ الْمَوْتَى مُتَأَخِّرًا عَن هَذَا الحَدِيث، فَيكون نَاسِخا، وَقيل: حَدِيث أنس الْمَذْكُور يجْرِي مجْرى الْغَيْبَة فِي الْأَحْيَاء، فَإِن كَانَ الرجل أغلب أَحْوَاله الْخَيْر، وَقد يكون مِنْهُ الْغَلَبَة فالإغتياب لَهُ محرم، وَإِن كَانَ فَاسِقًا مُعْلنا فَلَا غيبَة فِيهِ، فَكَذَلِك الْمَيِّت، فَلَيْسَ ذَلِك مِمَّا يُنْهى عَنهُ من سبّ الْأَمْوَات، وَقَالَ بَعضهم: الثَّنَاء على عُمُومه لكل مُسلم مَاتَ، فَإِذا ألهم الله النَّاس، أَو معظمهم، الثَّنَاء عَلَيْهِ كَانَ ذَلِك دَلِيلا أَنه من أهل الْجنَّة، سَوَاء كَانَت أَفعاله تَقْتَضِي ذَلِك أم لَا، لِأَنَّهُ، وَإِن لم تكن أَفعاله مقتضية فَلَا تتحتم عَلَيْهِ الْعقُوبَة، بل هُوَ فِي الْمَشِيئَة، فَإِذا ألهم الله النَّاس الثَّنَاء عَلَيْهِ استدللنا بذلك أَن الله تَعَالَى قد شَاءَ الْمَغْفِرَة لَهُ، وَبِهَذَا تظهر فَائِدَة الثَّنَاء فِي قَوْله: (وَجَبت) ، وَقيل: هَذَا خَاص بالمثنين الْمَذْكُورين لغيب أطلع الله نبيه النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ، ورد بِأَن كلمة: من، تستدعي الْعُمُوم والتخصيص بِلَا مُخَصص، لَا يجوز. قَوْله: "أَنْتُم شُهَدَاء الله فِي الأَرْض" . الْخطاب للصحابة، رَضِي الله تَعَالَى عَنْهُم، وَلمن كَانَ على صفتهمْ من الْإِيمَان، وَحكى ابْن التِّين أَن ذَلِك مَخْصُوص بالصحابة لأَنهم كَانُوا ينطقون بالحكمة بِخِلَاف من بعدهمْ، ثمَّ قَالَ: وَالصَّوَاب أَن ذَلِك يخْتَص بالثقات والمتقين. وَقَالَ النَّوَوِيّ: الظَّاهِر أَن الَّذِي أثنوا عَلَيْهِ شرا كَانَ من الْمُنَافِقين. قلت: ويستأنس لما قَالَه بِمَا رَوَاهُ أَحْمد من حَدِيث أبي قَتَادَة بِإِسْنَاد صَحِيح أَنه النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يصل على الَّذِي أثنوا عَلَيْهِ شرا، وَصلى على الآخر.

وَقَالَ الْبَيْهَقِيّ: فِيهِ: دلَالَة على جَوَاز ذكر الْمَرْء بِمَا يُعلمهُ إِذا وَقعت الْحَاجة إِلَيْهِ، نَحْو سُؤال القَاضِي الْمُزَكي وَنَحْو" .

وقال الإمام القرطبي في " التَّذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة" (ص٨١٠-٨١٢) : " وقوله : «مَنْ أَثْنَيْتُم عَلَيْهِ شَرَاً وَجَبَتْ لَهُ النَّار» يعارضه قوله عليه السَّلام «لَا تَسُبُّوا الأَمْوَات فَإِنَّهُم قَدْ أَفْضَوا إِلَى مَا قَدَّمُوا" أخرجه البخاري . (٢/ ١٠٤ برقم ١٣٩٣) .

والثَّناء بالشَّرِّ: سبٌّ . فقيل ذلك خاصٌّ بالمنافقين الذين شهدت الصَّحابة فيهم بما ظهر لهم، ولذلك قال عليه السَّلام: «وجبت له النَّار» والمسلم لا تجب له النَّار واختار هذا القول القاضي عياض.

وقيل: ذلك جائز فيمن كان يظهر الشَّرَّ ويعلن به، فيكون ذلك من باب لا غيبة لفاسق.

وقيل: إنَّ النَّهي إنَّما هو بعد الدَّفن.

وأمَّا قبله فممنوع لقوله عليه السَّلام: «لَا تَسُبُوا الأَمْوَات" .

فالنَّهي عن سبِّ الأموات متأخِّر فيكون ناسخاً، والله أعلم.

وقوله: «أَنْتُمْ شُهَدَاءُ الله فِي الأَرْض» معناه عند الفقهاء : إذا أثنىٰ عليه أهل الفضل والصِّدق والعدالة ، لأنَّ الفسقة قد يثنون علىٰ الفاسق فلا يدخل في الحديث، وكذلك لو كان القائل فيه عدواً له وإن كان فاضلاً لأنَّ شهادته في حياته لو كانت عليه كانت غير مقبولة، وكذلك الحكم في الآخرة والله أعلم.

وقيل : إنَّ تكرار « أَنْتُمْ شُهَدَاءُ الله فِي الأَرْض » ثلاثاً إشارة إلىٰ القرون الثَّلاثة الذين قال فيهم النَّبيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «خَيْرُ النَّاس قَرْنِي ثُمَّ الذِيْنَ يَلُوْنَهُم ، ثُمَّ الذِيْنَ يَلُوْنَهُم .

قلت: الأوَّل أصحّ، لأنَّ الله تعالىٰ مدح هذه الأمَّة بالفضل العدالة إلىٰ يوم القيامة ، قال الله تعالىٰ : **﴿وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ﴾** [البقرة:١٤٣] . يعني في الآخرة كما تقدَّم ، فلا يشهد إلَّا العدول.

وقد خرَّج البخاري (٣/ ١٦٩ برقم ٢٦٤٢) عَنْ حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: مُرَّ عَلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجَنَازَةٍ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ: «وَجَبَتْ» ، ثُمَّ مُرَّ بِأُخْرَىٰ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا – أَوْ قَالَ: غَيْرَ ذَلِكَ – فَقَالَ: «وَجَبَتْ» ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهَّ، قُلْتَ لِهَذَا وَجَبَتْ، وَلِهَذَا وَجَبَتْ، قَالَ: «شَهَادَةُ القَوْمِ المُؤْمِنُونَ شُهَدَاءُ اللهَّ فِي الأَرْضِ» .

وفي البخاري أيضاً (٣/ ١٦٩ برقم ٢٦٤٣) عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيْرٍ أَدْخَلَهُ اللهُّ الجَنَّةَ» ، قُلْنَا: وَثَلاَثَةٌ، قَالَ: «وَثَلاَثَةٌ» ، قُلْتُ: وَاثْنَانِ، قَالَ: «وَاثْنَانِ» ، ثُمَّ لَمْ نَسْأَلْهُ عَنِ الوَاحِدِ" .

قال أبو محمَّد عبد الحق وهذا الحديث مخصوص والله أعلم، والذي قبله يعطي العموم وإن كثرت شهوده وانطلقت ألسنة المسلمين فيه بالخير والثَّناء الصَّالح كانت له الجنَّة ، والله أعلم.

قال المؤلِّف رحمه الله: ومن هذا المعنىٰ ما ذكره هناد بن السّري، أخبرنا إسحاق الرَّازي، عن أبي سنان، عن عبد الله بن السَّائب قال: مرت جنازة بعبد الله بن مسعود فقال لرجل قم فانظر من أهل الجنَّة هو أم من أهل النَّار؟ قال الرَّجل: ما يدريني أمن أهل الجنَّة هو أم من أهل النَّار؟ وكيف أنظر؟ قال: ثناء النَّاس عليه فإنَّهم شهداء الله في الأرض.

قال أبو محمَّد: وغير مستنكر إذا أحبَّ الله عبداً أمر أن يلقى على ألسنة المسلمين الثَّناء عليه وفي قلوبهم المحبَّة له قال الله تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا**﴾ [مريم:٩٦] .

وقال عليه السَّلام: " ذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ " ، وهذا حديث صحيح خرَّجه البخاري ومسلم.

قال أبو محمَّد عبد الحق: وقد شوهد رجال من المسلمين علماء صالحون كثر الثَّناء عليهم وصرفت القلوب إليهم في حياتهم وبعد مماتهم، ومنهم من كثر المشيِّعون لجنازته وكثر الحاملون لها والمشتغلون بها ..." .

وقال الإمام السُّيوطي في " حاشية السِّندي على سنن النَّسائي" (٤/ ٥٠-٥٢) : " مُرَّ بِجِنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرًا الْحَدِيثَ فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ أَنَّهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُصَلِّ عَلَى الَّذِي أَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا وَصَلَّى عَلَى الْآخَرِ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهَّ فِي الْأَرْضِ أَيِ الْمُخَاطَبُونَ بِذَلِكَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَمَنْ كَانَ على صفتهمْ من الْإِيمَان وَحكى بن التِّينِ أَنَّ ذَلِكَ مَخْصُوصٌ بِالصَّحَابَةِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَنْطِقُونَ بِالْحِكْمَةِ بِخِلَافِ مَنْ بَعْدَهُمْ قَالَ وَالصَّوَابُ أَنَّ ذَلِكَ يَخْتَصُّ بِالثِّقَاتِ وَالْمُتَّقِينَ أَنْبَأَنَا عَبْدُ اللهَّ بْنُ بُرَيْدَةَ عَنِ أَبِي الْأَسْوَدِ الديلي قَالَ الْحَافِظ بن حَجَرٍ لَمْ أَرَهُ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ اللهَّ بْنِ بُرَيْدَةَ إِلَّا مُعَنْعَنًا وَقَدْ حَكَى الدَّارَقُطْنِيُّ فِي كِتَابِ التَّتَبُّعِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ أَن بن بُرَيْدَةَ إِنَّمَا يَرْوِي عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمُرَ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ وَلَمْ يَقُلْ فِي هَذَا الْحَدِيث سَمِعت أَبَا الْأسود وبن بُرَيْدَةَ وُلِدَ فِي عَهْدِ عُمَرَ فَقَدْ أَدْرَكَ أَبَا الْأَسْوَدِ بِلَا رَيْبٍ قَالَ أَتَيْتُ الْمَدِينَةَ زَادَ فِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ وَقَدْ وَقَعَ بِهَا مَرَضٌ وَهُمْ يَمُوتُونَ مَوْتًا ذَرِيعًا أَيْ سَرِيعًا فَأثنى على صَاحبهَا خيرا قَالَ الْحَافِظ بن حَجَرٍ كَذَا فِي جَمِيعِ الْأُصُولِ بِالنَّصْبِ وَكَذَا شَرًّا وَقَدْ غَلِطَ مَنْ ضَبَطَ أُثْنِيَ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ فَإِنَّهُ فِي جَمِيعِ الْأُصُول مبْنى للْمَفْعُول قَالَ بن التِّين وَالصَّوَاب بِالرَّفْعِ وَفِي نَصْبِهِ بُعْدٌ فِي اللِّسَانِ وَوَجَّهَهُ غَيْرُهُ بِأَنَّ الْجَارَّ وَالْمَجْرُورَ أُقِيمَ مَقَامَ الْمَفْعُولِ الْأَوَّلِ وَخَيْرًا مَقَامَ الثَّانِي وَهُوَ جَائِزٌ وَإِنْ كَانَ الْمَشْهُورُ عَكْسُهُ وَقَالَ النَّوَوِيُّ هُوَ مَنْصُوبٌ بِنَزْعِ الْخَافِضِ أَيْ أُثْنِيَ عَلَيْهَا بِخَيْرٍ وَقَالَ بن مَالِكٍ خَيْرًا صِفَةٌ لِمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ فَأُقِيمَتْ مَقَامَهُ فَنُصِبَتْ لِأَنَّ أُثْنِيَ مُسْنَدٌ إِلَى الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ قَالَ وَالتَّفَاوُتُ بَيْنَ الْإِسْنَادِ إِلَى الْمَصْدَرِ وَالْإِسْنَادُ إِلَى الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ قَلِيلٌ أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِالْخَيْرِ أَدْخَلَهُ اللهَّ الْجَنَّةَ الْحَدِيثَ قَالَ الدَّاوُدِيُّ الْمُعْتَبَرُ فِي ذَلِكَ شَهَادَةُ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالصِّدْقِ لَا الْفَسَقَةِ لِأَنَّهُمْ قَدْ يُثْنُونَ عَلَى مَنْ يَكُونُ مِثْلَهُمْ وَلَا مَنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَيِّتِ عَدَاوَةٌ لِأَنَّ شَهَادَةَ الْعَدُوِّ لَا تقبل وَقَالَ الْحَافِظ بن حَجَرٍ

اقْتِصَارُ عُمَرَ عَلَىٰ ذِكْرِ أَحَدِ الشِّقَّيْنِ إِمَّا لِلاخْتِصَارِ وَإِمَّا لِإِحَالَتِهِ السَّامِعَ عَلَىٰ الْقِيَاسِ وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ وَقَالَ النَّوَوِيُّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلَانِ لِلْعُلَمَاءِ أَحَدُهُمَا أَنَّ هَذَا الثَّنَاءَ بِالْخَيْرِ لِمَنْ أَثْنَى عَلَيْهِ أَهْلُ الْفَضْلِ وَكَانَ ثَنَاؤُهُمْ مُطَابِقًا لِأَفْعَالِهِ فَيَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَلَيْسَ هُوَ مُرَادًا بِالْحَدِيثِ وَالثَّانِي وَهُوَ الصَّحِيحُ الْمُخْتَارُ أَنَّهُ عَلَىٰ عُمُومِهِ وَإِطْلَاقِهِ وَأَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ مَاتَ فَأَلْهَمَ اللهُ النَّاسَ أَوْ مُعْظَمَهُمُ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ كَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَىٰ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ سَوَاءٌ كَانَتْ أَفْعَالُهُ تَقْتَضِي ذَلِكَ أَمْ لا لِأَنَّهُ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ أَفْعَالُهُ تَقْتَضِيهِ فَلَا تُحَتِّمُ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ بَلْ هُوَ فِي حَظْرِ الْمَشِيئَةِ فَإِذَا أَلْهَمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادَهُ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ اسْتَدْلَلْنَا بِذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَدْ شَاءَ الْمَغْفِرَةَ وَبِهَذَا تَظْهَرُ فَائِدَةُ الثَّنَاءِ وَقَوْلُهُ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَبَتْ وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ لَوْ كَانَ لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَفْعَالُهُ تَقْتَضِيهِ لَمْ يَكُنْ لِلثَّنَاءِ فَائِدَةٌ وَقَدْ أَثْبَتَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَائِدَة .

لَا تَذْكُرُوا هَلْكَاكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ قِيلَ مَا الْجَمْعُ بَيْنَ هَذَا وَنَحْوِهِ وَبَيْنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ وَمُرَّ بِجِنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرًّا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَبَتْ وَلَمْ يَنْهَهُمْ عَنِ الثَّنَاءِ بِالشَّرِّ وَأَجَابَ النَّوَوِيُّ بِأَنَّ النَّهْيَ عَنْ سَبِّ الْأَمْوَاتِ هُوَ فِي غَيْرِ الْمُنَافِقِ وَالْكَافِرِ وَفِي غَيْرِ الْمُتَظَاهِرِ بِفِسْقٍ أَوْ بِدْعَةٍ فَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَلَا يَحْرُمُ ذِكْرُهُمْ بِالشَّرِّ لِلتَّحْذِيرِ مِنْ طَرِيقِهِمْ وَمِنَ الِاقْتِدَاءِ بِآثَارِهِمْ وَالتَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِهِمْ قَالَ وَالْحَدِيثُ الْآخَرُ مَحْمُولٌ عَلَىٰ أَنَّ الَّذِي أَثْنَوْا عَلَيْهِ شَرًّا كَانَ مَشْهُورًا بِنِفَاقٍ أَوْ نحوه مِمَّا ذكرنا " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَنِ الاسْتِجَارَةِ بِاللهِ مِنَ النَّار ؟

الجواب : روىٰ ابن ماجه (٢/ ١٤٥٣ برقم ٤٣٤٠) ، التّرمذي (٤/ ٢٨١ برقم ٢٥٧٢) ، النَّسائي في " السُّنن الكبرىٰ "(٧/ ٢٣٥ برقم ٧٩٠٧) ، بن حبَّان في " الصَّحيح" (٣/ ٣٠٨ برقم ١٠٣٤) بسندهم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ سَأَلَ الْجَنَّةَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَتِ الْجَنَّةُ: " اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَمَنِ اسْتَجَارَ مِنَ النَّارِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَتِ النَّارُ: «اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنَ النَّارِ» . قال الأرنؤوط في تخريجه لأحاديث صحيح ابن حبَّان : " حديث صحيح، رجاله ثقات، وأخرجه النسائي ٨/ ٢٧٩ في الاستعاذة: باب الاستعاذة من حر النار، عن قتيبة، بهذا الإسناد. وأخرجه الترمذي (٢٥٧٢) في صفة الجنة: باب ما جاء في صفة أنهار الجنة، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (١١٠) ، وابن ماجة (٤٣٤٠) في الزهد: باب صفة الجنة، كلهم عن هناد بن السري، عن أبي الأحوص، به. وأخرجه أحمد ٣/ ١١٧ عن قران بن تمام، عن يونس، والحاكم ١/ ٥٣٥ من طريق إسرائيل، كلاها عن أبي اسحاق، به. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وتقدم برقم (١٠١٤) من طريق يونس بن أبي إسحاق، عن بري" .

قال الإمام علي بن سلطان القاري في " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح " (١٧١٦/٤) : " (وَمَنِ اسْتَجَارَ) أَيِ: اسْتَحْفَظَ (مِنَ النَّارِ) بِأَنْ قَالَ اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَجِرْهُ) أَيِ: احْفَظْهُ أَوْ أَنْقِذْهُ (مِنَ النَّارِ) أَيْ: مِنْ دُخُولِهِ أَوْ خُلُودِهِ فِيهَا. قَالَ الطِّيبِيُّ: وَفِي وَضْعِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ مَوْضِعَ ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ تَجْرِيدٌ وَنَوْعٌ مِنَ الِالْتِفَاتِ، ثُمَّ قَالَ: وَقَوْلُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَقِيقَةً وَلَا بُعْدَ فِيهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾** [ق: ٣٠] وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْتِعَارَةً شَبَّهَ اسْتِحْقَاقَ الْعَبْدِ بِوَعْدِ اللَّهِ وَوَعِيدِهِ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ فِي تَحَقُّقِهِمَا وَثُبُوتِهِمَا بِنُطْقِ النَّاطِقِ كَأَنَّ الْجَنَّةَ مُشْتَاقَةٌ إِلَيْهِ سَائِلَةٌ دَاعِيَةٌ دُخُولَهُ وَالنَّارَ نَافِرَةٌ مِنْهُ دَاعِيَةٌ لَهُ بِالْبُعْدِ مِنْهَا فَأَطْلَقَ الْقَوْلَ وَأَرَادَ التَّحَقُّقَ وَالثُّبُوتَ وَيَجُوزُ أَنْ يُقَدَّرَ مُضَافٌ أَيْ: قَالَ خَزَنَتُهُمَا فَالْقَوْلُ إِذًا حَقِيقِيٌّ، أَقُولُ: لَكِنَّ الْإِسْنَادَ مَجَازِيٌّ، قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: الْحَمْلُ عَلَى لِسَانِ الْحَالِ وَتَقْدِيرِ الْمُضَافِ مُخَالِفٌ لِلْقَاعِدَةِ الْمُقَرَّرَةِ أَنَّ كُلَّ مَا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلَمْ يُحِلِ الْعَقْلُ حَمْلَهُ عَلَى ظَاهِرِهِ لَمْ يُصْرَفْ عَنْهُ إِلَّا بِدَلِيلٍ، وَنُطْقُ الْجَمَادَاتِ بِالْعُرْفِ وَاقِعٌ كَتَسْبِيحِ الْحَصَى فِي يَدِهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَنِينِ الْجِذْعِ وَغَيْرِهِ اهـ. أَقُولُ: هَذِهِ قَاعِدَةٌ قَرِيبَةٌ إِلَى الْقَوَاعِدِ الظَّوَاهِرِيَّةِ فَإِنَّ الْمُفَسِّرِينَ أَجْمَعُوا عَلَى تَأْوِيلِ **﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾** وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ أَنَّهُ يُمْكِنُ بِطَرِيقِ خَرْقِ الْعَادَةِ سُؤَالُ الْقَرْيَةِ وَجَوَانِبِهَا مَعَ أَنَّ الْأَمْرَ كَذَلِكَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ نَظَرًا إِلَى الْمَأْلُوفِ الْمُعْتَادِ، وَقَدْ قَالَ الْعُلَمَاءُ أَطْوَارُ الْآخِرَةِ وَالْأَسْرَارُ الْإِلَهِيَّةُ كُلُّهَا الثَّابِتَةُ بِالنَّقْلِ مِنْ وَرَاءِ طَوْرِ الْعَقْلِ " .

وقال الإمام المباركفوري في " مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح " (٢٤١/٨) : " (ومن استجار) ، أي استحفظ (من النَّار) بأن قال : اللهمَّ أجرني من النَّار (قالت النَّار اللهمَّ أجره) ، أي احفظه أو أنقذه (من النَّار) ، أي من دخوله أو خلوده فيها. قال الطِّيبي: وفي وضع الجنَّة والنَّار موضع ضمير المتكلِّم تجريد ونوع من الالتفات، ثمَّ قال وقول الجنَّة والنَّار يجوز أن يكون حقيقة ولا بعد فيه كما في قوله تعالى: **﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾** [ق:٣٠] ، ويجوز أن يكون استعارة شبه استحقاق العبد بوعد الله ووعيده بالجنَّة والنَّار في تحققهما وثبوتهما بنطق النَّاطق كأنَّ الجنَّة مشتاقة إليه سائلة داعية دخوله والنَّار نافرة منه داعية له بالبعد منها، فأطلق القول وأراد التَّحقُّق والثبوت، ويجوز أن يقدر مضاف، أي قال خزنتهما فالقول إذًا حقيقي. قال القاري: لكن الإسناد مجازي. قال ابن حجر: الحمل على لسان الحال وتقدير المضاف مخالف للقواعد المقرَّرة أنَّ كلَّ ما ورد في الكتاب والسُّنَّة ولم يحل العقل حمله على ظاهره لم يصرف عنه إلَّا بدليل، ونطق الجمادات بالعرف واقع كتسبيح الحصى في يده النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحنين الجذع وغيره ، انتهى.

قلت: حمل القول على الحقيقة هو الظَّاهر الرَّاجح ولا وجه للعدول عنه. وفي الحديث حث على كثرة سؤال الجنَّة والتَّعوُّذ من النَّار " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ سَيَتَمَنَّى أَهْلُ النَّار الرُّجُوْعَ إِلَى الدُّنْيَا عِنْدَ مُعَايَنَتِهِمُ العَذَاب ؟

الجواب : قال تعالى : **﴿وَلَوْ تَرى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقالُوا يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآياتِ رَبِّنا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾** [الأنعام:٢٧] .

قال الإمام الماوردي في " النُّكت والعيون" (٢/ ١٠٥) : " قوله عزَّ وجلَّ: **﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ﴾** فيه ثلاثة أوجه :

أَحَدُهَا: عاينوها ، ومن عاين الشَّيء فقد وقف عليه .

وَالثَّانِي: أنَّها كانت من تحتهم وهم فوقها ، فصاروا وقوفاً عليها .

وَالثَّالِثُ: أنَّهم عرفوها بالدُّخول فيها ، ومن عرف الشَّيء فقد وقف عليه .

وذكر الكلبي وجهاً رَابِعاً: أنَّ معناه ولو ترى إذ حُبِسُوا على النَّار. **﴿فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِأَيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾** [الأنعام:٢٧] تمنَّوا الرَّدَّ إلى الدُّنيا التي هي دار التَّكليف ليؤمنوا ويصدقوا ، والتَّمنِّي لا يدخله صدق ولا كذب ، لأنَّه ليس بخبر."

وقال الإمام ابن الجوزي في " زاد المسير في علم التَّفسير " (٢/ ٢٠) : " قوله تعالى: وَلَوْ تَرى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ في معنى **﴿وُقِفُوا﴾** ستَّة أقوال. أحدها: حُبِسُوا عليها، قاله ابن السَّائب. والثَّاني: عُرِضُوا عليها، قاله مقاتل. والثَّالث: عاينوها. والرَّابع: وقفوا عليها وهي تحتهم. والخامس: دخلوا إليها فعرفوا مقدار عذابها، تقول: وقفت على ما عند فلان، أي فهمته وتبيَّنته، ذكر هذه الأقوال الثَّلاثة الزَّجَّاج، واختار الأخير. وقال ابن جرير: عَلَى هاهنا بمعنى "في" .

السَّادس: جعلوا عليها وقفاً، كالوقوف المؤبَّدة على سبلها، ذكره الماورديّ. والخطاب بهذه الآية للنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والوعيد للكفَّار، وجواب «لو» محذوف، ومعناه: لو رأيتهم في تلك الحال، لرأيت عجباً."

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (١٢/ ٥٠٨-٥١٠) : " اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ صِفَةَ مَنْ يَنْهَى عَنْ مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَيَنْأَى عَنْ طَاعَتِهِ بِأَنَّهُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ شَرَحَ كَيْفِيَّةَ ذَلِكَ الْهَلَاكِ بِهَذِهِ الْآيَةِ وَفِيهَا مَسَائِلُ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: قَوْلُهُ وَلَوْ تَرىٰ يَقْتَضِي لَهُ جَوَابًا وَقَدْ حُذِفَ تَفْخِيمًا لِلْأَمْرِ وَتَعْظِيمًا لِلشَّأْنِ، وَجَازَ حَذْفُهُ لِعِلْمِ الْمُخَاطَبِ بِهِ وَأَشْبَاهُهُ كَثِيرَةٌ فِي الْقُرْآنِ وَالشِّعْرِ. وَلَوْ قَدَّرْتَ الْجَوَابَ، كَانَ التَّقْدِيرُ: لَرَأَيْتَ سُوءَ مُنْقَلَبِهِمْ أَوْ لَرَأَيْتَ سُوءَ حَالِهِمْ وَحَذْفُ الْجَوَابِ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ أَبْلَغُ فِي الْمَعْنَىٰ مِنْ إِظْهَارِهِ، أَلَا تَرَىٰ: أَنَّكَ لَوْ قُلْتَ لِغُلَامِكَ، واللَّهِ لَئِنْ قُمْتُ إِلَيْكَ وَسَكَتَّ عَنِ الْجَوَابِ، ذَهَبَ بِفِكْرِهِ إِلَىٰ أَنْوَاعِ الْمَكْرُوهِ، مِنَ الضَّرْبِ، وَالْقَتْلِ، وَالْكَسْرِ، وَعَظُمَ الْخَوْفُ وَلَمْ يَدْرِ أَيَّ الْأَقْسَامِ تَبْغِي. وَلَوْ قُلْتَ: واللَّهِ لَئِنْ قُمْتُ إِلَيْكَ لَأَضْرِبَنَّكَ فَأَتَيْتَ بِالْجَوَابِ، لَعَلِمَ أَنَّكَ لَمْ تَبْلُغْ شَيْئًا غَيْرَ الضَّرْبِ وَلَا يَخْطُرُ بِبَالِهِ نَوْعٌ مِنَ الْمَكْرُوهِ سِوَاهُ، فَثَبَتَ أَنَّ حَذْفَ الْجَوَابِ أَقْوَىٰ تَأْثِيرًا فِي حُصُولِ الْخَوْفِ. وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ جَوَابُ لَوْ مَذْكُورٌ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ وَالتَّقْدِيرُ وَلَوْ تَرىٰ إِذا وُقِفُوا عَلَى النَّارِ يَنُوحُونَ وَيَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ وُقِفُوا يُقَالُ وَقَفْتُهُ وَقْفًا، وَوَقَفْتُهُ وُقُوفًا كَمَا يُقَالُ رَجَعْتُهُ رُجُوعًا. قَالَ الزَّجَّاجُ: وَمَعْنَىٰ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ يَحْتَمِلُ ثَلَاثَةَ أَوْجُهٍ:

الْأَوَّلُ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَدْ وُقِفُوا عِنْدَهَا وَهُمْ يُعَايِنُونَهَا فَهُمْ مَوْقُوفُونَ عَلَىٰ أَنْ يَدْخُلُوا النَّارَ.

وَالثَّانِي: يَجُوزُ أَنْ يَكُونُوا وُقِفُوا عَلَيْهَا وَهِيَ تَحْتَهُمْ، بِمَعْنَىٰ أَنَّهُمْ وُقِفُوا فَوْقَ النَّارِ عَلَى الصِّرَاطِ، وَهُوَ جِسْرٌ فَوْقَ جَهَنَّمَ.

وَالثَّالِثُ: مَعْنَاهُ عَرَفُوا حَقِيقَتَهَا تَعْرِيفًا مِنْ قَوْلِكَ وَقَفْتُ فَلَانًا عَلَىٰ كَلَامِ فُلَانٍ أَيْ عَلَّمْتُهُ مَعْنَاهُ وَعَرَّفْتُهُ.

وَفِيهِ وَجْهٌ رَابِعٌ: وَهُوَ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ فِي جَوْفِ النَّارِ، وَتَكُونُ النَّارُ مُحِيطَةً بِهِمْ، وَيَكُونُونَ غَائِصِينَ فِيهَا وَعَلَىٰ هَذَا التَّقْدِيرِ فَقَدْ أُقِيمَ (عَلَىٰ) مَقَامَ (فِي) وَإِنَّمَا صَحَّ عَلَىٰ هَذَا التَّقْدِيرِ، أَنْ يُقَالَ: وُقِفُوا عَلَى النَّارِ، لِأَنَّ النَّارَ دَرَكَاتٌ وطبقات، بعضها فَوْقَ بَعْضٍ فَيَصِحُّ هُنَاكَ مَعْنَى الِاسْتِعْلَاءِ.

فَإِنْ قِيلَ: فَلِمَاذَا قَالَ وَلَوْ تَرىٰ؟ وَذَلِكَ يُؤْذِنُ بِالِاسْتِقْبَالِ ثُمَّ قَالَ بَعْدَهُ إِذْ وُقِفُوا وَكَلِمَةُ إِذْ لِلْمَاضِي ثُمَّ قَالَ بَعْدَهُ، فَقَالُوا وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى الْمَاضِي.

قُلْنَا: إِنَّ كَلِمَةَ (إِذْ) تُقَامُ مَقَامَ (إِذَا) إِذَا أَرَادَ الْمُتَكَلِّمُ الْمُبَالَغَةَ فِي التَّكْرِيرِ وَالتَّوْكِيدِ، وَإِزَالَةَ الشُّبْهَةِ لِأَنَّ الْمَاضِيَ قَدْ وَقَعَ وَاسْتَقَرَّ، فَالتَّعْبِيرُ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ بِاللَّفْظِ الْمَوْضُوعِ لِلْمَاضِي، يُفِيدُ الْمُبَالَغَةَ مِنْ هَذَا الِاعْتِبَارِ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: قَالَ الزَّجَّاجُ: الْإِمَالَةُ فِي النَّارِ حَسَنَةٌ جَيِّدَةٌ، لِأَنَّ مَا بَعْدَ الْأَلِفِ مَكْسُورٌ وَهُوَ حَرْفُ الرَّاءِ، كَأَنَّهُ تَكَرَّرَ فِي اللِّسَانِ فَصَارَتِ الْكَسْرَةُ فِيهِ كَالْكَسْرَتَيْنِ.

أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿فقالوا يا لَيْتَنا نُرَدُّ ولا نُكَذِّبَ بِآياتِ رَبِّنا وَنكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾** فَفِيهِ مَسَائِلُ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: قَوْلُهُ : **﴿يا لَيْتَنا نُرَدُّ﴾** يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُمْ قَدْ تَمَنَّوْا أَنْ يُرَدُّوا إِلَى الدُّنْيَا. فَأَمَّا قَوْلُهُ : **﴿وَلا نُكَذِّبَ بِآياتِ رَبِّنا وَنكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾** فَفِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ دَاخِلٌ فِي التَّمَنِّي وَالتَّقْدِيرُ أَنَّهُمْ تَمَنَّوْا أَنْ يُرَدُّوا إِلَى الدُّنْيَا وَلَا يَكُونُوا مُكَذِّبِينَ وَأَنْ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ. فَإِنْ قَالُوا هَذَا بَاطِلٌ لِأَنَّهُ تَعَالَىٰ حَكَمَ عَلَيْهِمْ بِكَوْنِهِمْ كَاذِبِينَ بِقَوْلِهِ فِي آخِرِ الْآيَةِ : **﴿وَإِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ﴾** وَالْمُتَمَنِّي لَا يُوصَفُ بِكَوْنِهِ كَاذِبًا.

قُلْنَا: لَا نُسَلِّمُ أَنَّ الْمُتَمَنِّيَ لَا يُوصَفُ بِكَوْنِهِ كَاذِبًا لِأَنَّ مَنْ أَظْهَرَ التَّمَنِّيَ، فَقَدْ أَخْبَرَ ضِمْنًا كَوْنَهُ مُرِيدًا لذلك الشَّيْءِ فَلَمْ يَبْعُدْ تَكْذِيبُهُ فِيهِ، وَمِثَالُهُ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: لَيْتَ اللهَ يَرْزُقُنِي مَالًا فَأُحْسِنَ إِلَيْكَ، فَهَذَا تَمَنٍّ فِي حُكْمِ الْوَعْدِ، فَلَوْ رُزِقَ مَالًا وَلَمْ يُحْسِنْ إِلَىٰ صَاحِبِهِ لَقِيلَ إِنَّهُ كَذَبَ فِي وَعْدِهِ.

الْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ التمني تمّ عند قوله يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَأَمَّا قَوْلُهُ : **﴿وَلا نُكَذِّبَ بِآياتِ رَبِّنا وَنكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾** ، فَهَذَا الْكَلَامُ مُبْتَدَأٌ وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ فِي آخِرِ الْآيَةِ : **﴿وَإِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ﴾** عَائِدٌ إِلَيْهِ وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ، ثُمَّ قَالُوا وَلَوْ رُدِدْنَا لَمْ نُكَذِّبْ بِالدِّينِ وَكُنَّا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَىٰ كَذَّبَهُمْ وَبَيَّنَ أَنَّهُمْ لَوْ رُدُّوا لَكَذَّبُوا وَلَأَعْرَضُوا عَنِ الْإِيمَانِ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ نُرَدُّ وَنُكَذِّبُ بِالرَّفْعِ فِيهِمَا وَنَكُونَ بِالنَّصْبِ، وَقَرَأَ حَمْزَةُ وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ نُرَدُّ بِالرَّفْعِ، ونُكَذِّبَ ونكُونَ بِالنَّصْبِ فِيهِمَا، وَالْبَاقُونَ بِالرَّفْعِ فِي الثَّلَاثَةِ، فَحَصَلَ مِنْ هَذَا أَنَّهُمُ اتَّفَقُوا عَلَى الرَّفْعِ فِي قَوْلِهِ نُرَدُّ وذلك لأنه داخلة فِي التَّمَنِّي لَا مَحَالَةَ، فَأَمَّا الَّذِينَ رَفَعُوا قَوْلَهُ : **﴿وَلَا نُكَذِّبُ﴾** ... **﴿وَنكُونُ﴾** فَفِيهِ وَجْهَانِ:

الْأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ مَعْطُوفًا عَلَىٰ قَوْلِهِ نُرَدُّ فَتَكُونُ الثَّلَاثَةُ دَاخِلٌ فِي التَّمَنِّي، فَعَلَىٰ هَذَا قَدْ تَمَنَّوُا الرَّدَّ وَأَنْ لَا يُكَذِّبُوا وَأَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

وَالْوَجْهُ الثَّانِي: أَنْ يُقْطَعَ وَلَا نُكَذِّبُ وَمَا بَعْدَهُ عَنِ الْأَوَّلِ، فَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَنَحْنُ لَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَهُمْ ضَمِنُوا أَنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَ بِتَقْدِيرِ حُصُولِ الرَّدِّ. وَالْمَعْنَىٰ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَنَحْنُ لَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا رُدِدْنَا أَوْ لَمْ نُرَدَّ أَيْ قَدْ عَايَنَّا وَشَاهَدْنَا مَا لَا نُكَذِّبُ مَعَهُ أَبَدًا. قَالَ سِيبَوَيْهِ: وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِكَ دَعْنِي وَلَا أَعُودُ، فَهَهُنَا الْمَطْلُوبُ بِالسُّؤَالِ تَرْكُهُ. فَأَمَّا أَنَّهُ لَا يَعُودُ فَغَيْرُ دَاخِلٍ فِي الطَّلَبِ، فَكَذَا هُنَا قَوْلُهُ يَا

لَيْتَنا نُرَدُّ الدَّاخِلُ فِي هَذَا التَّمَنِّي الرَّدُّ، فَأَمَّا تَرْكُ التَّكْذِيبِ وَفِعْلُ الْإِيمَانِ فَغَيْرُ دَاخِلٍ فِي التَّمَنِّي، بَلْ هُوَ حَاصِلٌ سَوَاءٌ حَصَلَ الرَّدُّ أَوْ لَمْ يَحْصُلْ، وَهَذَانِ الْوَجْهَانِ ذَكَرَهُمَا الزَّجَّاجُ وَالنَّحْوِيُّونَ قَالُوا: الْوَجْهُ الثَّانِي أَقْوَى، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الرَّدُّ دَاخِلًا فِي التَّمَنِّي، وَيَكُونُ مَا بَعْدَهُ إِخْبَارًا مَحْضًا. وَاحْتَجُّوا عَلَيْهِ بِأَنَّ اللهَ كَذَّبَهُمْ فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ فَقَالَ:

﴿وَإِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ﴾ وَالْمُتَمَنِّي لَا يَجُوزُ تَكْذِيبُهُ، وَهَذَا اخْتِيَارُ أَبِي عَمْرٍو. وَقَدِ احْتَجَّ عَلَىٰ صِحَّةِ قَوْلِهِ بِهَذِهِ الْحُجَّةِ، إِلَّا أَنَّا قَدْ أَجَبْنَا عَنْ هَذِهِ الْحُجَّةِ، وَذَكَرْنَا أَنَّهَا لَيْسَتْ قَوِيَّةً، وَأَمَّا مَنْ قَرَأَ وَلا نُكَذِّبَ. ونَكُونَ بِالنَّصْبِ فَفِيهِ وُجُوهٌ:

الْأَوَّلُ: بِإِضْمَارِ (أَنْ) عَلَىٰ جَوَابِ التَّمَنِّي، وَالتَّقْدِيرُ: يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَأَنْ لَا نُكَذِّبَ.

وَالثَّانِي: أَنْ تَكُونَ الْوَاوُ مُبْدَلَةً مِنَ الْفَاءِ، وَالتَّقْدِيرُ: يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ فَلَا نكذب، فتكون الواو هاهنا بِمَنْزِلَةِ الْفَاءِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ **لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [الزُّمَر: ٥٨] وَيَتَأَكَّدُ هَذَا الْوَجْهُ بِمَا رُوِيَ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ يَقْرَأُ فَلَا نُكَذِّبَ بِالْفَاءِ عَلَىٰ النَّصْبِ .

وَالثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ الْحَالُ، وَالتَّقْدِيرُ: يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ غَيْرَ مُكَذِّبِينَ، كَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ- لَا تَأْكُلِ السَّمَكَ وَتَشْرَبَ اللَّبَنَ- أَيْ لَا تَأْكُلِ السَّمَكَ شَارِبًا لِلَّبَنِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ عَلَىٰ هَذِهِ الْقِرَاءَةِ تَكُونُ الْأُمُورُ الثَّلَاثَةُ دَاخِلَةً فِي التَّمَنِّي. وَأَمَّا أَنَّ الْمُتَمَنِّي كَيْفَ يَجُوزُ تَكْذِيبُهُ فَقَدْ سَبَقَ تَقْرِيرُهُ. وَأَمَّا قِرَاءَةُ ابْنِ عَامِرٍ وَهِيَ أَنَّهُ كَانَ يَرْفَعُ وَلَا نُكَذِّبُ وَيَنْصِبُ وَنَكُونَ فَالتَّقْدِيرُ: أَنَّهُ يَجْعَلُ قَوْلَهُ وَلا نُكَذِّبَ دَاخِلًا فِي التَّمَنِّي، بِمَعْنَىٰ أَنَّا إِنْ رُدِدْنَا غَيْرَ مُكَذِّبِينَ نَكُنْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، واللهُ أَعْلَمُ.

الْمَسْأَلَةُ الثالثة: قوله فَقالُوا يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ لَا شُبْهَةَ فِي أَنَّ الْمُرَادَ تَمَنِّي رَدِّهِمْ إِلَىٰ حَالَةِ التَّكْلِيفِ لِأَنَّ لَفْظَ الرَّدِّ إِذَا اسْتُعْمِلَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مِنْ حَالٍ إِلَىٰ حَالٍ، فَالْمَفْهُومُ مِنْهُ الرَّدُّ إِلَىٰ الْحَالَةِ الْأُولَىٰ. وَالظَّاهِرُ أَنَّ مَنْ صَدَرَ مِنْهُ تَقْصِيرٌ ثُمَّ عَايَنَ الشَّدَائِدَ وَالْأَحْوَالَ بِسَبَبِ ذَلِكَ التَّقْصِيرِ أَنَّهُ يَتَمَنَّىٰ الرَّدَّ إِلَىٰ الْحَالَةِ الْأُولَىٰ، ليسعىٰ فِي إِزَالَةِ جَمِيعِ وُجُوهِ التَّقْصِيرَاتِ. وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْكُفَّارَ قَصَّرُوا فِي دَارِ الدُّنْيَا فَهُمْ يَتَمَنَّوْنَ الْعَوْدَ إِلَىٰ الدُّنْيَا لِتَدَارُكِ تِلْكَ التَّقْصِيرَاتِ، وَذَلِكَ التَّدَارُكُ لَا يَحْصُلُ بِالْعَوْدِ إِلَىٰ الدُّنْيَا فَقَطْ، وَلَا بِتَرْكِ التَّكْذِيبِ، وَلَا بِعَمَلِ الْإِيمَانِ بَلْ إِنَّمَا يَحْصُلُ التَّدَارُكُ بِمَجْمُوعِ هَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ فَوَجَبَ إِدْخَالُ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ تَحْتَ التَّمَنِّي.

فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ يَحْسُنُ مِنْهُمْ تَمَنِّي الرَّدِّ مَعَ أَنَّهُمْ يعلمون أنَّ الرَّد يحصل لا الْبَتَّةَ.

وَالْجَوَابُ مِنْ وُجُوهٍ:

الْأَوَّلُ: لَعَلَّهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الرَّدَّ لَا يَحْصُلُ. وَالثَّانِي: أَنَّهُمْ وَإِنْ عَلِمُوا أَنَّ ذَلِكَ لَا يَحْصُلُ إِلَّا أَنَّ هَذَا الْعِلْمَ لَا يَمْنَعُ مِنْ حُصُولِ إِرَادَةِ الرَّدِّ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ**﴾ [الْمَائِدَةِ: ٣٧] ، وَكَقَوْلِهِ : ﴿**أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ الْماءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ**﴾ [الْأَعْرَافِ: ٥٠] ، فَلَمَّا صَحَّ أَنْ يُرِيدُوا هَذِهِ الْأَشْيَاءَ مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّهَا لَا تَحْصُلُ، فَبِأَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَقْرَبُ، لِأَنَّ بَابَ التَّمَنِّي أَوْسَعُ، لِأَنَّهُ يَصِحُّ أَنْ يَتَمَنَّى مَا لَا يَصِحُّ أَنْ يُرِيدَ مِنَ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ الْمَاضِيَةِ " .

وقال تعالىٰ : ﴿**وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ**﴾ [الشورىٰ:٤٤] .

قال الإمام الطَّبري في " التَّفسير" (٢٠/ ٥٢٩-٥٣٠) : " يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَتَرَىٰ الْكَافِرِينَ بِاللهِ يَا مُحَمَّدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمَّا عَايَنُوا عَذَابَ اللهِ يَقُولُونَ لِرَبِّهِمْ: ﴿**هَلْ**﴾ [البقرة: ٢١٠] لَنَا يَا رَبِّ ﴿**إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ**﴾ [الشورىٰ: ٤٤] ، وَذَلِكَ كَقَوْلِهِ :﴿**وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا**﴾ الْآيَةَ، اسْتَعْتَبَ الْمَسَاكِينَ فِي غَيْرِ حِينِ الِاسْتِعْتَابِ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا مَعْنَى الوُرُوْد الوَارد فِيْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا﴾ [مريم:٧١]

الجواب : قال الإمام القرطبي في " التَّذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة" (ص٧٥٩-٧٦٠) : " أحاديث هذا الباب تبيِّن لك معنىٰ الورود المذكور في القرآن في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وارِدُها**﴾ .

روي عن ابن عبَّاس وابن مسعود وكعب الأحبار أنَّهم قالوا: الورود المرور علىٰ الصِّراط.

رواه السدِّي عن ابن مسعود عن النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...

وقيل: الورود الدُّخول . روي عن ابن مسعود وعن ابن عبَّاس أيضاً وخالد بن معدان وابن جريج وغيرهم، وحديث أبي سعيد الخدري نصٌّ في ذلك علىٰ ما يأتي، فيدخلها العصاة بجرائمهم، والأولياء بشفاعتهم ...

وقال مجاهد: ورود المؤمنين هو الحمَّىٰ التي تصيب المؤمن في دار الدُّنيا ، وهي حظُّ المؤمن من النَّار فلا يردها. وأسند أبو عمر بن عبد البرّ في ذلك حديثاً في التَّمهيد (٦/ ٣٥٩) عن أبي هريرة أنَّ رَسُوْلَ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَادَ مَرِيضًا مِنْ وَعَكٍ كَانَ بِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَبْشِرْ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ : هِيَ نَارِي اسلطها علىٰ عبدي المؤمن لِتَكُونَ حَظَّهُ مِنَ النَّارِ " .

وقالت طائفة: الورود النَّظر إليها في القبر ، فينجَّى منها الفائز، ويصلاها من قدر عليه دخولها، ثمَّ يخرج منها بالشَّفاعة أو بغيرها من رحمة الله تعالى، واحتجُّوا بحديث ابن عمر رضي الله عنهما: " إِنَّ أَحَدُكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ " الحديث.

وقيل: المراد بالورود الإشراف على جهنَّم ، والاطلاع عليها ، والقُرب منها.

وذلك أنَّهم يحضرون موضع الحساب وهو بُقرب جهنَّم ، فيرونها ، وينظرون إليها في حالة الحساب، ثمَّ ينجِّي الله الذين اتَّقوا ممَّا نظروا إليه، ويُصار بهم إلى الجنَّة ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾ ، أي : يؤمر بهم إلى النَّار، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ﴾ ، أي : أشرف عليه لا أنَّه دخله .

وروت حفصة أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: لا يدخل النَّار أحد من أهل بدر، والحديبية قال: فقلت يا رسول الله: وأين قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وارِدُها﴾ [مريم:٧١] ؟ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ . خرَّجه مسلم من حديث أمّ مبشر قالت: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند حفصة. الحديث" . الحديث بهذا اللفظ لم أجده عند مسلم ، وقد روى مسلم (٤/ ١٩٤٢ برقم ٢٤٩٦) بسنده عَنْ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، قَالَ : أَخْبَرَتْنِي أُمُّ مُبَشِّرٍ، أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا» قَالَتْ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ فَانْتَهَرَهَا، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} [مريم: ٧١] فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا} [مريم: ٧٢] .

وقيل: الخطاب للكفَّار في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ روى وكيع، عن شعبة، عن عبد الله بن السَّائب، عن رجل، عن ابن عبَّاس أنَّه قال في قول الله عزَّوجلَّ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ ، قال: هذا خطاب للكفَّار.

وروي عنه أنَّه كان يقرأ (وَإِنَّ مِنْهُم) ردًّا على الآيات التي قبلها من الكفَّار قوله: ﴿فَوَ رَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّياطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ﴾ [مريم:٦٨] ، و ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾ [مريم:٦٩] ، ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلى بِها صِلِيًّا﴾ [مريم:٧٠] ، (وَإِنَّ مِنْهُم) ، وكذلك قرأ عكرمة وجماعة.

وقالت فرقة: المراد منكم: الكفرة ، والمعنى: قل لهم يا محمَّد ﴿وَإِنْ مِنْكُم﴾ .

وقال الجمهور: المخاطب العالم كلّه ، ولا بدَّ من ورود الجميع ، وعليه نشأ الخلاف في الورود كما ذكرنا ، والصَّحيح أنَّ الورود: الدُّخول لحديث أبي سعيد كما ذكرنا.

وفي مسند الدَّرامي أبي محمد (٣/ ١٨٥٣ برقم ٢٨٥٢) عَنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَرِدُ النَّاسُ النَّارَ ثُمَّ يَصْدُرُونَ عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ، فَأَوَّلُهُمْ كَلَمْحِ الْبَرْقِ، ثُمَّ كَالرِّيحِ، ثُمَّ كَحُضْرِ الْفَرَسِ، ثُمَّ كَالرَّاكِبِ فِي رَحْلِهِ، ثُمَّ كَشَدِّ الرَّجُلِ، ثُمَّ كَمَشْيِهِ" .

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا يَمُوتُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ، إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ» . خرَّجه الأئمَّة. انظر : صحيح مسلم (٤/ ٢٠٢٨ برقم ٢٦٣٢) .

قال الزُّهري كأنَّه يريد هذه الآية : ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ ، ذكره أبو داود الطَّيالسي في مسنده، وهذا يبيِّن لك ما ذكرناه ، لأنَّ المسيس حقيقته في اللغة المماسّة إلَّا أنَّها تكون برداً وسلاماً على المؤمنين وينجون منها سالمين، قال: خالد بن معدان: إذا دخل أهل الجنَّةِ الجنَّةَ قالوا: ألم يقل ربُّنا إنَّا نرد النَّار؟ فيقال: قد وردتموها فلقيتموها رماداً.

قلت: والذي يجمع شتات الأقوال: أن يقال : إنَّ من وردها، ولم تؤذه بلهبها وحرِّها فقد أبعد عنها ونجِّي منها، نجَّانا الله منها بفضله وكرمه، وجعلنا ممَّن وردها سالماً، وخرج منها غانماً.

وروى ابن جريج عن عطاء ، قال: قال أبو راشد الحروري لابن عبَّاس : ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ [الأنبياء:١٠٢] ، فقال له ابن عبَّاس: أمجنون أنت؟ فأين قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وارِدُها﴾ ، وقوله: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود:٩٨] ، وقوله: ﴿إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً ﴾ [مريم:٨٦] . ولقد كان من دعاء من مضى : اللهمَّ أخرجني من النَّار سالماً وأدخلني الجنَّة فائزاً.

وقد أشفق كثير من العلماء من تحقُّق الورود، والجهل بالصَّدر، كان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه يقول: ليت أمِّي لم تلدني ، فتقول له امرأته: يا أبا ميسرة إنَّ الله قد أحسن إليك وهداك إلى الإسلام، قال: أجل ، ولكن الله قد بيَّن لنا أنا واردوا النَّار ولم يبيِّن لنا أنا صادرون.

وعن الحسن قال: قال رجل لأخيه : أي أخي هل أتاك أنَّك وارد النَّار؟ قال: نعم قال: فهل أتاك أنَّك خارج منها؟ قال: لا. قال: ففيم الضَّحك إذاً؟ قال: فما رُئيَ ضاحكاً حتى مات.

وروي عن ابن عبَّاس أنَّه قال في هذ المسألة لنافع بن الأزرق الخارجي: أمَّا أنا وأنت فلا بدَّ أن نردها ، فأمَّا أنا فينجِّيني الله منها ، وأمَّا أنت فما أظنُّه ينجيك .

وذكر ابن المبارك قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي عاصم قال: بكى ابن رواحة فبكت امرأته ، فقال لها: ما يبكيك؟ قالت: بكيت حين رأيتك تبكي ، فقال عبد الله: إنِّي علمت أنِّي وارد النَّار فما أدري أناج منها أم لا؟ وفي معناه قيل:

وقد أتانا ورود النَّار ضاحية حقَّاً يقيناً ولَّما يأتنا الصّدر" .

﴿سُؤالٌ﴾ : وَرَدَ فِيْ عِدَّة أَحَادِيْثَ قَوْلُهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ " فَمَا مَعْنَى ذَلِكَ ؟

الجواب : جاءت هذه العبارة في جملة أحاديث منها:

روى البخاري (٢/ ٧٣ برقم ١٢٥١) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لاَ يَمُوتُ لِمُسْلِمٍ ثَلاَثَةٌ مِنَ الوَلَدِ، فَيَلِجَ النَّارَ، إِلَّا تَحِلَّةَ القَسَمِ» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: **﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾** [مريم: ٧١] .

قال الإمام ابن بطَّال في " شرح صحيح البخاري " (٣/ ٢٤٧-٢٤٨) : " وقوله عليه السَّلام: (إِلَّا تَحِلَّةَ القَسَمِ) هو مخرج في التَّفسير المسند، لأنَّ القسم عند العلماء قوله تعالى: **﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا﴾** [مريم: ٧١] هذا قول أبي عبيد يقول: فلا يَرِدُهَا إلَّا بقدر ما يبرُّ اللهُ قسمهُ .

قال الخطَّابي: وعارضنا ابن قتيبة، فقال: هذا حسن من الاستخراج إن كان هذا قسمًا، قال: وفيه وجه آخر، وهو أشبه بكلام العرب ومعانيهم، وهو إذا أرادوا تقليل مكث الشَّيء وتقصير مدَّته شبهوه بتحليل القسم، وذلك أن يقول للرَّجل بعده: إن شاء الله فيقولون: ما يقيم فلان عنه إلَّا تحَّلة القسم، وما ينام العليل إلَّا كتحليل الأليّة، مشهور في كلامهم، قال: ومعناه أنَّ النَّار لا تمسّه إلَّا قليلاً كتحليل اليمين، ثَّم ينجِّيه الله منها. قال: ولا إشكال أنَّ المعنى ما ذهب إليه أبو عبيد، إلَّا أنَّه أغفل بيان موضع القسم، فتوهَّم ابن قتيبة أنَّه ليس بقسم. وقد جاء ذلك في حديث مرفوع رواه زبان بن فائد، عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني، عن أبيه، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ، مَنْ حَرَسَ مِنْ وَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُتَطَوِّعًا، لَا يَأْخُذُهُ سُلْطَانٌ، لَمْ يَرَ النَّارَ بِعَيْنَيْهِ، إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: **﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾** [مريم: ٧١] . أخرجه أحمد في المسند (٢٤/ ٣٧٩ برقم ١٥٦١٢) . قال الأرنؤوط : " إسناده ضعيف " .

وفي هذا ما يقطع بصحَّة قول أبي عبيد. قال الخطَّابي: وموضع القسم مردود إلى قوله تعالى: **﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّياطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾** [مريم: ٦٨] الآية، وفيه وجه آخر وهو أنَّ العرب تحلف وتضمر المقسم به كقوله تعالى: **﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وارِدُها﴾** ، المعنى: وإن منكم والله إلَّا واردها، وقال الحسن وقتادة: **﴿حَتْماً مَقْضِيًّا﴾** ، قسمًا واجبًا، وهو قول ابن مسعود.

واختلف العلماء في هذا الورود المذكور في الآية، فقال جابر بن عبد الله وابن عبَّاس: لا يبقى بَرٌّ ولا فاجر إلَّا دخلها، فتكون على المؤمن بردًا وسلامًا كما كانت على إبراهيم. وقال آخرون: الورود الممر على الصِّراط. وروى ذلك عن ابن مسعود، وكعب الأحبار، ورواية عن ابن عَّباس. وقال آخرون: هو خطاب للكفَّار، روي ذلك عن ابن عبَّاس، قال: هو ردٌّ على الآيات التي قبلها في الكفَّار قوله تعالى: **﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّياطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾** إلى قوله: **﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وارِدُها﴾** [مريم: ٦٨، ٧١] .

وقال ابن الأنباري، وغيره: جائز أن يرجع من مخاطبته الغائب إلى لفظ المواجهة، ومن المواجهة إلى الغائب، قال تعالى: **﴿وَسَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً * إِنَّ هَذَا كانَ لَكُمْ جَزاءً﴾** [الإنسان: ٢١- ٢٢] فأبدل الكاف من الهاء، فعلى هذا صلح أن يكون خطابًا للمؤمنين، وقال مجاهد: الحُمَّى حظُّ المؤمن من النَّار. ثم قرأ: **﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وارِدُها﴾** ، قال: الحُمَّى في الدُّنيا الورود، فلا يَرِدُها في الآخرة. والحجَّة له ما رواه أبو أسامة، عن عبد الرَّحمن بن يزيد بن جابر، عن إسماعيل بن عبد الله الأشعري، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: عَادَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا مَعَهُ مَرِيْضاً كَانَ يَتَوَعَّكُ ، فَقَالَ : أَبْشِر فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُوْلُ: هِيَ نَارِي أُسَلِّطُهَا عَلَى عَبْدِي الْمُؤْمِنِ لِتَكُونَ حَظَّهُ مِنَ نَارِ الْآخِرَةِ" .

وقال الإمام ابن عبد البر في " الاستذكار " (٣/ ٧٤ فما بعدها) : " وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي حَدِيثِ مَالِكٍ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ فَهُوَ لَفْظٌ مُخَرَّجٌ فِي التَّفْسِيرِ الْمُسْنَدِ لِأَنَّ الْقَسَمَ الْمَذْكُورَ فِيهِ مَعْنَاهُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ قَوْلُ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ : **﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾** [مَرْيَمَ: ٧١] .

قَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ **﴿حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾** وَاجِبًا ، وَكَذَلِكَ قَالَ السُّدِّيُّ وَرَوَاهُ عَنْ مُرَّةَ الْهَمْدَانِيِّ عن بن مَسْعُودٍ .

وَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْوُرُودِ الْمَذْكُورِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ مِنْهُمْ قَائِلُونَ الْوُرُودُ الدُّخُولُ ، وَمِمَّنْ قَالَ ذَلِكَ عَبْدُ اللهَّ بْنُ رَوَاحَةَ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ عَلَى أَنَّهُ قد اختلف في ذلك عن بن عَبَّاسٍ وَقَدْ ذَكَرْنَا الْأَسَانِيدَ بِذَلِكَ عَنْهُمَا فِي التَّمهيد.

ذكر بن جريج عن عطاء عن بن عَبَّاسٍ قَالَ الْوُرُودُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي الْقُرْآنِ الدُّخُولُ لِيَرِدَهَا كُلُّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ .

ثمَّ قال بن عَبَّاسٍ فِي الْقُرْآنِ أَرْبَعَةُ أَوْرَادٍ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : **﴿أَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾** [هُودٍ :٩٨] ، وَقَوْلُهُ : **﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾** [الْأَنْبِيَاءِ :٩٨] ، وَقَوْلُهُ : **﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾** [مَرْيَمَ: ٨٦] ، وَقَوْلُهُ : **﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا واردها﴾** [مريم: ٧١] .

قال بن عَبَّاسٍ : وَاللهَّ لَقَدْ كَانَ مِنْ دُعَاءِ مَنْ مَضَىٰ اللَّهُمَّ أَخْرِجْنِي مِنَ النَّارِ سَالِمًا وَأَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ غَانِمًا .

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ الْوُرُودُ هُوَ الدُّخُولُ لَا يَبْقَىٰ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ إِلَّا دَخَلَهَا فَتَكُونُ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِ بَرْدًا وَسَلَامًا كَمَا كَانَتْ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ فَيُنَجِّ اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَيَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا .

يَقُولُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ يَفُوزُ بِالسَّلَامَةِ أَهلُ الطَّاعَةِ وَيَشْقَىٰ بِالْعَذَابِ أُولِي الْكُفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ .

وَقَالَ آخَرُونَ : الْوُرُودُ : الْمَمَرُّ عَلَىٰ الصِّرَاطِ . **﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾** [مَرْيَمَ: ٧١] قَالَ : الْمَمَرُّ عَلَىٰ الصِّرَاطِ.

وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ مَسْعُودٍ وَكَعْبِ الْأَحْبَارِ وَخَالِدِ بْنِ مِعْدَانَ وَأَبِي نَضْرَةَ ، وَهُوَ قَوْلُ السُّدِّيِّ.

وَرَوَىٰ إِسْرَائِيلُ وَشُعْبَةُ عَنِ السُّدِّيِّ أَنَّهُ سَأَلَ مَرَّةَ الْهَمْدَانِيَّ عَنْ قَوْلِ اللهَّ عَزَّ وجلَّ : **﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾** [مَرْيَمَ: ٧١] ، قَالَ : فَحَدَّثَنِي أَنَّ عَبْدَ اللهَّ بْنَ مَسْعُودٍ حَدَّثَهُمْ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ يَرِدُ النَّارَ ثُمَّ يَصْدُرُونَ مِنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ فَأَوَّلُهُمْ كَالْبَرْقِ ثُمَّ كَالرِّيحِ ثُمَّ كَخَطْوِ الْفَرَسِ ثُمَّ كَالرَّاكِبِ فِي رَحْلِهِ ثُمَّ كَشَدِّ الرَّجُلِ ثُمَّ كَمَشْيِهِ . وَقَفَهُ إِسْرَائِيلُ وَكَانَ شُعْبَةُ رُبَّمَا رَفَعَهُ وَكَانَ كَثِيرًا يَرْفَعُهُ.

وَقَالَ آخَرُونَ هُوَ خِطَابٌ لِلْكُفَّارِ.

ذَكَرَ وَكِيعٌ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ السائب عن رجل عن بن عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِ اللهَّ تَعَالَىٰ : **﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾** [مَرْيَمَ: ٧١] ، قَالَ : هُوَ خِطَابٌ لِلْكُفَّارِ ،رُوِيَ ذَلِكَ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ هُوَ خِطَابٌ لِلْمُشْرِكِينَ قَالَ أَبُو عُمَرَ : يُرِيدُ وَإِنْ مِنْكُمْ يَا هَؤُلَاءِ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ.

وقد روي عن بن عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَؤُهَا (وَإِنْ مِنْهُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) رَدًّا عَلَىٰ الْآيَاتِ الَّتِي قَبْلَهَا مِنَ الْكُفَّارِ قَوْلُ اللهَّ تَعَالَىٰ : **﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا * ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا * ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا * وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾** [مريم: ٦٨ – ٧١] .

مَرْيَمَ وقال بن الْأَنْبَارِيِّ وَغَيْرُهُ جَائِزٌ فِي الْقِصَّةِ أَنْ يَرْجِعَ مَنْ مُخَاطَبَةِ الْغَائِبِ إِلَى لَفْظِ الْمُوَاجِهِ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : **﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا * إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾** [الْإِنْسَانِ ٢١- ٢٢] ، فَأَبْدَلَ اللَّهُ مِنَ الْكَافِ الْهَاءَ.

قَالَ أَبُو عُمَرَ يَرْجِعُ مِنْ مُخَاطَبَةِ الْغَائِبِ إِلَى الْمُوَاجِهِ وَمِنَ الْمُوَاجِهِ إِلَى الْغَائِبِ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : **﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾** [يُونُس:٢٢] ، وَهُوَ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ وَأَشْعَارِ الْعَرَبِ.

وَقَالَ آخَرُونَ : الْوُرُودُ إِشْرَافٌ عَلَى النَّارِ بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا ثُمَّ يُنَجِّي مِنْهَا الْفَائِزُ وَيَصْلَاهَا مَنْ قُدِّرَ عَلَيْهِ دُخُولُهَا ، وَاحْتَجَّ هَؤُلَاءِ أَوْ بَعْضُهُمْ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : **﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾** [الْقَصَصِ :٢٣] ، أَيْ أَشْرَفَ عَلَيْهِ وَرَآهُ ، وَقَالَ الْحَسَنُ هُوَ كَقَوْلِكَ وَرَدْتُ الْبَصْرَةَ وَلَيْسَ الْوِرْدُ الدُّخُولَ. وَاحْتَجَّ مَنْ ذَهَبَ هَذَا الْمَذْهَبِ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : **﴿نَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾** [الْأَنْبِيَاءِ:] .

وَمَنْ قَالَ الْوُرُودُ الدُّخُولُ ، قَالَ : مَنْ نَجَا مِنْهَا كَانَتْ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا فَقَدْ أُبْعِدَ عَنْهَا.

وَاحْتَجُّوا أَيْضًا بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : " إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ عُرِضَ عَلَيْهِ مِقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ ، يُقَالُ لَهُ : هَذَا مِقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " .

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ لَمْ يَرَهَا وَلَمْ يَرِدْهَا وَيَكُونُ مَا يَنَالُهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْحُمَّى وُرُودًا لَهَا حَدَّثَنَا سَعِيدُ بن نصر قال : حدَّثنا بن أبي دليم قال : حدَّثنا بن وَضَّاحٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَنْبَارِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَمَانٍ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ الْأَسْوَدِ أَنَّهُ قَالَ : حَظُّ الْمُؤْمِنِ مِنَ النَّارِ ثُمَّ قَرَأَ : **﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾** ، فَقَالَ : الْحُمَّى فِي الدُّنْيَا الْوُرُودُ فَلَا يَرِدُهَا فِي الْآخِرَةِ.

وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ عَادَ رَسُولِ اللَّهَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا مَعَهُ مَرِيضًا كَانَ بِهِ وَعْكٌ فَقَالَ لَهُ : أَبْشِرْ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : هِيَ نَارِي أُسَلِّطُهَا عَلَى عَبْدِي الْمُؤْمِنِ لِتَكُونَ حَظَّهُ مِنَ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ " .

قال الإمام البغوي في " التَّفسير" (٥/ ٤٥٠-٤٥١) : " قَوْلُهُ: «إِلا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ» مَصْدَرُ حَلَّلْتُ الْيَمِينَ تَحْلِيلا وَتَحِلَّةً، أَيْ: أَبْرَرْتُهَا، يُرِيدُ إِلَّا قَدْرَ مَا يُبِرُّ اللَّهُ قَسَمَهُ فِيهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: **﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا﴾** [مَرْيَم: ٧١] الآيَةَ، فَإِذَا مَرَّ بِهَا وَجَاوَزَهَا، فَقَدْ أَبَرَّ قَسَمَهُ، وَقِيلَ: لَيْسَ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا﴾** [مَرْيَم: ٧١] قَسَمٌ فَتَكُونُ لَهُ تَحِلَّةٌ، وَلَكِنْ مَعْنَاهُ إِلَّا التَّعْذِيرَ الَّذِي لَا يُصِيبُهُ مِنْهُ مَكْرُوهٌ، مِنْ قَوْلِ

الْعَرَبِ: ضَرَبَهُ تَحْلِيلا، وَضَرَبَهُ تَعْذِيرًا: إِذَا لَمْ يُبَالِغْ فِي ضَرْبِهِ، وَالأَوَّلُ أَصَحُّ، وَمَوْضِعُ الْقَسَمِ مَرْدُودٌ إِلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ [مَرْيَم: ٦٨] ، وَقِيلَ: الْقَسَمُ فِيهِ مُضْمَرٌ، مَعْنَاهُ وَإِنْ مِنْكُمْ وَاللهِ إِلَّا وَارِدُهَا، كَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾ [النِّسَاء: ٧٢] ، أَيْ: وَاللهِ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ " .

وقال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج " (١٦/ ١٨٠-١٨١) : " قَالَ الْعُلَمَاءُ : تَحِلَّةَ الْقَسَمِ مَا يَنْحَلُّ بِهِ الْقَسَمُ وَهُوَ الْيَمِينُ ، وَجَاءَ مُفَسَّرًا فِي الْحَدِيثِ أَنَّ الْمُرَادَ قَوْلُهُ تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ ، وَبِهَذَا قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ وَجُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ ، وَالْقَسَمُ مُقَدَّرٌ ، أَيْ : وَاللهِ إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ، وَقِيلَ : الْمُرَادُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾ ، وقال بن قتيبة : معناه تقليل مدَّة ورودها ، قَالَ : وَتَحِلَّةُ الْقَسَمِ تُسْتَعْمَلُ فِي هَذَا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ، وَقِيلَ : تَقْدِيرُهُ وَلَا تَحِلَّةُ الْقَسَمِ ، أَيْ : لَا تَمَسُّهُ أَصْلًا وَلَا قَدْرًا يَسِيرًا كَتَحِلَّةِ الْقَسَمِ ، وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ : الْمُرُورُ عَلَى الصِّرَاطِ ، وَهُوَ جِسْرٌ مَنْصُوبٌ عَلَيْهَا ، وَقِيلَ الْوُقُوفُ عِنْدَهَا " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ يُسَاقُ أَهْلُ النَّارِ إِلَيْهَا سَوْقَاً ؟

الجواب : قال تعالى : **﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذا جاؤُها فُتِحَتْ أَبْوابُها وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آياتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قالُوا بَلى وَلكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذابِ عَلَى الْكافِرِينَ * قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾** [الزمر:٧١-٧٢] .

قال الإمام الماوردي في " النُّكت والعيون" (٥/ ١٣٧) : " فيه أربعة أوجه: أحدها: أفواجاً ، قاله الحسن. الثَّاني: أمماً ، قاله الكلبي. الثَّالث: جماعات ، قاله السدِّي. قال الأخفش جماعات متفرِّقة ، بعضها إثر بعض واحدها زمرة. قال خفاف بن ندبة:

كأنَّ إخراجها في الصُّبح غادية ... من كلِّ شائبةٍ في أنَّها زُمَر

الرَّابع: دفعاً وزجراً بصوت كصوت المزمار " .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير " (٢٧/ ٤٧٨) : " قَالَ ابْنُ زَيْدَانٍ: سَوْقُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يَكُونُ بِالْعُنْفِ وَالدَّفْعِ، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلى نارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطُّورِ: ١٣] ، أَيْ يُدْفَعُونَ دَفْعًا، نَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَذلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ [الْمَاعُونِ: ٢] ، أَيْ يَدْفَعُهُ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَنَسُوقُ

الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً﴾ [مَرْيَم: ٨٦] . وَأَمَّا الزُّمَرُ، فَهِيَ الْأَفْوَاجُ الْمُتَفَرِّقَةُ بَعْضٌ، فِي إِثْرِ بَعْضٍ، فَبَيَّنَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُمْ يُسَاقُونَ إِلَى جَهَنَّمَ " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن " (١٥/ ٢٨٣) : " هَذَا بَيَانُ تَوْفِيَةِ كُلِّ نَفْسٍ عَمَلَهَا، فَيُسَاقُ الْكَافِرُ إِلَى النَّارِ وَالْمُؤْمِنُ إِلَى الْجَنَّةِ. وَالزُّمَرُ: الْجَمَاعَاتُ وَاحِدَتُهَا زُمْرَةٌ كَظُلْمَةٍ وَغُرْفَةٍ. وَقَالَ الْأَخْفَشُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ:" زُمَراً" جَمَاعَاتٌ مُتَفَرِّقَةٌ بَعْضُهَا إِثْرَ بَعْضٍ. قَالَ الشَّاعِرُ:

وَتَرَى النَّاسَ إِلَى مَنْزِلِهِ وزمرا تنتابه بعد زمر

وقال آخر:

حتَّى أحزأت وزمر بعد زمر

وَقِيلَ: دَفْعًا وَزَجْرًا بِصَوْتٍ كَصَوْتِ الْمِزْمَارِ " .

وقال الإمام الطَّاهر بن عاشور في "التَّحرير والتَّنوير " (٢٤/ ٦٩) : " وَالسَّوْقُ: أَنْ يَجْعَلَ الْمَاشِي مَاشِيًا آخَرَ يَسِيرُ أَمَامَهُ وَيُلَازِمُهُ، وَضِدُّهُ الْقَوْدُ، وَالسَّوْقُ مُشْعِرٌ بِالْإِزْعَاجِ وَالْإِهَانَةِ، قَالَ تَعَالَى: **﴿كَأَنَّمَا يُساقُونَ إِلَى الْمَوْتِ﴾** [الْأَنْفَال: ٦] .

وَالزُّمَرُ: جَمْعُ زُمْرَةٍ، وَهِيَ الْفَوْجُ مِنَ النَّاسِ الْمَتْبُوعِ بِفَوْجٍ آخَرَ، فَلَا يُقَالُ: مَرَّتْ زُمْرَةٌ مِنَ النَّاسِ، إِلَّا إِذَا كَانَتْ مَتْبُوعَةً بِأُخْرَى، وَهَذَا مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي مَدْلُولُهَا شَيْءٌ مُقَيَّدٌ.

وَإِنَّمَا جُعِلُوا زُمَرًا لِاخْتِلَافِ دَرَجَاتِ كُفْرِهِمْ، فَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِالَّذِينَ كَفَرُوا مُشْرِكِي قُرَيْشٍ الْمَقْصُودِينَ بِهَذَا الْوَعِيدِ كَانَ اخْتِلَافُهُمْ عَلَى حَسَبِ شِدَّةِ تَصَلُّبِهِمْ فِي الْكُفْرِ وَمَا يُخَالِطُهُ مِنْ حَدَبٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَوْ فَظَاظَةٍ، وَمِنْ مُحَايِدَةٍ لِلنَّبِيءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ أَذًى، وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِهِمْ جَمِيعَ أَهْلِ الشِّرْكِ كَمَا تَقْتَضِيهِ حِكَايَةُ الْمَوْقِفِ مَعَ قَوْلِهِ: أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ كَانَ تَعَدُّدُ زُمَرِهِمْ عَلَى حَسَبِ أَنْوَاعِ إِشْرَاكِهِمْ.

وحَتَّى ابْتِدَائِيَّةٌ وإذا ظَرْفٌ لِزَمَانِ الْمُسْتَقْبَلِ يُضَمَّنُ مَعْنَى الشَّرْطِ غَالِبًا، أَيْ سِيقُوا سَوْقًا مُلَازِمًا لَهُم بشدته مُتَّصِل بزَمَنِ مَجِيئِهِمْ إِلَى النَّارِ " .

وأخبر تعالى أنَّهم يُدفعون في النَّار دفعاً عنيفاً ، فقل : **﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾** [الطور: ١٣] .

قال الإمام البغوي في " معالم التَّنزيل في تفسير القرآن "(٧/ ٣٨٧) : "**﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ﴾** يُدْفَعُونَ، **﴿إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾** دَفْعًا بِعُنْفٍ وَجَفْوَةٍ، وَذَلِكَ أَنَّ خَزَنَةَ جَهَنَّمَ يَغُلُّونَ أَيْدِيَهُمْ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ، وَيَجْمَعُونَ نَوَاصِيَهُمْ إِلَى

أَقْدَامِهِمْ، ثُمَّ يَدْفَعُونَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ دَفْعًا عَلَى وُجُوهِهِمْ، وَزَجًّا فِي أَقْفِيَتِهِمْ حَتَّى يَرِدُوا النَّارَ، فَإِذَا دَنَوْا مِنْهَا قَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا:

﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ فِي الدُّنْيَا. **﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا﴾** ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَنْسُبُونَ مُحَمَّدًا النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السِّحْرِ، وَإِلَى أَنَّهُ يُغَطِّي عَلَى الْأَبْصَارِ بِالسِّحْرِ، فَوُبِّخُوا بِهِ، وَقِيلَ لَهُمْ: **﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لا تُبْصِرُونَ﴾** .

﴿اصْلَوْهَا﴾ قَاسُوا شِدَّتَهَا، **﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾** الصَّبْرُ وَالْجَزَعُ، **﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** " .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢٨/ ٢٠٤-٢٠٥) : " **﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾** [الطور:١٣] .

وفيه مَبَاحِثُ لَفْظِيَّةٌ وَمَعْنَوِيَّةٌ.

أَمَّا اللَّفْظِيَّةُ فَفِيهَا مَسَائِلُ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: يَوْمَ مَنْصُوبٌ بِمَاذَا؟ نَقُولُ الظَّاهِرُ أَنَّهُ مَنْصُوبٌ بِمَا بَعْدَهُ وَهُوَ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿هذِهِ النَّارُ﴾** [الطُّورِ: ١٤] تَقْدِيرُهُ : يَوْمَ يُدَعُّونَ يُقَالُ لَهُمْ هَذِهِ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ، وَيُحْتَمَلُ غَيْرُ هَذَا وَهُوَ أَنْ يَكُونَ يَوْمَ بَدَلًا عَنْ يَوْمَ فِي يومئذ تقريره فويل يومئذ للمكذبين ويوم يوعدون أَيِ الْمُكَذِّبُونَ وَذَلِكَ أَنَّ قَوْلَهُ **﴿يَوْمَئِذٍ﴾** [الطُّورِ: ١١] مَعْنَاهُ يَوْمَ يَقَعُ الْعَذَابُ ، وَذَلِكَ الْيَوْمُ هُوَ يوم يوعدون فِيهِ إِلَى النَّارِ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ : **﴿ يُدَعُّونَ إلى النَّار﴾** يَدُلُّ عَلَى هَوْلِ نَارِ جَهَنَّمَ، لِأَنَّ خَزَنَتَهَا لَا يَقْرَبُونَ مِنْهَا وَإِنَّمَا يَدْفَعُونَ أَهْلَهَا إِلَيْهَا مِنْ بَعِيدٍ وَيُلْقُونَهُمْ فِيهَا وَهُمْ لَا يَقْرَبُونَهَا.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: دَعًّا مَصْدَرٌ، وَقَدْ ذَكَرْتُ فَائِدَةَ ذِكْرِ الْمَصَادِرِ وَهِيَ الْإِيذَانُ بِأَنَّ الدَّعَّ دَعٌّ مُعْتَبَرٌ يُقَالُ لَهُ دَعٌّ وَلَا يُقَالُ فِيهِ لَيْسَ بِدَعٍّ، كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ فِي الضَّرْبِ الْخَفِيفِ مُسْتَحْقِرًا لَهُ: هَذَا لَيْسَ بِضَرْبٍ وَالْعَدُوِّ الْمُهِينِ: هَذَا لَيْسَ بِعَدُوٍّ فِي غَيْرِ الْمَصَادِرِ، وَالرَّجُلِ الْحَقِيرِ لَيْسَ بِرَجُلٍ إِلَّا عَلَى قِرَاءَةِ من قرأ يُدَعُّونَ إِلى نارِ جَهَنَّمَ دَعًّا فَإِنَّ دُعَاءً حِينَئِذٍ يَكُونُ مَنْصُوبًا عَلَى الْحَالِ تَقْدِيرُهُ يُقَالُ لَهُمْ هَلُمُّوا إِلَى النَّارِ مَدْعُوِّينَ إِلَيْهَا.

أَمَّا الْمَعْنَوِيَّةُ فَنَقُولُ : قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلى نارِ جَهَنَّمَ﴾** يَدُلُّ عَلَى أَنَّ خَزَنَتَهَا يَقْذِفُونَهُمْ فِيهَا وَهُمْ بُعَدَاءُ عَنْهَا، وَقَالَ تَعَالَى: **﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ﴾** [الْقَمَرِ: ٤٨] ، نَقُولُ الْجَوَابُ عَنْهُ مِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَسْحَبُونَهُمْ فِي النَّارِ ثُمَّ إِذَا قَرُبُوا مِنْ نَارٍ مَخْصُوصَةٍ هِيَ نَارُ جَهَنَّمَ يَقْذِفُونَهُمْ فِيهَا مِنْ بَعِيدٍ فَيَكُونُ السَّحْبُ فِي النَّارِ وَالدَّفْعُ فِي نَارٍ أَشَدَّ وَأَقْوَى، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ**﴾ [غَافِرٍ: ٧١- ٧٢] ، أَيْ يَكُونُ لَهُمْ سَحْبٌ فِي حَمْوَةِ النَّارِ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَكُونُ لَهُمْ إِدْخَالٌ.

الثَّانِي: جَازَ أَنْ يَكُونَ فِي كُلِّ زَمَانٍ يَتَوَلَّى أَمْرَهُمْ مَلَائِكَةٌ، فَإِلَى النَّارِ يَدْفَعُهُمْ مَلَكٌ وَفِي النَّارِ يَسْحَبُهُمْ آخَرُ.

الثَّالِثُ: جَازَ أَنْ يَكُونَ السَّحْبُ بِسَلَاسِلَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ وَالسَّاحِبُ خَارِجُ النَّارِ.

الرَّابِعُ: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَلَائِكَةُ يَدْفَعُونَ أَهْلَ النَّارِ إِلَى النَّارِ إِهَانَةً وَاسْتِخْفَافًا بِهِمْ، ثُمَّ يَدْخُلُونَ مَعَهُمُ النَّارَ ويسحبونهم فيها" .

﴿**سُؤال**﴾ : **مَا هُوَ أَوَّلُ مَا يُقَدَّم لِأَهْلِ النَّارِ فِيْ النَّار ؟**

الجواب : قال تعالى : ﴿**ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ * لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ * فَمَالِؤُنَ مِنْهَا الْبُطُونَ * فَشارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ * هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ**﴾ [الواقعة:٥١-٥٦] .

قال الإمام الرَّازي في" التَّفسير " (٢٩/ ٤١٥) : " ﴿**هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ**﴾ ، يَعْنِي لَيْسَ هَذَا كُلَّ الْعَذَابِ بَلْ هَذَا أَوَّلُ مَا يَلْقَوْنَهُ وَهُوَ بَعْضٌ مِنْهُ وَأَقْطَعُ لِأَمْعَائِهِمْ " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٧/ ٢١٥) : " قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ**﴾ ، أَيْ : رِزْقُهُمُ الَّذِي يُعَدُّ لَهُمْ، كَالنُّزُلِ الَّذِي يُعَدُّ لِلْأَضْيَافِ تَكْرِمَةً لَهُمْ، وَفِيهِ تَهَكُّمٌ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ) وَكَقَوْلِ أَبِي السَّعْدِ الضَّبِّيِّ:

وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ بِالْجَيْشِ ضَافَنَا   جَعَلْنَا الْقَنَا وَالْمُرْهَفَاتِ لَهُ نُزُلَا " .

وقال الإمام ابن رجب في " روائع التَّفسير " (٢/ ٣٣٢-٣٣٣) : " والنُّزُلُ هو ما يعُدُّ للضَّيفِ عندَ قدومِهِ، فدلتْ هذه الآياتُ على أنَّ أهلَ النَّارِ يتحفُونَ عند دخولِها بالأكلِ من شجرةِ الزَّقُّومِ والشُّربِ من الحميمِ، وهم إنَّما يُساقُونَ إلى جهنمَ عِطاشًا، كما قالَ تعالى: ﴿**وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا**﴾ .

قال أبو عمرانَ الجوني: بلغنا أنَّ أهلَ النَّارِ يبعثُون عِطاشًا ثمَّ يقفُونَ مشاهدَ القيامةِ عِطَاشًا، ثمَّ قَرا: ﴿**وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا**﴾ ، قال مجاهد في تفسيرِ هذه الآيةِ: متقطعةٌ أعناقُهم عَطَشًا. وقالَ مطرٌ الورَّاق: عطَاشًا: ظَمَاءً.

وفي "الصَّحيحينِ " عن النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديثِ الشَّفاعة الطَّويل: "إنَّه يقالُ لليهودِ والنَّصارىٰ: ماذا تبغُون؟ فيقولُون: عَطِشْنَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ أَلاَ تَرِدُونَ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ" . انظر : صحيح البخاري (٦/ ٤٤ برقم ٤٥٨١).

وقالَ أيوبُ عن الحسنِ: ما ظنُّكَ بقومٍ قاموا علىٰ أقدامِهم خمسينَ ألفَ سنةٍ لم يأكُلوا فيها أكلةً ولم يشربُوا فيها شربةً حتَّىٰ انقطعتْ أعناقُهم عطشًا واحترقتْ أجوافُهم جُوعًا، ثُمَّ انصرفَ بهم إلىٰ النَّارِ فيُسقَونَ من عينٍ آنيةٍ قدْ آنَ حرُّها واشتدَّ نضجُها" .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ طَعَامِ وَشَرَابِ أَهْلِ النَّار ؟

الجواب : ذكر القرآن الكريم أصنافاً من طَعَامٍ وشراب أهل النَّار ، وذلك تبعاً لمنازلهم فيها ، ومن ذلك:

أَوَّلاً : النَّار :

قال تعالىٰ : **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾** [البقرة:١٧٤] .

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٥/ ٢٠٥) : " قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿أُولئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾** ، وَفِيهِ مَسْأَلَتَانِ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: قَالَ بعضهم: ذكر البطن هاهنا زِيَادَةُ بَيَانٍ لِأَنَّهُ يُقَالُ أَكَلَ فُلَانٌ الْمَالَ إِذَا بَدَرَهُ وَأَفْسَدَهُ ، وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ فِيهِ فَائِدَةٌ فَقَوْلُهُ: فِي بُطُونِهِمْ أَيْ مِلْءَ بُطُونِهِمْ يُقَالُ: أَكَلَ فُلَانٌ فِي بَطْنِهِ وَأَكَلَ فِي بَعْضِ بَطْنِهِ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: قِيلَ: إِنَّ أَكْلَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ طَيِّبًا فِي الْحَالِ فَعَاقِبَتُهُ النَّارُ فَوُصِفَ بِذَلِكَ كَقَوْلِهِ: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾** [النِّسَاءِ: ١٠] عَنِ الْحَسَنِ وَالرَّبِيعِ وَجَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمَّا أَكَلَ مَا يُوجِبُ النَّارَ فَكَأَنَّهُ أَكَلَ النَّارَ، كَمَا رُوِيَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ «الشَّارِبُ مِنْ آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ إِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ " .

وَقَوْلُهُ: **﴿إِنِّي أَرانِي أَعْصِرُ خَمْراً﴾** [يُوسُفَ: ٣٦] ، أي : عنباً فسمَّاه باسم ما يؤول إِلَيْهِ ، وَقِيلَ: إِنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ يَأْكُلُونَ النَّارَ لأكلهم في الدُّنيا الحرام عن الأصم" .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (٢/ ٢٣٤-٢٣٥) : " قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿فِي بُطُونِهِمْ﴾** ذَكَرَ الْبُطُونَ دَلَالَةً وَتَأْكِيدًا عَلَى حَقِيقَةِ الْأَكْلِ، إِذْ قَدْ يُسْتَعْمَلُ مَجَازًا فِي مِثْلِ أَكَلَ فُلَانٌ أَرْضِي وَنَحْوِهِ. وَفِي ذكر البطون

أيضاً تنبيه على جشعهم وَأَنَّهُمْ بَاعُوا آخِرَتَهُمْ بِحَظِّهِمْ مِنَ الْمَطْعَمِ الَّذِي لَا خَطَرَ لَهُ. وَمَعْنَى **﴿لَا النَّارَ﴾** ، أَيْ : إِنَّهُ حَرَامٌ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالنَّارِ، فَسُمِّيَ مَا أَكَلُوهُ مِنَ الرِّشَاءِ نَارًا لِأَنَّهُ يُؤَدِّيهِمْ إِلَى النَّارِ، هَكَذَا قَالَ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ. وَقِيلَ: أَيْ إِنَّهُ يُعَاقِبُهُمْ عَلَى كِتْمَانِهِمْ بِأَكْلِ النَّارِ فِي جَهَنَّمَ حَقِيقَةً. فَأَخْبَرَ عَنِ الْمَآلِ بِالْحَالِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾** [النساء: ١٠] ، أي : أَنَّ عاقبته تؤول إِلَى ذَلِكَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ:

لِدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ . قَالَ: فَلِلْمَوْتِ مَا تَلِدُ الْوَالِدَةُ

آخَرُ: وَدُورنَا لِخَرَابِ الدَّهْرِ نَبْنِيهَا ، وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ وَالشِّعْرِ كَثِيرٌ" .

وقال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير" (٢/ ١٢٣-١٢٤) : " وَقَوْلُهُ: **﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾** جِيءَ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ لِإِشْهَارِهِمْ لِئَلَّا يَخْفَى أَمْرُهُمْ عَلَى النَّاسِ وَلِلتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ مَا يُخْبَرُ بِهِ عَنِ اسْمِ الْإِشَارَةِ اسْتَحَقُّوهُ بِسَبَبِ مَا ذُكِرَ قَبْلَ اسْمِ الْإِشَارَةِ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ﴾** [البَقَرَة: ٥] ، وَهُوَ تَأْكِيدٌ لِلسَّبَبِيَّةِ الْمَدْلُولِ عَلَيْهَا بِالْمَوْصُولِ، وَفِعْلُ يَأْكُلُونَ مُسْتَعَارٌ لِأَخْذِ الرِّشَا الْمُعَبَّرِ عَنْهَا بِالثَّمَنِ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مُسْتَعْمَلٌ فِي زَمَانِ الْحَالِ، أَيْ مَا يَأْكُلُونَ وَقْتَ كِتْمَانِهِمْ وَاشْتِرَائِهِمْ إِلَّا النَّارَ لِأَنَّهُ الْأَصْلُ فِي الْمُضَارِعِ.

وَالْأَكْلُ مُسْتَعَارٌ لِلِانْتِفَاعِ مَعَ الْإِخْفَاءِ، لِأَنَّ الْأَكْلَ انْتِفَاعٌ بِالطَّعَامِ وَتَغْيِيبٌ لَهُ فَهُوَ خَفِيٌّ لَا يَظْهَرُ كَحَالِ الرِّشْوَةِ، وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ لِآكِلِ الرِّشْوَةِ عَلَى كِتْمَانِ الْأَحْكَامِ أَكْلُ نَارٍ تَعَيَّنَ أَنَّ فِي الْكَلَامِ مَجَازًا، فَقِيلَ هُوَ مَجَازٌ عَقْلِيٌّ فِي تَعَلُّقِ الْأَكْلِ بِالنَّارِ وَلَيْسَتْ هِيَ لَهُ وَإِنَّمَا لَهُ سَبَبُهَا أَعْنِي الرِّشْوَةَ، قَالَ التَّفْتَازَانِيُّ: وَهُوَ الَّذِي يُوهِمُهُ ظَاهِرُ كَلَامِ «الْكَشَّافِ» لَكِنَّهُ صَرَّحَ أَخِيرًا بِغَيْرِهِ، وَقِيلَ هُوَ مَجَازٌ فِي الطَّرَفِ بِأَنْ أَطْلَقَ لَفْظَ النَّارِ عَلَى الرِّشْوَةِ إِطْلَاقًا لِلِاسْمِ عَلَى سَبَبِهِ قَالَ التَّفْتَازَانِيُّ: وَهُوَ الَّذِي صَرَّحَ بِهِ فِي «الْكَشَّافِ» وَنَظَّرَهُ بِقَوْلِ الْأَعْرَابِيِّ يُوَبِّخُ امْرَأَتَهُ وَكَانَ يَقْلَاهَا:

أَكَلْتُ دَمًا إِنْ لَمْ أَرُعْكِ بِضَرَّةٍ بَعِيدَةِ مَهْوَى الْقُرْطِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ

أَرَادَ الْحَلْفَ بِطَرِيقَةِ الدُّعَاءِ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَأْكُلَ دَمًا أَيْ دِيَةَ دَمٍ فَقَدْ تَضَمَّنَ الدُّعَاءَ عَلَى نَفْسِهِ بِقَتْلِ أَحَدِ أَقَارِبِهِ وَبِذَهَابِ مُرُوءَتِهِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَتَعَيَّرُونَ بِأَخْذِ الدِّيَةِ عَنِ الْقَتِيلِ وَلَا يَرْضَوْنَ إِلَّا بِالْقَوَدِ.

وَاخْتَارَ عَبْدُ الْحَكِيمِ أَنَّهُ اسْتِعَارَةٌ تَمْثِيلِيَّةٌ شُبِّهَتِ الْهَيْئَةُ الْحَاصِلَةُ مِنْ أَكْلِهِمُ الرِّشَا بِالْهَيْئَةِ الْمُنْتَزَعَةِ مَنْ أَكْلِهِمُ النَّارَ وَأُطْلِقَ الْمُرَكَّبُ الدَّالُّ عَلَى الْهَيْئَةِ الْمُشَبَّهِ بِهَا عَلَى الْهَيْئَةِ الْمُشَبَّهَةِ.

قُلْتُ: وَلَا يَضُرُّ كَوْنُ الْهَيْئَةِ الْمُشَبَّهِ بِهَا غَيْرَ مَحْسُوسَةٍ لِأَنَّهَا هَيْئَةٌ مُتَخَيَّلَةٌ كَقَوْلِهِ: "أَعْلَامُ يَاقُوتٍ نُشِرْنَ عَلَى رِمَاحٍ مِنْ زَبَرْجَدٍ" فَالْمُرَكَّبُ الَّذِي مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَدُلَّ عَلَى الْهَيْئَةِ الْمُشَبَّهَةِ أَنْ يُقَالَ: أُولَئِكَ مَا يَأْخُذُونَ إِلَّا أَخْذًا فَظِيعًا مُهْلِكًا فَإِنْ تَنَاوَلَهَا كَتَنَاوُلِ النَّارِ لِلْأَكْلِ فَإِنَّهُ كُلُّهُ هَلَاكٌ مِنْ وَقْتِ تَنَاوُلِهَا بِالْيَدِ إِلَى حُصُولِهَا فِي الْبَطْنِ، وَوَجْهُ كَوْنِ الرِّشْوَةِ مُهْلِكَةً أَنَّ فِيهَا اضْمِحْلَالَ أَمْرِ الْأُمَّةِ وَذَهَابَ حُرْمَةِ الْعُلَمَاءِ وَالدِّينِ فَتَكُونُ هَذِهِ الِاسْتِعَارَةُ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها**﴾ [آل عمران: ١٠٣] ، أَيْ : عَلَى وَشْكِ الْهَلَاكِ وَالِاضْمِحْلَالِ.

وَالَّذِي يَدْعُو إِلَى الْمَصِيرِ لِلتَّمْثِيلِيَّةِ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: فِي بُطُونِهِمْ فَإِنَّ الرِّشْوَةَ لَا تُؤْكَلُ فِي الْبَطْنِ فَيَتَعَيَّنُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَكَّبُ كُلُّهُ اسْتِعَارَةً، وَلَوْ جُعِلَتِ الِاسْتِعَارَةُ فِي خُصُوصِ لَفْظِ النَّارِ لَكَانَ قَوْلُهُ: ﴿**يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ**﴾ مُسْتَعْمَلًا فِي الْمُرَكَّبِ الْحَقِيقِيِّ، وَهُوَ لَا يَصِحُّ، وَلَوْلَا قَوْلُهُ: فِي بُطُونِهِمْ لَأَمْكَنَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ يَأْكُلُونَ هُنَا مُسْتَعْمَلٌ حَقِيقَةً عرفية فِي غصب الْحَقِّ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَجَوَّزُوا أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: يَأْكُلُونَ مُسْتَقْبَلًا، أَيْ مَا سَيَأْكُلُونَ إِلَّا النَّارَ عَلَى أَنَّهُ تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ بِعَذَابِ الْآخِرَةِ، وَهُوَ وَجِيهٌ، وَنُكْتَةُ اسْتِعَارَةِ الْأَكْلِ هُنَا إِلَى اصْطِلَائِهِمْ بِنَارِ جَهَنَّمَ هِيَ مُشَاكَلَةٌ تَقْدِيرِيَّةٌ لِقَوْلِهِ: يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا فَإِنَّ الْمُرَادَ بِالثَّمَنِ هُنَا الرِّشْوَةُ، وَقَدْ شَاعَ تَسْمِيَةُ أَخْذِ الرِّشْوَةِ أَكْلًا" .

قلتُ : ومِمَّا يُؤيِّد أنَّ أكلهم النَّار على الحقيقة ما رواه البخاري (٧/ ١١٣ برقم ٥٦٣٤) ، مسلم (٣/ ١٦٣٤ برقم ٢٠٦٥) بسندهما عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الَّذِي يَشْرَبُ فِي إِنَاءِ الفِضَّةِ إِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ» .

قال الإمام الباجي في " : المنتقى شرح الموطَّإ " (٧/ ٢٣٥) : " قَوْلُهُ : إنَّمَا يُجَرْجِرُ الْجَرْجَرَةُ صَوْتُ وُقُوعِ الْمَاءِ فِي الْجَوْفِ وَمَعْنَى ذَلِكَ – وَاَللَّهُ أَعْلَمُ – أَنَّهُ يُعَاقَبُ عَلَيْهِ فِي جَهَنَّمَ ، وَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ بِأَنْ يَشْرَبَ مِنْهَا مَا يُسَمَّى مُهْلًا وَجَازَ شَرَابُهَا الَّذِي يُوصَفُ بِأَنَّهُ نَارٌ ، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي الشَّيْءَ بِاسْمِ مَا يَئُولُ إلَيْهِ فَيُسَمَّى الْعَصِيرُ خَمْرًا إذَا أُرِيدَ بِهِ الْخَمْرُ وَتُسَمَّى الشِّدَّةُ مَوْتًا لِمَا كَانَ تَئُولُ إلَيْهِ " .

وقال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج " (٢٨/١٤) : " وَالْجَرْجَرَةُ هِيَ التَّصْوِيتُ ، وَسُمِّيَ المشروب نارا لأنَّه يؤول إِلَيْهَا ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً﴾** " .

وقال الإمام العيني في " عمدة القاري شرح صحيح البخاري " (٢٠٢/٢١-٢٠٣) : " قَوْله: (يُجرجر) بِضَم الْيَاء وَفتح الْجِيم وَسُكُون الرَّاء وَكسر الْجِيم الثَّانِيَة من الجرجرة، وَهُوَ صَوت يردِّده الْبَعِير فِي حنجرته إِذا هاج نَحْو صَوت اللجام فِي فكِّ الْفرس، وَالْمعْنَى يصوِّت فِي بَطْنه نَار جَهَنَّم، وَقَالَ الدَّاودِيّ: يتجرَّع نَار جَهَنَّم، وَقَالَ النَّوَوِيّ: اتَّفقُوا على كسر الْجِيم الثَّانِيَة من يجرجر، قيل: رد عَلَيْهِ بِمَا حكى الْمُوفَّق بن حَمْزَة الْفَتْح فِي كَلَامه على الْمُهَذّب، وَجوز ابْن مَالك كَون: يجرجر على الْبناء للْفَاعِل وَالْمَفْعُول، ورد عَلَيْهِ بِأَنَّ أحداً من الْحفَّاظ قَدِيماً وحديثاً لم يرو على الْبناء لِلْمَفْعُول، مَعَ أَنَّ الأَصْل إِسْنَاد الْفِعْل إِلَى الْفَاعِل.

قَوْله: (نَار جَهَنَّم) قَالَ الطِّيبِيّ: اخْتلفُوا فِي نَار جَهَنَّم بِالنَّصب أم بِالرَّفْع، وَالصَّحِيح الْمَشْهُور النَّصب، وَرجَّحه الزَّجَّاج والخطابي وَالْأَكْثَرُونَ، وَيُؤَيِّدهُ الرِّوَايَة الثَّانِيَة. قلت: أَرَادَ بِهِ مَا رَوَاهُ مُسلم بِلَفْظ، فَإِنَّمَا يجرجر فِي بَطْنه نَاراً من جَهَنَّم، وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيّ: الْأَكْثَر النَّصب، والشَّارب هُوَ الْفَاعِل، وَالنَّار مَفْعُوله. يُقَال: جرجر فلَان المَاء إِذا جرعه جرعاً متواتراً صَوت، فَالْمَعْنى: كَأَنَّمَا يجرع نَار جَهَنَّم، وَأمَّا الرَّفْع فمجاز لِأَنَّ جَهَنَّم على الْحَقِيقَة لَا تجرجر فِي جَوْفه، وَلكنَّه جعل صَوت تجرُّع الْإِنْسَان للْمَاء فِي هَذِه الْأَوَانِي الْمَخْصُوصَة لوُقُوع النَّهْي عَنْهَا وَاسْتِحْقَاق الْعقَاب على اسْتِعْمَالهَا كجرجرة نَار جَهَنَّم فِي بَطْنه بطرِيق الْمجَاز" .

ثَانِياً : الحَمِيْم:

قال تعالى : **﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾** [محمد: ١٥] ، قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (٢٣٧/١٦) : " أي حارا شديد الغليان، إذا دنا منهم شوى وجوههم، ووقعت فروة رؤوسهم، فَإِذَا شَرِبُوهُ قَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ وَأَخْرَجَهَا مِنْ دُبُورِهِمْ. وَالْأَمْعَاءُ: جَمْعُ مِعًى، وَالتَّثْنِيَةُ مِعَيَانِ، وَهُوَ جَمِيعُ ما في البطن من الحوايا " .

وقال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (٣١٤/٧) : " أَيْ: حَارًّا شَدِيدَ الْحَرِّ، لَا يُسْتَطَاعُ. **﴿فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾** ، أَيْ: قَطَّعَ مَا فِي بُطُونِهِمْ مِنَ الْأَمْعَاءِ وَالْأَحْشَاءِ، عِيَاذًا بالله من ذلك" . فالحميم هو ما اشتدَّ حرُّه...

وقال تعالىٰ : **﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغاثُوا بِماءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرابُ وَساءَتْ مُرْتَفَقاً﴾** [الكهف:٢٩] .

قال الإمام الماوردي في " النُّكت والعيون" (٣/٣٠٣) : **﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغاثُوا بِماءٍ كَالْمُهْلِ﴾** ، فيه أربعة تأويلات: أحدها: أنَّه القيح والدَّم ، قاله مجاهد. الثَّاني: دردي الزَّيت ، قاله ابن عبَّاس. الثَّالث: أنَّه كلّ شيء أُذيب حتَّىٰ انماع؛ قاله ابن مسعود. الرَّابع: هو الذي قد انتهىٰ حره ، قاله سعيد بن جبير " .

وقال الإمام البغوي في " التَّفسير" (٣/ ١٩٠) : **﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا﴾** ، مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ، يُغاثُوا بِماءٍ كَالْمُهْلِ.

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي تَوْبَةَ أَنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَارِثِ أَنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْكِسَائِيُّ أَنْبَأَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَحْمُودٍ أَنْبَأَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْخَلَّالُ ثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ عن رشدين بن سعد ثنا عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ عَنْ دَرَّاجٍ أَبِي السَّمْحِ عَنْ أَبِي الْهَيْثَمِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **﴿بِماءٍ كَالْمُهْلِ﴾** ، قَالَ : كَعَكَرِ الزَّيْتِ، فَإِذَا قُرِّبَ إِلَيْهِ سَقَطَتْ فَرْوَةُ وَجْهِهِ فِيهِ " .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ مَاءٌ غَلِيظٌ مِثْلُ دُرْدِيِّ الزَّيْتِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ الْقَيْحُ وَالدَّمُ.

وَسُئِلَ ابْنُ مَسْعُودٍ عَنِ الْمُهْلِ فَدَعَا بِذَهَبٍ وَفِضَّةٍ فَأَوْقَدَ عَلَيْهِمَا النَّارَ حَتَّى ذَابَا، ثُمَّ قَالَ: هَذَا أَشْبَهُ شَيْءٍ بِالْمُهْلِ، يَشْوِي الْوُجُوهَ، يُنْضِجُ الْوُجُوهَ مِنْ حَرِّهِ، بِئْسَ الشَّرابُ وَساءَتْ النَّارُ، مُرْتَفَقاً، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَنْزِلًا. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: مُجْتَمَعًا. وَقَالَ عطَاءٌ: مَقَرًّا. وَقَالَ الْقُتَيْبِيُّ: مَجْلِسًا. وَأَصْلُ الْمُرْتَفَقِ المتكأ " .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢١/ ٤٥٩-٤٦٠) : " قَوْلُهُ: **﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغاثُوا بِماءٍ كَالْمُهْلِ﴾** ، قِيلَ : فِي حَدِيثٍ مَرْفُوعٍ إِنَّهُ دَرْدِيُّ الزَّيْتِ . وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ دَخَلَ بيت المال وَأَخْرَجَ نُفَاثَةً كَانَتْ فِيهِ وَأَوْقَدَ عَلَيْهَا النَّارَ حَتَّى تَلَأْلَأَتْ ثُمَّ قَالَ: هَذَا هُوَ الْمُهْلُ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَالْأَخْفَشُ كُلُّ شَيْءٍ أَذَبْتَهُ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ نُحَاسٍ أَوْ فِضَّةٍ فَهُوَ الْمُهْلُ، وَقِيلَ: إِنَّهُ الصَّدِيدُ وَالْقَيْحُ، وَقِيلَ إِنَّهُ ضَرْبٌ مِنَ الْقَطِرَانِ. ثُمَّ يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الِاسْتِغَاثَةُ لِأَنَّهُمْ إِذَا طَلَبُوا مَاءً لِلشُّرْبِ فَيُعْطَوْنَ هَذَا الْمُهْلَ قَالَ تَعَالَى: **﴿تَصْلى نارًا حامِيَةً * تُسْقى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾** [الْغَاشِيَةِ: ٤- ٥] ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَسْتَغِيثُوا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ فَيَطْلُبُوا مَاءً يَصُبُّونَهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ لِلتَّبْرِيدِ فَيُعْطَوْنَ هَذَا الْمَاءَ. قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْهُمْ: **﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ الْماءِ﴾** [الْأَعْرَافِ: ٥٠] ، وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: **﴿سَرابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرانٍ وَتَغْشى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾** [إِبْرَاهِيمَ: ٥٠] ، فَإِذَا اسْتَغَاثُوا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ صُبَّ عَلَيْهِمُ الْقَطِرَانُ الَّذِي يَعُمُّ كُلَّ أَبْدَانِهِمْ كَالْقَمِيصِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿يُغاثُوا بِماءٍ كَالْمُهْلِ﴾** ، وَارِدٌ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِهْزَاءِ

كَقَوْلِهِ: تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ: **﴿بِئْسَ الشَّرابُ﴾** ، أَيْ أَنَّ الْمَاءَ الَّذِي هُوَ كَالْمُهْلِ بِئْسَ الشَّرَابُ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ بِشُرْبِ الشَّرَابِ تَسْكِينُ الْحَرَارَةِ ، وَهَذَا يَبْلُغُ فِي احْتِرَاقِ الْأَجْسَامِ مَبْلَغًا عَظِيمًا " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٠/ ٣٩٤) : " قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغاثُوا بِماءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾** ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْمُهْلُ مَاءٌ غَلِيظٌ مِثْلُ دُرْدِيِّ الزَّيْتِ. مُجَاهِدٌ: الْقَيْحُ وَالدَّمُ. الضَّحَّاكُ: مَاءٌ أَسْوَدُ، وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَسَوْدَاءُ، وَمَاؤُهَا أَسْوَدُ وَشَجَرهَا أَسْوَدُ وَأَهْلُهَا سُودٌ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: هُوَ كُلُّ مَا أُذِيبَ مِنْ جَوَاهِرِ الْأَرْضِ مِنْ حَدِيدٍ وَرَصَاصٍ ونحاس وقصدير، فَتَمُوجُ بِالْغَلَيَانِ، فَذَلِكَ الْمُهْلُ. وَنَحْوُهُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: هُوَ الَّذِي قَدِ انْتَهَىٰ حَرُّهُ. وَقَالَ: الْمُهْلُ ضَرْبٌ مِنَ القطران، يقال: مهلت البعير فهو ممهول. وفيل: هُوَ السُّمُّ. وَالْمَعْنَىٰ فِي هَذِهِ الْأَقْوَالِ مُتَقَارِبٌ.

وَفِي التِّرْمِذِيِّ (٤/ ٢٨٥ برقم ٢٥٨١) عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ : **﴿كَالْمُهْلِ﴾** ، قَالَ:" كَعَكَرِ الزَّيْتِ فَإِذَا قَرَّبَهُ إِلَىٰ وَجْهِهِ سَقَطَتْ فَرْوَةُ وَجْهِهِ" قَالَ أَبُو عِيسَىٰ: هَذَا حَدِيثٌ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ رِشْدِينَ بْنِ سَعْدٍ وَرِشْدِينُ قَدْ تُكُلِّمَ فِيهِ مِنْ قِبَلِ حِفْظِهِ.

وَخَرَّجَ (٤/ ٢٨٦ برقم ٢٥٨٣) عَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قوله: **﴿وَيُسْقى مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ﴾** ، قَالَ:" يُقَرَّبُ إِلَىٰ فِيهِ فَيَكْرَهُهُ فَإِذَا أُدْنِيَ مِنْهُ شَوَىٰ وَجْهَهُ وَوَقَعَتْ فَرْوَةُ رَأْسِهِ إذا شَرِبَهُ قَطَّعَ أَمْعَاءَهُ حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِنْ دُبُرِهِ. يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ : **﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعاءَهُمْ﴾** ، يَقُولُ : **﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغاثُوا بِماءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرابُ وَساءَتْ مُرْتَفَقاً﴾** ، قَالَ: حَدِيثٌ غَرِيبٌ. قُلْتُ: وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ صِحَّةِ تِلْكَ الْأَقْوَالِ، وَأَنَّهَا مُرَادَةٌ، وَاللهُ أَعْلَمُ. وَكَذَلِكَ نَصَّ عَلَيْهَا أَهْلُ اللُّغَةِ. فِي الصِّحَاحِ" الْمُهْلُ" النُّحاس المذاب. ابن الاعرابي: المهل لمذاب من الرَّصَاصِ. وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو. الْمُهْلُ دُرْدِيُّ الزَّيْتِ. وَالْمُهْلُ أَيْضًا الْقَيْحُ وَالصَّدِيدُ " .

ثَالِثاً : الصَّدِيْد الذي هو الْقَيْحُ وَالدَّمُ:

قال تعالىٰ : **﴿وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾** [إبراهيم: ١٦] .

قال الإمام الواحدي في" الوسيط في تفسير القرآن المجيد " (٣/ ٢٦-٢٧) : **﴿وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾** [إبراهيم: ١٦] الصَّديد: ماء الجرح المختلط بالدَّم والقيح. قال المفسَّرون: يريد صديد القيح والدَّم الذي يخرج من فروج الزُّناة.

أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ عَبْدَانَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدَانَ، نا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُعَيْمٍ، أنا الْحَسَنُ بْنُ حَلِيمٍ الْمَرْوَزِيُّ، أنا أَبُو الْمُوَجِّهِ، أنا عَبْدَانُ، نا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، أنا صَفْوَانُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي قَوْلِهِ: ﴿**وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ**﴾ [إبراهيم: ١٦-١٧] ، قَالَ: يُقَرَّبُ إِلَيْهِ، فَيَتَكَرَّهُهُ فَإِذَا أُدْنِيَ مِنْهُ هَوَىٰ وَجْهُهُ، وَوَقَعَ فَرْوَةُ رَأْسِهِ، فَإِذَا شَرِبَ؛ قَطَّعَ أَمْعَاءَهُ، حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِنْ دُبُرِهِ ... قَوْلُهُ: ﴿**يَتَجَرَّعُهُ**﴾ [إبراهيم: ١٧] التَّجَرُّعُ: تَنَاوُلُ الشَّرَابِ جَرْعَةً جَرْعَةً .قال ابن عبَّاس: يريد بالكره. ﴿**وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ**﴾ [إبراهيم: ١٧] ، يقال: ساغ الشَّراب في الحلق سوغًا وأساغه الله، قال المفسِّرون: يتحسَّاه ويشربه بالجرع، لا بمرَّة واحدة، لمرارته، ولا يسيغه إلَّا بعد إبطاء، لكراهته لذلك الشَّراب " .

وقال الإمام البغوي في " معالم التنزيل في تفسير القرآن " (٣/ ٣٣-٣٤) : ﴿**وَيُسْقى مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ**﴾ ، أَيْ: مِنْ مَاءٍ هُوَ صَدِيدٌ ، وَهُوَ مَا يَسِيلُ مِنْ أَبْدَانِ الْكُفَّارِ مِنَ الْقَيْحِ وَالدَّمِ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: مَا يَسِيلُ مِنْ فُرُوجِ الزُّناة يسقاه الكافر.

﴿**يَتَجَرَّعُهُ**﴾ ، أَيْ: يَتَحَسَّاهُ وَيَشْرَبُهُ لَا بِمَرَّةٍ وَاحِدَةٍ بَلْ جُرْعَةً جُرْعَةً لِمَرَارَتِهِ وَحَرَارَتِهِ، وَلا يَكادُ يُسِيغُهُ، ويكاد صِلَةٌ أَيْ لَا يُسِيغُهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿**لَمْ يَكَدْ يَراها**﴾ [النُّور: ٤٠] ، أَيْ: لَمْ يَرَهَا، قَالَ ابْنُ عباس: لَا يُجِيزُهُ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ يَكَادُ لَا يُسِيغُهُ وَيُسِيغُهُ فَيَغْلِي فِي جَوْفِهِ.

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي تَوْبَةَ أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَارِثِ أَنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْكِسَائِيُّ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَحْمُودٍ أَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْخَلَّالُ ثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَمْرٍو عن عبيد اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ: ﴿**وَيُسْقى مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ**﴾ ، قَالَ: «يقرب إلى فيه فيكرهه فَإِذَا أُدْنِيَ مِنْهُ شَوَىٰ وَجْهَهُ وَوَقَعَتْ فَرْوَةُ رَأْسِهِ فَإِذَا شَرِبَهُ قَطَّعَ أَمْعَاءَهُ حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِنْ دُبُرِهِ " .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (١٩/ ٧٩-٨٠) : " الصَّدِيدُ مَا يَسِيلُ جُلُودِ أَهْلِ النَّارِ. وَقِيلَ: التَّقْدِيرُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَاءٍ كَالصَّدِيدِ. وَذَلِكَ بِأَنْ يَخْلُقَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَا يُشْبِهُ الصَّدِيدَ فِي النَّتْنِ وَالْغِلَظِ وَالْقَذَارَةِ، وَهُوَ أَيْضًا يَكُونُ فِي نَفْسِهِ صَدِيدًا، لِأَنَّ كَرَاهَتَهُ تَصُدُّ عَنْ تَنَاوُلِهِ وَهُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿**وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعاءَهُمْ**﴾ [مُحَمَّد: ١٥] . ﴿**وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغاثُوا بِماءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرابُ**﴾ [الْكَهْف: ٢٩] .

السُّؤَالُ الرَّابِعُ: مَا مَعْنَىٰ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ.

الْجَوَابُ: التَّجَرُّعُ تَنَاوُلُ الْمَشْرُوبِ جُرْعَةً جُرْعَةً عَلَى الِاسْتِمْرَارِ، وَيُقَالُ: سَاغَ الشَّرَابُ فِي الْحَلْقِ يَسُوغُ سَوْغًا وَأَسَاغَهُ إِسَاغَةً. وَاعْلَمْ أَنَّ ﴿يَكَادُ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: أَنَّ نَفْيَهُ إِثْبَاتٌ، وَإِثْبَاتَهُ نَفْيٌ، فَقَوْلُهُ: وَلا يَكادُ يُسِيغُهُ أَيْ وَيُسِيغُهُ بَعْدَ إِبْطَاءٍ لِأَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ: مَا كِدْتُ أَقُومُ، أَيْ قُمْتُ بَعْدَ إِبْطَاءٍ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَذَبَحُوها وَما كادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الْبَقَرَةِ: ٧١] يَعْنِي: فَعَلُوا بَعْدَ إِبْطَاءٍ، وَالدَّلِيلُ عَلَى حُصُولِ الْإِسَاغَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ [الْحَجِّ: ٢٠]، وَلَا يَحْصُلُ الصَّهْرُ إِلَّا بَعْدَ الْإِسَاغَةِ، وَأَيْضًا فَإِنَّ قَوْلَهُ: ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ أَسَاغُوا الشَّيْءَ بَعْدَ الشَّيْءِ فَكَيْفَ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ بَعْدَهُ إِنَّهُ يُسِيغُهُ الْبَتَّةَ ".

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (٩/ ٣٥١): " قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيُسْقى مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ﴾، أَيْ: مِنْ مَاءٍ مِثْلِ الصَّدِيدِ، كَمَا يُقَالُ لِلرَّجُلِ الشُّجَاعِ أَسَدٌ، أَيْ مِثْلُ الْأَسَدِ، وَهُوَ تَمْثِيلٌ وَتَشْبِيهٌ. وَقِيلَ: هُوَ مَا يَسِيلُ مِنْ أَجْسَامِ أَهْلِ النَّارِ مِنَ الْقَيْحِ وَالدَّمِ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: هُوَ غُسَالَةُ أَهْلِ النَّارِ، وَذَلِكَ مَاءٌ يَسِيلُ مِنْ فُرُوجِ الزُّنَاةِ وَالزَّوَانِي. وَقِيلَ: هُوَ مِنْ مَاءٍ كَرِهْتَهُ تَصُدُّ عَنْهُ، فَيَكُونُ الصَّدِيدُ مَأْخُوذًا مِنَ الصَّدِّ. وَذَكَرَ ابْنُ الْمُبَارَكِ، أَخْبَرَنَا صَفْوَانُ بْنُ عَمْرٍو عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قوله: ﴿وَيُسْقى مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ﴾، قَالَ: يُقَرَّبُ إِلَى فِيهِ فَيَكْرَهُهُ فَإِذَا أُدْنِيَ مِنْهُ شَوَى وَجْهَهُ وَوَقَعَتْ فَرْوَةُ رَأْسِهِ فَإِذَا شَرِبَهُ قَطَّعَ أَمْعَاءَهُ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ دُبُرِهِ يَقُولُ اللَّهُ: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]، وَيَقُولُ اللَّهُ: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغاثُوا بِماءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرابُ﴾ [الكهف: ٢٩] " خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٤/ ٢٨٦ برقم ٢٥٨٣)، وَقَالَ: حَدِيثٌ غَرِيبٌ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ بُسْرٍ الَّذِي رَوَى عَنْهُ صَفْوَانُ بْنُ عَمْرٍو حَدِيثَ أَبِي أُمَامَةَ لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ أَخَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ. ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾، أَيْ يَتَحَسَّاهُ جَرْعًا لَا مَرَّةً وَاحِدَةً لِمَرَارَتِهِ وَحَرَارَتِهِ. ﴿وَلا يَكادُ يُسِيغُهُ﴾، أَيْ يَبْتَلِعُهُ، يُقَالُ: جَرَعَ الْمَاءَ وَاجْتَرَعَهُ وَتَجَرَّعَهُ بِمَعْنًى. وَسَاغَ الشَّرَابُ فِي الْحَلْقِ يَسُوغُ سَوْغًا إِذَا كَانَ سَلِسًا سَهْلًا، وَأَسَاغَهُ اللَّهُ إِسَاغَةً. وَ ﴿يَكادُ﴾ صِلَةٌ، أَيْ يُسِيغُهُ بَعْدَ إِبْطَاءٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَما كادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١]، أَيْ: فَعَلُوا بَعْدَ إِبْطَاءٍ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿يُصْهَرُ بِهِ ما فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ [الحج: ٢٠]، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى الْإِسَاغَةِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُجِيزُهُ وَلَا يَمُرُّ بِهِ."

رابِعاً: الغَسَّاق:

قال تعالى: ﴿**هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ * وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ**﴾ [ص: ٥٧ - ٥٨] ، قال الإمام البغوي في " معالم التَّنزيل في تفسير القرآن " (٤/ ٧٥) : " وَاخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى الْغَسَّاقِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ الزَّمْهَرِيرُ يَحْرُقُهُمْ بِبَرْدِهِ، كَمَا تَحْرُقُهُمُ النَّارُ بَحَرِّهَا.

وَقَالَ مُقَاتِلٌ وَمُجَاهِدٌ: هُوَ الَّذِي انْتَهَى بَرْدُهُ. وَقِيلَ: هُوَ الْمُنْتِنُ بِلُغَةِ التُّرْكِ. وَقَالَ قَتَادَةُ: هُوَ مَا يَغْسِقُ أَيْ مَا يَسِيلُ مِنَ الْقَيْحِ وَالصَّدِيدِ مِنْ جُلُودِ أَهْلِ النَّارِ وَلُحُومِهِمْ وَفُرُوجِ الزُّنَاةِ، من قولهم غَسَقَتْ عَيْنُهُ إِذَا انْصَبَّتْ، وَالْغَسَقَانُ الانصباب " .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢٦/ ٤٠٤) : " الْغَسَاقُ بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ فِيهِ وُجُوهٌ:

الْأَوَّلُ: أَنَّهُ الَّذِي يُغْسَقُ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ، يُقَالُ: غَسَقَتِ الْعَيْنُ إِذَا سَالَ دَمْعُهَا. وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ هُوَ الْقَيْحُ الَّذِي يَسِيلُ مِنْهُمْ يَجْتَمِعُ فَيُسْقَوْنَهُ.

الثَّانِي: قِيلَ الْحَمِيمُ يَحْرِقُ بِحَرِّهِ، وَالْغَسَّاقُ يَحْرِقُ بِبَرْدِهِ، وَذَكَرَ الْأَزْهَرِيُّ: أَنَّ الْغَاسِقَ الْبَارِدُ، وَلِهَذَا قِيلَ لِلَّيْلِ غَاسِقٌ لِأَنَّهُ أَبْرَدُ مِنَ النَّهَارِ.

الثَّالِثُ: أَنَّ الْغَسَّاقَ الْمُنْتِنُ حَكَى الزَّجَّاجُ لَوْ قُطِرَتْ مِنْهُ قَطْرَةٌ فِي الْمَشْرِقِ لَأَنْتَنَتْ أَهْلَ الْمَغْرِبِ، وَلَوْ قُطِرَتْ مِنْهُ قَطْرَةٌ فِي الْمَغْرِبِ لَأَنْتَنَتْ أَهْلَ الْمَشْرِقِ.

الرَّابِعُ: قَالَ كَعْبٌ: الْغَسَّاقُ عَيْنٌ فِي جَهَنَّمَ يَسِيلُ إِلَيْهَا سُمُّ كُلِّ ذَاتِ حُمَةٍ مِنْ عَقْرَبٍ وَحَيَّةٍ " .

خَامِسَاً : الزَّقُّوم:

قال تعالى: ﴿**إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ**﴾ [الدخان: ٤٣ - ٤٦] ، قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٦/ ١٤٩) : " وشَجَرَةُ الزَّقُّومِ: الشَّجَرَةُ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ فِي جَهَنَّمَ وَسَمَّاهَا الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ، فَإِذَا جَاعَ أَهْلُ النَّارِ الْتَجَئُوا إِلَيْهَا فَأَكَلُوا مِنْهَا، فَغَلَيَتْ فِي بُطُونِهِمْ كَمَا يَغْلِي الْمَاءُ الْحَارُّ. وَشَبَّهَ مَا يَصِيرُ مِنْهَا إِلَى بُطُونِهِمْ بِالْمُهْلِ، وَهُوَ النُّحَاسُ الْمُذَابُ. وَقِرَاءَةُ الْعَامَّةِ" تَغْلِي" بِالتَّاءِ حَمْلًا عَلَى الشَّجَرَةِ. وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَحَفْصٌ وَابْنُ مُحَيْصِنٍ وَرُوَيْسٌ عَنْ يَعْقُوبَ" يَغْلِي" بِالْيَاءِ حَمْلًا عَلَى الطَّعَامِ، وَهُوَ فِي مَعْنَى الشَّجَرَةِ " .

وقال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (٧/ ٢٦٠) : "إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْفَاجِرِ. أَيْ: لَيْسَ لَهُ طَعَامٌ غَيْرُهَا. قَالَ مُجَاهِدٌ: وَلَوْ وَقَعَتْ مِنْهَا قَطْرَةٌ فِي الْأَرْضِ لَأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ مَعَايِشَهُمْ " .

وروىٰ أحمد في "المسند" (٥/ ٢٣٦ برقم ٣١٣٦) بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ كَانَ عِنْدَ الْحَجَرِ، وَعِنْدَهُ مِحْجَنٌ يَضْرِبُ بِهِ الْحَجَرَ، وَيُقَبِّلُهُ، فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾** [آل عمران: ١٠٢] " لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّومِ قُطِرَتْ فِي الْأَرْضِ، لَأَمَرَّتْ عَلَىٰ أَهْلِ الدُّنْيَا مَعِيشَتَهُمْ، فَكَيْفَ بِمَنْ هُوَ طَعَامُهُ، وَلَيْسَ لَهُ طَعَامٌ غَيْرُهُ " . قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح على شرط الشيخين. سليمان: هو ابن مِهران الأعمش. وتقدم بطوله برقم (٢٧٣٥) عن روح، عن شعبة. وأخرجه دون قصة استلام الحَجَر النسائي في "السنن الكبرىٰ" (١١٠٧٠) عن بشر بن خالد، عن محمد بن جعفر غُنْدر، بهذا الإسناد. وأخرج قصة استلام الركن بالمحجن وتقبيل المحجن النسائيُّ أيضاً في "الكبرىٰ" (٣٩٢٥) من طريق إبراهيم بن محمد بن عَرْعرة، عن يحيىٰ بن سعيد، عن شعبة، به. ولها شاهد عند مسلم (١٢٧٥) ، وابن ماجه (٢٩٤٩) من طرق عن معروف بن خَرَبوذَ المكي، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، قال: رأيت رسولَ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يطوف بالبيت، ويستلم الركنَ بمِحْجَنٍ معه، ويُقَبِّل المحجن. والمِحْجَن: عصا معوجة الرأس " .

سَادِسَاً : الضَّرِيْع:

قال تعالىٰ: **﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ * لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾** [الغاشية: ٦ – ٧] .

قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (٢٠/ ٢٩٠٣١) : " قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿لَيْسَ لَهُمْ﴾** ، أَيْ لِأَهْلِ النَّارِ. **﴿طَعامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾** لَمَّا ذَكَرَ شَرَابَهُمْ ذَكَرَ طَعَامَهُمْ. قَالَ عِكْرِمَةُ وَمُجَاهِدٌ: الضَّرِيعُ: نَبْتٌ ذُو شَوْكٍ لَاصِقٌ بِالْأَرْضِ، تُسَمِّيهِ قُرَيْشٌ الشِّبْرِقَ إِذَا كَانَ رَطْبًا، فَإِذَا يَبِسَ فَهُوَ الضَّرِيعُ، لَا تَقْرَبُهُ دَابَّةٌ وَلَا بَهِيمَةٌ وَلَا تَرْعَاهُ، وَهُوَ سَمٌّ قَاتِلٌ، وَهُوَ أَخْبَثُ الطَّعَامِ وَأَشْنَعُهُ، عَلَىٰ هَذَا عَامَّةُ الْمُفَسِّرِينَ. إِلَّا أَنَّ الضَّحَّاكَ رَوَىٰ عن ابن عبَّاس قال: هو شيء يَرْمِي بِهِ الْبَحْرُ، يُسَمَّىٰ الضَّرِيعَ، مِنْ أَقْوَاتِ الانعام لَا النَّاسِ، فَإِذَا وَقَعَتْ فِيهِ الْإِبِلُ لَمْ تَشْبَعْ، وَهَلَكَتْ هَزْلًا. وَالصَّحِيحُ مَا قَالَهُ الْجُمْهُورُ: أَنَّهُ نَبْتٌ. قَالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ :

رَعَىٰ الشِّبْرِقَ الرَّيَّانَ حَتَّىٰ إِذَا ذَوَىٰ ... وَعَادَ ضَرِيعًا بَانَ مِنْهُ النَّحَائِصُ

وَقَالَ الْهُذَلِيُّ وَذَكَرَ إِبِلًا وَسُوءَ مَرْعَاهَا:

وَحُبِسْنَ فِي هَزْمِ الضَّرِيعِ فَكُلُّهَا ... حَدْبَاءُ دَامِيَةُ الْيَدَيْنِ حَرُودُ

وَقَالَ الْخَلِيلُ: الضَّرِيعُ: نَبَاتٌ أَخْضَرُ مُنْتِنُ الرِّيحِ، يَرْمِي بِهِ الْبَحْرُ. وَقَالَ الْوَالِبِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: هُوَ شَجَرٌ مِنْ نَارٍ، وَلَوْ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا لَأَحْرَقَتِ الْأَرْضَ وَمَا عَلَيْهَا. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: هُوَ الْحِجَارَةُ، وَقَالَهُ عِكْرِمَةُ. وَالْأَظْهَرُ أَنَّهُ شَجَرٌ ذُو شَوْكٍ حَسَبَ مَا هُوَ فِي الدُّنْيَا. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: الضَّريع: شيء يَكُونُ فِي النَّارِ، يُشْبِهُ الشَّوْكَ، أَشَدُّ مَرَارَةً مِنَ الصَّبْرِ، وَأَنْتَنُ مِنَ الْجِيفَةِ، وَأَحَرُّ مِنَ النَّارِ، سَمَّاهُ اللهُ ضَرِيعًا.

وَقَالَ خَالِدُ بْنُ زِيَادٍ: سَمِعْتُ الْمُتَوَكِّلَ بْنَ حَمْدَانَ يُسْأَلُ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ الضَّرِيعَ شَجَرَةٌ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، حَمْلُهَا الْقَيْحُ وَالدَّمُ، أَشَدُّ مَرَارَةً مِنَ الصَّبْرِ، فَذَلِكَ طَعَامُهُمْ. وَقَالَ الْحَسَنُ: هُوَ بَعْضُ مَا أَخْفَاهُ اللَّهُ مِنَ الْعَذَابِ. وَقَالَ ابْنُ كَيْسَانَ: هُوَ طَعَامٌ يَضْرَعُونَ عِنْدَهُ وَيَذِلُّونَ، وَيَتَضَرَّعُونَ مِنْهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، طَلَبًا لِلْخَلَاصِ مِنْهُ، فَسُمِّيَ بِذَلِكَ، لِأَنَّ آكِلَهُ يَضْرَعُ فِي أَنْ يُعْفَى مِنْهُ، لِكَرَاهَتِهِ وَخُشُونَتِهِ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ النَّحَّاسُ: قَدْ يَكُونُ مُشْتَقًّا مِنَ الضَّارِعِ، وَهُوَ الذَّلِيلُ، أَيْ ذُو ضَرَاعَةٍ، أَيْ مَنْ شَرِبَهُ ذَلِيلٌ تَلْحَقُهُ ضَرَاعَةٌ. وَعَنِ الْحَسَنِ أَيْضًا: هُوَ الزَّقُّومُ. وَقِيلَ: هُوَ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ. فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي موضع آخَرَ: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هاهُنا حَمِيمٌ * وَلا طَعامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة: ٣٦ - ٣٥] . وَقَالَ هُنَا: ﴿إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ وَهُوَ غَيْرُ الْغِسْلِينِ. وَوَجْهُ الْجَمْعِ أَنَّ النَّارَ دَرَكَاتٌ، فَمِنْهُمْ مَنْ طَعَامُهُ الزَّقُّومُ، وَمِنْهُمْ مَنْ طَعَامُهُ الْغِسْلِينُ، وَمِنْهُمْ مَنْ طَعَامُهُ الضَّرِيعُ، وَمِنْهُمْ مَنْ شَرَابُهُ الْحَمِيمُ، وَمِنْهُمْ مَنْ شَرَابُهُ الصَّدِيدُ. قَالَ الْكَلْبِيُّ: الضَّرِيعُ فِي دَرَجَةٍ لَيْسَ فِيهَا غَيْرُهُ " .

سَابِعَاً : الغِسْلين:

قال تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة: ٣٥ - ٣٦] .

قال البخاري الصَّحيح (٤/ ١٢٠) : " كُلُّ شَيْءٍ غَسَلْتَهُ فَخَرَجَ مِنْهُ شَيْءٌ فَهُوَ غِسْلِينُ، فِعْلِينُ مِنَ الغَسْلِ مِنَ الجُرْحِ وَالدَّبَرِ " .

وقال الإمام البغوي في " معالم التَّنزيل في تفسير القرآن " (٥/ ١٤٩) : " وَهُوَ صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ مَأْخُوذٌ مِنَ الْغَسْلِ كَأَنَّهُ غُسَالَةُ جُرُوحِهِمْ وَقُرُوحِهِمْ. قَالَ الضَّحَّاكُ وَالرَّبِيعُ: هُوَ شَجَرٌ يَأْكُلُهُ أَهْلُ النَّارِ" .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير " (٣٠/ ٦٣٢) : " يُرْوَى أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ سُئِلَ عَنِ الْغِسْلِينِ، فَقَالَ: لَا أَدْرِي مَا الْغِسْلِينُ. وقال الكلبي: وهو مَاءٌ يَسِيلُ مِنَ أَهْلِ النَّارِ مِنَ الْقَيْحِ وَالصَّدِيدِ وَالدَّمِ إِذَا عُذِّبُوا فَهُوَ غِسْلِينِ فِعْلِينٌ مِنَ الْغَسْلِ."

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٨/ ٢٧٣) : " وَالْغِسْلِينُ فِعْلِينٌ مِنَ الْغِسْلِ، فَكَأَنَّهُ يَنْغَسِلُ مِنْ أَبْدَانِهِمْ، وَهُوَ صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ السَّائِلِ مِنْ جُرُوحِهِمْ وَفُرُوجِهِمْ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: هُوَ شَجَرٌ يَأْكُلُهُ أَهْلُ النَّارِ. وَالْغِسْلُ (بِالْكَسْرِ): مَا يُغْسَلُ بِهِ الرَّأْسُ مِنْ خِطْمِيٍّ وَغَيْرِهِ. الْأَخْفَشُ: وَمِنْهُ الْغِسْلِينُ، وَهُوَ مَا انْغَسَلَ مِنْ لُحُومِ أَهْلِ النَّارِ وَدِمَائِهِمْ. وَزِيدَ فِيهِ الْيَاءُ وَالنُّونُ كَمَا زِيدَ فِي

عِفْرِينَ. وَقَالَ قَتَادَةُ: هُوَ شَرُّ الطَّعَامِ وَأَبْشَعُهُ. ابْنُ زَيْدٍ: لَا يُعْلَمُ مَا هُوَ وَلَا الزَّقُّومُ. وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ:﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية: ٦] يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الضَّرِيعُ مِنَ الْغِسْلِينِ. وَقِيلَ: فِي الْكَلَامِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، وَالْمَعْنَى فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَا هُنَا حَمِيمٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ، وَيَكُونُ الْمَاءَ الْحَارَّ " .

ثامناً : طِيْنَةُ الخَبَال :

روى مسلم (٣/ ١٥٨٧ برقم ٢٠٠٢) بسنده عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ رَجُلًا قَدِمَ مِنْ جَيْشَانَ، وَجَيْشَانُ مِنَ الْيَمَنِ، فَسَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَرَابٍ يَشْرَبُونَهُ بِأَرْضِهِمْ مِنَ الذُّرَةِ، يُقَالُ لَهُ: الْمِزْرُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوَ مُسْكِرٌ هُوَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، إِنَّ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ؟ قَالَ: «عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ» أَوْ «عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ» .

وروى أحمد في "المسند" (٨/ ٥١٤ برقم ٤٩١٧) بسنده عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاتُهُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ، فَإِنْ عَادَ عَادَ اللهُ لَهُ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ، فإن عاد، كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ تَعَالَى أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ نَهَرِ الْخَبَالِ ". قِيلَ: وَمَا نَهَرُ الْخَبَالِ؟ قَالَ: " صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ " . قال الأرنؤوط : " حديث حسن، عطاء بن السائب كان قد اختلط، ومعمر بن راشد بصري، ورواية صغار البصريين عنه ضعيفة، لأنه قدم عليهم البصرة في آخر عمره بعدما اختلط، لكن رواه عنه حماد بن زيد، وهو ممن روى عنه قديماً قبل اختلاطه، فحسنا حديثه لذلك، وروي نحو هذا الحديث عن ابن عمر موقوفاً عليه، وكلاهما محفوظان، وللمرفوع شواهد سنذكرها في آخر التخريج. وهو في "مصنف عبد الرزاق " (١٧٠٥٨) ، ومن طريقه أخرجه الطبراني (١٣٤٤٥) . وأخرجه الطبراني أيضاً (١٣٤٤٨) ، والبيهقي في "الشعب " (٥٥٨٠) من طريق حماد بن زيد، عن عطاء بن السائب، به. وفيه أنه إن شربها الرابعة كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال. وأخرجه الطيالسي (١٩٠١) ، والطبراني (١٣٤٤١) ، والبغوي (٣٠١٦) من طرق همام بن يحيى، والترمذي (١٨٦٢) ، وأبو يعلى (٥٦٨٦) من طريق جرير بن عبد الحميد، كلاهما عن عطاء بن السائب، عن عبد الله بن عبيد بن عمير، عن أبيه، عن ابن عمر. فزاد في الإسناد عبيد بن عمير، وهمام وجرير بصريان. وقال الترمذي والبغوي حديث حسن. وأخرج منه قصة عدم قبول الصلاة أبو يعلى (٥٦٠٧) من طريق أيوب بن ثابت، عن خالد بن كيسان، عن ابن عمر وهذا إسناد ضعيف لضعف أيوب بن ثابت. وأخرج الشطر الثاني البغوي في "شرح السنة" (٣٠١٤) من طريق صالح بن قدامة لم عن أخيه عبد الملك بن قدامة، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر. وهذا إسناد ضعيف أيضاً لضعف عبد الملك بن قدامة. وأخرج نحوه موقوفاً النسائي ٨/ ٣١٦ من طريق يحيى بن عبد الملك، عن العلاء بن المسيب، عن فضيل بن عمرو الفقيمي، عن مجاهد، عن ابن عمر، قال: من شرب الخمر فلم ينتش لم تقبل له صلاة ما دام في جوفه أو عروقه منها شيء، وإن مات مات كافرا، وإن انتشى لم تقبل له صلاة أربعين ليلة، وإن مات فيها مات كافراً. وإسناده قوي. وخالف فضيلاً يزيدُ بن أبي زياد، فرفعه، فقد أخرجه النسائي ٨/ ٣١٦، والطبراني (١٣٤٩٢) من طريقه، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمر، فرفعه. وجعله النسائي من مسند عبد الله بن عمرو بن العاص! وعلى كلا الأمرين فيزيد بن أبي زياد – وهو مولى الهاشميين – ضعيف، لا يحتج به.

وأخرجه بنحوه مختصراً عبد الرزاق (١٧٠٥٩) ، عن ابن جريج، قال: سمعت عبد العزيز بن عبد الله يحدث عن عبد الله بن عمر، فذكره موقوفاً عليه، وهذا إسناد منقطع، عبد العزيز بن عبد الله لها يتبينه، وسواء كان ابن أبي سلمة الماجشون، أو ابن خالد بن أسيد، فإن أحداً منهما لم يدرك ابن عمر. وللحديث شاهد عن عبد الله بن عمرو بن العاص، سيرد برقم (٦٦٤٤) بإسناد صحيح. وعن أبي ذر، سيرد ٥/ ١٧١. وعن أسماء بنت يزيد، سيرد ٦/ ٤٦٠. وعن عياض بن غنم عند أبي يعلى (٦٨٢٧) . وهذه الشواهد الثلاثة رواها شهر بن حوشب، وقد ضعف. وعن ابن عباس عند أبي داود (٣٦٨٠) ، والطبراني (١٣٠١٥) ، والبيهقي في "الشعب " (٨١٥) . وفي إسناده ضعف يسير. ويتشهد للشطر الأول فقط حديث السائب بن يزيد، عند الطبراني (٢٦٦) ، وإسناده ضعيف جداً، وللشطر الثاني حديث جابر، سيرد عند أحمد ٣/ ٣٦٠، وإسناده لا بأس به. قوله: "لم تقبل صلاته أربعين ليلة"، قال اسندي: قال السيوطي: ذكر في حكمة ذلك أنها تبقى في عروقه وأعضائه أربعين يوماً. نقله ابن القيم. و"الخبال " بفتح الخاء المعجمة: في الأصل الفساد، قال ابن العربي: إن قيل: هذا يفيد القطع بدخول النار وعقوبته فيها، قلنا: هذا مقيد بما إذا لم يغفر الله له، بدليل قوله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به..) الآية " .

وروى أحمد في " المسند" (١١/ ٢٤٠ برقم ٦٦٥٩) بسنده عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ سُكْرًا مَرَّةً وَاحِدَةً، فَكَأَنَّمَا كَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا فَسُلِبَهَا، وَمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ سُكْرًا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ " قِيلَ: وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: " عُصَارَةُ أَهْلِ جَهَنَّمَ " . قال الأرنؤوط : " إسناده حسن من أجل عمرو بن شعيب وأبيه، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين. ابن وهب: هو عبد الله، وعمرو بن الحارث: هو ابن يعقوب المصري أبو أيوب. وأخرجه الحاكم ١٤٦/٤، والبيهقي في "السنن" ١/ ٣٨٩ و٢٨٧/٨ من طريق ابن وهب، بهذا الإسناد. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، ثم قال: سمعه ابن وهب عنه (يعني عن عمرو بن الحارث) وهو غريب جداً. وأورد الهيثمي في "المجمع" ٥/ ٦٩-٧٠ القسم الأول منه فقط إلى قوله: "فسُلبها"، وقال: رواه أحمد، ورجاله ثقات " .

وروى أحمد في " المسند" (١١/ ٢٦٠ برقم ٦٦٧٧) بسنده عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَمْثَالَ الذَّرِّ، فِي صُوَرِ النَّاسِ، يَعْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الصَّغَارِ، حَتَّى يَدْخُلُوا سِجْنًا فِي جَهَنَّمَ، يُقَالُ لَهُ: بُولَسُ، فَتَعْلُوَهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ، عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ " . قال الأرنؤوط : " إسناده حسن. يحيى: هو ابن سعيد القطان، وابن عجلان: هو محمد. وأخرجه الحميدي (٥٩٨) ، وابن أبي شيبة ٩/ ٩٠، وابن المبارك في "الزهد" في زوائد نعيم بن حماد (١٩١) ، ومن طريقه البخاري في "الأدب المفرد" (٥٥٧) ، والترمذي (٢٤٩٢) ، والبغوي (٣٥٩٠) كلهم من طريق ابن عجلان، بهذا الإسناد. وقال الترمذي: هذا حديث حسن. وقال الحافظ ابنُ رجب في "التخويف من النار" ص ١٢٤ بعد أن نقل تحسين الترمذي له: وروي موقوفاً على عبد الله بن عمرو. وأورده السيوطي في "الدر المنثور" ٥/ ٣٣٣، وزاد نسبته إلى ابن مردويه. وله شاهد من حديث أبي هريرة عند البزار (٣٤٣٠) . قال الهيثمي في "المجمع" ١٠/ ٣٣٤: رواه البزار، وفيه من لم أعرفه. وآخر من حديث كعب قوله عند البيهقي في "الشعب" (٨١٨٤) و (٨١٨٥) وعن أنس عند البيهقي في "الشعب" (٨١٨٦) ، وقال بإثره: روي هذا بإسناد مرسل عن ابن مسعود من قوله. قوله: "أمثال الذر"، الذر: جمع ذرة، وهي النملة الصغيرة. قال صاحب "تحفة الأحوذي" ٧/ ١٩٣: والمعنى أنهم يكونون في غاية من المذلة والنقيصة، يطأهم أهلُ الحشر بأرجلهم

من هوانهم على الله. الصغار: الذل والهوان. وقوله: "بولس": قيده المنذري بضم الموحدة وسكون الواو وفتح اللام، وكذا قيده صاحب "القاموس"، وقيده غيرهما بفتح الباء واللام. انظر "تحفة الأحوذي" ٧/ ١٩٣. قوله: "نار الأنيار"، قال ابن الأثير: لم أجده مشروحاً، ولكن هكذا يروى، فإن صحت الرواية فيحتمل أن يكون معناه: نار النيران، فجمع النار على أنيار، وأصلها: أنوار، لأنها من الواو، كما جاء في ريح وعيد: أرياح وأعياد، وهما من الواو. انتهى. قال صاحب "تحفة الأحوذي" ٧/ ١٩٣: قيل: إنما جمع نار على أنيار وهو واوي لئلا يشتبه بجمع النور. قال القاضي: وإضافة النار إليها للمبالغة، كأن هذه النار لفرط شدة إحراقها، وشدة حرها، تفعل بسائر النيران ما تفعل النار بغيرها. انتهى. قال القاري: أو لأنها أصل نيران العالم لقوله تعالى: (الذي يصلى النار الكبرى) ، قال السندي: قيل: جمع النار على الأنيار غير مسموع في اللغة، فهو سهو من الرواة. والخبال: بفتح الخاء المعجمة: هو في الأصل الفساد، ويكون في الأفعال والأبدان والعقول. وعصارة أهل النار: ما يسيل منهم من الصديد والقيح والدم" .

﴿سُؤالٌ﴾ : سَمِعْنَا أَنَّ لَوْنَ أَهَلِ النَّارِ أَسْوَد ، فَمَا الدَّلِيْلُ عَلَى ذَلِكَ ؟

الجواب : قال تعالى : **﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُون﴾** [يونس:٢٧] .

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (١٧/ ٢٤٣) : " أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً﴾** فَفِيهِ مَسَائِلُ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: أُغْشِيَتْ أَيْ أُلْبِسَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَالْكِسَائِيُّ قِطْعاً بِسُكُونِ الطَّاءِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِفَتْحِ الطَّاءِ، وَالْقِطْعُ بِسُكُونِ الطَّاءِ الْقِطْعَةُ وَهِيَ الْبَعْضُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾** [هُودٍ: ٨١] ، أَيْ قِطْعَةٍ. وَأَمَّا قِطَعٌ بِفَتْحِ الطَّاءِ، فَهُوَ جَمْعُ قِطْعَةٍ، وَمَعْنَى الْآيَةِ: وَصَفَ وُجُوهَهُمْ بِالسَّوَادِ، حَتَّى كَأَنَّهَا أُلْبِسَتْ سَوَادًا مِنَ اللَّيْلِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾** [الزُّمَرِ: ٦٠] وَكَقَوْلِهِ: **﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ﴾** [آلِ عِمْرَانَ: ١٠٦] ، وَكَقَوْلِهِ: **﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ﴾** [الرَّحْمَنِ: ٤١] ، وَتِلْكَ الْعَلَامَةُ هِيَ سَوَادُ الْوَجْهِ وَزُرْقَةُ الْعَيْنِ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ: **﴿مُظْلِماً﴾** قَالَ الْفَرَّاءُ وَالزَّجَّاجُ: هُوَ نَعْتٌ لِقَوْلِهِ: **﴿قِطَعاً﴾** ، وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ: وَيَجُوزُ أَنْ يُجْعَلَ حَالًا كَأَنَّهُ قِيلَ: أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ الليل في حال ظلمته " .

وقال الإمام محمَّد رشيد رضا في " المنار" (١١/ ٢٨٨) : " أَيْ : كَأَنَّمَا قُدَّ لِوُجُوهِهِمْ قِطَعٌ مِنْ أَدِيمِ اللَّيْلِ، حَالَةَ كَوْنِهِ حَالِكًا مُظْلِمًا، لَيْسَ فِيهِ بَصِيصٌ مِنْ نُورِ قَمَرٍ طَالِعٍ، وَلَا نَجْمٍ ثَاقِبٍ، فَأُغْشِيَتْهَا قِطْعَةً بَعْدَ قِطْعَةٍ، فَصَارَتْ ظُلُمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وَإِنَّهُ لَتَشْبِيهٌ عَظِيمٌ فِي بَلَاغَةِ الْمُبَالَغَةِ فِي خِذْلَانِهِمْ وَفَضِيحَتِهِمُ الَّتِي تَكْسِفُ نُورَ الْفِطْرَةِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ سَوَادَ وُجُوهِهِمْ حَقِيقِيٌّ وَمَجَازِيٌّ **﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا**

خَالِدُونَ﴾ ، أَيْ : أُولَئِكَ الْمَوْصُوفُونَ بِمَا ذَكَرَهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ، خَالِدُونَ فِيهَا لَا يَبْرَحُونَهَا لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ مَأْوَىٰ سِوَاهَا " .

وقال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير" (١١/١٤٩) : " الْقِطَعُ- بِفَتْحِ الطَّاءِ- فِي قِرَاءَةِ الْجُمْهُورِ: جَمْعُ قِطْعَةٍ، وَهِيَ الْجُزْءُ مِنَ الشَّيْءِ، سُمِّيَ قِطْعَةً لِأَنَّهُ يُقْتَطَعُ مِنْ كُلٍّ غَالِبًا، فَهِيَ فِعْلَةٌ بِمَعْنَىٰ مُفْعَولَةٍ نُقِلَتْ إِلَىٰ الِاسْمِيَّةِ. وَقَرَأَهُ ابْنُ كَثِيرٍ وَالْكِسَائِيُّ وَيَعْقُوبُ قِطَعاً بِسُكُونِ الطَّاءِ. وَهُوَ اسْمٌ لِلْجُزْءِ مِنْ زَمَنِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، قَالَ تَعَالَىٰ: **﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾** [هود: ٨١] .

وَقَوْلُهُ: **﴿مُظْلِماً﴾** حَالٌ مِنَ اللَّيْلِ. وَوَصْفُ اللَّيْلِ وَهُوَ زَمَنُ الظُّلْمَةِ بِكَوْنِهِ مُظْلِمًا لِإِفَادَةِ تَمَكُّنِ الْوَصْفِ مِنْهُ كَقَوْلِهِمْ: لَيْلٌ أَلْيَلُ، وَظِلٌّ ظَلِيلٌ، وَشِعْرٌ شَاعِرٌ، فَالْمُرَادُ مِنَ اللَّيْلِ الشَّدِيدِ الْإِظْلَامِ بِاحْتِجَابِ نُجُومِهِ وَتَمَكُّنِ ظُلْمَتِهِ. وشبهت قَتَرَةُ وُجُوهِهِمْ بِظَلَامِ اللَّيْلِ" " .

وقال تعالىٰ : **﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾** [آل عِمْرَانَ: ١٠٦- ١٠٧] .

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٨/٣١٧-٣١٨) : " هَذِهِ الْآيَةُ لَهَا نَظَائِرُ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿وَيَوْمَ الْقِيامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾** [الزُّمَرِ: ٦٠] ، وَمِنْهَا قَوْلُهُ : **﴿وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ﴾** [يُونُسَ: ٢٦] وَمِنْهَا قَوْلُهُ : **﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْها غَبَرَةٌ تَرْهَقُها قَتَرَةٌ﴾** [عَبَسَ: ٣٨- ٤١] ، وَمِنْهَا قَوْلُهُ : **﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ * إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ باسِرَةٌ * تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ﴾** [الْقِيَامَةِ: ٢٢- ٢٥] ، وَمِنْهَا قَوْلُهُ : **﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾** [الْمُطَفِّفِينَ: ٢٤] ، وَمِنْهَا قَوْلُهُ : **﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ﴾** [الرَّحْمَنِ: ٤١] .

إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَنَقُولُ: فِي هَذَا الْبَيَاضِ وَالسَّوَادِ وَالْغَبَرَةِ وَالْقَتَرَةِ وَالنَّضْرَةِ لِلْمُفَسِّرِينَ قَوْلَانِ :

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْبَيَاضَ مَجَازٌ عَنِ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ، وَالسَّوَادَ عَنِ الْغَمِّ، وَهَذَا مَجَازٌ مُسْتَعْمَلٌ، قَالَ تَعَالَىٰ: **﴿وَإِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾** [النَّحْلِ: ٥٨] ، وَيُقَالُ: لِفُلَانٍ عِنْدِي يَدٌ بَيْضَاءُ، أَيْ جَلِيَّةٌ سَارَّةٌ، وَلَمَّا سَلَّمَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الْأَمْرَ لِمُعَاوِيَةَ قَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ: يَا مُسَوِّدَ وُجُوهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلِبَعْضِهِمْ فِي الشَّيْبِ :

يَا بَيَاضَ الْقُرُونِ سَوَّدْتَ وَجْهِي	عِنْدَ بِيضِ الْوُجُوهِ سُودِ الْقُرُونِ
فَلَعَمْرِي لَأُخْفِيَنَّكَ جَهْدِي	عَنْ عِيَانِي وَعَنْ عِيَانِ الْعُيُونِ
بِسَوَادٍ فِيهِ بَيَاضٌ لِوَجْـــــــــــهِي	وَسَوَادٌ لِوَجْهِكَ الْمُلْعُـــــــــــونِ

وَتَقُولُ الْعَرَبُ لِمَنْ نَالَ بُغْيَتَهُ وَفَازَ بِمَطْلُوبِهِ: ابْيَضَّ وَجْهُهُ وَمَعْنَاهُ الِاسْتِبْشَارُ وَالتَّهَلُّلُ وَعِنْدَ التَّهْنِئَةِ بِالسُّرُورِ يَقُولُونَ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي بَيَّضَ وَجْهَكَ، وَيُقَالُ لِمَنْ وَصَلَ إِلَيْهِ مَكْرُوهٌ: ارْبَدَّ وَجْهُهُ وَاغْبَرَّ لَوْنُهُ وَتَبَدَّلَتْ صُورَتُهُ، فَعَلَى هَذَا مَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَرِدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنَ الْحَسَنَاتِ ابيض وجهه بِمَعْنَى اسْتَبْشَرَ بِنِعَمِ اللهِ وَفَضْلِهِ، وَعَلَى ضِدِّ ذَلِكَ إِذَا رَأَى الْكَافِرُ أَعْمَالَهُ الْقَبِيحَةَ مُحْصَاةً اسْوَدَّ وَجْهُهُ بِمَعْنَى شِدَّةِ الْحُزْنِ وَالْغَمِّ وَهَذَا قَوْلُ أَبِي مُسْلِمٍ الْأَصْفَهَانِيِّ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: إِنَّ هَذَا الْبَيَاضَ وَالسَّوَادَ يَحْصُلَانِ فِي وُجُوهِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ، وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّفْظَ حَقِيقَةٌ فِيهِمَا، وَلَا دَلِيلَ يُوجِبُ تَرْكَ الْحَقِيقَةِ، فَوَجَبَ الْمَصِيرُ إِلَيْهِ، قُلْتُ: وَلِأَبِي مُسْلِمٍ أَنْ يَقُولَ: الدَّلِيلُ دَلَّ عَلَى مَا قُلْنَاهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: **﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْها غَبَرَةٌ * تَرْهَقُها قَتَرَةٌ﴾** فَجَعَلَ الْغَبَرَةَ وَالْقَتَرَةَ فِي مُقَابَلَةِ الضَّحِكِ وَالِاسْتِبْشَارِ، فَلَوْ لَمْ يَكُنِ الْمُرَادُ بِالْغَبَرَةِ وَالْقَتَرَةِ مَا ذَكَرْنَا مِنَ الْمَجَازِ لَمَا صَحَّ جَعْلُهُ مُقَابِلًا، فَعَلِمْنَا أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ هَذِهِ الْغَبَرَةِ وَالْقَتَرَةِ الْغَمُّ وَالْحُزْنُ حَتَّى يَصِحَّ هَذَا التَّقَابُلُ، ثُمَّ قَالَ الْقَائِلُونَ بِهَذَا الْقَوْلِ: الْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْمَوْقِفِ إِذَا رَأَوُا الْبَيَاضَ فِي وَجْهِ إِنْسَانٍ عَرَفُوا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الثَّوَابِ فَزَادُوا فِي تَعْظِيمِهِ فَيَحْصُلُ لَهُ الْفَرَحُ بِذَلِكَ مِنْ وَجْهَيْنِ :

أَحَدُهُمَا: أَنَّ السَّعِيدَ يَفْرَحُ بِأَنْ يُعْلِمَ قَوْمَهُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، قَالَ تعالى مخبراً عنهم : **﴿يا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِما غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾** [يس: ٢٦- ٢٧] .

الثَّانِي: أَنَّهُمْ إِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ خَصُّوهُ بِمَزِيدِ التَّعْظِيمِ فَثَبَتَ أَنَّ ظُهُورَ الْبَيَاضِ فِي وَجْهِ الْمُكَلَّفِ سَبَبٌ لِمَزِيدِ سُرُورِهِ فِي الْآخِرَةِ وَبِهَذَا الطَّرِيقِ يَكُونُ ظُهُورُ السَّوَادِ فِي وَجْهِ الْكُفَّارِ سَبَبًا لِمَزِيدِ غَمِّهِمْ فِي الْآخِرَةِ، فَهَذَا وَجْهُ الْحِكْمَةِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا فِي الدُّنْيَا فَالْمُكَلَّفُ حِينَ يَكُونُ فِي الدُّنْيَا إِذَا عَرَفَ حُصُولَ هَذِهِ الْحَالَةِ فِي الْآخِرَةِ صَارَ ذَلِكَ مُرَغِّبًا لَهُ فِي الطَّاعَاتِ وَتَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ لِكَيْ يَكُونَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ قَبِيلِ مَنْ يَبْيَضُّ وَجْهُهُ لَا مِنْ قَبِيلِ مَنْ يَسْوَدُّ وَجْهُهُ، فَهَذَا تَقْرِيرُ هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (٤/١٦٦-١٦٧) : " قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾** ، يَعْنِي : يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُبْعَثُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ تَكُونُ وُجُوهُ الْمُؤْمِنِينَ مُبْيَضَّةً وَوُجُوهُ الْكَافِرِينَ مُسْوَدَّةً. وَيُقَالُ: إِنَّ ذَلِكَ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ، إذ قَرَأَ الْمُؤْمِنُ كِتَابَهُ فَرَأَىٰ فِي كِتَابِهِ حَسَنَاتِهِ اسْتَبْشَرَ وَابْيَضَّ وَجْهُهُ، وَإِذَا قَرَأَ الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ كِتَابَهُ فَرَأَىٰ فِيهِ سَيِّئَاتِهِ اسْوَدَّ وَجْهُهُ. وَيُقَالُ: إِنَّ ذَلِكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ إِذَا رَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ ابْيَضَّ وَجْهُهُ، وَإِذَا رَجَحَتْ سَيِّئَاتُهُ اسْوَدَّ وَجْهُهُ. وَيُقَالُ: ذَلِكَ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾** [يس: ٥٩] . وَيُقَالُ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُؤْمَرُ كُلُّ فَرِيقٍ بِأَنْ يَجْتَمِعَ إِلَىٰ مَعْبُودِهِ، فَإِذَا انْتَهَوْا إِلَيْهِ حَزِنُوا وَاسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ، فَيَبْقَى الْمُؤْمِنُونَ وَأَهْلُ الْكِتَابِ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ:" مَنْ رَبُّكُمْ"؟ فَيَقُولُونَ: رَبُّنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَيَقُولُ لَهُمْ:" أَتَعْرِفُونَهُ إِذَا رَأَيْتُمُوهُ". فَيَقُولُونَ: سُبْحَانَهُ! إِذَا اعترف عرفناه . فيرونه كما شاء الله.

فَيَخِرُّ الْمُؤْمِنُونَ سُجَّدًا لِلَّهِ تَعَالَىٰ، فَتَصِيرُ وُجُوهُهُمْ مِثْلَ الثَّلْجِ بَيَاضًا، وَيَبْقَى الْمُنَافِقُونَ وَأَهْلُ الْكِتَابِ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ السُّجُودِ فَيَحْزَنُوا وَتَسْوَدُّ وُجُوهُهُمْ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾** . وَيَجُوزُ" تِبْيَضُّ وَتِسْوَدُّ" بِكَسْرِ التَّائَيْنِ، لِأَنَّكَ تَقُولُ: ابْيَضَّتْ، فَتُكْسَرُ التَّاءُ كَمَا تُكْسَرُ الْأَلِفُ، وَهِيَ لُغَةُ تَمِيمٍ وَبِهَا قَرَأَ يَحْيَىٰ بْنُ وَثَّابٍ. وَقَرَأَ الزُّهْرِيُّ" يَوْمَ تَبْيَاضُّ وَتَسْوَادُّ" وَيَجُوزُ كَسْرُ التَّاءِ أَيْضًا، وَيَجُوزُ" يَوْمَ يَبْيَضُّ وُجُوهٌ" بِالْيَاءِ عَلَىٰ تَذْكِيرِ الْجَمْعِ، وَيَجُوزُ" أَجُوهٌ" مِثْلَ" أَقْتُتْ". وَابْيِضَاضُ الْوُجُوهِ إِشْرَاقُهَا بِالنَّعِيمِ. وَاسْوِدَادُهَا هُوَ ما يرهقها من العذاب الأليم " .

وقال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير" (٤/ ٤٤) : " وَفِي تَعْرِيفِ هَذَا الْيَوْمِ بِحُصُولِ بَيَاضِ وُجُوهٍ وَسَوَادِ وُجُوهٍ فِيهِ، تَهْوِيلٌ لِأَمْرِهِ، وَتَشْوِيقٌ لِمَا يَرِدُ بَعْدَهُ مِنْ تَفْصِيلِ أَصْحَابِ الْوُجُوهِ الْمُبْيَضَّةِ، وَالْوُجُوهِ الْمُسْوَدَّةِ: تَرْهِيبًا لِفَرِيقٍ وَتَرْغِيبًا لِفَرِيقٍ آخَرَ. وَالْأَظْهَرُ أَنَّ عِلْمَ السَّامِعِينَ بِوُقُوعِ تَبْيِيضِ وُجُوهٍ وَتَسْوِيدِ وُجُوهٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ حَاصِلٌ مِنْ قَبْلُ: فِي الْآيَاتِ النَّازِلَةِ قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ، مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿وَيَوْمَ الْقِيامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾** [الزمر: ٦٠] ، وَقَوْلُهُ: **﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْها غَبَرَةٌ * تَرْهَقُها قَتَرَةٌ﴾** [عبس: ٣٨- ٤١] .

وَالْبَيَاضُ وَالسَّوَادُ بَيَاضٌ وَسَوَادٌ حَقِيقِيَّانِ يُوسَمُ بِهِمَا الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُمَا بَيَاضٌ وَسَوَادٌ خَاصَّانِ لِأَن هَذا م أَحْوَالِ الْآخِرَةِ فَلَا دَاعِيَ لِصَرْفِهِ عَنْ حَقِيقَتِهِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ﴾** تَفْصِيلٌ لِلْإِجْمَالِ السَّابِقِ، سُلِكَ فِيهِ طَرِيقُ النَّشْرِ الْمَعْكُوسِ، وَفِيهِ إِيجَازٌ لِأَنَّ أَصْلَ الْكَلَامِ، فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ فَهُمُ الْكَافِرُونَ يُقَالُ لَهُمْ أكفرتم إِلَىٰ آخر: وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : قَال تَعالَى : يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَقَدَّمَ الْبَيَاضَ عَلَى السَّوَادِ فِي اللَّفْظِ، ثُمَّ لَمَّا شَرَعَ فِي حُكْمِ هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ قَدَّمَ حُكْمَ السَّوَادِ ، فقَالَ : فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ، فلماذَا ؟

الجواب : قال الإمام الرَّازي : " الْجَوَابُ عَنْهُ مِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ الْوَاوَ لِلْجَمْعِ الْمُطْلَقِ لَا لِلتَّرْتِيبِ .

وَثَانِيهَا: أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ الْخَلْقِ إِيصَالُ الرَّحْمَةِ لَا إِيصَالُ الْعَذَابِ ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَاكِيًا عَنْ رَبِّ الْعِزَّةِ سُبْحَانَهُ: «خَلَقْتُهُمْ لِيَرْبَحُوا عَلَيَّ لَا لِأَرْبَحَ عَلَيْهِمْ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ تَعَالَىٰ ابْتَدَأَ بِذِكْرِ أَهْلِ الثَّوَابِ وَهُمْ أَهْلُ الْبَيَاضِ، لِأَنَّ تَقْدِيمَ الْأَشْرَفِ عَلَىٰ الْأَخَسِّ فِي الذِّكْرِ أَحْسَنُ، ثُمَّ خَتَمَ بِذِكْرِهِمْ أَيْضًا تَنْبِيهًا عَلَىٰ أَنَّ إِرَادَةَ الرَّحْمَةِ أَكْثَرُ مِنْ إِرَادَةِ الْغَضَبِ كَمَا قَالَ: " سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي " .

وَثَالِثُهَا: أَنَّ الْفُصَحَاءَ وَالشُّعَرَاءَ قَالُوا: يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَطْلَعُ الْكَلَامِ وَمَقْطَعُهُ شَيْئًا يُسِرُّ الطَّبْعَ وَيَشْرَحُ الصَّدْرَ وَلَا شَكَّ أَنَّ ذِكْرَ رَحْمَةِ اللهِ هُوَ الَّذِي يَكُونُ كَذَلِكَ فَلَا جَرَمَ وَقَعَ الِابْتِدَاءُ بِذِكْرِ أَهِلِ الثَّوَابِ وَالِاخْتِتَامِ بِذِكْرِهِمْ " .

وقال تعالىٰ : **﴿وَيَوْمَ الْقِيامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾** [الزمر:٦٠] .

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢٧/ ٤٦٩) : " الْبَحْثُ الثَّانِي: الْكَلَامُ فِي كَيْفِيَّةِ السَّوَادِ الْحَاصِلِ فِي وُجُوهِهِمْ، وَالْأَقْرَبُ أَنَّهُ سَوَادٌ مُخَالِفٌ لِسَائِرِ أَنْوَاعِ السَّوَادِ، وَهُوَ سَوَادٌ يَدُلُّ عَلَىٰ الْجَهْلِ بِاللهِ وَالْكَذِبِ عَلَىٰ اللهِ، وَأَقُولُ إِنَّ الْجَهْلَ ظُلْمَةٌ، وَالظُّلْمَةُ تُتَخَيَّلُ كَأَنَّهَا سَوَادٌ فَسَوَادُ قُلُوبِهِمْ أَوْجَبَ سَوَادَ وُجُوهِهِمْ، وَتَحْتَ هَذَا الْكَلَامِ أَسْرَارٌ عَمِيقَةٌ مِنْ مَبَاحِثِ أَحْوَالِ الْقِيَامَةِ، فَلَمَّا ذَكَرَ اللهُ هَذَا الْوَعِيدَ أَرْدَفَهُ بِالْوَعْدِ فَقَالَ: وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمفازَتِهِمُ الْآيَةَ، قَالَ الْقَاضِي الْمُرَادُ بِهِ مَنِ اتَّقَىٰ كُلَّ الْكَبَائِرِ إِذْ لَا يُوصَفُ بِالِاتِّقَاءِ الْمُطْلَقِ إِلَّا مَنْ كَانَ هَذَا حَالَهُ، فَيُقَالُ لَهُ: أَمْرُكَ عَجِيبٌ جِدًّا فَإِنَّكَ قُلْتَ لَمَّا تَقَدَّمَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿لَوْ أَنَّ اللهَّ هَدانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾** [الزمر: ٥٧] .

وَجَبَ أَنْ يُحْمَلَ قَوْلُهُ وَيَوْمَ الْقِيامَةِ تَرىٰ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ اللهِّ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ عَلَىٰ الَّذِينَ قَالُوا لَوْ أَنَّ اللهَّ هَدانِي فَعَلَىٰ هَذَا الْقَانُونِ لَمَّا تَقَدَّمَ قَوْلُهُ : **﴿وَيَوْمَ الْقِيامَةِ تَرى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِّ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾** " .

وقال الإمام القاسمي في " محاسن التَّأويل" (٨/ ٢٩٤) : " **﴿وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾** ، أي : لما ينالهم من الشدَّة التي تغيِّر ألوانهم. فالسَّواد حقيقي. أو لما لحقهم من الكآبة، ويظهر عليهم من آثار الهيئات الظلمانيَّة ورسوخ الرَّذائل النَّفسانيَّة في ذواتهم. فالسَّواد مجاز بالاستعارة " .

وقال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير" (٢٤/٤٩-٥٠) : " يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْوِدَادُ الْوُجُوهِ حَقِيقَةً جَعَلَهُ اللهُّ عَلامَةً لَهُمْ وَجَعَلَ بَقِيَّةَ النَّاسِ بِخِلَافِهِمْ. وَقَدْ جَعَلَ اللهُّ اسْوِدَادَ الْوُجُوهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلامَةً عَلَىٰ سُوءِ الْمَصِيرِ كَمَا جَعَلَ بَيَاضَهَا عَلامَةً عَلَىٰ حُسْنِ الْمَصِيرِ قَالَ تَعَالَىٰ: **﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَتِ اللهِّ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾** فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ .

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ابْيِضَاضُ الْوُجُوهِ مُسْتَعْمَلًا فِي النَّضْرَةِ وَالْبَهْجَةِ قَالَ تَعَالَىٰ: **﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ﴾** [الْقِيَامَة: ٢٢] ، وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ: بِيضُ الْوُجُوهِ كَرِيمَةٌ أَحْسَابُهُمْ

وَيَقُولُونَ فِي الَّذِي يَخْصُلُ خَصْلَةً يَفْتَخِرُ بِهَا قَوْمُهُ: بَيَّضْتَ وُجُوهَنَا. وَالْخِطَابُ فِي قَوْلِهِ: **﴿تَرى﴾** لِغَيْرِ مُعَيَّنٍ" .

وقال تعالىٰ : **﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْها غَبَرَةٌ * تَرْهَقُها قَتَرَةٌ * أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾** [عَبَس:٣٨-٤١] .

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٣١/ ٦٢) : " قَالَ الْمُبَرِّدُ: الْغَبَرَةُ مَا يُصِيبُ الْإِنْسَانَ مِنَ الْغُبَارِ، وَقَوْلُهُ: **﴿تَرْهَقُها﴾** أَيْ : تُدْرِكُهَا عَنْ قُرْبٍ، كَقَوْلِكَ رَهِقْتُ الْجَبَلَ إِذَا لَحِقْتُهُ بِسُرْعَةٍ، وَالرَّهَقُ عَجَلَةُ الْهَلَاكِ، وَالْقَتَرَةُ سَوَادٌ كَالدُّخَانِ، وَلَا يُرَىٰ أَوْحَشُ مِنَ اجْتِمَاعِ الْغَبَرَةِ وَالسَّوَادِ فِي الْوَجْهِ، كَمَا تَرَىٰ وُجُوهَ الزُّنُوجِ إِذَا اغْبَرَّتْ، وَكَأَنَّ اللهَّ تَعَالَىٰ جَمَعَ فِي وُجُوهِهِمْ بَيْنَ السَّوَادِ وَالْغَبَرَةِ، كَمَا جَمَعُوا بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْفُجُورِ، وَاللهُّ أَعْلَمُ " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٩/ ٢٢٦) : " **﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْها غَبَرَةٌ﴾** ، أَيْ : غُبَارٌ وَدُخَانٌ تَرْهَقُها أَيْ : تَغْشَاهَا قَتَرَةٌ ، أَيْ : كُسُوفٌ وَسَوَادٌ. كَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَعَنْهُ أَيْضًا: ذِلَّةٌ وَشِدَّةٌ. وَالْقَتَرُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْغُبَارُ، جَمْعُ الْقَتَرَةِ، عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ، وَأَنْشَدَ الْفَرَزْدَقُ:

مُتَوَّجٌ بِرِدَاءِ الْمُلْكِ يَتْبَعُهُ   مَوْجٌ تَرىٰ فَوْقَهُ الرَّايَاتِ وَالْقَتَرَا

وَفِي الْخَبَرِ: إِنَّ الْبَهَائِمَ إِذَا صَارَتْ تُرَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُوِّلَ ذَلِكَ التُّرَابُ فِي وُجُوهِ الْكُفَّارِ. وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، الْقَتَرَةُ: مَا ارْتَفَعَتْ إِلَى السَّمَاءِ، وَالْغَبَرَةُ: مَا انْحَطَّتْ إِلَى الْأَرْضِ، وَالْغُبَارُ وَالْغَبَرَةُ: وَاحِدٌ. أُولئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ جَمْعُ كَافِرٍ الْفَجَرَةُ جَمْعُ فَاجِرٍ، وَهُوَ الْكَاذِبُ الْمُفْتَرِي عَلَى اللَّهِ تَعَالَى. وَقِيلَ: الْفَاسِقُ، يُقَالُ : فَجَرَ فُجُورًا: أَيْ فَسَقَ، وَفَجَرَ: أَيْ كَذَبَ. وَأَصْلُهُ: الْمَيْلُ، وَالْفَاجِرُ: الْمَائِلُ " .

وقال الإمام المراغي في " التَّفسير" (٣٠/ ٥١) : " وقصارىٰ ما سلف إنَّ النَّاس إذ ذاك فريقان:

(١) فريق كان في دنياه يطلب الحقَّ وينظر في الحجَّة، ويعمل ما استقام عليه الدَّليل، لا يثنيه عن الأخذ به قلَّة الآخذين، ولا قوَّة المعاندين، وهؤلاء سيطمئنون إلىٰ ما أدركوا، ويفرحون بما نالوا، وتظهر علىٰ أسارير وجوههم علامات البِشْر والسُّرور.

(٢) فريق احتقر عقله، وأهمل النَّظر في نعم الله عليه، وارتضىٰ الجهل، وانصرف عن الاستدلال إلىٰ اقتفاء آثار الآباء والأجداد، وظلَّ يخبّ ويضع في أهوائه الباطلة، وعقائده الزَّائفة- وهؤلاء سيجدون كلَّ شيء علىٰ غير ما كانوا يعرفون، فتظهر عليهم آثار الخيبة والفشل، وتعلو وجوههم الغبرة، وترهقها القترة، لأنَّهم كانوا في حياتهم الدُّنيا كفرة فجرة " .

﴿سُؤَالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ عِظَمِ خَلْقِ أَهْلِ النَّار ؟

الجواب : روىٰ البخاري (٨/ ١١٤ برقم ٦٥٥١) ، مسلم (٤/ ٢١٨٩ برقم ٢٨٥٢) بسندهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا بَيْنَ مَنْكِبَيِ الكَافِرِ مَسِيرَةُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ للرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ " .

وروىٰ مسلم (٤/ ٢١٨٩ برقم ٢٨٥١) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ضِرْسُ الْكَافِرِ، أَوْ نَابُ الْكَافِرِ، مِثْلُ أُحُدٍ وَغِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ " .

وروىٰ أحمد في " المسند" (١٦/ ٥٤٣ برقم ١٠٩٣١) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " ضِرْسُ الْكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ، وَفَخِذُهُ مِثْلُ الْبَيْضَاءِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، كَمَا بَيْنَ قُدَيْدٍ إِلَى مَكَّةَ، وَكَثَافَةُ جِلْدِهِ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا بِذِرَاعِ الْجَبَّارِ " . قال الأرنؤوط : " حديث صحيح بطرقه، وعبد الرحمن بن عبد الله بن دينار فيه كلام من جهة حفظه، وأخرج له البخاري، قال الدارقطني: وهو عند غيره ضعيف، فيعتبر به، وقال ابن عدي: وبعض ما يرويه منكر لا يتابع عليه، وهو في جملة من يكتب حديثه من الضعفاء. وسلف الحديث عن أبي النضر، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار برقم (٨٤١٠) ، وقد قصَّرنا في تخريجه هناك، ونستدرك ذلك هنا، والله ولي التوفيق. وأخرجه ابن أبي عاصم في "السنة" (٦١١) من طريق الحسن بن موسىٰ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، بهذا الإسناد. وأخرج قصة ضرس الكافر مسلم في "صحيحه" (٢٨٥١) ، والترمذي (٢٥٧٩) ، وابن حبان (٧٤٨٧) ، وابن عدي في "الكامل" ٧/ ٢٥٨٧، والبيهقي في "الشعب" (٣٩٣) ، وفي "البعث" (٥٦٥) من طريق أبي حازم الأشجعي،

عن أبي هريرة، مرفوعاً: "ضرس الكافر، أو ناب الكافر مثل أحد، وغِلَظُ جلده مسيرة ثلاث". وأخرج قصة الضرس والفخذ الترمذي (٢٥٧٨) ، وابن عدي ٦/ ٢٢٣٤ من طريق محمد بن عمار وصالح مولى التوأمة، عن أبي هريرة، مرفوعاً: "ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد، وفخذه مثل البيضاء، ومقعده من النار مسيرة ثلاث مثل الربَذَة". وإسناده حسن. وأخرج قصة مقعده من النار الترمذي ضمن حديث (٢٥٧٧) من طريق أبي صالح السمان، عن أبي هريرة، مرفوعا: " ... وإن مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة ". وإسناده صحيح. وأخرج قصة الضرس وكثافة الجلد ابن أبي عاصم في "السنة" (٦١٠) ، وابن حبان (٧٤٨٦) ، والحاكم ٤/ ٥٩٥، والبيهقي في "الأسماء والصفات" ص٣٤٢ من طريق أبي صالح السمان، عن أبي هريرة، مرفوعاً: "إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبار، وضرسه مثل أحد". وإسناده صحيح. قوله: "مثل البيضاء" فاتنا في الموضع الأول تفسيره، وقد ذكر صاحب "القاموس" أن البيضاء اسم يطلق على عدة مواضع من بلاد العرب، منها موضع بحُمى الربَذَة، والربَذة: موضع قرب المدينة. قوله: "بذراع الجبار"، نقل البيهقي عن بعض أهل العلم في كتابه "الأسماء والصفات" ص٣٤٢: أن الجبار هاهنا لم يُعْنَ به القديم (يعني الله عز وجل) وإنما عُني به رجلٌ جَبار كان يُوصَف بطول الذراع وعظم الجسم، ألا ترى إلى قوله: (كل جَبار عَنِيد) ، وقوله: (وما أنت عليهم بجَبار) ، فقوله: بذراع الجبار، أي: بذراع ذلك الجبار الموصوف بطول الذراع وعظم الجسم، ويحتمل أن يكون ذلك ذراعاً طويلًا يُذرعُ به، يعرف بذراع الجبار، على معنى التعظيم والتهويل، لا أن له ذراعاً كذراع الأيدي المخلوقة. وقال ابن حبان عقب الحديث (٧٤٨٦) : الجبار ملك باليمن يقال له: الجبار. وقال الحاكم ٤/ ٥٩٥ عن أبي بكر بن إسحاق: قوله: "بذراع الجبار"، أي: جبار من جبابرة الآدميين ممن كان في القرون الأولى، ممن كان أعظم خلقاً، وأطول أعضاءً، وذراعا من الناس " .

وروى أحمد في " المسند" (٤١/ ٣٥٠ برقم ٢٤٨٥٦) بسنده عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَتَدْرِي مَا سِعَةُ جَهَنَّمَ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: أَجَلْ، وَاللهِ مَا تَدْرِي، إِنَّ بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِ أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ عَاتِقِهِ مَسِيرَةَ سَبْعِينَ خَرِيفًا، تَجْرِي فِيهَا أَوْدِيَةُ الْقَيْحِ وَالدَّمِ، قُلْتُ: أَنْهَارًا؟ قَالَ: لَا، بَلْ أَوْدِيَةً، ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا سِعَةُ جَهَنَّمَ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: أَجَلْ، وَاللهِ مَا نَدْرِي، حَدَّثَتْنِي عَائِشَةُ أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِهِ: **﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾** [الزمر: ٦٧] فَأَيْنَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: " هُمْ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ " . قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير إبراهيم بن إسحاق الطالقاني، فمن رجال أبي داود والترمذي، وروى له مسلم في المقدمة، وعليِّ ابنِ إسحاق -وهو السلمي المَرْوزي- فمن رجال الترمذي، وعنبسةَ بنِ سعيد، فمن رجال الترمذي والنسائي، وروى له البخاري تعليقاً، وكلُّهم ثقات. عبد الله: هو ابنُ المبارك، وعنبسة بنُ سعيد: هو ابن الضُّريس الرازي، ومُجاهد: هو ابن جَبْر. والحديث قسمان: موقوف من قول ابن عباس سيرد ما فيه، ومرفوع. وهو في زيادات نعيم بن حماد على "الزهد" لابن المبارك (٢٩٨) .وأخرجه بتمامه ومختصراً الترمذي (٣٢٤١) ، والنسائي في "الكبرى" (١١٤٥٣) – وهو في "التفسير" (٤٧٣) – والحاكم في "المستدرك" ٢ / ٤٣٦ – ومن طريقه البيهقي في "البعث والنشور" (٦٢٩) – وأبو نُعيم في "الحلية" ٨ / ١٨٣، والبغوي في "شرح السنة" (٤٤١٥) من طرق عن ابن المبارك، به. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذه السياقة. وقال أبو نعيم: غريب من حديث مجاهد، تفرَّد به حَبيب بن أبي عمرة، وهو كوفي ثقة، عزيز الحديث. قلنا: سقط اسم عبد الله بن المبارك من مطبوع "البعث والنشور" للبيهقي، ووقع في مطبوع "الحلية" و"المستدرك" تصحيف يصحح من هنا. وأخرجه مختصراً الطبري في تفسير الآية المذكورة من سورة الزمر من طريق هارون بن المغيرة، عن

عنبسة، به. وأخرج ابن أبي عاصم في "الاوائل" (١٧٩) من طريق يعقوب، عن عنبسة ابن سعيد، عن رجل، عن مجاهد، عن ابن عباس، به. أبهمَ اسمَ حبيب بن أبي عَمْرة. وسلف برقم (٢٤٠٦٩) أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال ذلك، يعني في أن الناس على الصراط، في تفسير قوله تعالىٰ: {يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا للهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ} [إبراهيم: ٤٨] وإسناده صحيح على شرط مسلم. والموقوف منه، وهو قولُ ابن عباس: إن بين شحمة أذن أحدهم وبين عاتقه مسيرةَ سبعين خريفاً ... جاء في "الصحيحين" من حديث أبي هريرة مرفوعاً بلفظ آخر، وهو: "وما بين منكبي الكافر مسيرةُ ثلاثة أيام للراكب المسرع" وهو عند البخاري (٦٥٥)، ومسلم (٢٨٥٢)" .

وروىٰ التِّرمذي (١٨١/٥ برقم ٣١٧٦ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ) ، الحاكم في " المستدرك على الصَّحيحين " (٤٢٨/٢ برقم ٣٤٩٠ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ) بسندهما **عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ ، قَالَ: تَشْوِيهِ النَّارُ فَتَقَلَّصُ شَفَتُهُ العَالِيَةُ حَتَّى تَبْلُغَ وَسَطَ رَأْسِهِ، وَتَسْتَرْخِي شَفَتُهُ السُّفْلَىٰ حَتَّىٰ تَضْرِبَ سُرَّتَهُ** " .

قال الإمام أحمد بن عمر القرطبي في " المُفهم لما أَشكل من تلخيص كتاب مسلم " (١٨٨/٧-١٨٩) : " إنَّما عظم خلقه -أي الكافر- ليعظم عذابه ويتضاعف، وهذا إنَّما هو في بعض الكفَّار، بدليل أنَّه قد جاءت أحاديث أخر تدلُّ علىٰ أنَّ المتكبِّرين يحشرون يوم القيامة أمثال الذَّر في صور الرِّجال، يساقون إلىٰ سجن في جهنَّم يسمىٰ: بولس . وقد تقدَّم قوله: إنَّ أهون أهل النَّار عذاباً مَن في رجليه نعلان من نار تغلي منها دماغه، وهو أبو طالب . ولا شكَّ في أنَّ الكفَّار في عذاب جهنَّم متفاوتون، كما قد علم من الكتاب والسُّنَّة، ولأنَّا نعلم علىٰ القطع والثَّبات أنَّه ليس عذاب من قتل الأنبياء والمسلمين وفتك فيهم، وأفسد في الأرض وكفر، مساوياً لعذاب من كفر فقط، وأحسن للأنبياء والمسلمين " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا المُرَادُ بِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى : ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيها كالِحُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٤] .

الجواب : المراد من الآية الكريمة هو أنَّ الشَّفتين تتقلصان بسبب العذاب حتَّىٰ تبدو الأسنان...

قال الإمام الواحدي في " الوسيط في تفسير القرآن المجيد " (٢٩٨/٣) : " اللفح: الإحراق، يقال: لفحته النَّار والسَّموم إذا أحرقته، **﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾** [المؤمنون: ١٠٤] الكلوح: بدو الأسنان عند العبوس، وقال الزَّجَّاج: الكالح الذي قد تشمَّرت شفتاه عن أسنانه، نحو ما ترىٰ رءوس الغنم إذا برزت الأسنان وتشمَّرت الشِّفاه " .

وقال الإمام البغوي في " معالم التَّنزيل في تفسير القرآن " (٤٣٠/٥) : **﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾** ، أَيْ: تَسْفَعُ، وَقِيلَ: تُحْرِقُ، **﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾** عَابِسُونَ.

أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِّ بْنِ أَبِي تَوْبَةَ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْحَارِثِيُّ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْكِسَائِيُّ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهَّ بْنُ مَحْمُودٍ، أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللهَّ الْخَلَّالُ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهَّ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي السَّمْحِ، عَنْ أَبِي الْهَيْثَمِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ، قَالَ: تَشْوِيهِ النَّارُ، فَتُقَلِّصُ شَفَتَهُ الْعُلْيَا حَتَّىٰ تَبْلُغَ وَسَطَ رَأْسِهِ، وَتَسْتَرْخِي شَفَتَهُ السُّفْلَىٰ حَتَّىٰ تَضْرِبَ سُرَّتَهُ".

وقال الإمام القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن " (١٢/ ١٥٢) : " قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾** ، وَيُقَالُ" تَنْفَحُ" بِمَعْنَاهُ: وَمِنْهُ: **﴿وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذابِ رَبِّكَ﴾** [الأنبياء: ٤٦] . إِلَّا أَنَّ" تَلْفَحُ " أَبْلَغُ بَأْسًا، يُقَالُ: لَفَحَتْهُ النَّارُ وَالسَّمُومُ بِحَرِّهَا أَحْرَقَتْهُ. وَلَفَحْتُهُ بِالسَّيْفِ لَفْحَةً إذا ضربته به ضربة خَفِيفَةً. (وَهُمْ فِيها كالِحُونَ) ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: عَابِسُونَ. وَقَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: الْكُلُوحُ تَكَشُّرٌ فِي عُبُوسٍ. وَالْكَالِحُ: الَّذِي قَدْ تَشَمَّرَتْ شَفَتَاهُ وَبَدَتْ أسنانه. قال الأعمش:

وَلَهُ الْمُقْدَمُ لَا مِثْلَ لَهُ ساعَةَ الشِّدْقِ عَنِ النَّابِ كَلَحْ

وَقَدْ كَلَحَ الرَّجُلُ كُلُوحًا وَكِلَاحًا. وَمَا أَقْبَحَ كَلْحَتَهُ، يُرَادُ بِهِ الْفَمُ وَمَا حَوَالَيْهِ. وَدَهْرٌ كَالِحٌ أَيْ شَدِيدٌ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا" وَهُمْ فِيها كالِحُونَ " يُرِيدُ كَالَّذِي كَلَحَ وَتَقَلَّصَتْ شَفَتَاهُ وَسَالَ صَدِيدُهُ. وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الرَّأْسِ الْمُشَيَّطِ بِالنَّارِ، وَقَدْ بَدَتْ أَسْنَانُهُ وَقَلَصَتْ شَفَتَاهُ" .

ويؤيِّد ما جاء في تفسير الآية ما رواه عبد الله بن المبارك في الزُّهد والرَّقائق" (٢/ ٩٥) ، الحاكم في " المستدرك عل الصَّحيحين " (٣/ ٥٦٤ برقم ٦٠٨٧) بسندهما عَنْ يَزِيدَ بْنِ شَجَرَةَ قَالَ: وَكَانَ مُعَاوِيَةُ بَعَثَهُ عَلَىٰ الْجُيُوشِ فَلَقِيَ عَدُوًّا، فَرَأَىٰ فِي أَصْحَابِهِ فَشَلًا فَجَمَعَهُمْ، فَحَمِدَ اللهَّ، وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: " أَمَّا بَعْدُ، اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهَّ عَلَيْكُمْ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ: إِنَّكُمْ مَكْتُوبُونَ عِنْدَ اللهَّ بِأَسْمَائِكُمْ وَسِيمَائِكُمْ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ قِيلَ: يَا فُلَانُ، هَا نُورُكَ، يَا فُلَانُ، لَا نُورَ لَكَ، إِنَّ لِجَهَنَّمَ سَاحِلًا كَسَاحِلِ الْبَحْرِ، فِيهِ هَوَامٌّ، وَحَيَّاتٌ كَالْبَخَاتِيِّ، وَعَقَارِبُ كَالْبِغَالِ الدُّلْمِ، فَإِذَا اسْتَغَاثَ أَهْلُ النَّارِ، قَالُوا: السَّاحِلَ، فَإِذَا أُلْقُوا فِيهَا سُلِّطَتْ تِلْكَ الْهَوَامُّ عَلَيْهِمْ، فَتَأْخُذُ شِفَارَ أَعْيُنِهِمْ وَشِفَاهِهِمْ، وَمَا شَاءَ اللهُّ مِنْهُمْ تَكْشُطُهَا كَشْطًا، فَيَقُولُونَ: النَّارَ النَّارَ، فَإِذَا أُلْقُوا فِيهَا سُلِّطَ عَلَيْهِمُ الْجَرَبُ، فَيَحُكُّ أَحَدُهُمْ جِلْدَهُ حَتَّىٰ يَبْدُوَ عَظْمُهُ، وَإِنَّ جِلْدَ أَحَدِهِمْ لَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا قَالَ: يُقَالُ: يَا

فُلَانُ، هَلْ تَجِدُ هَذَا يُؤْذِيكَ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: وَأَيُّ أَذًى أَشَدُّ مِنْ هَذَا؟ قَالَ: يُقَالُ: هَذَا مَا كُنْتَ تُؤْذِي الْمُؤْمِنِينَ ".

وقال تعالى : ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا﴾ [الأحزاب:٦٦] .

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير " (٢٥/ ١٨٥) : " لَمَّا بَيَّنَ أَنَّهُ لَا شَفِيعَ لَهُمْ يَدْفَعُ عَنْهُمُ الْعَذَابَ بَيَّنَ أَنَّ بَعْضَ أَعْضَائِهِمْ أَيْضًا لَا يَدْفَعُ الْعَذَابَ عَنِ الْبَعْضِ بِخِلَافِ عَذَابِ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يَدْفَعُ عَنْ وَجْهِهِ الضَّرْبَةَ اتِّقَاءً بِيَدِهِ فَإِنَّ مَنْ يَقْصِدُ رَأْسَهُ وَوَجْهَهُ تَجِدُهُ يَجْعَلُ يَدَهُ جُنَّةً أَوْ يُطَأْطِئُ رَأْسَهُ كَيْ لَا يُصِيبَ وَجْهَهُ، وَفِي الْآخِرَةِ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ فَمَا ظَنُّكَ بِسَائِرِ أَعْضَائِهِمُ الَّتِي تُجْعَلُ جُنَّةً لِلْوَجْهِ وَوِقَايَةً لَهُ " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٤/ ٢٤٩) : " وَهَذَا التَّقْلِيبُ تَغْيِيرُ أَلْوَانِهِمْ بِلَفْحِ النَّارِ، فَتَسْوَدُّ مَرَّةً وَتَخْضَرُّ أُخْرَى. وَإِذَا بُدِّلَتْ جُلُودُهُمْ بِجُلُودٍ أُخَرَ فَحِينَئِذٍ يَتَمَنَّوْنَ أَنَّهُمْ مَا كَفَرُوا " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ بُكَاءِ أَهْلِ النَّار ؟

الجواب : روى ابن ماجه (٥/ ٣٧٥ برقم ٤٣٢٤) ، البيهقي في " : البعث والنُّشور " (ص٣٢٥ برقم ٥٩٣) بسندهما عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "يُرْسَلُ الْبُكَاءُ عَلَى أَهْلِ النَّارِ، فَيَبْكُونَ حَتَّى تَنْقَطِعَ الدُّمُوعُ، ثُمَّ يَبْكُونَ الدَّمَ حَتَّى يَصِيرَ فِي وُجُوهِهِمْ كَهَيْئَةِ الْأُخْدُودِ، لَوْ أُرْسِلَتْ فِيه السُّفُنُ لَجَرَتْ" .

قال الأرنؤوط في تخريجه لسنن ابن ماجة : " صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف يزيد -وهو ابن أبان- الرقاشي، وقد توبع. الأعمش: هو سليمان بن مهران. وأخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ١٥٦، والمحاملي في "الأمالي" (٩)، وابن عدي في ترجمة عبد الله بن بشر من "الكامل" ٤/ ١٥٥٩ من طرق عن الأعمش، بهذا الإسناد. وله شاهد من حديث أبي موسى الأشعري، أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ١٥٦، وأبو نعيم في "الحلية" ١/ ٢٦١ من طريق يزيد بن هارون، عن سلام بن مسكين، عن قتادة، عن أبي بردة، عن أبي موسى. وهذا إسناد صحيح. وأخرجه الحاكم ٤/ ٦٠٥ من طريق أبي النعمان محمَّد بن الفضل، عن سلام ابن مسكين قال: حدَّث أبو بردة عن عبد الله بن قيس (يعني أبا موسى) ... فذكره. وقال الحاكم: صحيح الإسناد. واقتصر الشيخ الألباني في "الصحيحة" (١٦٧٩) في تخريج حديث أبي موسى هذا على طريق الحاكم، وقال معقبًا على قول الحاكم: "صحيح الإسناد"، قال: وحقه أن يزيد قوله: "على شرط الشيخين"، فإن رجاله كلهم من رجالهما، لكن أبا النعمان هذا -ويلقب بعارم- كان اختلط، ولا أدري أحدَّث به قبل الاختلاط أم بعده. قلنا: أما اختلاط عارم فقد قال الدارقطني: تغير بأخرة، وما ظهر له بعد اختلاطه حديث منكر، وهو ثقة. وأقره الذهبي في "الميزان"، فإعلال الحديث به ليس بجيد، ثم فات الألباني التنبيه على الانقطاع بين سلام بن مسكين وبين أبي بردة، فإن بينهما قتادة كما في رواية ابن أبي شيبة وأبي نعيم، وليس لسلام بن مسكين رواية عن أبي بردة لا في الصحيحين ولا في كتب السُّنن، فالقول بأن الإسناد على شرط الشيخين فيه ما فيه " .

وروى الحاكم في " المستدرك على الصَّحيحين" (٤/٦٤٨ برقم ٨٧٩١ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ ، ووافقه الذهبي) بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ النَّارِ لَيَبْكُونَ

حَتَّىٰ لَوْ أُجْرِيَتِ السُّفُنُ فِي دُمُوعِهِمْ لَجَرَتْ، وَإِنَّهُمْ لَيَبْكُونَ الدَّمَ يَعْنِي مَكَانَ الدَّمْعِ» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ.

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ يَأسِ أَهْلِ النَّارِ مِنَ الخُرُوْجِ مِنْهَا ؟

الجواب : روىٰ الطَّبراني في " المعجم الكبير" (١٣/ ٣٥٢ برقم ١٤١٧١) بسنده عن عبد الله بن عَمرو، قال: إن أهلَ النار لَيَدْعُونَ مالكًا فلا يُجيبُهم أربعينَ عامًا، ثمَّ يقول: **﴿إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾** [الزخرف:٧٧] . ثم يَدْعُونَ ربَّهُم فيقولون: **﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾** [المؤمنون:١٠٧] ، فلا يُجيبُهُم مِثْلَ الدنيا، ثم يقولُ: **﴿اخْسَأُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ﴾** [المؤمنون:١٠٨] ، ثمَّ يَأْيَسُ القَومُ ، فما هُوَ إلاَّ الزَّفيرُ والشَّهيقُ، تُشْبِهُ أصواتُهُم أصواتَ الحَمير؛ أوَّلُها شَهيقٌ وآخِرُها زَفيرٌ" . قال محقِّقو المعجم بإشراف د/ سعد بن عبد الله الحميد و د/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي : " ذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (١٠/ ٣٩٦) ، وقال: «رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح" ، ورواه نعيم بن حماد في روايته لـ"الزهد" لابن المبارك (٣١٩) إلا أنه سقط أول الإسناد، فجاء أوله: «عن سعيد بن أبي عروبة» به.ورواه ابن أبي حاتم (١٤٠٤٧) ، والبغوي في "شرح السنة" (٤٤٢٠) ؛ من طريق عبد الله بن المبارك، عن سعيد بن أبي عروبة، به.ورواه ابن أبي شيبة (٣٥١٢١) – ومن طريقه ابن أبي الدنيا في "صفة النار" (١٦٨) – عن حماد بن أسامة، وهناد في "الزهد" (٢١٤) عن عبدة بن سليمان، والطبري في "تفسيره" (٢٠/ ٦٤٩–٦٥٠) عن محمد بن بشار، والطبري أيضًا (٢٠/ ٦٥٠) ، والبيهقي في "البعث والنشور" (٦٤٨ و٦٤٩) ؛ من طريق يزيد بن زريع، والدينوري في "المجالسة" (٢٢٩٣) من طريق معاذ بن معاذ العنبري، والحاكم في "المستدرك" (٢/ ٣٩٥) و (٤/ ٥٩٨) من طريق عبد الوهاب بن عطاء؛ جميعهم (حماد بن أسامة، وعبدة، ومحمد بن بشار، ويزيد بن زريع، ومعاذ العنبري، وعبد الوهاب) عن سعيد بن أبي عروبة، به. ورواه عبد الرزاق في "تفسيره" (٣/ ٤٩) ، والطبري في "تفسيره" (١٧/ ١٢٤) ؛ من طريق معمر، عن قتادة؛ أنه قال: بلغني أنهم ينادون مالكًا ... وذكر الحديث " .

﴿سُؤالٌ﴾ : سَمِعْتُ الخَطِيْبَ مِنْ عَلَى المِنْبَرِ يَقُوْلُ بِأَنَّ أَهْلَ النَّارِ خَمْسَةٌ ، فَمَنْ هُم ؟

الجواب : روىٰ مسلم (٤/ ٢١٩٧ برقم ٢٨٦٥) بسنده عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: " أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا ... وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَىٰ وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ، قَالَ: وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبْرَ لَهُ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَبْتَغُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا، وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَىٰ لَهُ طَمَعٌ، وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ، وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ «وَذَكَرَ» الْبُخْلَ أَوِ الْكَذِبَ وَالشِّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ " وَلَمْ يَذْكُرْ أَبُو غَسَّانَ فِي حَدِيثِهِ: «وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ سَيَحْشُرُ اللهُ الكَفَرَة والمُجْرِمِيْنَ يَوْمَ الْقِيامَةِ على وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمًّا ؟

الجواب : قال تعالى : ﴿**وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمًّا مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيراً**﴾ [الإسراء:٩٧] .

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢١/ ٤١١) : " فَإِنْ قِيلَ : كَيْفَ يُمْكِنُهُمُ الْمَشْيُ عَلَى وُجُوهِهِمْ قُلْنَا الْجَوَابُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الْأَوَّلُ: إِنَّهُمْ يُسْحَبُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ قَالَ تَعَالَى: ﴿**يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلى وُجُوهِهِمْ**﴾ [الْقَمَرِ: ٤٨] .

الثَّانِي: رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يَمْشُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ؟ قَالَ: إِنَّ الَّذِي يُمْشِيهِمْ عَلَى أَقْدَامِهِمْ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيَهِمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ.

قَالَ حُكَمَاءُ الْإِسْلَامِ : الْكُفَّارُ أَرْوَاحُهُمْ شَدِيدَةُ التَّعَلُّقِ بِالدُّنْيَا وَلَذَّاتِهَا وَلَيْسَ لَهَا تَعَلُّقٌ بِعَالَمِ الْأَبْرَارِ وَحَضْرَةِ الْإِلَهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَلَمَّا كَانَتْ وُجُوهُ قُلُوبِهِمْ وَأَرْوَاحِهِمْ مُتَوَجِّهَةً إِلَى الدُّنْيَا لَا جَرَمَ كَانَ حَشْرُهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: عُمْياً وَبُكْماً وَصُمًّا فَاعْلَمْ أَنَّ وَاحِدًا قَالَ لِابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَلَيْسَ أَنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿**وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ**﴾ [الْكَهْفِ: ٥٣] ، وَقَالَ: ﴿**سَمِعُوا لَها تَغَيُّظاً وَزَفِيراً**﴾ [الْفُرْقَانِ: ١٢] ، وَقَالَ: ﴿**دَعَوْا هُنالِكَ ثُبُوراً**﴾ [الْفُرْقَانِ: ١٣] ، وَقَالَ: ﴿**يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجادِلُ عَنْ نَفْسِها**﴾ [النَّحْلِ: ١١١] ، وَقَالَ حِكَايَةً عَنِ الْكُفَّارِ: ﴿**وَاللهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ**﴾ [الْأَنْعَامِ: ٢٣] .

فَثَبَتَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ وَيَسْمَعُونَ وَيَتَكَلَّمُونَ فَكَيْفَ قَالَ هاهنا: عُمْياً وَبُكْماً وَصُمًّا ، أَجَابَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَتَلَامِذَتُهُ عَنْهُ مِنْ وُجُوهٍ:

الْأَوَّلُ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ عُمْيًا لَا يَرَوْنَ شَيْئًا يَسُرُّهُمْ صُمًّا لَا يَسْمَعُونَ شَيْئًا يَسُرُّهُمْ بُكْمًا لَا يَنْطِقُونَ بِحُجَّةٍ.

الثَّانِي: قَالَ فِي رِوَايَةِ عَطَاءٍ عُمْيًا عَنِ النَّظَرِ إِلَى مَا جَعَلَهُ اللهُ لِأَوْلِيَائِهِ بُكْمًا عَنْ مُخَاطَبَةِ اللهِ وَمُخَاطَبَةِ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ صُمًّا عَنْ ثَنَاءِ اللهِ تَعَالَى عَلَى أَوْلِيَائِهِ .

الثَّالِثُ: قال مقاتل إنه حين يقال لهم: ﴿**اخْسَؤُا فِيها وَلا تُكَلِّمُونِ**﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ١٠٨] يَصِيرُونَ عُمْيًا بُكْمًا صُمًّا، أَمَّا قَبْلَ ذَلِكَ فَهُمْ يَرَوْنَ وَيَسْمَعُونَ وَيَنْطِقُونَ.

الرَّابِعُ: أَنَّهُمْ يَكُونُونَ رَائِينَ سَامِعِينَ نَاطِقِينَ فِي الْمَوْقِفِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمَا قَدَرُوا عَلَى أَنْ يُطَالِعُوا كُتُبَهُمْ وَلَا أَنْ يَسْمَعُوا إِلْزَامَ حُجَّةِ اللهِ عَلَيْهِمْ إِلَّا أَنَّهُمْ إِذَا أَخَذُوا يَذْهَبُونَ مِنَ الْمَوْقِفِ إِلَى النَّارِ جَعَلَهُمُ اللهُ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا. وَالْجَوَابُ: أَنَّ الْآيَاتِ السَّابِقَةَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ فِي النَّارِ يُبْصِرُونَ وَيَسْمَعُونَ وَيَصِيحُونَ " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٠/ ٣٣٣) : **﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلى وُجُوهِهِم﴾** فِيهِ وَجْهَانِ :

أَحَدُهُمَا : أَنَّ ذَلِكَ عِبَارَةٌ عَنِ الْإِسْرَاعِ بِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ، مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: قَدِمَ الْقَوْمُ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِذَا أَسْرَعُوا .

الثَّانِي : أَنَّهُمْ يُسْحَبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ كَمَا يُفْعَلُ فِي الدُّنْيَا بِمَنْ يُبَالَغُ فِي هَوَانِهِ وَتَعْذِيبِهِ. وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ، لِحَدِيثِ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَيُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ": قَالَ قَتَادَةُ حِينَ بَلَغَهُ: بَلَى وَعِزَّةِ رَبِّنَا. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ. وَحَسْبُكَ. **﴿عُمْياً وَبُكْماً وَصُمًّا﴾** ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ: أَيْ عُمْيٌ عَمَّا يَسُرُّهُمْ، بُكْمٌ عَنِ التَّكَلُّمِ بِحُجَّةٍ، صُمٌّ عَمَّا يَنْفَعُهُمْ، وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ حَوَاسُّهُمْ بَاقِيَةٌ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ. وَقِيلَ: إِنَّهُمْ يُحْشَرُونَ عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِهَا، لِيَكُونَ ذَلِكَ زِيَادَةً فِي عَذَابِهِمْ، ثُمَّ يُخْلَقُ ذَلِكَ لَهُمْ فِي النَّارِ، فَأَبْصَرُوا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُواقِعُوها﴾** ، وَتَكَلَّمُوا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿دَعَوْا هُنالِكَ ثُبُوراً﴾** ، وَسَمِعُوا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً﴾** " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَل سَيَسْأَلُ اللهُ تَعَالَى المَلَائِكَةَ عَنْ عِبَادَةِ الْمُشْرِكِينَ لَهُم مِنْ دُوْنِ الله تَعَالَى ؟

الجواب : قال الله تعالى : **﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كانُوا يَعْبُدُونَ * قالُوا سُبْحانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾** [سبأ:٤٠-٤١] .

قال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (٦/ ٥٢٤) : " يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ يُقَرِّعُ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رؤوس الْخَلَائِقِ، فَيَسْأَلُ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَنْدَادَ الَّتِي هِيَ عَلَى صُورَةِ الْمَلَائِكَةِ لِيُقَرِّبُوهُمْ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، فَيَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ: **﴿أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾** ؟ أَيْ: أَنْتُمْ أَمَرْتُمْ هَؤُلَاءِ بِعِبَادَتِكُمْ؟ كَمَا قَالَ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ: **﴿أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبادِي هؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾** [الْفُرْقَانِ: ١٧] ، وَكَمَا يَقُولُ لِعِيسَى: **﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾** [الْمَائِدَةِ: ١١٦] . وَهَكَذَا تَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: **﴿سُبْحَانَكَ﴾** ، أَيْ: تعاليت وَتَقَدَّسْتَ عَنْ أَنْ يَكُونَ مَعَكَ إِلَهٌ **﴿أَنْتَ وَلِيُّنا مِنْ دُونِهِمْ﴾** ، أَيْ: نَحْنُ عَبِيدُكَ وَنَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ هَؤُلَاءِ، **﴿ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾** يَعْنُونَ: الشَّيَاطِينَ؛ لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يُزَيِّنُونَ لَهُمْ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَيُضِلُّونهم" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَل يُغَلُّ أَهْلُ النَّارِ ويُسْلَكُوْن فِي السَّلَاسِلِ وَالأَغْلَال ؟

الجواب : قال الله تعالى : **﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِراعاً فَاسْلُكُوهُ﴾** [الحاقة:٣٠-٣٢] .

قال الإمام الرَّازي في "التَّفسير " (٣٠/ ٦٣١) : " ثُمَّ ذَكَرَ أَحْوَالَهُمْ فِي الْغُلِّ وَالْقَيْدِ وَطَعَامِ الْغِسْلِينِ، فَأَوَّلُهَا أَنْ تَقُولَ: خَزَنَةُ جَهَنَّمَ خُذُوهُ فَيَبْتَدِرُ إِلَيْهِ مِائَةُ أَلْفِ مَلَكٍ، وَتُجْمَعُ يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ، فَذَاكَ قَوْلُهُ: فَغُلُّوهُ وَقَوْلُهُ: ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ قَالَ الْمُبَرِّدُ: أَصْلَيْتُهُ النَّارَ إِذَا أَوْرَدْتُهُ إِيَّاهَا وَصَلَّيْتُهُ أَيْضًا كَمَا يُقَالُ: أَكْرَمْتُهُ وَكَرَّمْتُهُ، وَقَوْلُهُ: **﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾** معناه لا تصلوه إلى الْجَحِيمَ، وَهِيَ النَّارُ الْعُظْمَى لِأَنَّهُ كَانَ سُلْطَانًا يَتَعَظَّمُ عَلَى النَّاسِ، ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ وَهِيَ حِلَقٌ مُنْتَظِمَةٌ كُلُّ حَلْقَةٍ مِنْهَا فِي حَلْقَةٍ وَكُلُّ شَيْءٍ مُسْتَمِرٌّ بَعْدَ شَيْءٍ عَلَى الْوَلَاءِ وَالنِّظَامِ فَهُوَ مُسَلْسَلٌ، وَقَوْلُهُ: **﴿ذَرْعُها﴾** مَعْنَى الذَّرْعِ فِي اللُّغَةِ التَّقْدِيرُ بِالذِّرَاعِ مِنَ الْيَدِ، يُقَالُ: ذَرَعَ الثَّوْبَ يَذْرَعُهُ ذَرْعًا إِذَا قَدَّرَهُ بِذِرَاعِهِ، وَقَوْلُهُ: **﴿سَبْعُونَ ذِراعاً﴾** فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ لَيْسَ الْغَرَضُ التَّقْدِيرَ بِهَذَا الْمِقْدَارِ بَلِ الْوَصْفُ بِالطُّولِ، كَمَا قَالَ: **﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾** [التوبة: ٨٠] يُرِيدُ مَرَّاتٍ كَثِيرَةً .

وَالثَّانِي: أَنَّهُ مُقَدَّرٌ بِهَذَا الْمِقْدَارِ ثُمَّ قَالُوا: كُلُّ ذِرَاعٍ سَبْعُونَ بَاعًا وَكُلُّ بَاعٍ أَبْعَدُ مِمَّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْكُوفَةِ، وَقَالَ الْحَسَنُ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَيِّ ذِرَاعٍ هُوَ، وَقَوْلُهُ: **﴿فَاسْلُكُوهُ﴾** ، قَالَ الْمُبَرِّدُ: يُقَالُ سَلَكَهُ فِي الطَّرِيقِ، وَفِي الْقَيْدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَأَسْلَكْتُهُ مَعْنَاهُ أَدْخَلْتُهُ وَلُغَةُ الْقُرْآنِ سَلَكْتُهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾** [الْمُدَّثِّر: ٤٢] ، وَقَالَ: **﴿سَلَكْناهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾** [الشُّعَرَاءِ: ٢٠٠] ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَدْخُلُ السِّلْسِلَةُ مِنْ دُبُرِهِ وَتَخْرُجُ مِنْ حَلْقِهِ، ثُمَّ يُجْمَعُ بَيْنَ نَاصِيَتِهِ وَقَدَمَيْهِ، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: كَمَا يُسْلَكُ الْخَيْطُ فِي اللُّؤْلُؤِ ثُمَّ يُجْعَلُ في عنقه سائرها، وهاهنا سُؤَالَاتٌ:

السُّؤَالُ الْأَوَّلُ: مَا الْفَائِدَةُ فِي تَطْوِيلِ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ؟ **الْجَوَابُ:** قَالَ سُوَيْدُ بْنُ أَبِي نَجِيحٍ: بَلَغَنِي أَنَّ جَمِيعَ أَهْلِ النَّارِ فِي تِلْكَ السِّلْسِلَةِ، وَإِذَا كَانَ الْجَمْعُ مِنَ النَّاسِ مقيَّدين بالسِّلسلة الْوَاحِدَةِ كَانَ الْعَذَابُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِذَلِكَ السَّبَبِ أَشَدَّ.

السُّؤَالُ الثَّانِي: سَلْكُ السِّلْسِلَةِ فِيهِمْ مَعْقُولٌ، أَمَّا سَلْكُهُمْ فِي السِّلْسِلَةِ فَمَا مَعْنَاهُ؟ **الْجَوَابُ:** سَلْكُهُ فِي السِّلْسِلَةِ أَنْ تُلْوَى عَلَى جَسَدِهِ حَتَّى تَلْتَفَّ عَلَيْهِ أَجْزَاؤُهَا وَهُوَ فِيمَا بَيْنَهَا مُزْهَقٌ مُضَيَّقٌ عَلَيْهِ لَا يَقْدِرُ عَلَى حَرَكَةٍ، وَقَالَ

الْفَرَّاءُ: الْمَعْنَى ثُمَّ اسْلُكُوا فِيهِ السِّلْسِلَةَ كَمَا يُقَالُ: أَدْخَلْتُ رَأْسِي فِي الْقَلَنْسُوَةِ وَأَدْخَلْتُهَا فِي رَأْسِي، وَيُقَالُ: الْخَاتَمُ لَا يَدْخُلُ فِي إِصْبَعِي، وَالْإِصْبَعُ هُوَ الَّذِي يَدْخُلُ فِي الْخَاتَمِ.

السُّؤَالُ الثَّالِثُ: لِمَ قَالَ **﴿فِي سِلْسِلَةٍ﴾** ... **﴿فَاسْلُكُوهُ﴾** ، وَلَمْ يَقُلْ: فَاسْلُكُوهُ فِي سِلْسِلَةٍ؟ **الْجَوَابُ:** الْمَعْنَى فِي تَقْدِيمِ السِّلْسِلَةِ عَلَى السَّلْكِ هُوَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ فِي تَقْدِيمِ الْجَحِيمِ عَلَى التَّصْلِيَةِ، أَيْ لَا تَسْلُكُوهُ إِلَّا فِي هَذِهِ السِّلْسِلَةِ لِأَنَّهَا أَفْظَعُ مِنْ سَائِرِ السَّلَاسِلِ.

السُّؤَالُ الرَّابِعُ: ذَكَرَ الْأَغْلَالَ وَالتَّصْلِيَةَ بِالْفَاءِ وَذَكَرَ السَّلْكَ فِي هَذِهِ السَّلسَةِ بِلَفْظِ ثُمَّ، فَمَا الْفَرْقُ؟ **الْجَوَابُ:** لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْ كَلِمَةِ ثُمَّ تَرَاخِيَ المدة بل التَّفاوت في مراتب العذاب " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٨/ ٢٧٢) : " قَالَ اللَّهُ تَعَالَى **﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾** قِيلَ: يَبْتَدِرُهُ مِائَةُ أَلْفِ مَلَكٍ ثُمَّ تُجْمَعُ يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ وَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: فَغُلُّوهُ أَيْ شُدُّوهُ بِالْأَغْلَالِ **﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾** ، أَيِ اجْعَلُوهُ يَصْلَى الْجَحِيمَ **﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِراعاً﴾** اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَيِّ ذِرَاعٍ، قَالَهُ الْحَسَنُ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: سَبْعُونَ ذِرَاعًا بِذِرَاعِ الْمَلَكِ. وَقَالَ نَوْفٌ: كُلُّ ذِرَاعٍ سَبْعُونَ بَاعًا، وَكُلُّ بَاعٍ أَبْعَدُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَكَّةَ. وَكَانَ فِي رَحْبَةِ الْكُوفَةِ. وَقَالَ مُقَاتِلٌ: لَوْ أَنَّ حَلْقَةً مِنْهَا وُضِعَتْ عَلَى ذِرْوَةِ جَبَلٍ لَذَابَ كَمَا يَذُوبُ الرَّصَاصُ. وَقَالَ كَعْبٌ: إِنَّ حَلْقَةً مِنَ السِّلْسِلَةِ الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا- أَنَّ حَلْقَةً مِنْهَا- مِثْلُ جَمِيعِ حَدِيدِ الدُّنْيَا. **﴿فَاسْلُكُوهُ﴾** قَالَ سُفْيَانُ: بَلَغَنَا أَنَّهَا تَدْخُلُ فِي دُبُرِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ فِيهِ. وَقَالَهُ مُقَاتِلٌ. وَالْمَعْنَى ثُمَّ اسْلُكُوا فِيهِ سِلْسِلَةً. وَقِيلَ: تُدْخَلُ عُنُقَهُ فِيهَا ثم يجربها. وَجَاءَ فِي الْخَبَرِ: أَنَّهَا تُدْخَلُ مِنْ دُبُرِهِ وَتُخْرَجُ مِنْ مَنْخِرَيْهِ. وَفِي خَبَرٍ آخَرَ: تُدْخَلُ مِنْ فِيهِ وَتُخْرَجُ مِنْ دُبُرِهِ، فَيُنَادِي أَصْحَابَهُ هَلْ تَعْرِفُونِي؟ فَيَقُولُونَ لَا، وَلَكِنْ قَدْ نَرَى مَا بِكَ مِنَ الْخِزْيِ فَمَنْ أَنْتَ؟ فَيُنَادِي أَصْحَابَهُ أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ مِثْلُ هَذَا. قُلْتُ: وَهَذَا التَّفْسِيرُ أَصَحُّ مَا قِيلَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ﴾** [الاسراء: ٧١] " .

﴿سُؤَالٌ﴾ : هَل المَوْتُ الوَارِدُ فِيْ قَوْلِهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ – أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ – فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ " مَوْتٌ حَقِيْقِيٌّ ؟

الجواب : روى مسلم (١/ ١٧٢ برقم ١٨٥) بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ – أَوْ

قَالَ بِخَطَايَاهُمْ – فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ " .

قال الإمام القرطبي في " التَّذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة " (ص٧٧٠-٧٧١) : " هذه الموتة للعصاة موتة حقيقيَّة لأنَّه أكَّدها بالمصدر، وذلك تكريماً لهم حتَّى لا يحسُّوا ألم العذاب بعد الاحتراق بخلاف الحي الذي هو من أهلها ومخلَّد فيها **﴿كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ﴾** [النساء:٥٦] ، وقيل: يجوز أن تكون إماتتهم عبارة عن تغيبه إيَّاهم عن آلامها بالنَّوم، ولا يكون ذلك موتاً على الحقيقة، فإنَّ النَّوم قد يغيب عن كثير من الآلام والملاذ، وقد سمَّاه الله موتاً ، فقال : **﴿اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنامِها﴾** [الزمر:٤٢] ، فهو وفاة وليس بموت على الحقيقة الذي هو خروج الرُّوح عن البدن، وكذلك الصَّعقة قد عبَّر الله بها الموت في قوله تعالى : **﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شاءَ اللهُ﴾** [الزمر:٦٨] .

وأخبر عن موسى عليه السَّلام أنَّه خرَّ صعقاً ولم يكن ذلك موتاً على الحقيقة غير أنَّه لَّما غيّب عن أحوال المشاهدة من الملاذ والآلام جاز أن يكون موتاً، فكذلك يجوز أن يكون أماتهم غيَّبهم عن الآلام وهم أحياء بلطيفة يحدثها الله فيهم، كما غيَّب النِّسوة اللاتي قطَّعن أيديهنَّ بشاهد ظهر لهنَّ فغيَّبهن فيه عن آلامهنَّ، والتَّأويل الأوَّل أصحّ لما ذكرناه على الحقيقة كما أنَّ أهلها أحياء على الحقيقة وليسوا بأموات.

فإن قيل: فما معنى إدخالهم النَّار وهم فيها غير عالمين؟

قيل: يجوز أن يدخلهم تأديباً لهم وإن لم يعذِّبهم فيها، ويكون صرف نعيم الجنَّة عنهم مدَّة كونهم فيها عقوبة لهم كالمحبوسين في السُّجون، فإنَّ الحبس عقوبة لهم وإن لم يكن معه غلّ ولا قيد ، والله أعلم... وقوله: ضبائر ضبائر معناه جماعات جماعات الواحدة ضبارة بكسر الضَّاد وهي الجماعة من النَّاس.

وبثوا: فرّقوا. والحِبَّة بكسر الحاء بزر البقول ، وحميل السَّيل ما احتمله من غثاء وطين " .

وقال في" التَّذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة " (ص٨٩٤-٨٩٥) : " إن قال قائل: قد تقدَّم من حديث أبي سعيد الخدري أنَّ من ليس من أهل النَّار إذا دخلوها أحرقوا فيه وماتوا، على ما ذكرتموه في أصح القولين، وهذه الأحاديث التي جاءت في العصاة بخلاف، فكيف الجمع بينهما؟.

قيل له: الجمع ممكن.

وذلك ـ والله أعلم ـ أنَّ أهل النَّار الذين هم أهلها، كما قال الله تعالىٰ: **﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾** [النساء:٥٦] .

قال الحسن: تنضجهم النَّار في اليوم سبعين ألف مرَّة، والعصاة بخلاف هؤلاء فيعذَّبون وبعد ذلك يموتون.

وقد تختلف أيضاً أحوالهم في طول التَّعذيب بحسب جرائمهم وآثامهم.

وقد قيل : إنَّه يجوز أن يكونوا متألِّمين حالة موتهم، غير أنَّ آلام المؤمنين تكون أخفّ من آلام الكفَّار، لأنَّ آلام المعذَّبين وهم موتىٰ أخفّ من عذابهم وهم أحياء، دليله قوله تعالىٰ: **﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾** [غافر:٤٦] ، فأخبر أنَّ عذابهم إذا بعثوا أشدّ من عذابهم وهم موتىٰ ، ومثله ما جاء في حديث البراء من قول الكافر: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ، رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ " . أخرجه أحمد في " المسند" (٣٠/٥٠٣ برقم ١٨٥٣٤) . قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح. أبو معاوية: هو محمد بن خازم الضرير، والأعمش: هو سليمان بن مهران، وزاذان: هو أبو عبد الله، ويقال: أبو عمر الكندي، مولاهم. وأخرجه بتمامه ومختصراً: ابن أبي شيبة ٣/ ٣١٠ و٣٧٤ و٣٨٠-٣٨٢، و١٠/ ١٩٤، وهناد في "الزهد" (٣٣٩) ، والمروزي في زوائده علىٰ "الزهد" لابن المبارك (١٢١٩) ، والدارمي في "الرد علىٰ الجهمية" ص٢٩، وأبو داود (٤٧٥٣) ، والطبري في "التفسير" (٢٠٧٦٤) ، وفي "تهذيب الآثار" (٧٢١) ، وابن خزيمة في "التوحيد" ص١١٩، وأبو عوانة- كما في "إتحاف المهرة459/ 2"- والآجري في "الشريعة" ص٣٦٧-٣٧٠ و٣٧٠، وابن منده في "الإيمان" (١٠٦٤) ، والحاكم في "المستدرك" ١/ ٣٧-٣٨، واللالكائي في "أصول الاعتقاد" (٢١٤٠) ، والبيهقي في "إثبات عذاب القبر" (٢١) (٤٤) ، وفي "شعب الإيمان" (٣٩٥) من طريق أبي معاوية، بهذا الإسناد. قال البيهقي في "الشعب": هذا حديث صحيح الإسناد، وقال ابن منده: هذا إسناد متصل مشهور، رواه جماعة عن البراء، وكذلك رواه عدّة عن الأعمش، وعن المنهال ابن عمرو، والمنهالُ بنُ عمرو: هو الأسدي، مولاهم، الكوفي، أخرج عنه البخاري ما تفرَد به، وزاذان أخرج عنه مسلم، وهو ثابت علىٰ رسم الجماعة. ورُوي هذا الحديث عن جابر، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وأنس بن مالك، وعائشة رضي الله عنهم. قلنا: وقد وقع في مطبوع ابن أبي شيبة ص ٣٧٤: حدثنا أبو معاوية عن ابن نمير، وهو خطأ، صوابه: وابن نمير. وأخرجه الطيالسي (٧٥٣) ، وأبو داود (٣٢١٢) و (٤٧٥٣) ، والطبري في "التفسير" (٢٠٧٦٣) و (٢٠٧٦٥) و (٢٠٧٨٠) و (٢٠٧٨٧) ، وفي "تهذيب الآثار" (٧١٨) و (٧٢٠) ، وابن خزيمة في "التوحيد" ص١١٩، وأبو عوانة- كما في "إتحاف المهرة" ٢/ ٤٥٩- والحاكم في "المستدرك" ١/ ٣٨ و٣٩، والبيهقي في "إثبات عذاب القبر" (٢٠) و (٢١) من طرق عن الأعمش، به. زاد جرير عن الأعمش، عند أبي داود (٤٧٥٣) : "ثم يقيض له أعمىٰ أبكم، معه مرزبة من حديد، لو ضُرب بها جبل، لصار تراباً" وسترد هذه الزيادة ضمن سياق الرواية (١٨٦١٤) ، وأخرجه مختصراً النسائي في "المجتبىٰ" ٤/ ٧٨، وابن ماجه (١٥٤٩) من طريق عمرو بن قيس، عن المنهال، به. وأخرجه الطبري في "تهذيب الآثار" (٧٢٣) ، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٣٩٦) من طريق عيسىٰ بن المسيب، عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب، به. وفيه ذكر اسم الملكين: منكر ونكير. وأورده المنذري في "الترغيب والترهيب" (٥٢٢١) وقال: حديث حسن، رواتُه محتج بهم في الصحيح. قال ابن حزم في "المحلّىٰ" ١/ ٢٢: لم يروِ أحد أن في عذاب القبر ردَ الروح إلىٰ الجسد إلا المنهال بن عمرو، وليس بالقوي، فتعقبه

ابن القيم في "الروح" ص٧٦ بقوله: هذا من مجازفته، وقال: الحديثُ صحيحٌ لا شكَّ فيه. وأورده الهيثمي في "المجمع" ٣/ ٤٩-٥٠ وقال: هو في الصحيح باختصار، رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح" .

لأنَّه يرىٰ أنَّ ما يخلص له من عذاب الآخرة أشدّ ممَّا هو فيه، وقد يكون ما جاء في الخطباء هو عذابهم في القبور، في أعضاء مخصوصة كغيرهم، كما جاء في حديث سمرة الطَّويل علىٰ ما تقدَّم. إلَّا أَّن قوله في حديث أسامة بن زيد يوم القيامة يدلُّ علىٰ غير ذلك. وقد يحتمل أن يجمع لهم الأمران لعظم ما ارتكبوه من مخالفة قولهم فعلهم، ونعوذ بالله من ذلك" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تُبَدَّلُ جُلُوْدُ الكَفَرَةِ كُلَّمَا نَضِجَت بِغَيْرِهَا ؟

الجواب : قال تعالىٰ : **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ إِنَّ اللهَّ كانَ عَزِيزاً حَكِيماً﴾** [النساء:٥٦] .

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (١٠/١٠٦-١٠٧) : " قَوْلُهُ: **﴿نُصْلِيهِمْ﴾** ، أَيْ نُدْخِلُهُمُ النَّارَ، لَكِنَّ قَوْلَهُ: **﴿نُصْلِيهِمْ﴾** فِيهِ زِيَادَةٌ عَلَىٰ ذَلِكَ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَةِ شَوَيْتُهُ بِالنَّارِ، يُقَالُ شَاةٌ مَصْلِيَّةٌ أَيْ مَشْوِيَّةٌ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ: **﴿كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ﴾** ، وَفِيهِ سُؤَالَانِ:

السُّؤَالُ الْأَوَّلُ: لَمَّا كَانَ تَعَالَىٰ قَادِرًا عَلَىٰ إِبْقَائِهِمْ أَحْيَاءً فِي النَّارِ أَبَدَ الْآبَادِ فَلِمَ لَمْ يُبْقِ أَبْدَانَهُمْ فِي النَّارِ مَصُونَةً عَنِ النُّضْجِ وَالِاحْتِرَاقِ مَعَ أَنَّهُ يُوصِّلُ إِلَيْهَا الْآلَامَ الشَّدِيدَةَ، حَتَّىٰ لَا يَحْتَاجَ إِلَىٰ تَبْدِيلِ جُلُودِهِمْ بِجُلُودٍ أُخْرَىٰ؟

وَالْجَوَابُ: أَنَّهُ تَعَالَىٰ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ، بَلْ نَقُولُ: إِنَّهُ تَعَالَىٰ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُوصِّلَ إِلَىٰ أَبْدَانِهِمْ آلَامًا عَظِيمَةً مِنْ غَيْرِ إِدْخَالِ النَّارِ مَعَ أَنَّهُ تَعَالَىٰ أَدْخَلَهُمُ النَّارَ.

السُّؤَالُ الثَّانِي: الْجُلُودُ الْعَاصِيَةُ إِذَا احْتَرَقَتْ فَلَوْ خَلَقَ اللهَّ مَكَانَهَا جُلُودًا أُخْرَىٰ وَعَذَّبَهَا كَانَ هَذَا تَعْذِيبًا لِمَنْ لَمْ يَعْصِ وَهُوَ غَيْرُ جَائِزٍ.

وَالْجَوَابُ عَنْهُ مِنْ وُجُوهٍ:

الْأَوَّلُ: أَنْ يُجْعَلَ النُّضْجُ غَيْرُ النَّضِيجِ، فَالذَّاتُ وَاحِدَةٌ وَالْمُتَبَدِّلُ هُوَ الصِّفَةُ، فَإِذَا كَانَتِ الذَّاتُ وَاحِدَةً كَانَ الْعَذَابُ لَمْ يَصِلْ إِلَّا إِلَىٰ الْعَاصِي، وَعَلَىٰ هَذَا التَّقْدِيرِ الْمُرَادُ بِالْغَيْرِيَّةِ التَّغَايُرُ فِي الصِّفَةِ.

الثَّانِي: الْمُعَذَّبُ هُوَ الْإِنْسَانُ، وَذَلِكَ الْجِلْدُ مَا كان جزءاً مِنْ مَاهِيَّةِ الْإِنْسَانِ، بَلْ كَانَ كَالشَّيْءِ الْمُلْتَصِقِ بِهِ الزَّائِدِ عَلَىٰ ذَاتِهِ، فَإِذَا جَدَّدَ اللهَّ الْجِلْدَ وَصَارَ ذَلِكَ الْجِلْدُ الْجَدِيدُ سَبَبًا لِوُصُولِ الْعَذَابِ إِلَيْهِ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ تَعْذِيبًا إِلَّا لِلْعَاصِي.

الثَّالِثُ: أَنَّ الْمُرَادَ بِالْجُلُودِ السَّرَابِيلُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**سَرابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرانٍ**﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ٥٠] فَتَجْدِيدُ الْجُلُودِ إِنَّمَا هُوَ تَجْدِيدُ السَّرَابِيلَاتِ. طَعَنَ الْقَاضِي فِيهِ، فَقَالَ: إِنَّهُ تَرْكٌ لِلظَّاهِرِ، وَأَيْضًا السَّرَابِيلُ مِنَ الْقَطِرَانِ لَا تُوصَفُ بِالنُّضْجِ، وَإِنَّمَا تُوصَفُ بِالِاحْتِرَاقِ.

الرَّابِعُ: يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: هَذَا اسْتِعَارَةٌ عَنِ الدَّوَامِ وَعَدَمِ الِانْقِطَاعِ، كَمَا يُقَالُ لِمَنْ يُرَادُ وَصْفُهُ بِالدَّوَامِ: كُلَّمَا انْتَهَىٰ فَقَدِ ابْتَدَأَ، وَكُلَّمَا وَصَلَ إِلَىٰ آخِرِهِ فَقَدِ ابْتَدَأَ مِنْ أَوَّلِهِ، فَكَذَا قَوْلُهُ: ﴿**كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها**﴾ ، يَعْنِي كُلَّمَا ظَنُّوا أَنَّهُمْ نَضِجُوا وَاحْتَرَقُوا وَانْتَهَوْا إِلَى الْهَلَاكِ أَعْطَيْنَاهُمْ قُوَّةً جَدِيدَةً مِنَ الْحَيَاةِ بِحَيْثُ ظَنُّوا أَنَّهُمُ الْآنَ حَدَثُوا وَوُجِدُوا، فَيَكُونُ الْمَقْصُودُ بَيَانَ دَوَامِ الْعَذَابِ وَعَدَمِ انْقِطَاعِهِ.

الْخَامِسُ: قَالَ السُّدِّيُّ: إِنَّهُ تَعَالَىٰ يُبَدِّلُ الْجُلُودَ مِنْ لَحْمِ الْكَافِرِ فَيُخْرِجُ مِنْ لَحْمِهِ جِلْدًا آخَرَ وَهَذَا بَعِيدٌ، لِأَنَّ لَحْمَهُ مُتَنَاهٍ، فَلَا بُدَّ وَأَنْ يَنْفَدَ، وَعِنْدَ نَفَادِ لَحْمِهِ لَا بُدَّ مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ فِي تَبْدِيلِ الْجِلْدِ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الطَّرِيقُ مَذْكُورًا أَوَّلًا واللَّهُ أَعْلَمُ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**لِيَذُوقُوا الْعَذابَ**﴾ ، وَفِيهِ سُؤَالَانِ:

السُّؤَالُ الْأَوَّلُ: قَوْلُهُ: لِيَذُوقُوا الْعَذابَ أَيْ لِيَدُومَ لَهُمْ ذَوْقُهُ وَلَا يَنْقَطِعَ، كَقَوْلِكَ لِلْمَعْزُوزِ: أَعَزَّكَ اللَّهُ، أَيْ أَدَامَكَ عَلَى الْعِزِّ وَزَادَكَ فِيهِ. وَأَيْضًا الْمُرَادُ لِيَذُوقُوا بِهَذِهِ الْحَالَةِ الْجَدِيدَةِ الْعَذَابَ، وَإِلَّا فَهُمْ ذَائِقُونَ مُسْتَمِرُّونَ عَلَيْهِ.

السُّؤَالُ الثَّانِي: أَنَّهُ إِنَّمَا يُقَالُ: فُلَانٌ ذَاقَ الْعَذَابَ إِذَا أَدْرَكَ شَيْئًا قَلِيلًا مِنْهُ، واللَّهُ تَعَالَىٰ قَدْ وَصَفَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي أَشَدِّ الْعَذَابِ، فَكَيْفَ يَحْسُنُ أَنْ يَذْكُرَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ ذَاقُوا الْعَذَابَ؟

وَالْجَوَابُ: الْمَقْصُودُ مِنْ ذِكْرِ الذَّوْقِ الْإِخْبَارُ بِأَنَّ إِحْسَاسَهُمْ بِذَلِكَ الْعَذَابِ فِي كُلِّ حَالٍ يَكُونُ كَإِحْسَاسِ الذَّائِقِ الْمَذُوقَ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ فِيهِ نُقْصَانٌ وَلَا زَوَالٌ بِسَبَبِ ذَلِكَ الِاحْتِرَاقِ " .

وقال الإمام الشَّعراوي في " التَّفسير " (١٤/ ٨٧٦٣) : " وكذلك من ألوان العذاب التي قد يظنُّها البعض لَوْناً من الرَّاحة في جهنَّم والعياذ بالله، أنَّ الله تعالىٰ يُبَدِّل جلودهم بجلود أخرىٰ جديدة، لا رحمةً بهم بل نكايةً فيهم، كما قال تعالىٰ: ﴿**كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ العذاب**﴾ [النساء: ٥٦] .

لأنَّ الجلود إذا نضجتْ وتفحَّمت امتنع الحِسُّ، وبالتَّالي امتنعتْ إذاقة العذاب، إذن: العلَّة من تبديل الجلود تجديد الحسِّ ليذوقوا العذاب إذاقةً مستديمة. ومنذ عهد قريب كانوا يظنُّون أنَّ الحسَّ يأتي من المخ، إلَّا أنَّهم لاحظوا علىٰ الإنسان إحساساً قبل أن يصل شيء للمخ.

فمثلاً: لو أشرت بأصبعك إلىٰ عين إنسان تراه يُغمِض عينه قبل أنْ تلمسه، وفسَّروا ذلك بما يسمُّونه العكس في النُّخاع الشَّوكي، ثمَّ توالت البحوث للتَّعرُّف علىٰ مناط الحسِّ في الإنسان أين هي؟ إلىٰ أن انتهت تلك الأبحاث إلىٰ ما أخبر به القرآن منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزَّمان، من أنَّ الجلد هو مركز الإحساس في الإنسان، بدليل أنَّك إذا أخذتَ حقنة مثلاً، فبمجرَّد أن تخترق طبقة الجلد لا تشعر بألمها.

فمن أين عرف العرب هذه النَّظريَّات العلميَّة الدَّقيقة؟ ومَنْ أخبر بها الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ إنَّه لَوْنٌ من ألوان الإعجاز القرآني للعرب ولغيرهم " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ سَيُصَبُّ عَلَى رُؤوسِ أَهْلِ النَّارِ المَاءُ الحَارُّ الذِيْ يَصْهَرُ مَا فِي بُطُوْنِهِم وَالجُلُوْد ؟

الجواب : قال تعالىٰ : **﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيابٌ مِنْ نارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ ما فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾** [الحج:١٩-٢٠] .

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢٣/ ٢١٥) : " الْحَمِيمُ الْمَاءُ الْحَارُّ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهَّ عَنْهُما لَوْ سَقَطَتْ مِنْهُ قَطْرَةٌ عَلَىٰ جِبَالِ الدُّنْيَا لَأَذَابَتْهَا، (يُصْهَرُ) أَيْ يُذَابُ أَيْ إذا صب الحميم علىٰ رؤوسهم كَانَ تَأْثِيرُهُ فِي الْبَاطِنِ نَحْوَ تَأْثِيرِهِ فِي الظَّاهِرِ فَيُذِيبُ أَمْعَاءَهُمْ وَأَحْشَاءَهُمْ كَمَا يُذِيبُ جُلُودَهُمْ وَهُوَ أَبْلَغُ مِنْ قَوْلِهِ: **﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعاءَهُمْ﴾** [مُحَمَّدٍ: ١٥] " .

قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٢/ ٢٧) : **﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾** ، أَيِ : الْمَاءُ الْحَارُّ الْمُغْلَىٰ بِنَارِ جَهَنَّمَ. وَرَوَىٰ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ الْحَمِيمَ ليصب علىٰ رؤوسهم فَيَنْفُذُ الْحَمِيمُ حَتَّىٰ يَخْلُصَ إِلَىٰ جَوْفِهِ فَيَسْلِتُ مَا فِي جَوْفِهِ حَتَّىٰ يَمْرُقَ مِنْ قَدَمَيْهِ وَهُوَ الصَّهْرُ ثُمَّ يُعَادُ كَمَا كَانَ (. قَالَ: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.) يُصْهَرُ : يُذَابُ. **﴿بِهِ مَا فِي بُطُونِهِم﴾** ، وَالصَّهْرُ إِذَابَةُ الشَّحْمِ. وَالصُّهَارَةُ مَا ذَابَ مِنْهُ، يُقَالُ: صَهَرْتُ الشَّيْءَ فَانْصَهَرَ، أَيْ أَذَبْتُهُ فَذَابَ، فَهُوَ صَهِيرٌ. قَالَ ابْنُ أَحْمَرَ يَصِفُ فَرْخَ قَطَاةٍ:

تَرْوِي لَقًىٰ أُلْقِيَ فِي صَفْصَفٍ تَصْهَرُهُ الشَّمْسُ فَمَا يَنْصَهِرْ

أَيْ تُذِيبُهُ الشَّمْسُ فَيَصْبِرُ عَلَىٰ ذَلِكَ. ﴿وَالْجُلُودُ﴾ ، أَيْ وَتُحْرَقُ الْجُلُودُ، أَوْ تُشْوَىٰ الْجُلُودُ، فَإِنَّ الْجُلُودَ لا تذاب، ولكن يضم في كلِّ شيء مَا يَلِيقُ بِهِ، فَهُوَ كَمَا تَقُولُ: أَتَيْتُهُ فَأَطْعَمَنِي ثَرِيدًا، إِي وَاللهِ وَلَبَنًا قَارِصًا ، أَيْ: وَسَقَانِي لَبَنًا " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ زَفِيْرِ وَشَهِيْقِ أَهْلِ النَّار ؟

الجواب : قال تعالىٰ : **﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾** [هود:١٠٦] .

قال الإمام الواحدي في "الوسيط في تفسير القرآن المجيد " (٣/ ٥٩١) : " قوله: **﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾** [هود: ١٠٦] ، قال الزَّجَّاج: هما من أصوات المحزونين.

وحُكي عن أهل اللغة جميعاً أنَّ الزَّفير بمنزلة ابتداء صوت الحمار بالنَّهيق، والشَّهيق بمنزلة آخر صوته. ونحو هذا قال المفسِّرون، قال الَّضحَّاك، ومقاتل: الزَّفير أوَّل نهيق الحمار والشَّهيق آخره حين يفرغ من صوته إذا ردَّه في جوفه ، والمعنىٰ ما رواه ابن عبَّاس في رواية عطاء قال: يُريد ندامة، ونفساً عالياً، وبكاء لا ينقطع" .

وقال الإمام البغوي في " التَّفسير " (٢/ ٤٦٥) : " قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: الزَّفِيرُ الصَّوْتُ الشَّدِيدُ، وَالشَّهِيقُ الصَّوْتُ الضَّعِيفُ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ وَمُقَاتِلٌ: الزَّفِيرُ أَوَّلُ نَهِيقِ الْحِمَارِ، وَالشَّهِيقُ آخِرُهُ إِذَا رَدَّدَهُ فِي جَوْفِهِ. وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: الزَّفِيرُ فِي الحلق والشَّهيق في الصَّدر " .

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير " (١٨/ ٣٩٩-٤٠٠) : " وَفِيهِ مَسَائِلُ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: ذَكَرُوا فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الزَّفِيرِ وَالشَّهِيقِ وُجُوهًا:

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: قَالَ اللَّيْثُ: الزَّفِيرُ أَنْ يَمْلَأَ الرَّجُلُ صَدْرَهُ حَالَ كَوْنِهِ فِي الْغَمِّ الشَّدِيدِ مِنَ النَّفَسِ وَلَمْ يُخْرِجْهُ، وَالشَّهِيقُ أَنْ يُخْرِجَ ذَلِكَ النَّفَسَ، وَقَالَ الْفَرَّاءُ: يُقَالُ لِلْفَرَسِ إِنَّهُ عَظِيمُ الزَّفْرَةِ أَيْ : عَظِيمُ الْبَطْنِ ، وَأَقُولُ : إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا عَظُمَ غَمُّهُ انْحَصَرَ رَوْحُ قَلْبِهِ فِي دَاخِلِ الْقَلْبِ ، فَإِذَا انْحَصَرَ الرَّوْحُ قَوِيَتِ الْحَرَارَةُ وَعَظُمَتْ ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يَحْتَاجُ الْإِنْسَانُ إِلَى النَّفَسِ الْقَوِيِّ لِأَجْلِ أَنْ يَسْتَدْخِلَ هَوَاءً كَثِيرًا بَارِدًا حَتَّى يَقْوَىٰ عَلَىٰ تَرْوِيحِ تِلْكَ الْحَرَارَةِ، فَلِهَذَا السَّبَبِ يَعْظُمُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ اسْتِدْخَالُ الْهَوَاءِ فِي دَاخِلِ الْبَدَنِ وَحِينَئِذٍ يَرْتَفِعُ صَدْرُهُ وَيَنْتَفِخُ جَنْبَاهُ، وَلَمَّا كَانَتِ الْحَرَارَةُ الْغَرِيزِيَّةُ وَالرَّوْحُ الحيواني محصورا في دَاخِلَ الْقَلْبِ اسْتَوْلَتِ الْبُرُودَةُ عَلَىٰ الْأَعْضَاءِ الْخَارِجَةِ ، فَرُبَّمَا عَجَزَتْ آلَاتُ النَّفَسِ عَنْ دَفْعِ ذَلِكَ الْهَوَاءِ الْكَثِيرِ الْمُسْتَنْشَقِ ، فَيَبْقَىٰ ذَلِكَ الْهَوَاءُ

الْكَثِيرُ مُنْحَصِرًا فِي الصَّدْرِ ، وَيَقْرُبُ مِنْ أَنْ يَخْتَنِقَ الْإِنْسَانُ مِنْهُ ، وَحِينَئِذٍ تَجْتَهِدُ الطَّبِيعَةُ فِي إِخْرَاجِ ذَلِكَ الْهَوَاءِ ، فَعَلَى قِيَاسِ قَوْلِ الْأَطِبَّاءِ الزَّفِيرُ هُوَ اسْتِدْخَالُ الْهَوَاءِ الْكَثِيرِ لِتَرْوِيحِ الْحَرَارَةِ الْحَاصِلَةِ فِي الْقَلْبِ بِسَبَبِ انْحِصَارِ الرُّوحِ فِيهِ، وَالشَّهِيقُ هُوَ إِخْرَاجُ ذَلِكَ الْهَوَاءِ عِنْدَ مُجَاهَدَةِ الطَّبِيعَةِ فِي إِخْرَاجِهِ وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَاتَيْنِ الْحَالَتَيْنِ تَدُلُّ عَلَى كَرْبٍ شَدِيدٍ وَغَمٍّ عَظِيمٍ.

الْوَجْهُ الثَّانِي: فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الزَّفِيرِ وَالشَّهِيقِ. قَالَ بَعْضُهُمْ: الزَّفِيرُ بِمَنْزِلَةِ ابْتِدَاءِ صَوْتِ الْحِمَارِ بِالنَّهِيقِ. وَأَمَّا الشَّهِيقُ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ آخِرِ صَوْتِ الْحِمَارِ.

الْوَجْهُ الثَّالِثُ: قَالَ الْحَسَنُ: قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ الزَّفِيرَ عِبَارَةٌ عَنِ الِارْتِفَاعِ. فَنَقُولُ: الزَّفِيرُ لَهِيبُ جَهَنَّمَ يَرْفَعُهُمْ بِقُوَّتِهِ حَتَّى إِذَا وَصَلُوا إِلَى أَعْلَى دَرَجَاتِ جَهَنَّمَ وَطَمِعُوا فِي أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا ضَرَبَتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ بِمَقَامِعَ مِنْ حَدِيدٍ وَيَرُدُّونَهُمْ إِلَى الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنْ جَهَنَّمَ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها أُعِيدُوا فِيها﴾** فَارْتِفَاعُهُمْ فِي النَّارِ هُوَ الزَّفِيرُ وَانْحِطَاطُهُمْ مَرَّةً أُخْرَى هُوَ الشَّهِيقُ.

الْوَجْهُ الرَّابِعُ: قَالَ أَبُو مُسْلِمٍ: الزَّفِيرُ مَا يَجْتَمِعُ فِي الصَّدْرِ مِنَ النَّفَسِ عِنْدَ الْبُكَاءِ الشَّدِيدِ فَيَنْقَطِعُ النَّفَسُ، وَالشَّهِيقُ هُوَ الَّذِي يَظْهَرُ عِنْدَ اشْتِدَادِ الْكُرْبَةِ وَالْحُزْنِ، وَرُبَّمَا تَبِعَهُمَا الْغَشْيَةُ، وَرُبَّمَا حَصَلَ عَقِيبَهُ الْمَوْتُ.

الْوَجْهُ الْخَامِسُ: قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: الزَّفِيرُ فِي الْحَلْقِ وَالشَّهِيقُ فِي الصَّدْرِ.

الْوَجْهُ السَّادِسُ: قَالَ قَوْمٌ: الزَّفِيرُ الصَّوْتُ الشَّدِيدُ، وَالشَّهِيقُ الصَّوْتُ الضَّعِيفُ.

الْوَجْهُ السَّابِعُ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ يُرِيدُ نَدَامَةً وَنَفَسًا عَالِيَةً وَبُكَاءً لَا يَنْقَطِعُ وَحُزْنًا لَا يَنْدَفِعُ.

الْوَجْهُ الثَّامِنُ: الزَّفِيرُ مُشْعِرٌ بِالْقُوَّةِ، وَالشَّهِيقُ بِالضَّعْفِ عَلَى مَا قَرَّرْنَاهُ بِحَسَبِ اللُّغَةِ.

إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَنَقُولُ: لَمْ يَبْعُدْ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنَ الزَّفِيرِ قُوَّةَ مَيْلِهِمْ إِلَى عَالَمِ الدُّنْيَا وَإِلَى اللَّذَّاتِ الْجَسَدَانِيَّةِ، وَالْمُرَادُ مِنَ الشَّهِيقِ ضَعْفُهُمْ عَنِ الِاسْتِسْعَادِ بِعَالَمِ الرُّوحَانِيَّاتِ وَالِاسْتِكْمَالُ بِالْأَنْوَارِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْمَعَارِجِ الْقُدُسِيَّةِ"

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا المَقْصُودُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيابٌ مِنْ نارٍ﴾ [الحج:١٩] .

الجواب : قال تعالى : **﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيابٌ مِنْ نارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾** [الحج:١٩].

قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن " (١٢/ ٢٦-٢٧) : " **﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾** يَعْنِي مِنَ الْفِرَقِ الَّذِينَ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ. **﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نارٍ﴾** ، أَيْ : خِيطَتْ وَسُوِّيَتْ، وَشُبِّهَتِ النَّارُ بِالثِّيَابِ لِأَنَّهَا لِبَاسٌ لَهُمْ كَالثِّيَابِ. وَقَوْلُهُ:" قُطِّعَتْ" أَيْ تُقَطَّعُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ، وَذُكِرَ بِلَفْظِ الْمَاضِي لِأَنَّ مَا كَانَ مِنْ أَخْبَارِ الْآخِرَةِ فَالْمَوْعُودُ مِنْهُ كَالْوَاقِعِ الْمُحَقَّقِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **﴿وَإِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾** [المائدة: ١١٦] ، أَيْ : يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُقَالَ قَدْ أُعِدَّتِ الْآنَ تِلْكَ الثِّيَابُ لَهُمْ لِيَلْبَسُوهَا إِذَا صَارُوا إِلَى النَّارِ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ:" مِنْ نارٍ" مِنْ نُحَاسٍ، فَتِلْكَ الثِّيَابُ مِنْ نُحَاسٍ قَدْ أُذِيبَتْ وَهِيَ السَّرَابِيلُ الْمَذْكُورَةُ في **﴿قطران﴾** [إبراهيم: ٥٠] ، وليس في الآنية شيء إذا حمي يَكُونُ أَشَدَّ حَرًّا مِنْهُ. وَقِيلَ: الْمَعْنَى أَنَّ النَّارَ قَدْ أَحَاطَتْ بِهِمْ كَإِحَاطَةِ الثِّيَابِ الْمَقْطُوعَةِ إِذَا لَبِسُوهَا عَلَيْهِمْ، فَصَارَتْ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ ثِيَابًا لِأَنَّهَا بِالْإِحَاطَةِ كَالثِّيَابِ، مِثْلُ: **﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِباساً﴾** [النبأ: ١٠] " .

قال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير " (١٧/ ٢٣٠) : " وَالتَّقْطِيعُ: مُبَالَغَةُ الْقَطْعِ، وَهُوَ فَصْلُ بَعْضِ أَجْزَاءِ شَيْءٍ عَنْ بَقِيَّتِهِ. وَالْمُرَادُ: قَطْعُ شُقَّةِ الثَّوْبِ. وَذَلِكَ أَنَّ الَّذِي يُرِيدُ اتِّخَاذَ قَمِيصٍ أَوْ نَحْوِهِ يَقْطَعُ مِنْ شُقَّةِ الثَّوْبِ مَا يَكْفِي كَمَا يُرِيدُهُ، فَصِيغَتْ صِيغَةَ الشَّدَّةِ فِي الْقَطْعِ لِلْإِشَارَةِ إِلَى السُّرْعَةِ فِي إِعْدَادِ ذَلِكَ لَهُمْ فَيُجْعَلُ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ. وَالثِّيَابُ مِنَ النَّارِ ثِيَابٌ مُحَرِّقَةٌ لِلْجُلُودِ وَذَلِكَ من شؤون الْآخِرَةِ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ يُوْجَدُ بَيْنَ أَهْلِ النَّار تَبَايُنٌ فِي العَذَاب ؟

الجواب : نعم هم متفاوتون في العذاب ... قال تعالى عن المنافقين : **﴿إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾** [النساء: ١٤٥] ، قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (١١/ ٢٥١) : " في قَوْلُهُ تَعَالَى إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ، وَفِيهِ مَسَائِلُ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: قَالَ اللَّيْثُ: الدَّرْكُ أَقْصَى قَعْرِ الشَّيْءِ كَالْبَحْرِ وَنَحْوِهِ، فَعَلَى هَذَا الْمُرَادُ بِالدَّرْكِ الْأَسْفَلِ أَقْصَى قَعْرِ جَهَنَّمَ، وَأَصْلُ هَذَا مِنَ الْإِدْرَاكِ بِمَعْنَى اللُّحُوقِ، وَمِنْهُ إِدْرَاكُ الطَّعَامِ وَإِدْرَاكُ الْغُلَامِ، فَالدَّرْكُ مَا يُلْحَقُ بِهِ مِنَ الطَّبَقَةِ، وَظَاهِرُهُ أَنَّ جَهَنَّمَ طَبَقَاتٌ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ أَشَدَّهَا أَسْفَلُهَا. قَالَ الضَّحَّاكُ: الدَّرَجُ إِذَا كَانَ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وَالدَّرْكُ إِذَا كَانَ بَعْضُهَا أَسْفَلَ مِنْ بَعْضٍ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ فِي الدَّرْكِ بِسُكُونِ الرَّاءِ، وَالْبَاقُونَ بِفَتْحِهَا، قَالَ الزَّجَّاجُ: هُمَا لُغَتَانِ مِثْلَ الشَّمْعِ وَالشَّمَعِ، إِلَّا أَنَّ الِاخْتِيَارَ فَتْحُ الرَّاءِ لِأَنَّهُ أَكْثَرُ اسْتِعْمَالًا قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: جَمْعُ الدَّرَكِ أَدْرَاكٌ كَقَوْلِهِمْ: جَمَلٌ وأجمال، وفرس وأفراس، وَجَمْعُ الدَّرْكِ أَدْرُكٌ مِثْلَ فَلْسٍ وَأَفْلُسٌ وَكَلْبٍ وَأَكْلُبٌ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: إِنَّهُ تَعَالَى قَالَ فِي صِفَةِ الْمُنَافِقِينَ إِنَّهُمْ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ، وَقَالَ فِي آلِ فِرْعَوْنَ: **﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذابِ﴾** [غافر: ٤٦] فَأَيُّهُمَا أَشَدُّ عَذَابًا، الْمُنَافِقُونَ أَمْ آلُ فِرْعَوْنَ؟ وَأَجَابَ بِأَنَّهُ يُحْتَمَلُ أَنْ أَشَدَّ الْعَذَابِ إِنَّمَا يَكُونُ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ، وَقَدِ اجْتَمَعَ فِيهِ الْفَرِيقَانِ.

الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: لَمَّا كَانَ الْمُنَافِقُ أَشَدَّ عَذَابًا مِنَ الْكَافِرِ لِأَنَّهُ مِثْلُهُ فِي الْكُفْرِ، وَضُمَّ إِلَيْهِ نَوْعٌ آخَرُ مِنَ الْكُفْرِ، وَهُوَ الِاسْتِهْزَاءُ بِالْإِسْلَامِ وَبِأَهْلِهِ، وَبِسَبَبِ أَنَّهُمْ لَمَّا كَانُوا يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ يُمْكِنُهُمُ الِاطِّلَاعُ عَلَى أَسْرَارِ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ يُخْبِرُونَ الْكُفَّارَ بِذَلِكَ فَكَانَتْ تَتَضَاعَفُ الْمِحْنَةُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ، فَلِهَذِهِ الْأَسْبَابِ جَعَلَ اللَّهُ عَذَابَهُمْ أَزْيَدَ مِنْ عَذَابِ الْكُفَّارِ ".

وقال الإمام القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن" (٥/ ٤٢٥) : " قَوْلُهُ تَعَالَى:**﴿فِي الدَّرْك﴾** قَرَأَ الْكُوفِيُّونَ **﴿الدَّرْكِ﴾** بِإِسْكَانِ الرَّاءِ، وَالْأُولَى أَفْصَحُ، لِأَنَّهُ يُقَالُ فِي الْجَمْعِ: أَدْرَاكٌ مِثْلَ جَمَلٍ وَأَجْمَالٍ، قَالَهُ النَّحَّاسُ. وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ: هُمَا لُغَتَانِ كَالشَّمْعِ وَالشَّمَعِ وَنَحْوِهِ، وَالْجَمْعُ أَدْرَاكٌ. وَقِيلَ: جَمْعُ الدَّرْكِ أَدْرُكٌ، كَفَلْسٍ وَأَفْلُسٍ. وَالنَّارُ دَرَكَاتٌ سَبْعَةٌ، أَيْ طَبَقَاتٌ وَمَنَازِلُ، إِلَّا أَنَّ اسْتِعْمَالَ الْعَرَبِ لِكُلِّ مَا تَسَافَلَ أَدْرَاكٌ. يُقَالُ: لِلْبِئْرِ أَدْرَاكٌ، وَلِمَا تَعَالَى دَرَجٌ، فَلِلْجَنَّةِ دَرَجٌ، وَلِلنَّارِ أَدْرَاكٌ. وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا. فَالْمُنَافِقُ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ وَهِيَ الْهَاوِيَةُ، لِغِلَظِ كُفْرِهِ وَكَثْرَةِ غَوَائِلِهِ وَتَمَكُّنِهِ مِنْ أَذَى الْمُؤْمِنِينَ. وَأَعْلَى الدَّرَكَاتِ جَهَنَّمُ ثُمَّ لَظَى ثُمَّ الْحُطَمَةُ ثُمَّ السَّعِيرُ ثُمَّ سَقَرُ ثُمَّ الْجَحِيمُ ثُمَّ الْهَاوِيَةُ، وَقَدْ يُسَمَّى جَمِيعُهَا بِاسْمِ الطَّبَقَةِ الْأُولَى، أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْ عَذَابِهَا بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ. وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾** قَالَ: تَوَابِيتُ مِنْ حَدِيدٍ مُقْفَلَةٍ فِي النَّارِ تُقْفَلُ عَلَيْهِمْ. وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ : الْمُنَافِقُونَ، وَمَنْ كَفَرَ مِنْ أَصْحَابِ الْمَائِدَةِ، وَآلُ فِرْعَوْنَ، تَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **﴿إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾** . وقال تعالى أَصْحَابِ الْمَائِدَةِ: **﴿فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ﴾** " .

وقال في " التَّذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة " (ص٨٨٦) : " أنَّ كفر من كفر فقط، ليس ككفر من طغى وكفر وتمرَّد وعصى، ولا شكَّ في أنَّ الكفَّار في عذاب جهنَّم متفاوتون كما قد علم من الكتاب والسُّنَّة، ولأنَّا

نعلم على القطع والثَّبات أنَّه ليس عذاب من قتل الأنبياء والمسلمين وفتك فيهم وأفسد في الأرض وكفر مساوياً لعذاب من كفر فقط وأحسن للأنبياء والمسلمين.

ألا ترى أبا طالب كيف أخرجه النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ضحضاح لنصرته إيَّاه، وذبّه عنه وإحسانه إليه؟ وحديث مسلم عن سمرة يصحُّ أن يكون في الكفَّار بدليل حديث أبي طالب، ويصحُّ أن يكون فيمن يعذَّب من الموحدين " .

وقال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير" (٥/ ٢٤٤) : " الدَّرْكُ: اسْمُ جَمْعِ دَرَكَةٍ، ضِدُّ الدَّرَجِ اسْمُ جَمْعِ دَرَجَةٍ. وَالدَّرَكَةُ الْمَنْزِلَةُ فِي الْهُبُوطِ. فَالشَّيْءُ الَّذِي يُقْصَدُ أَسْفَلُهُ تَكُونُ مُنَازِلُ التَّدَلِّي إِلَيْهِ دَرَكَاتٍ، وَالشَّيْءُ الَّذِي يُقْصَدُ أَعْلَاهُ تَكُونُ مَنَازِلُ الرُّقِيِّ إِلَيْهِ دَرَجَاتٍ، وَقَدْ يُطْلَقُ الِاسْمَانِ عَلَى الْمَنْزِلَةِ الْوَاحِدَةِ بِاخْتِلَافِ الِاعْتِبَارِ وَإِنَّمَا كَانَ الْمُنَافِقُونَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ، أَيْ فِي أَذَلِّ مَنَازِلِ الْعَذَابِ، لِأَنَّ كُفْرَهُمْ أَسْوَأُ الْكُفْرِ لِمَا حَفَّ بِهِ مِنَ الرَّذَائِلِ.

وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ: فِي الدَّرَكِ- بِفَتْحِ الرَّاءِ- عَلَى أَنَّهُ اسْمُ جَمْعِ دَرَكَةٍ ضِدِّ الدَّرَجَةِ.

وَقَرَأَهُ عَاصِمٌ. وَحَمْزَةُ، وَالْكِسَائِيُّ، وَخَلَفٌ- بِسُكُونِ الرَّاءِ- وَهُمَا لُغَتَانِ وَفَتْحُ الرَّاءِ هُوَ الْأَصْلُ، وَهُوَ أَشْهَرُ. وَالْخِطَابُ فِي وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً لِكُلِّ مَنْ يَصِحُّ مِنْهُ سَمَاعُ الْخِطَابِ، وَهُوَ تَأْكِيدٌ لِلْوَعِيدِ، وَقَطْعٌ لِرَجَائِهِمْ، لِأَنَّ الْعَرَبَ أَلِفُوا الشَّفَاعَاتِ وَالنَّجَدَاتِ فِي الْمَضَائِقِ. فَلِذَلِكَ كَثُرَ فِي الْقُرْآنِ تَذْيِيلُ الْوَعِيدِ بِقَطْعِ الطَّمَعِ فِي النَّصِيرِ وَالْفِدَاءِ وَنَحْوِهِمَا " .

وقال تعالى : **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِّ زِدْناهُمْ عَذاباً فَوْقَ الْعَذابِ بِما كانُوا يُفْسِدُونَ﴾** [النحل:٨٨]

.

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢٠/ ٢٥٧) : " اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ وَعِيدَ الَّذِينَ كَفَرُوا، أَتْبَعَهُ بِوَعِيدِ مَنْ ضَمَّ إِلَى كُفْرِهِ صَدَّ الْغَيْرِ عَنْ سَبِيلِ اللهَّ. وَفِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ: وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهَّ وَجْهَانِ: قِيلَ: مَعْنَاهُ الصَّدُّ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَالْأَصَحُّ أَنَّهُ يَتَنَاوَلُ جُمْلَةَ الْإِيمَانِ بِاللهَّ وَالرَّسُولِ وَبِالشَّرَائِعِ، لِأَنَّ اللَّفْظَ عَامٌّ فَلَا مَعْنَى لِلتَّخْصِيصِ، وَقَوْلُهُ: **﴿زِدْناهُمْ عَذاباً فَوْقَ الْعَذابِ﴾** ، فَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ زَادُوا عَلَى كُفْرِهِمْ صَدَّ غَيْرِهِمْ عَنِ الْإِيمَانِ فَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ ازْدَادُوا كُفْرًا عَلَى كُفْرٍ، فَلَا جَرَمَ يَزِيدُهُمُ اللهَّ تَعَالَى عَذَابًا عَلَى عَذَابٍ، وَأَيْضًا أَتْبَاعُهُمْ إِنَّمَا

اقْتَدَوْا بِهِمْ فِي الْكُفْرِ، فَوَجَبَ أَنْ يَحْصُلَ لَهُمْ مِثْلُ عِقَابِ أَتْبَاعِهِمْ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ وَأَثْقالًا مَعَ أَثْقالِهِمْ**﴾ [الْعَنْكَبُوتِ: ١٣] .

وَلِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " .

وَمِنَ الْمُفَسِّرِينَ مَنْ ذَكَرَ تَفْصِيلَ تِلْكَ الزِّيَادَةِ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْمُرَادُ بِتِلْكَ الزِّيَادَةِ خَمْسَةُ أَنْهَارٍ مِنْ نَارٍ تَسِيلُ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ يُعَذَّبُونَ بِهَا ثَلَاثَةٌ بِاللَّيْلِ وَاثْنَانِ بِالنَّهَارِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا بِحَيَّاتٍ وَعَقَارِبَ كَأَمْثَالِ الْبُخْتِ، فَيَسْتَغِيثُونَ بِالْهَرَبِ مِنْهَا إِلَى النَّارِ وَمِنْهُمْ مَنْ ذَكَرَ لِكُلِّ عَقْرَبٍ ثَلَاثُمِائَةِ فَقْرَةٍ فِي كل فقرة ثَلَاثِمِائَةِ قُلَّةٍ مِنْ سُمٍّ. وَقِيلَ: عَقَارِبُ لَهَا أَنْيَابٌ كَالنَّخْلِ الطُّوَالِ.

ثم قال تَعَالَى: بِما كانُوا يُفْسِدُونَ أَيْ هَذِهِ الزِّيَادَةُ مِنَ الْعَذَابِ إِنَّمَا حَصَلَتْ مُعَلَّلَةً بِذَلِكَ الصَّدِّ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ دَعَا غَيْرَهُ إِلَى الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ فَقَدْ عَظُمَ عَذَابُهُ، فَكَذَلِكَ إِذَا دَعَا إِلَى الدِّينِ وَالْيَقِينِ، فَقَدْ عَظُمَ قَدْرُهُ عِنْدَ الله تعالى والله أعلم " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٠/ ١٦٤) : " قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: عَقَارِبُ أَنْيَابُهَا كَالنَّخْلِ الطِّوَالِ، وَحَيَّاتٌ مِثْلُ أَعْنَاقِ الْإِبِلِ، وَأَفَاعِي كَأَنَّهَا الْبَخَاتِيُّ تَضْرِبُهُمْ، فَتِلْكَ الزِّيَادَةُ. وَقِيلَ: الْمَعْنَى يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ إِلَى الزَّمْهَرِيرِ فَيُبَادِرُونَ مِنْ شِدَّةِ بَرْدِهِ إِلَى النَّارِ. وَقِيلَ: الْمَعْنَى زِدْنَا الْقَادَةَ عَذَابًا فَوْقَ السَّفَلَةِ، فَأَحَدُ الْعَذَابَيْنِ عَلَى كُفْرِهِمْ وَالْعَذَابُ الْآخَرِ عَلَى صَدِّهِمْ. ﴿**بِما كانُوا يُفْسِدُونَ**﴾ فِي الدُّنْيَا مِنَ الكفر والمعصية " .

وروى مسلم (٤/ ٢١٨٥ برقم ٢٨٤٥) بسنده عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى حُجْزَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى تَرْقُوَتِهِ " .

وروى البخاري (٨/ ١١٥ برقم ٦٥٦٢) ، مسلم (١/ ١٩٦ برقم ٢١٣) بسنده عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ رَجُلٌ، عَلَى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي المِرْجَلُ وَالقُمْقُمُ " .

وروى مسلم (١/ ١٩٦ برقم ٢١٢) بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ " .

قال الإمام أحمد بن عمر القرطبي في " المُفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم " (٧/ ١٨٩) : " وهذا الحديث أيضًا يدلُّ على أنَّ أهل النَّار يتفاوتون فيها، ويصحُّ مثل هذا في الكفَّار، كما قلناه في حديث أبي طالب، ويصحُّ أن يكون ذلك فيمن يعذَّب من الموحِّدين، إلَّا أنَّ الله تعالى يميتهم إماتة، كما صحَّ في الحديث " .

وقال الإمام ابن رجب في " التَّخويف من النَّار والتَّعريف بحال دار البوار " (ص١٨١-١٨٢) : " واعلم أنَّ تفاوت أهل النَّار في العذاب، هو بحسب تفاوت أعمالهم، التي دخلوا بها النَّار، كما قال تعالى: **﴿وَلِكُلٍّ دَرَجاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾** [الأنعام:١٣٢] ، وقال تعالى: **﴿جَزاءً وِفاقاً﴾** [النبأ:٢٦] ، قال ابن عبَّاس: وافق أعمالهم، فليس عقاب من تغلظ كفره، وأفسد في الأرض، ودعا إلى الكفر، كمن ليس كذلك، قال تعالى: **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ زِدْناهُمْ عَذاباً فَوْقَ الْعَذابِ بِما كانُوا يُفْسِدُونَ﴾** [النحل:٨٨] ، وقال تعالى: **﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذابِ﴾** [غافر:٤٦] ، وكذلك، تفاوت عذاب عصاة الموحِّدين في النَّار، بحسب أعمالهم، فليس عقوبة أهل الكبائر، كعقوبة أصحاب الصَّغائر، وقد يخفَّف عن بعضهم العذاب، بحسنات أخر له، أو بما شاء الله من الأسباب " .

وقال الإمام الطِّيبي في " شرح الطِّيبي على مشكاة المصابيح " (١١/ ٣٥٨٧) : " وفي الحديث بيان تفاوت العقوبات في الضَّعف والشدَّة لا أنَّ بعضًا من الشَّخص معذَّب دون بعض، ويؤيِّده قوله في الحديث السَّابق: "وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه " .

وقال الإمام علي بن سلطان القاري في " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح " (٩/ ٣٦١٥) : " (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مِنْهُمْ" ، أَيْ : مِنْ أَهْلِ النَّارِ (مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى حُجْزَتِهِ) ، بِضَمِّ حَاءٍ وَسُكُونِ جِيمٍ فَزَايٍ أَيْ مَعْقِدِ إِزَارِهِ وَوَسَطِهِ. (وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى تَرْقُوَتِهِ) بِفَتْحِ أَوَّلِهِ وَضَمِّ قَافِهِ أَيْ إِلَى حَلْقِهِ، فَفِي الصِّحَاحِ لَا يُضَمُّ أَوَّلُهُ. وَفِي " النِّهَايَةِ ": هِيَ الْعَظْمُ الَّذِي بَيْنَ ثَغْرَةِ النَّحْرِ وَالْعَاتِقِ، وَهُمَا تَرْقُوَتَانِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ وَوَزْنُهَا " فَعْلُوَةٌ " بِالْفَتْحِ. وَفِي الْحَدِيثِ: بَيَانُ تَفَاوُتِ الْعُقُوبَاتِ فِي الضَّعْفِ وَالشِّدَّةِ، لَا أَنَّ بَعْضًا مِنَ الشَّخْصِ يُعَذَّبُ دُونَ بَعْضٍ، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ السَّابِقِ: وَهُوَ مُتَنَعِّلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ. (رَوَاهُ مُسْلِمٌ) قَالَ الطِّيبِيُّ –

رَحِمَهُ اللهُ -: وَأَوَّلُ الْحَدِيثِ فِي شَرْحِ السُّنَّةِ بِرِوَايَةِ أَبِي سَعِيدٍ: إِذَا خَلُصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ إِلَى قَوْلِهِ: فَيَأْتُونَهُمْ فَيَعْرِفُونَهُمْ بِصُوَرِهِمْ لَا تَأْكُلُ النَّارُ صُوَرَهُمْ " .

وقال الإمام المناوي في " فيض القدير شرح الجامع الصَّغير " (١/ ٣٠٠) : " (أَدْنَى أَهْل النَّار) ، أي : أهونهم (عَذَابًا) وهو أبو طالب كما يأتي التَّصريح به في خبر (ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه) أي : بسبب حرارتهما أو من أجلهما فيرى أنَّه أشدّ النَّاس عذاباً ، وهو أهونهم ، وفيه أنَّ عذاب أهل النَّار متفاوت ، فمنهم من تأخذه النَّار إلى كعبيه ومنهم إلى ركبتيه ، ومنهم ومنهم ، وكفرُ من كفرَ فقط ليس ككُفرِ من كَفرَ وطغى وتمرَّد وعصى ، وكفرُ من قاتل الأنبياء وفتك فيهم وأفسد في الأرض ليس ككُفرِ من كَفَرَ وسالمهم وأحسن إلى أحدهم كأبي طالب ، وقضيَّة الخبر دوام الاحتراق مع الحركات والتَّحريكات الغير المتناهية في القوَّة الحيوانيَّة ولا استحالة فيه كما زعمه بعض فرق الضَّلال وهم منكروا المعاد الجسماني ، لأنَّ الله تعالى قادر على الممكنات ، ودوام الحياة مع دوام الإحراق ممكن والقوَّة الجسمانيَّة قد لا تتناهى انفعالاتها فكذا فعلها بالواسطة " .

﴿سُؤالٌ﴾ : نَسْمَعُ كَثِيْراً عَنْ أَوْدِيَةِ جَهَنَّم فَمَا هِيْ ؟

الجواب : لم أجد في ذلك حديثاً صحيحاً ، والله أعلم.

﴿سُؤالٌ﴾ : ما معنى قوله تعالى : ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْها لَشَوْباً مِنْ حَمِيم﴾ [الصافات:٦٧] .

الجواب : قال الإمام الطَّبري في " التَّفسير" (١٩/ ٥٥٤) : " يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: **﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ﴾** [الصافات: ٦٧] ثُمَّ إِنَّ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى مَا يَأْكُلُونَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ شَجَرَةِ الزَّقُّومِ شَوْبًا، وَهُوَ الْخَلْطُ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: شَابَ فُلَانٌ طَعَامَهُ فَهُوَ يَشُوبُهُ شَوْبًا وَشِيَابًا **﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾** [الأنعام: ٧٠] ، وَالْحَمِيمُ: الْمَاءُ الْمَحْمُومُ، وَهُوَ الَّذِي أُسْخِنَ فَانْتَهَى حَرُّهُ " .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢٦/ ٣٣٧-٣٣٨) : " قَالَ الزَّجَّاجُ: الشَّوْبُ اسْمٌ عَامٌّ فِي كُلِّ مَا خُلِطَ بِغَيْرِهِ، وَالْحَمِيمُ الْمَاءُ الْحَارُّ الْمُتَنَاهِي فِي الْحَرَارَةِ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ إِذَا غَلَبَهُمْ ذَلِكَ الْعَطَشُ الشَّدِيدُ سُقُوا مِنْ ذَلِكَ الْحَمِيمِ، فَحِينَئِذٍ يَشُوبُ الزَّقُّومُ بِالْحَمِيمِ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْهُمَا.

وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ وَصَفَ شَرَابَهُمْ فِي الْقُرْآنِ بِأَشْيَاءَ : مِنْهَا : كَوْنُهُ غَسَّاقًا، وَمِنْهَا قَوْلِهِ: **﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعاءَهُمْ﴾** [مُحَمَّدٍ: ١٥] ، وَمِنْهَا : مَا ذَكَرَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، فَإِنْ قِيلَ مَا الْفَائِدَةُ فِي كَلِمَةِ (ثُمَّ) فِي قَوْلِهِ: ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْها لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ؟ قُلْنَا فِيهِ وَجْهَانِ :

الْأَوَّلُ: أَنَّهُمْ يملؤون بُطُونَهُمْ مِنْ شَجَرَةِ الزَّقُّومِ وَهُوَ حَارٌّ يَحْرُقُ بُطُونَهُمْ فَيَعْظُمُ عَطَشُهُمْ، ثُمَّ إِنَّهُمْ لَا يُسْقَوْنَ إِلَّا بَعْدَ مُدَّةٍ مَدِيدَةٍ وَالْغَرَضُ تَكْمِيلُ التَّعْذِيبِ .

وَالثَّانِي: أَنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ الطَّعَامَ بِتِلْكَ الْبَشَاعَةِ وَالْكَرَاهَةِ، ثُمَّ وَصَفَ الشَّرَابَ بِمَا هُوَ أَبْشَعُ مِنْهُ، فَكَانَ الْمَقْصُودُ مِنْ كَلِمَةِ ثُمَّ بَيَانَ أَنَّ حَالَ الْمَشْرُوبِ فِي الْبَشَاعَةِ أَعْظَمُ مِنْ حَالِ الْمَأْكُولِ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ قَالَ مُقَاتِلٌ: أَيْ بَعْدِ أَكْلِ الزَّقُّومِ وَشُرْبِ الْحَمِيمِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ عِنْدَ شُرْبِ الْحَمِيمِ لَمْ يَكُونُوا فِي الْجَحِيمِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَكُونَ الْحَمِيمُ مِنْ مَوْضِعٍ خَارِجٍ عَنِ الْجَحِيمِ، فَهُمْ يُورَدُونَ الْحَمِيمَ لِأَجْلِ الشُّرْبِ كَمَا تُورَدُ الْإِبِلُ إِلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يُورَدُونَ إِلَى الْجَحِيمِ، فَهَذَا قَوْلُ مُقَاتِلٍ، وَاحْتَجَّ عَلَى صِحَّتِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿هذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ بَيْنَها وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾** [الرَّحْمَنِ: ٤٣- ٤٤] ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ مَا ذَكَرْنَاهُ."

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٥/ ٨٧) : " ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْها" أَيْ بَعْدَ الْأَكْلِ مِنَ الشَّجَرَةِ" لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ" الشَّوْبُ الخلط، والشب وَالشُّوبُ لُغَتَانِ كَالْفَقْرِ وَالْفُقْرِ وَالْفَتْحُ أَشْهَرُ. قَالَ الْفَرَّاءُ: شَابَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ إِذَا خَلَطَهُمَا بِشَيْءٍ يَشُوبُهُمَا شَوْبًا وَشِيَابَةً. فَأَخْبَرَ أَنَّهُ يُشَابُ لَهُمْ. وَالْحَمِيمُ: الْمَاءُ الْحَارُّ لِيَكُونَ أَشْنَعَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: **﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعاءَهُمْ﴾** [محمد: ١٥] . السُّدِّيُّ: يُشَابُ لَهُمُ الْحَمِيمُ بِغَسَّاقِ أَعْيُنِهِمْ وَصَدِيدٍ من قيحهم ودما يهم. وَقِيلَ: يُمْزَجُ لَهُمُ الزَّقُّومُ بِالْحَمِيمِ لِيُجْمَعَ لَهُمْ بَيْنَ مَرَارَةِ الزَّقُّومِ وَحَرَارَةِ الْحَمِيمِ، تَغْلِيظًا لِعَذَابِهِمْ وتجديدا لِبَلَائِهِمْ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا المَقْصُودُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ﴾ [المزمل:١٣] .

الجواب : قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٩/ ٤٦-٤٧) : " **﴿وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ﴾** ، أَيْ : غَيْرُ سَائِغٍ، يَأْخُذُ بِالْحَلْقِ، لَا هُوَ نَازِلٌ وَلَا هُوَ خَارِجٌ، وَهُوَ الْغِسْلِينُ وَالزَّقُّومُ وَالضَّرِيعُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَعَنْهُ أَيْضًا: أَنَّهُ شَوْكٌ يَدْخُلُ الْحَلْقَ، فَلَا يَنْزِلُ وَلَا يَخْرُجُ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: أَيْ طَعَامُهُمُ الضَّرِيعُ، كَمَا قَالَ: **﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾** [الغاشية: ٦] ، وَهُوَ شَوْكٌ كَالْعَوْسَجِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ الزَّقُّومُ، كَمَا قَالَ: **﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعامُ الْأَثِيمِ﴾** [الدخان: ٤٤ – ٤٣] . وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ. وَقَالَ حُمْرَانُ بْنُ أَعْيَنَ: قَرَأَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

: ﴿إِنَّ لَدَيْنا أَنْكالًا وَجَحِيماً. وَطَعاماً ذا غُصَّةٍ﴾ فَصَعِقَ. وَقَالَ خُلَيْدُ بْنُ حَسَّانٍ: أَمْسَى الْحَسَنُ عِنْدَنَا صَائِمًا، فَأَتَيْتُهُ بِطَعَامٍ فَعَرَضَتْ لَهُ هَذِهِ الْآيَةُ إِنَّ لَدَيْنا أَنْكالًا وَجَحِيماً. وَطَعاماً فَقَالَ: ارْفَعْ طَعَامَكَ. فَلَمَّا كَانَتِ الثَّانِيَةُ أَتَيْتُهُ بِطَعَامٍ فَعَرَضَتْ لَهُ هَذِهِ الْآيَةُ، فَقَالَ: ارْفَعُوهُ. وَمِثْلُهُ فِي الثَّالِثَةِ، فَانْطَلَقَ ابْنُهُ إِلَى ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ وَيَزِيدَ الضَّبِّيِّ وَيَحْيَى الْبَكَّاءِ فَحَدَّثَهُمْ، فَجَاءُوهُ فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى شَرِبَ شَرْبَةً مِنْ سَوِيقٍ. وَالْغُصَّةُ: الشَّجَا، وَهُوَ مَا يَنْشَبُ فِي الْحَلْقِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ غَيْرِهِ. وَجَمْعُهَا غُصَصٌ. وَالْغَصَصُ بِالْفَتْحِ مَصْدَرُ قَوْلِكَ: غَصِصْتُ يَا رَجُلُ تَغَصُّ، فَأَنْتَ غَاصٌّ بِالطَّعَامِ وَغَصَّانُ، وَأَغْصَصْتُهُ أَنَا، وَالْمَنْزِلُ غَاصٌّ بِالْقَوْمِ أَيْ مُمْتَلِئٌ بِهِمْ " .

وقال الإمام ابن عادل الحنبلي في " اللباب في علوم الكتاب" (١٩/٤٧-٤٧١) : " ﴿وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ﴾ . «الغُصَّةُ» : الشَّجى، وهو ما ينشب في الحلق فلا ينساغ، ويقال: «غَصِصتُ» - بالكسر - فأنت غَاصٌّ وغصَّان، قال:

لَو بِغيْرِ المَاءِ حَلْقِي شَرِقٌ   كُنْتُ كالغَصَّانِ بالمَاءِ اعتِصَارِي

والمعنى: طعاماً غير سائغ يأخذ بالحلق، لا هو نازل، ولا هو خارج وهو كالغسلين، والزَّقُّوم والضَّريع. قاله ابن عبَّاس. وعنه أيضاً: أنَّه شوك يدخل الحلق فلا ينزل ولا يخرج. وقال الزَّجَّاجُ: أي: طعامهم الضَّريع، وهو شوك كالعوسج.

وقال مجاهد: هو كالزقُّوم. والغصَّة: الشّجى، وهو ما ينشب في الحلق من عظم، أو غيره، وجمعها: غُصَص، والغَصَصُ - بالفتح - مصدر قولك «غَصِصْتَ» يا رجل تَغُصُّ، فأنت غاصٌّ بالطَّعام وغصَّان وأغْصصتُهُ أنا، والمنزل غاص بالقوم ، أي : ممتلىء بهم " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا المَقْصُوْدُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤] ؟

الجواب : قال الإمام الماوردي في " النُّكت والعيون" (٤/ ٤٦٠) : " وفيه خمسة تأويلات: أحدها: حيل بينهم وبين الدُّنيا ، قاله مجاهد. الثَّاني: بينهم وبين الإيمان ، قاله الحسن. الثَّالث: بينهم وبين التَّوبة ، قاله السدِّي. الرَّابع: بينهم وبين طاعة الله تعالى ، قاله خليد. الخامس: حيل بين المؤمن وبين العمل ، وبين الكافر وبين الإيمان ، قاله يزيد بن أبي يزيد " .

وقال الإمام ابن الجوزي في " زاد المسير في علم التَّفسير " (٣/ ٥٠٤) : " أي: مُنع هؤلاء الكفَّار ممَّا يشتهون، وفيه ستَّة أقوال: أحدها: أنَّه الرُّجوع إلى الدُّنيا، قاله ابن عبَّاس. والثَّاني: الأهل والمال والولد، قاله مجاهد.

والثَّالث: الإيمان، قاله الحسن. والرَّابع: طاعة الله، قاله قتادة. والخامس: التَّوبة. قاله السدِّي. والسَّادس: حيل بين الجيش الذي خرج لتخريب الكعبة وبين ذلك بأن خُسف بهم، قاله مقاتل " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (٣١٨/١٤) : " قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾** قِيلَ: حِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّجَاةِ مِنَ الْعَذَابِ. وَقِيلَ: حِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ. وَمَذْهَبُ قَتَادَةَ أَنَّ الْمَعْنَىٰ أَنَّهُمْ كَانُوا يَشْتَهُونَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ أَنْ يُقْبَلَ مِنْهُمْ أَنْ يُطِيعُوا اللهَ عز وجل وَيَنْتَهُوا إِلَىٰ مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ اللهُ فَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ذَلِكَ، لِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ فِي الدنيا أو قد زَالَتْ فِي ذَلِكَ الْوَقْت " .

وقال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (٥٢٩/٦) : " وَقَوْلُهُ: **﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾** : قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَالضَّحَّاكُ، وَغَيْرُهُمَا: يَعْنِي: الْإِيمَانُ.

وَقَالَ السُّدِّي: **﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾** ، وَهِيَ: التَّوْبَةُ. وَهَذَا اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ، رَحِمَهُ اللهُ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: **﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾** مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا، مِنْ مَالٍ وَزَهْرَةٍ وَأَهْلٍ. وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عُمَرَ وَالرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ. وَهُوَ قَوْلُ الْبُخَارِيِّ وَجَمَاعَةٍ. وَالصَّحِيحُ: أَنَّهُ لَا مُنَافَاةَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ؛ فَإِنَّهُ قَدْ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ شَهَوَاتِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا طَلَبُوهُ فِي الْآخِرَةِ، فَمُنِعُوا مِنْهُ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا المَقْصُوْدُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم: ٥٠] .

الجواب : قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (١١٣/١٩) : " قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرانٍ﴾** السَّرَابِيلُ جَمْعُ سِرْبَالٍ وَهُوَ الْقَمِيصُ، وَالْقَطِرَانُ فِيهِ ثَلَاثُ لُغَاتٍ: قَطِرَانٌ وقطران وقطرن، بِفَتْحِ الْقَافِ وَكَسْرِهَا مَعَ سُكُونِ الطَّاءِ وَبِفَتْحِ الْقَافِ وَكَسْرِ الطَّاءِ، وَهُوَ شَيْءٌ يَتَحَلَّبُ مِنْ شَجَرٍ يُسَمَّىٰ الْأَبْهَلَ فَيُطْبَخُ وَيُطْلَىٰ بِهِ الْإِبِلُ الْجَرِبُ فَيَحْرِقُ الْجَرَبَ بِحَرَارَتِهِ وَحِدَّتِهِ، وَقَدْ تَصِلُ حَرَارَتُهُ إِلَىٰ دَاخِلِ الْجَوْفِ، وَمِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَتَسَارَعَ فِيهِ اشْتِعَالُ النَّارِ، وَهُوَ أَسْوَدُ اللَّوْنِ مُنْتِنُ الرِّيحِ فَتُطْلَىٰ بِهِ جُلُودُ أَهْلِ النَّارِ حَتَّىٰ يَصِيرَ ذَلِكَ الطِّلْيُ كَالسَّرَابِيلِ، وَهِيَ الْقُمُصُ فَيَحْصُلُ بِسَبَبِهَا أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ مِنَ الْعَذَابِ، لَذْعُ الْقَطِرَانِ وَحُرْقَتُهُ، وَإِسْرَاعُ النَّارِ فِي جُلُودِهِمْ وَاللَّوْنُ الْوَحْشُ وَنَتْنُ الرِّيحِ، وَأَيْضًا التَّفَاوُتُ بَيْنَ قَطِرَانِ الْقِيَامَةِ وَقَطِرَانِ الدُّنْيَا كَالتَّفَاوُتِ بَيْنَ النَّارَيْنِ، وَأَقُولُ حَظُّ الْعَقْلِ مِنْ هَذَا أَنَّ جَوْهَرَ الرُّوحِ جَوْهَرٌ مُشْرِقٌ لَامِعٌ مِنْ عَالَمِ الْقُدُسِ وَغَيْبَةِ الْجَلَالِ، وَهَذَا الْبَدَنُ جَارٍ مَجْرَىٰ السِّرْبَالِ وَالْقَمِيصِ لَهُ، وَكُلُّ مَا يَحْصُلُ لِلنَّفْسِ مِنَ الْآلَامِ وَالْغُمُومِ، فَإِنَّمَا يَحْصُلُ بِسَبَبِ هَذَا الْبَدَنِ، فَلِهَذَا

الْبَدَنِ لَذْعٌ وَحُرْقَةٌ فِي جَوْهَرِ النَّفْسِ، لِأَنَّ الشَّهْوَةَ وَالْحِرْصَ وَالْغَضَبَ إِنَّمَا تَتَسَارَعُ إِلَى جَوْهَرِ الرُّوحِ بِسَبَبِهِ، وَكَوْنِهِ لِلْكَثَافَةِ وَالْكُدُورَةِ وَالظُّلْمَةِ هُوَ الَّذِي يُخْفِي لَمَعَانَ الرُّوحِ وَضَوْءَهُ وَهُوَ سَبَبٌ لِحُصُولِ النَّتْنِ وَالْعُفُونَةِ، فَتَشَبَّهَ هَذَا الْجَسَدُ بِسَرَابِيلَ مِنَ الْقَطِرَانِ وَالْقِطْرِ، وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ مِنْ قِطْرٍ آنٍ وَالْقِطْرُ النُّحَاسُ أَوِ الصُّفْرُ الْمُذَابُ وَالْآنِي الْمُتَنَاهِي حَرُّهُ. قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ الْأَنْبَارِيِّ: وَتِلْكَ النَّارُ لَا تُبْطِلُ ذَلِكَ الْقَطِرَانَ وَلَا تُفْنِيهِ كَمَا لَا تُهْلِكُ النَّارُ أَجْسَادَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (٩/ ٣٨٥) : " **﴿سَرابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرانٍ﴾** ، أَيْ قُمُصُهُمْ، عَنِ ابْنِ دُرَيْدٍ وَغَيْرِهِ، وَاحِدُهَا سِرْبَالٌ، وَالْفِعْلُ تَسَرْبَلْتُ وَسَرْبَلْتُ غَيْرِي، قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ:

تَلْقَاكُمُ عَصَبٌ حَوْلَ النَّبِيِّ لَهُمْ مِنْ نَسْجِ داود في الهيجا سراويل

﴿مِنْ قَطِرانٍ﴾ يَعْنِي قَطِرَانَ الْإِبِلِ الَّذِي تُهْنَأُ بِهِ ، قَالَهُ الْحَسَنُ. وَذَلِكَ أَبْلَغُ لِاشْتِعَالِ النَّارِ فِيهِمْ وَفِي الصَّحِيحِ: أَنَّ النَّائِحَةَ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ. وَرُوِيَ عَنْ حَمَّادٍ أَنَّهُمْ قَالُوا: هُوَ النُّحَاسُ. وَقَرَأَ عِيسَى بْنُ عُمَرَ" قَطْرَانٍ" بِفَتْحِ الْقَافِ وَتَسْكِينِ الطَّاءِ. وَفِيهِ قِرَاءَةٌ ثَالِثَةٌ: كَسْرُ الْقَافِ وَجَزْمُ الطَّاءِ، وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي النَّجْمِ:

جَوْنٌ كَأَنَّ الْعَرَقَ الْمَنْتُوحَا لَبَّسَهُ الْقِطْرَانَ وَالْمُسُوحَا

وَقِرَاءَةٌ رَابِعَةٌ:" مِنْ قَطِرانٍ" رُوِيَتْ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَعِكْرِمَةَ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَيَعْقُوبَ، وَالْقِطْرُ النُّحَاسُ وَالصُّفْرُ الْمُذَابُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً﴾** . وَالْآنُ: الَّذِي قَدِ انْتَهَى إِلَى حَرِّهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾** .

وقال الإمام ابن كثير في " البداية والنِّهاية" (١٣/ ٥٣) : " وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: لَمَّا مَاتَتِ النَّوَارُ بِنْتُ أَعْيَنَ بْنِ ضُبَيْعَةَ الْمُجَاشِعِيُّ امْرَأَةُ الْفَرَزْدَقِ وَكَانَتْ قَدْ أَوْصَتْ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهَا الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فَشَهِدَهَا أَعْيَانُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَالْحَسَنُ عَلَى بَغْلَتِهِ وَالْفَرَزْدَقُ عَلَى بَعِيرِهِ فَسَارَا، فَقَالَ الْحَسَنُ، لِلْفَرَزْدَقِ: مَاذَا يَقُولُ النَّاسُ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: شَهِدَ هَذِهِ الْجِنَازَةَ الْيَوْمَ خَيْرُ النَّاسِ. يَعْنُونَكَ، وَ: شَرُّ النَّاسِ. يَعْنُونِي. فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا فِرَاسٍ لَسْتُ بِخَيْرِ النَّاسِ، وَلَسْتَ بِشَرِّ النَّاسِ. ثُمَّ قَالَ لَهُ الْحَسَنُ: مَا أَعْدَدْتَ لِهَذَا الْيَوْمِ؟ قَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُنْذُ ثَمَانِينَ سَنَةً. فَلَمَّا أَنْ صَلَّى عَلَيْهَا الْحَسَنُ مَالُوا إِلَى قَبْرِهَا لِدَفْنِهَا، فَأَنْشَأَ الْفَرَزْدَقُ يَقُولُ:

أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ إِنْ لَمْ يُعَافِنِي أَشَدَّ مِنَ الْقَبْرِ الْتِهَابًا وَأَضْيَقَا

إِذَا جَاءَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِدٌ عَنِيفٌ وَسَوَّاقٌ يَسُوقُ الْفَرَزْدَقَا

لَقَدْ خَابَ مِنْ أَوْلَادِ آدَمَ مَنْ مَشَى إِلَى النَّارِ مَغْلُولَ الْقِلَادَةِ أَزْرَقَا

يُسَاقُ إِلَى نَارِ الْجَحِيمِ مُسَرْبَلًا سَرَابِيلَ قَطْرَانٍ لِبَاسًا مُخَرَّقَا

إِذَا شَرِبُـــــوا فِيهَا الصَّدِيدَ رَأَيْتَهُمْ يَذُوبُـــــونَ مِنْ حَرِّ الصَّدِيدِ تَمَزُّقَا

قَالَ: فَبَكَى الْحَسَنُ حَتَّى بَلَّ الثَّرَى، ثُمَّ الْتَزَمَ الْفَرَزْدَقَ وَقَالَ: لَقَدْ كُنْتَ مِنْ أَبْغَضِ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ " .

وروى مسلم (٢/ ٦٤٤ برقم ٩٣٤) بسنده عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ، حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ " وَقَالَ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا المَقْصُوْدُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَواشٍ﴾ [الأعراف:٤١] .

الجواب : قال الإمام ابن الجوزي في " زاد المسير في علم التَّفسير " (٢/ ١٢٠) : " قوله تعالى: **﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهادٌ﴾** المهاد: الفراش. وفي المراد بالغواشي ثلاثة أقوال: أحدها: اللحف، قاله ابن عبَّاس، والقرظي، وابن زيد. والثَّاني: ما يغشاهم من فوقهم من الدُّخان، قاله عكرمة. والثَّالث: غاشية فوق غاشية من النَّار، قاله الزَّجَّاج " .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (١٤/ ٢٤١) : " ... وَفِيهِ مَسْأَلَتَانِ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: «الْمِهَادُ» جَمْعُ مَهْدٍ وَهُوَ الْفِرَاشُ. قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: أَصْلُ الْمَهْدِ فِي اللُّغَةِ الْفَرْشُ يُقَالُ لِلْفِرَاشِ مِهَادٌ لِمُوَاتَاتِهِ وَالْغَوَاشِي جَمْعُ غَاشِيَةٍ وَهِيَ كُلُّ مَا يَغْشَاكَ أَيْ يُجَلِّلُكَ وَجَهَنَّمُ لَا تَنْصَرِفُ لِاجْتِمَاعِ التَّأْنِيثِ فِيهَا وَالتَّعْرِيفِ وَقِيلَ اشْتِقَاقُهَا مِنَ الْجَهْمَةِ وَهِيَ الْغِلَظُ يُقَالُ: رَجُلٌ جَهْمُ الْوَجْهِ غَلِيظُهُ وَسُمِّيَتْ بِهَذَا لِغِلَظِ أَمْرِهَا فِي الْعَذَابِ قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: الْمُرَادُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الْإِخْبَارُ عَنْ إِحَاطَةِ النَّارِ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَلَهُمْ مِنْهَا غِطَاءٌ وَوِطَاءٌ وَفِرَاشٌ وَلِحَافٌ " ...

وقال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير" (٨/ ١٢٨-١٢٩) : " وَالْمِهَادُ- بِكَسْرِ الْمِيمِ- مَا يُمَهَّدُ أَيْ يفرش، و «غواش» جَمْعُ غَاشِيَةٍ وَهِيَ مَا يَغْشَى الْإِنْسَانَ، أَيْ يُغَطِّيهِ كَالْلِحَافِ، شَبَّهَ مَا هُوَ تَحْتَهُمْ مِنَ النَّارِ.

بِالْمِهَادِ، وَمَا هُوَ فَوْقَهُمْ مِنْهَا بِالْغَوَاشِي، وَذَلِكَ كِنَايَةٌ عَنِ انْتِفَاءِ الرَّاحَةِ لَهُمْ فِي جَهَنَّمَ، فَإِنَّ الْمَرْءَ يَحْتَاجُ إِلَى الْمِهَادِ وَالْغَاشِيَةِ عِنْدَ اضْطِجَاعِهِ لِلرَّاحَةِ، فَإِذَا كَانَ مِهَادُهُمْ وَغَاشِيَتُهُمُ النَّارَ. فَقَدِ انْتَفَتْ رَاحَتُهُمْ، وَهَذَا ذِكْرٌ لِعَذَابِهِمُ السُّوءِ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ حِرْمَانَهُمْ مِنَ الْخَيْرِ.

وَقَوْلُهُ: غَواشٍ وَصْفٌ لِمُقَدَّرٍ دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: مِنْ جَهَنَّمَ، أَيْ وَمِنْ فَوْقِهِمْ نِيرَانٌ كَالْغَوَاشِي " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا المَقْصُوْدُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨] ؟

الجواب : قال الإمام ابن الجوزي في " زاد المسير في علم التَّفسير " (٣/ ١٢) : " قوله تعالى: **﴿وَجَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ حَصِيراً﴾** فيه قولان: أحدهما: سجناً، قاله ابن عبَّاس، والضَّحَّاك، وقتادة. وقال مجاهد: يحصرون فيها. وقال أبو عبيدة، وابن قتيبة: محبساً، وقال الزَّجَّاج: حصيراً» : حبساً، أخذ من قولك: حصرتُ الرَّجل، إِذا حبسته، فهو محصور، وهذا حصيره، أي: محبسه، والحصير: المنسوج. سُمِّي حصيراً، لأنَّه حصرت طاقاته بعضها مع بعض، ويقال للجَنْب: حصير، لأنَّ بعض الأضلاع محصور مع بعض. وقال ابن الأنباري: حصيراً: بمعنى: حاصرة، فصرف من حاصرة إِلى حصير، كما صرف «مؤلم» إِلى أليم. والثَّاني: فراشاً ومهاداً، قاله الحسن. قال أبو عبيدة: ويجوز أن تكون جهنَّم لهم مهاداً بمنزلة الحصير، والحصير: البساط الصَّغير " .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢٠/ ٣٠٣) : " **الْحَصِيرُ** فَعِيلٌ فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الْفَاعِلِ، أَيْ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ حَاصِرَةً لَهُمْ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، أَيْ جَعَلْنَاهَا مَوْضِعًا مَحْصُورًا لَهُمْ، وَالْمَعْنَى أَنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ شَدِيدًا قَوِيًّا إِلَّا أَنَّهُ قَدْ يَتَفَلَّتُ بَعْضُ النَّاسِ عَنْهُ، وَالَّذِي يَقَعُ فِي ذَلِكَ الْعَذَابِ يَتَخَلَّصُ عَنْهُ، إِمَّا بِالْمَوْتِ وَإِمَّا بِطَرِيقٍ آخَرَ، وَأَمَّا عَذَابُ الْآخِرَةِ فَإِنَّهُ يَكُونُ حَاصِرًا لِلْإِنْسَانِ مُحِيطًا بِهِ لَا رَجَاءَ فِي الْخَلَاصِ عَنْهُ، فَهَؤُلَاءِ الْأَقْوَامُ لَهُمْ مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا مَا وَصَفْنَاهُ وَيَكُونُ لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ مَا يَكُونُ مُحِيطًا بِهِمْ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ ولا يتخلصون منه أبداً " .

وقال الإمام ابن رجب في " روائع التَّفسير " (١/ ٤٨١-٤٨٢) : " وقال الحسنُ في قولهِ تعالى: **﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾** ،قال: فِراشًا ومِهادًا. وقال قتادةُ: محبسًا حُصروا فيها.

وروى مسكين عن حوشبٍ عن الحسنِ أنَّه كان إذا ذُكِرَ أهلُ النَّارِ قال في وصفِهم: قد حذيت لهم نعالٌ من نارٍ ، وسرابيلُ من قطرانٍ، وطعامُهُم من نارٍ، وشرابُهُم من نارٍ وفرشٌ من نارٍ ولُحُف من نارٍ ومساكنُ من نارٍ، في شرِّ دارٍ وأسوأ عذابٍ في الأجسادِ أكلاً أكلاً، وصهْرًا صهْرًا، وحطْمًا حطْمًا.

وروى داودُ بنُ المحبرِ عن الحسنِ بنِ واصلٍ، وعبدِ الواحدِ بنِ زيدٍ عن الحسنِ، قال: إنَّ رجلاً من صدرِ هذهِ الأمَّةِ كانَ إذا دخلَ المقابرَ نادَى: يا أهلَ القبورِ بعد الرَّفاهيَّةِ والنَّعيم معالجة الأغلالِ في النَّارِ، وبعد القطنِ والكتَّانِ لباسُ القطرانِ، ومقطعات للنِّيرانِ، وبعدَ تلطفِ الخدمِ والحشم، ومعانقة الأزواج، مقارنةُ الشَّيطانِ في نارِ جهنَّم مقرنين في الأصفادِ.

وروى ابنُ أبي الدُّنيا بإسنادِهِ عن وهبِ بنِ منبهٍ، قال: أمَّا أهلُ النَّارِ الذينَ هم أهلُها فهم في النَّارِ لا يهدؤون ولا ينامونَ ولا يموتونَ، ويمشونَ على النَّارِ، ويجلسونَ على النَّارِ، ويشربونَ من صديدِ أهلِ النَّارِ، ويأكلونَ من زقومِ النَّارِ، فرشُهم ولحفهم نار، وقمصُهُم نار وقطران، وتغشى وجوهَهُمُ النَّارُ، وجميعُ أهلِ النَّارِ في سلاسلَ بأيدي الخزنةِ أطرافُها يجذبونَ مقبلينَ ومدبرينَ، فيسيلُ صديدُهم إلى حفرٍ في النَّارِ، فذلكَ شرابُهُم، قالَ: ثم بَكَى وهب حتى سقطَ مغشيًا عليهِ.

وغلبَ بكرُ بنُ خنيسٍ عندَ روايتِهِ هذا الحديثِ البكاءُ حتى قامَ فلم يقدرْ أن يتكلَّمَ، وبكى محمَّدُ بنُ جعفرٍ بكاءًا شديدًا.

وبإسنادِهِ عن هدابٍ، قال: أقبلتْ أمُّ يحيى بن زكريَّا على يحيى في ثوبٍ تعالجه لَهُ ليلبسه، فقال لها: أفعل، فقالتْ: من أيِّ شيءٍ؟ قالَ من شعرٍ. قالتْ: يا بنيَّ إذًا يأكلُ لحمَكَ، قال: يا أمَّه، إذا ذكرتُ مقطعاتِ أهلِ النَّارِ لانَ عليَّ جِلْدي.

وكان عطاء الخراسانيُّ ينادِي أصحابهُ في السَّفرِ: يا فلانُ ويا فلانُ قيامُ هذا الليلِ وصيامُ هذا النَّهارِ أيسرُ من شراب الصَّديد ومقطعات الحديد ألواحًا ثمَّ ألواحًا ثم ألواحًا، ثمَّ يقبلُ على صلاتِهِ " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٠/ ٢٢٤) : " **﴿وَجَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ حَصِيراً﴾** ،أَيْ مَحْبِسًا وَسِجْنًا، مِنَ الْحَصْرِ وَهُوَ الْحَبْسُ. قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: يُقَالُ حَصَرَهُ يَحْصُرُهُ حَصْرًا ضَيَّقَ عَلَيْهِ وَأَحَاطَ بِهِ. وَالْحَصِيرُ: الضَّيِّقُ الْبَخِيلُ. وَالْحَصِيرُ: الْبَارِيَّةُ. وَالْحَصِيرُ: الْجَنْبُ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: هُوَ مَا بَيْنَ الْعِرْقِ الَّذِي

يَظْهَرُ فِي جَنْبِ الْبَعِيرِ وَالْفَرَسِ مُعْتَرِضًا فَمَا فَوْقَهُ إِلَى مُنْقَطِعِ الْجَنْبِ. وَالْحَصِيرُ: الْمَلِكُ، لِأَنَّهُ مَحْجُوبٌ. قَالَ لَبِيدٌ:

وَقُمَاقِمٍ غُلْبِ الرِّقَابِ كَأَنَّهُمْ   جِنٌّ لَدَى بَابِ الْحَصِيرِ قِيَامُ

وَيُرْوَى: وَمَقَامَةٍ غُلْبِ الرِّقَابِ...

عَلَى أَنْ يَكُونَ" غُلْبُ" بَدَلًا مِنْ" مَقَامَةٍ" كَأَنَّهُ قَالَ: وَرُبَّ غُلْبِ الرِّقَابِ. وَرُوِيَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ: لَدَى طَرَفِ الْحَصِيرِ قِيَامُ ، أَيْ : عِنْدَ طَرَفِ الْبِسَاطِ لِلنُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ. وَالْحَصِيرُ: الْمَحْبِسُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:" وَجَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ حَصِيراً". قَالَ الْقُشَيْرِيُّ: وَيُقَالُ للذي يفرش حصير، لِحَصْرِ بَعْضِهِ عَلَى بَعْضٍ بِالنَّسْجِ. وَقَالَ الْحَسَنُ: أَيْ فِرَاشًا وَمِهَادًا، ذَهَبَ إِلَى الْحَصِيرِ الَّذِي يُفْرَشُ، لِأَنَّ الْعَرَبَ تُسَمِّي الْبِسَاطَ الصَّغِيرَ حَصِيرًا. قال الثعلبي: وهو وجه حسن " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا المَقْصُوْدُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٤] ؟

الجواب : قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٢/ ١٥٢) : " قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾** وَيُقَالُ" تَنْفَحُ" بِمَعْنَاهُ: وَمِنْهُ: **﴿وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذابِ رَبِّكَ﴾** [الأنبياء: ٤٦] . إِلَّا أَنَّ" تَلْفَحُ " أَبْلَغُ بَأْسًا، يُقَالُ: لَفَحَتْهُ النَّارُ وَالسَّمُومُ بِحَرِّهَا أَحْرَقَتْهُ. وَلَفَحْتُهُ بِالسَّيْفِ لَفْحَةً إذا ضربته به ضربة خَفِيفَةً.**﴿وَهُمْ فِيها كالِحُونَ﴾** ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: عَابِسُونَ. وَقَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: الْكُلُوحُ تَكَشُّرٌ فِي عُبُوسٍ. وَالْكَالِحُ: الَّذِي قَدْ تَشَمَّرَتْ شَفَتَاهُ وَبَدَتْ أسنانه. قال الأعمش:

وَلَهُ الْمُقْدَمُ لَا مِثْلَ لَهُ   سَاعَةَ الشِّدْقِ عَنِ النَّابِ كَلَحْ

وَقَدْ كَلَحَ الرَّجُلُ كُلُوحًا وَكِلَاحًا. وَمَا أَقْبَحَ كَلْحَتَهُ، يُرَادُ بِهِ الْفَمُ وَمَا حَوَالَيْهِ. وَدَهْرٌ كَالِحٌ أَيْ شَدِيدٌ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا **﴿وَهُمْ فِيها كالِحُونَ﴾** يُرِيدُ كَالَّذِي كَلَحَ وَتَقَلَّصَتْ شَفَتَاهُ وَسَالَ صَدِيدُهُ. وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: أَلَمْ تَرَ إِلَى الرَّأْسِ الْمُشَيَّطِ بِالنَّارِ، وَقَدْ بَدَتْ أَسْنَانُهُ وَقَلَصَتْ شَفَتَاهُ. وَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: وَهُمْ فِيها كالِحُونَ - (قَالَ- تَشْوِيهُ النَّارِ فَتَقَلِصُ شَفَتُهُ الْعُلْيَا حَتَّى تَبْلُغَ وَسَطَ رَأْسِهِ وَتَسْتَرْخِيَ شَفَتُهُ السُّفْلَى حَتَّى تَضْرِبَ سُرَّتَهُ) قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيح غريب " .

وقال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (٥/٤٩٧-٤٩٨) : " **﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾** ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: **﴿وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾** [إبْرَاهِيمَ: ٥٠] ، وَقَالَ : **﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾** [الْأَنْبِيَاءِ: ٣٩] .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا فَرْوَةُ بْنُ أَبِي الْمَغْرَاءِ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَصْبَهَانِيُّ، عَنْ أَبِي سِنَان ضِرَار بْنِ مُرَّة، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْهُذَيْلِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ جَهَنَّمَ لَمَّا سِيقَ إِلَيْهَا أَهْلُهَا يَلْقَاهُمْ لَهَبُهَا، ثُمَّ تَلْفَحُهُمْ لَفْحَةً، فَلَمْ يَبْقَ لَحْمٌ إِلَّا سَقَطَ عَلَىٰ الْعُرْقُوبِ ."

وَقَالَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَىٰ الفَزَّاز، حَدَّثَنَا الْخَضِرُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ يُونُسَ الْقَطَّانُ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ أَبِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَضِرِ القَطَّان، حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيُّ، عَنْ أَخِيهِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَىٰ: **﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾** ، قَالَ: "تَلْفَحُهُمْ لَفْحَةً، فَتَسِيلُ لُحُومُهُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ" .

وَقَوْلُهُ: **﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾** ، قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: يَعْنِي عَابِسُونَ.

وَقَالَ الثَّوْرِيُّ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: **﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾** قَالَ: أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الرَّأْسِ الْمُشَيَّط الَّذِي قَدْ بَدَا أَسْنَانُهُ وقَلَصت شَفَتَاهُ.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، رَحِمَهُ اللَّهُ: أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ -هُوَ ابن المبارك، رحمه اللَّهُ-أَخْبَرَنَا سَعِيدُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي السَّمْح، عَنْ أَبِي الْهَيْثَم، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْري، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾** ، قَالَ: "تَشْويه النَّارُ فَتَقَلَّصُ شَفَتَهُ الْعُلْيَا حَتَّىٰ تَبْلُغَ وَسَطَ رَأْسِهِ، وَتَسْتَرْخِي شَفَتَهُ السُّفْلَىٰ حَتَّىٰ تَضْرب سُرَّته " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا المَقْصُوْدُ بِقَوْلِهِ تعَالَى : ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً﴾ [المدثر: ١٧] .

الجواب :

روىٰ الحاكم في " المستدرك علىٰ الصَّحيحين " (٢/ ٥٥٠ برقم ٣٨٧٢ ، وقال :ذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ عَلَىٰ شَرْطِ الْبُخَارِيِّ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ، وقال الذهبي : علىٰ شرط البخاري) بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ جَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فَكَأَنَّهُ رَقَّ لَهُ فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا جَهْلٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: يَا عَمُّ، إِنَّ قَوْمَكَ يَرَوْنَ أَنْ يَجْمَعُوا لَكَ مَالًا. قَالَ: لِمَ؟ قَالَ: لِيُعْطُوكَهُ فَإِنَّكَ أَتَيْتَ مُحَمَّدًا لِتُعْرِضَ لِمَا قِبَلَهُ قَالَ: قَدْ عَلِمَتْ

قُرَيْشٌ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا. قَالَ: فَقُلْ فِيهِ قَوْلًا يَبْلُغُ قَوْمَكَ أَنَّكَ مُنْكِرٌ لَهُ أَوْ أَنَّكَ كَارِهٌ لَهُ قَالَ: وَمَاذَا أَقُولُ «فَوَاللَّهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمَ بِالْأَشْعَارِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمَ بِرَجَزٍ وَلَا بِقَصِيدَةٍ مِنِّي وَلَا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ وَاللَّهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا وَوَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَى وَإِنَّهُ لَيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ» قَالَ: لَا يَرْضَى عَنْكَ قَوْمُكَ حَتَّى تَقُولَ فِيهِ. قَالَ: فَدَعْنِي حَتَّى أُفَكِّرَ، فَلَمَّا فَكَّرَ قَالَ: " هَذَا سِحْرٌ يُؤْثَرُ يَأْثُرُهُ مِنْ غَيْرِهِ فَنَزَلَتْ ﴿**ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا**﴾ [المدثر: ١١] .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٣٠/ ٧٠٥) : " سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً ، أَيْ سَأُكَلِّفُهُ صَعُودًا وَفِي الصَّعُودِ قَوْلَانِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّهُ مَثَلٌ لِمَا يَلْقَى مِنَ الْعَذَابِ الشَّاقِّ الصَّعْبِ الَّذِي لَا يُطَاقُ مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿**يَسْلُكْهُ عَذاباً صَعَداً**﴾ [الجِنّ: ١٧] ، وَصَعُودٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: عَقَبَةٌ صَعُودٌ وَكَدُودٌ شَاقَّةُ الْمَصْعَدِ.

وَالثَّانِي: أَنَّ صَعُودًا اسْمٌ لِعَقَبَةٍ فِي النَّارِ كُلَّمَا وَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا ذَابَتْ فَإِذَا رَفَعَهَا عَادَتْ وَإِذَا وَضَعَ رِجْلَهُ ذَابَتْ وَإِذَا رَفَعَهَا عَادَتْ " .

قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٩/ ٧٣) : ﴿**صَعُوداً**﴾ (الصَّعُودُ: جَبَلٌ مِنْ نَارٍ يَتَصَعَّدُ فِيهِ سَبْعِينَ خَرِيفًا ثُمَّ يَهْوِي كَذَلِكَ فِيهِ أَبَدًا) رَوَاهُ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ فِيهِ حَدِيثٌ غَرِيبٌ. وَرَوَى عَطِيَّةُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: صَخْرَةٌ فِي جَهَنَّمَ إِذَا وَضَعُوا عَلَيْهَا أَيْدِيَهُمْ ذَابَتْ فَإِذَا رَفَعُوهَا عَادَتْ، قَالَ: فَيَبْلُغُ أَعْلَاهَا فِي أَرْبَعِينَ سَنَةً يُجْذَبُ مِنْ أَمَامِهِ بِسَلَاسِلَ وَيُضْرَبُ مَنْ خَلْفَهُ بِمَقَامِعَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَعْلَاهَا رَمَى بِهِ إِلَى أَسْفَلِهَا، فَذَلِكَ دَأْبُهُ أَبَدًا " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ وَرَدَ فِيء القُرْآنِ أَسْمَاءُ أَشْخاصٍ وَأَقْوَامٍ بِأَعْيَانِهَا بِأَنَّهَا مِنْ أَهْلِ النَّار ؟

الجواب : نعم وردت آيات عديدة في كتاب الله تعالى تبيِّن أسماء بعض الأشخاص والأقوام الكفرة الذين استوجبوا النَّار بكفرهم وعدم طاعتهم لأنبيائهم الذين أُرسلوا إليهم ... ومنهم :

أَوَّلاً : إِبْلِيْسُ اللعِيْن :

قال تعالى : **﴿وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ ثُمَّ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * قالَ ما مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قالَ فَاهْبِطْ مِنْها فَما يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيها فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قالَ أَنْظِرْنِي إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * قالَ فَبِما أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ**

وَعَنْ أَيْمانِهِمْ وَعَنْ شَمائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شاكِرِينَ * قالَ اخْرُجْ مِنْها مَذْؤُماً مَدْحُوراً لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف:١١-١٨] .

وقال تعالى : ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطانِ إِذْ قالَ لِلْإِنْسانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخافُ اللهَّ رَبَّ الْعالَمِينَ * فَكانَ عاقِبَتَهُما أَنَّهُما فِي النَّارِ خالِدَيْنِ فِيها وَذلِكَ جَزاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [الحشر:١٦-١٧] .

ثانياً : فِرْعَوْن وَآلِهِ وَجُنُوْدِه :

قال تعالى : ﴿وَقالَ فِرْعَوْنُ يا أَيُّهَا الْمَلَأُ ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يا هامانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلى إِلهِ مُوسى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكاذِبِينَ * وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنا لا يُرْجَعُونَ * فَأَخَذْناهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْناهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الظَّالِمِينَ * وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيامَةِ لا يُنْصَرُونَ * وَأَتْبَعْناهُمْ فِي هذِهِ الدُّنْيا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص:٣٨-٤٢] .

وقال تعالى : ﴿وَحاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذابِ﴾ [غافر:٤٥-٤٦] .

ثالِثاً وَرابِعاً :: قارُوْن وَهامان :

قال تعالى : ﴿إِنَّ قارُونَ كانَ مِنْ قَوْمِ مُوسى فَبَغى عَلَيْهِمْ وَآتَيْناهُ مِنَ الْكُنُوزِ ما إِنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَّ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيما آتاكَ اللهَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا وَأَحْسِنْ كَما أَحْسَنَ اللهَّ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَّ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ * قالَ إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَّ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ * فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا يا لَيْتَ لَنا مِثْلَ ما أُوتِيَ قارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوابُ اللهَّ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً وَلا يُلَقَّاها إِلاَّ الصَّابِرُونَ * فَخَسَفْنا بِهِ وَبِدارِهِ الْأَرْضَ فَما كانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهَّ وَما كانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ [القصص:٧٦-٨١] .

وقال تعالى : ﴿وَقارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهامانَ وَلَقَدْ جاءَهُمْ مُوسى بِالْبَيِّناتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَما كانُوا سابِقِينَ * فَكُلاًّ أَخَذْنا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِ حاصِباً وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنا وَما كانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٣٩-٤٠] .

خَامِسَاً وَسَادِسَاً : أَبُوْ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَب :

قال تعالى : ﴿تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنى عَنْهُ مالُهُ وَما كَسَبَ * سَيَصْلى نَارًا ذاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ [المسد:١-٥] .

سَابِعَاً وَثَامِنَاً: امْرَأَةَ نُوْحٍ وَامْرَأَةَ لُوْط :

قال تعالى : ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنا صالِحَيْنِ فَخانَتاهُما فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِنَ اللهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحريم:١٠] .

تَاسِعَاً: ابْن سَيِّدِنَا نُوْحٍ عَلَيْهِ السَّلَام :

قال تعالى : ﴿قالَ سَآوِي إِلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْماءِ قالَ لا عاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ وَحالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ * وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ وَيا سَماءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْماءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنادى نُوحٌ رَبَّهُ فَقالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحاكِمِينَ * قالَ يا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ فَلا تَسْئَلْنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ﴾ [هود:٤٣-٤٦] .

عَاشِرَاً : الوَلِيْد بِنْ المُغِيْرَة:

قال تعالى : ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً * وَجَعَلْتُ لَهُ مالا مَمْدُوداً * وَبَنِينَ شُهُوداً * وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلاَّ إِنَّهُ كانَ لِآياتِنا عَنِيداً * سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً * إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر:١١-٢٦] .

روى الحاكم في " المستدرك على الصَّحيحين " (٢/ ٥٥٠ برقم ٣٨٧٢ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ، وقال الذهبي : على شرط البخاري) ، البيهقي في " شعب الإيمان " (١/ ٢٨٨) بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فَكَأَنَّهُ رَقَّ لَهُ فَبَلَغَ

ذلِكَ أَبَا جَهْلٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: يَا عَمُّ، إِنَّ قَوْمَكَ يَرَوْنَ أَنْ يَجْمَعُوا لَكَ مَالًا. قَالَ: لِمَ؟ قَالَ: لِيُعْطُوكَهُ فَإِنَّكَ أَتَيْتَ مُحَمَّدًا لِتُعْرِضَ لِمَا قِبَلَهُ قَالَ: قَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا. قَالَ: فَقُلْ فِيهِ قَوْلًا يَبْلُغُ قَوْمَكَ أَنَّكَ مُنْكِرٌ لَهُ أَوْ أَنَّكَ كَارِهٌ لَهُ قَالَ: وَمَاذَا أَقُولُ «فَوَاللَّهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمَ بِالْأَشْعَارِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمَ بِرَجَزٍ وَلَا بِقَصِيدَةٍ مِنِّي وَلَا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ وَاللَّهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا وَوَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَى وَإِنَّهُ لَيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ» قَالَ: لَا يَرْضَى عَنْكَ قَوْمُكَ حَتَّى تَقُولَ فِيهِ. قَالَ: فَدَعْنِي حَتَّى أُفَكِّرَ، فَلَمَّا فَكَّرَ قَالَ: " هَذَا سِحْرٌ يُؤْثَرُ يَأْثُرُهُ مِنْ غَيْرِهِ فَنَزَلَتْ **﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾** [المدثر: ١١] .

حَادِيْ عَشَر : قَوْم نُوْح عَلَيْهِ السَّلَام:

قال تعالى : **﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِما كانُوا يَفْعَلُونَ *وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا وَوَحْيِنا وَلا تُخاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾** [هود:٣٦-٣٧] .

ثَانِيْ عَشَر : عَاد قَوْم هُوْد عَلَيْهِ السَّلَام:

قال تعالى : **﴿قالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنا بِبَيِّنَةٍ وَما نَحْنُ بِتارِكِي آلِهَتِنا عَنْ قَوْلِكَ وَما نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِنْ نَقُولُ إِلاَّ اعْتَراكَ بَعْضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ قالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾** [هود:٥٣-٥٤] .

وقال تعالى : **﴿وَتِلْكَ عادٌ جَحَدُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * وَأُتْبِعُوا فِي هذِهِ الدُّنْيا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِعادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾** [هود:٥٩-٦٠] .

وقال تعالى : **﴿فَأَمَّا عادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَحِساتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَلَعَذابُ الْآخِرَةِ أَخْزى وَهُمْ لا يُنْصَرُونَ﴾** [فصلت:١٥-١٦] .

ثَالِثُ عَشَر : ثَمُوْد قَوْم صَالِح عَلَيْهِ السَّلَام:

قال تعالى : **﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ * كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيها أَلا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِثَمُودَ﴾** [هود:٦٧-٦٨] .

رَابِعُ عَشَر : قَوْم لُوْط عَلَيْهِ السَّلَام :

قال تعالى : ﴿وَلَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقالَ هَذا يَوْمٌ عَصِيبٌ * وَجاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ قالَ يا قَوْمِ هؤُلاءِ بَناتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللهَّ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ * قالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ ما لَنا فِي بَناتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ ما نُرِيدُ * قالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلى رُكْنٍ شَدِيدٍ * قالُوا يا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُها ما أَصابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ * فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها وَأَمْطَرْنا عَلَيْها حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَما هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود:٧٧-٨٣] .

خَامِسُ عَشَر : قَوْم شُعَيْب عَلَيْهِ السَّلَام:

قال تعالى : ﴿قالُوا يا شُعَيْبُ ما نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَراكَ فِينا ضَعِيفاً وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْناكَ وَما أَنْتَ عَلَيْنا بِعَزِيزٍ * قالَ يا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللهَّ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَراءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِما تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ * وَيا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ إِنِّي عامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ * وَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا نَجَّيْنا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ * كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيها أَلا بُعْداً لِمَدْيَنَ كَما بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود:٩١-٩٥] .

سَادِسُ عَشَر وَسَابِعُ عَشَر: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى :

قال تعالى : ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَباؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللهَّ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانُوا يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللهَّ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذلِكَ بِما عَصَوْا وَكانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة:٦١] .

وقال تعالى : ﴿يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآياتِ اللهَّ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ * يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْباطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَقالَتْ طائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران:٧٠-٧٢] .

وقال تعالى : ﴿مِنَ الَّذِينَ هادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنا وَعَصَيْنا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَراعِنا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قالُوا سَمِعْنا وَأَطَعْنا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنا لَكانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلكِنْ لَعَنَهُمُ اللهُّ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء:٤٦] .

وقال تعالى : ﴿يا أَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّما الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّما اللهُ إِلهٌ واحِدٌ سُبْحانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ وَكَفى بِاللهِ وَكِيلاً﴾ [النساء:١٧١] .

وقال تعالى : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئاً إِنْ أَرادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَللهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُما يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَاللهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة:١٧] .

وقال تعالى : ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قالُوا آمَنَّا بِأَفْواهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَواضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئاً أُولئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:٤١] .

وقال تعالى : ﴿لَقَدْ أَخَذْنا مِيثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ وَأَرْسَلْنا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّما جاءَهُمْ رَسُولٌ بِما لا تَهْوى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة:٧٠] .

وقال تعالى : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقالَ الْمَسِيحُ يا بَنِي إِسْرائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْواهُ النَّارُ وَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ وَما مِنْ إِلهٍ إِلاَّ إِلهٌ واحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ * أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كانَا يَأْكُلانِ الطَّعامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآياتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعاً وَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْواءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ * لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلى لِسانِ داوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذلِكَ بِما عَصَوْا وَكانُوا يَعْتَدُونَ * كانُوا لا يَتَناهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة:٧٢-٧٨] .

وقال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مِنْ دِيارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ فَأَتاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ

بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يا أُولِي الْأَبْصارِ * وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذابُ النَّارِ * ذلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللهَ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقابِ﴾ [الحشر:٢-٤] .

ثَامِنُ عَشَر : كَفَرَة الجِن :

قال تعالىٰ : **﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقالَ أَوْلِياؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنا قالَ النَّارُ مَثْواكُمْ خالِدِينَ فِيها إِلاَّ مَا شاءَ اللهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾** [الأنعام:١٢٨] .

وقال تعالىٰ : **﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها وَلَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها أُولئِكَ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ﴾** [الأعراف:١٧٩] .

﴿سُؤالٌ﴾ : أُذْكُرْ لَنَا بَعْضَ مَا وَرَدَعَنِ السَّلَفِ مِنَ التَّنَغُّصِ عِنْدَ ذِكْرِ طَعَامِ أَهْلِ النَّار ؟

الجواب : قال الإمام ابن رجب في " التَّخويف من النَّار والتَّعريف بحال دار البوار" (ص١٥٥ فما بعدها) : " كان كثير من الخائفين من السَّلف، ينغِّص عليهم ذكر طعام أهل النَّار وشرابهم، طعام الدُّنيا وشرابها، حتىٰ يمتنعوا من تناوله أحياناً لذلك، فكان الإمام أحمد يقول: الخوف يمنعني من أكل الطَّعام والشَّراب فلا أشتهيه.

روىٰ شعبة، عن سعد بن إبراهيم، قال: أُتي عبد الرَّحمن بن عوف بعشاءه ، وهو صائم، فقرأ : **﴿إِنَّ لَدَيْنا أَنْكالاً وَجَحِيماً * وَطَعاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذاباً أَلِيماً﴾** [المزمل:١٢-١٣] ، فلم يزل يبكي، حتىٰ رفع طعامه، وما تعشَّىٰ، وإنَّه لصائم. خرَّجه الجوزجاني.

وروىٰ ابن أبي الدُّنيا من طريق يونس، عن الحسن، قال: لقي رجل رجلاً، فقال له: يا هذا أراك قد تغيَّر لونك، ونحل جسمك، فمَّم هو؟ فقال آخر: وإنِّي لأرىٰ ذلك، فمَّم هو؟ قال: أصبحت منذ ثلاثة أيَّام صائماً، فلمَّا أُتيت بعشائي، عرضت لي هذه الآية: **﴿وَيُسْقى مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَما هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرائِهِ عَذابٌ غَلِيظٌ﴾** [إبراهيم :١٦-١٧] ، فلم أستطع أن أتعشَّاه، فأصبحت صائماً، فلمَّا أتيت بعشائي أيضاً، عرضت لي، فلم أستطع أن أتعشَّاه، فلي ثلاث أيَّام أنا صائم، قال: يقول الرَّجل الأخر: وهي التي عملت بي هذا العمل.

ومن طريق خليد بن حسان الهجري، قال: أمسىٰ الحسن صائماً فأتي بعشائه، فعرضت له هذه الآية: **﴿إِنَّ لَدَيْنا أَنْكالاً وَجَحِيماً * وَطَعاماً ذا غُصَّةٍ وَعَذاباً أَلِيماً﴾** [المزمل:١٢-١٣] فقلصت يده، وقال: ارفعوه، فأصبح صائماً، فلمَّا أمسىٰ، أُتي بإفطاره، فعرضت له الآية، فقال: يا أبا سعيد، تهلك وتضعف! ! فأصبح اليوم الثَّالث صائماً، فذهب ابنه إلىٰ يحيىٰ البكَّاء وثابت البناني ويزيد الضبي، فقال: أدركوا أبي، فإنَّه هالك، فلم يزالوا به، حتىٰ سقوه شربة ماء من سويق.

ومن طريق صالح المري قال: كان عطاء السّلمي، قد أضرَّ بنفسه حتىٰ ضعف، فقلت له: إنَّك قد أضررت بنفسك، وأنا متكلِّف لك بشيء، فلا ترد كرامتي، قال: أفعل، قال: فاشتريت سويقاً، من أجود ما وجدت، وسمناً، قال: فجعلت له شريبة، فلتيتها وحلَّيتها، وأرسلت بها مع ابني وكوزاً من ماء، فقلت له: لا تبرح حتىٰ يشربها، فرجع، فقال: قد شربها، فلمَّا كان من الغد، جعلت له نحوها، ثمَّ سرحت بها مع ابني، فرجع بها لم يشربها، قال: فأتيته فلمته، وقلت: سبحان الله! أرددت عليَّ كرامتي؟ ! إنَّ هذا ممَّا يعنيك ويقوِّيك علىٰ الصَّلاة، وعلىٰ ذكر الله تعالىٰ، فلمَّا رآني قد وجدت من ذلك، قال: يا أبا بشر، لا يسؤك، والله لقد شربتها أوَّل ما بعثت بها، فلمَّا كان الغد راودت نفسي علىٰ أن أسيغها، فما قدرت علىٰ ذلك، إذا أردت شربه ذكرت هذه الآية: **﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَما هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرائِهِ عَذابٌ غَلِيظٌ﴾** [إبراهيم:١٧] ، فبكىٰ صالح عند هذا، وقال : قلت لنفسي: ألا أراني في واد وأنت في آخر.

وروىٰ الإمام أحمد بإسناده، عن صالح المرّي، عن عطاء السّلمي، قال: إنَّني إذا ذكرت جهنَّم، ما يسيغني طعام ولا شراب.

وروىٰ عبد الله بن الإمام أحمد، من طريق مرجىٰ بن وداع، قال: انطلقت مع صالح المرّي، فدخلنا علىٰ عطاء السّلمي، فقلنا له: يا عطاء، تركت الطَّعام والشَّراب؟ ! قال: إني إذا ذكرت صديد أهل النَّار لم أسغه.

وروىٰ ابن أبي الدُّنيا بإسناده، عن عبد المؤمن الصَّايغ، قال: دعوت رباحاً القيسي ذات ليلة إلىٰ منزلي، فجاءني في السَّحر، فقرَّبت إليه طعاماً، فأصاب منه شيئاً، فقلت: ازدد فما أراك شبعت، قال: فصاح صيحة أفزعتني، فقال: كيف أشبع أيَّام الدُّنيا، وشجرة الزقُّوم بين يدي طعام الأثيم، قال: فرفعت الطَّعام من بين يديه، وقلت: أنت في شيء ونحن في شيء.

وبإسناده عن أبي سعيد، قال: دخل عبيد الله بن الوليد التيمي، على حبَّابة التَّميميَّة، فقدَّمت إليه سمناً وخبزاً وعسلاً، فقال: يا حبَّابة أما تخافين أن يكون بعد هذا الضَّريع، قال: فما زال يبكي وتبكي، حتى قام ولم يأكل شيئاً.

وبإسناده عن سوار بن عبد الله القريعي، قال: كنَّا مع عمر بن درهم في بعض السَّواحل، قال: وكان لا يأكل إلَّا من الَّسحر إلى السَّحر، فجئنا بطعام، فلمَّا رفع الطَّعام إلى فيه، سمع بعض المتهجِّدين يقرأ هذه الآية: **﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾** [الدخان:٤٣-٤٦] ، فغشي عليه، وسقطت اللقمة من يده، فلم يفق إلَّا بعد طلوع الفجر، فمكث بذلك سبعاً، لا يطعم شيئاً، كلمَّا قرب إليه طعام، عرضت له الآية، فيقوم ولا يطعم شيئاً، فاجتمع إليه أصحابه، فقالوا سبحان الله! تقتل نفسك؟ ! فلم يزالوا به حتى أصاب شيئاً.

وبإسناده عن محمَّد بن سويد، قال: كان لطاووس طريقان إذا رجع من المسجد، أحدهما فيه روَّاس، وكان يرجع إذا صلَّى المغرب، فإذا أخذ الطَّريق الذي فيه الروَّاس لم يتعش، فقيل له، فقال: إذا رأيت الرُّؤوس كالحة لم أستطع الأكل.

وذكر مالك بن أنس هذه الحكاية، عن طاووس، قال مالك: يعني لقول الله تعالى: **﴿وَهُمْ فِيها كالِحُونَ﴾** [المؤمنون:١٠٤] .

وروى ابن أبي الدُّنيا أيضاً بإسناده عن عبد الله بن عمر أنه شرب ماء بارداً فبكى واشتدَّ بكاؤه، فقيل: ما يبكيك؟ فقال: ذكر آية من كتاب الله قوله: **﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾** [سبأ:٥٤] ، فعرفت أنَّ أهل النَّار لا يشتهون شيئاً، شهوتهم الماء البارد، وقد قال الله تعالى: **﴿أَفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ الْماءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ﴾** [الأعراف:٥٠] .

عن سلام بن أبي مطيع، قال: أُتي الحسن بكوز من الماء، ليفطر عليه، فلمَّا أدناه إلى فيه بكى، وقال: ذكرت أمنية وأهل النَّار وقولهم: **﴿أَفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ الْماءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ﴾** [الأعراف:٥٠] ، وذكرت ما أجيبوا به **﴿إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُما عَلَى الْكافِرِينَ﴾** [الأعراف:٥٠] . وعن عبد الملك بن مروان، أنَّه شرب ماءاً بارداً، فقطعه وبكى، فقيل: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ ! قال: ذكرت العطش يوم القيامة، وذكرت أهل النَّار وما منعوا من ماء بارد الشَّراب، ثمَّ قرأ: **﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكادُ يُسِيغُهُ﴾** [إبراهيم:١٧] .

وروى عبد الله بن الإمام أحمد، بإسناده عن إبراهيم النّخعي، قال: ما قرأت هذه الآية إلا ذكرت برد الشَّراب، وقرأ : **﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾** [سبأ:٥٤] ، واستقى محمَّد بن مصعب العابد ماء، فسمع صوت البرادة، فصاح، وقال لنفسه: من أين لك في النَّار برادة ثمَّ قرأ: **﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغاثُوا بِماءٍ كَالْمُهْلِ﴾** [الكهف:٢٩] " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا المَقْصُودُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم:١٧] .

قال الإمام البغوي في " معالم التنزيل في تفسير القرآن " (٣/ ٣٤) : **﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ﴾** ، يعني: يجدهم الْمَوْتِ وَأَلَمَهُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ مِنْ أَعْضَائِهِ. قَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ: حَتَّى مِنْ تَحْتِ كُلِّ شَعْرَةٍ مِنْ جَسَدِهِ.
وَقِيلَ: يَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ قُدَّامِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَمِنْ فَوْقِهِ وَمِنْ تَحْتِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، وَما هُوَ بِمَيِّتٍ، فَيَسْتَرِيحُ، قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ تُعَلَّقُ نفسه عند حنجرته ولا تَخْرُجُ مِنْ فِيهِ فَيَمُوتُ وَلَا تَرْجِعُ إِلَى مَكَانِهَا مِنْ جَوْفِهِ فتنفعه الحياة، نظيره : **﴿لا يَمُوتُ فِيها وَلا يَحْيى﴾** [محمد: ١٥] ، وَمِنْ وَرائِهِ، أَمَامَهُ، عَذابٌ غَلِيظٌ، شَدِيدٌ ، وَقِيلَ: الْعَذَابُ الْغَلِيظُ الْخُلُودُ في النار" .

وقال الإمام الرَّازي في" التَّفسير" (١٩/ ٨٠) : " وَالْمَعْنَى: أَنَّ مُوجِبَاتِ الْمَوْتِ أَحَاطَتْ بِهِ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَمُوتُ وَقِيلَ مِنْ كُلِّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ جَسَدِهِ.
النوع الرَّابعُ: قَوْلُهُ: وَمِنْ ورائِهِ عَذابٌ غَلِيظٌ وَفِيهِ وَجْهَانِ: الْأَوَّلُ: أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْعَذَابِ الْغَلِيظِ كَوْنُهُ دَائِمًا غَيْرَ مُنْقَطِعٍ. الثَّانِي: أَنَّهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ يَسْتَقْبِلُهُ يَتَلَقَّى عَذَابًا أَشَدَّ مِمَّا قَبْلَهُ. قَالَ الْمُفَضَّلُ: هُوَ قَطْعُ الأنفاس وحبسها في الأجساد، والله أعلم " .

وقال الإمام القرطبي في" الجامع لأحكام القرآن" (٩/ ٣٥٢) : " قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَيْ يَأْتِيهِ أَسْبَابُ الْمَوْتِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، وَمِنْ فوقه وتحته ومن قدامه وخلفه، كقوله: **﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾** [الزمر: ١٦] . وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ: يَأْتِيهِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ، لِلْآلَامِ التي في كل مكان من جسد. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: إِنَّهُ لَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَمَكَانٍ حَتَّى مِنْ إِبْهَامِ رِجْلَيْهِ. وَقَالَ الْأَخْفَشُ: يَعْنِي الْبَلَايَا الَّتِي تُصِيبُ الْكَافِرَ فِي النَّارِ سَمَّاهَا مَوْتًا، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ الْمَوْتِ. وَقِيلَ: إِنَّهُ لَا يَبْقَى عُضْوٌ مِنْ أَعْضَائِهِ إِلَّا وُكِّلَ بِهِ نَوْعٌ مِنَ الْعَذَابِ، لَوْ مَاتَ سَبْعِينَ مَرَّةً لَكَانَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ مِنْ نَوْعٍ

مِنْهَا فِي فَرْدِ لَحْظَةٍ، إِمَّا حَيَّةٌ تَنْهَشُهُ، أَوْ عَقْرَبٌ تَلْسِبُهُ ، أَوْ نَارٌ تَسْفَعُهُ، أَوْ قَيْدٌ بِرِجْلَيْهِ، أَوْ غُلٌّ فِي عُنُقِهِ، أَوْ سِلْسِلَةٌ يُقْرَنُ بِهَا، أَوْ تَابُوتٌ يَكُونُ فِيهِ، أَوْ زَقُّومٌ أَوْ حَمِيمٌ، أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْعَذَابِ، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: إِذَا دَعَا الْكَافِرُ فِي جَهَنَّمَ بِالشَّرَابِ فَرَآهُ مَاتَ مَوْتَاتٍ، فَإِذَا دَنَا مِنْهُ مَاتَ مَوْتَاتٍ، فَإِذَا شَرِبَ مِنْهُ مَاتَ مَوْتَاتٍ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: **﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَما هُوَ بِمَيِّتٍ﴾** . قَالَ الضَّحَّاكُ: لَا يَمُوتُ فَيَسْتَرِيحُ. وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: تَعَلَّقُ رُوحُهُ فِي حَنْجَرَتِهِ فَلَا تَخْرُجُ مِنْ فِيهِ فَيَمُوتُ، وَلَا تَرْجِعُ إِلَى مَكَانِهَا مِنْ جَوْفِهِ فَتَنْفَعُهُ الْحَيَاةُ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ: **﴿لا يَمُوتُ فِيها وَلا يَحْيى﴾** [طه: ٧٤] . وَقِيلَ: يَخْلُقُ اللهُ فِي جَسَدِهِ آلَامًا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا كَأَلَمِ الْمَوْتِ. وَقِيلَ: **﴿وَما هُوَ بِمَيِّتٍ﴾** لِتَطَاوُلِ شَدَائِدِ الْمَوْتِ بِهِ، وَامْتِدَادِ سَكَرَاتِهِ عَلَيْهِ، لِيَكُونَ ذَلِكَ زِيَادَةً فِي عَذَابِهِ. قُلْتُ: وَيَظْهَرُ مِنْ هَذَا أَنَّهُ يَمُوتُ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، لقول تَعَالَى: **﴿لا يُقْضى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذابِها﴾** [فاطر: ٣٦] ، وَبِذَلِكَ وَرَدَتِ السُّنَّةُ، فَأَحْوَالُ الْكُفَّارِ أَحْوَالُ مَنِ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ سَكَرَاتُ الْمَوْتِ دَائِمًا، وَاللهُ أَعْلَمُ. **﴿وَمِنْ وَرائِهِ﴾** ، أَيْ مِنْ أَمَامِهِ. **﴿عَذابٌ غَلِيظٌ﴾** ، أي شديد متواصل الآلام من غَيْرِ فُتُورٍ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: **﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾** [التوبة: ١٢٣] ، أَيْ شِدَّةٌ وَقُوَّةٌ. وَقَالَ فُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: **﴿وَمِنْ وَرائِهِ عَذابٌ غَلِيظٌ﴾** ، قال: حبس الأنفاس" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ سَيَطْلُبُ أَهْلُ النَّارِ مِنَ اللهِ تَعَالَى إِخْرَاجَهُمْ مِنْهَا ؟ وبِمَاذَا سَيُجَابُوْن ؟

الجواب : قال تعالى : **﴿قالُوا رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا وَكُنَّا قَوْماً ضالِّينَ * رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْها فَإِنْ عُدْنا فَإِنَّا ظالِمُونَ * قالَ اخْسَؤُا فِيها وَلا تُكَلِّمُونِ﴾** [المؤمنون:١٠٦-١٠٨] .

قال الإمام الرَّازي في "التَّفسير " (٢٣/٢٩٦-٢٩٧) : " اعْلَمْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمَّا قَالَ: **﴿أَلَمْ تَكُنْ آياتِي تُتْلى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِها تُكَذِّبُونَ﴾** [المؤمنون: ١٠٥] ذَكَرُوا مَا يَجْرِي مَجْرَى الْجَوَابِ عَنْهُ وَهُوَ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الْأَوَّلُ: قَوْلُهُمْ: رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا وَفِيهِ مَسْأَلَتَانِ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: قَالَ صَاحِبُ «الْكَشَّافِ» : غَلَبَتْ عَلَيْنَا مَلَكَتْنَا مِنْ قَوْلِكَ غَلَبَنِي فُلَانٌ عَلَى كَذَا إِذَا أَخَذَهُ مِنْكَ، وَالشَّقَاوَةُ سوء العاقبة، قرئ: (شقوتنا) و (شقاوتنا) بِفَتْحِ الشِّينِ وَكَسْرِهَا فِيهِمَا، قَالَ أَبُو مُسْلِمٍ: الشِّقْوَةُ مِنَ الشَّقَاءِ كَجِرْيَةِ الْمَاءِ، وَالْمَصْدَرُ الْجَرْيُ، وَقَدْ يَجِيءُ لَفْظُ فِعْلَةٍ، وَالْمُرَادُ بِهِ الْهَيْئَةُ وَالْحَالُ، فَيَقُولُ جِلْسَةٌ حَسَنَةٌ وَرِكْبَةٌ وَقِعْدَةٌ وَذَلِكَ مِنَ الْهَيْئَةِ، وَتَقُولُ عَاشَ فُلَانٌ عِيشَةً طَيِّبَةً وَمَاتَ مِيتَةً كَرِيمَةً، وَهَذَا هُوَ الْحَالُ وَالْهَيْئَةُ، فَعَلَى هَذَا الْمُرَادُ مِنَ الشِّقْوَةِ حَالُ الشَّقَاءِ.

المسألة الثَّانِيَةُ: قَالَ الْجُبَّائِيُّ: الْمُرَادُ أَنَّ طَلَبَنَا اللَّذَّاتِ الْمُحَرَّمَةَ وَحِرْصَنَا عَلَى الْعَمَلِ الْقَبِيحِ سَاقَنَا إِلَى هَذِهِ الشَّقَاوَةِ، فَأُطْلِقَ اسْمُ الْمُسَبِّبِ عَلَى السَّبَبِ. وَلَيْسَ هَذَا بِاعْتِذَارٍ مِنْهُمْ لِعِلْمِهِمْ بِأَنْ لَا عُذْرَ لَهُمْ فِيهِ، وَلَكِنَّهُ اعْتِرَافٌ بِقِيَامِ حُجَّةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ فِي سُوءِ صَنِيعِهِمْ، قُلْنَا إِنَّكَ حَمَلْتَ الشَّقَاوَةَ عَلَى طَلَبِ تِلْكَ اللَّذَّاتِ الْمُحَرَّمَةِ، وَطَلَبُ تِلْكَ اللَّذَّاتِ حَصَلَ بِاخْتِيَارِهِمْ أَوْ لَا بِاخْتِيَارِهِمْ فَإِنْ حَصَلَ بِاخْتِيَارِهِمْ فَذَلِكَ الِاخْتِيَارُ مُحْدَثٌ، فَإِنِ اسْتَغْنَى عَنِ الْمُؤَثِّرِ فَلِمَ لَا يَجُوزُ فِي كُلِّ الْحَوَادِثِ ذَلِكَ، وَحِينَئِذٍ يَنْسَدُّ عَلَيْكَ بَابُ إِثْبَاتِ الصَّانِعِ، وَإِنِ افْتَقَرَ إِلَى محدث فَمُحْدِثُهُ إِمَّا الْعَبْدُ أَوِ اللَّهُ تَعَالَى؟ فَإِنْ كَانَ هُوَ الْعَبْدَ فَذَلِكَ بَاطِلٌ لِوُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ قُدْرَةَ الْعَبْدِ صَالِحَةٌ لِلْفِعْلِ وَالتَّرْكِ، فَإِنْ تَوَقَّفَ صُدُورُ تِلْكَ الْإِرَادَةِ عَنْهَا إِلَى مُرَجِّحٍ آخَرَ، عَادَ الْكَلَامُ فِيهِ وَلَزِمَ التَّسَلْسُلُ، وَإِنْ لَمْ يَتَوَقَّفْ عَلَى الْمُرَجِّحِ فَقَدْ جَوَّزْتَ رُجْحَانَ أَحَدِ طَرَفَيِ الْمُمْكِنِ عَلَى الْآخَرِ لَا لِمُرَجِّحٍ، وَذَلِكَ يَسُدُّ بَابَ إِثْبَاتِ الصَّانِعِ .

وَثَانِيهَا: أَنَّ الْعَبْدَ لَا يَعْلَمُ كَمِّيَّةَ تِلْكَ الْأَفْعَالِ وَلَا كَيْفِيَّتَهَا، وَالْجَاهِلُ بِالشَّيْءِ لَا يَكُونُ مُحْدِثًا لَهُ، وَإِلَّا لَبَطَلَتْ دَلَالَةُ الْإِحْكَامِ وَالْإِتْقَانِ عَلَى الْعِلْمِ .

وَالثَّانِي: أَنَّ أَحَدًا فِي الدُّنْيَا لَا يَرْضَى بِأَنْ يَخْتَارَ الْجَهْلَ، بَلْ لَا يَقْصِدُ إِلَّا تَحْصِيلَ الْعِلْمِ، فَالْكَافِرُ مَا قَصَدَ إِلَّا تَحْصِيلَ الْعِلْمِ، فَإِنْ كَانَ الْمُوجِدُ لِفِعْلِهِ هُوَ فَوَجَبَ أَنْ لَا يَحْصُلَ إِلَّا مَا قَصَدَ إِيقَاعَهُ، لَكِنَّهُ لَمْ يَقْصِدْ إِلَّا الْعِلْمَ فَكَيْفَ حَصَلَ الْجَهْلُ؟ فَثَبَتَ أَنَّ الْمُوجِدَ لِلدَّوَاعِي وَالْبَوَاعِثِ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، ثُمَّ إِنَّ الدَّاعِيَةَ إِنْ كَانَتْ سَائِقَةً إِلَى الْخَيْرِ كَانَتْ سَعَادَةً، وَإِنْ كَانَتْ سَائِقَةً إِلَى الشَّرِّ كَانَتْ شَقَاوَةً .

الوجه الثَّانِي: لَهُمْ فِي الْجَوَابِ قَوْلُهُمْ: وَكُنَّا قَوْماً ضالِّينَ وَهَذَا الضَّلَالُ الَّذِي جَعَلُوهُ كَالْعِلَّةِ فِي إِقْدَامِهِمْ عَلَى التَّكْذِيبِ إِنْ كَانَ هُوَ نَفْسَ ذَلِكَ التَّكْذِيبِ لَزِمَ تَعْلِيلُ الشَّيْءِ بِنَفْسِهِ، وَلَمَّا بَطَلَ ذَلِكَ لَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الضَّلَالُ عِبَارَةً عَنْ شَيْءٍ آخَرَ تَرَتَّبَ عَلَيْهِ فِعْلُهُمْ وَمَا ذَاكَ إِلَّا خَلْقُ الدَّاعِي إِلَى الضَّلَالِ، ثُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ لَمَّا أَوْرَدُوا هَذَيْنِ العذرين، قال لهم سبحانه: ﴿**اخْسَؤُا فِيها وَلا تُكَلِّمُونِ**﴾ ، وَهَذَا هُوَ صَرِيحُ قَوْلِنَا فِي أَنَّ الْمُنَاظَرَةَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى غَيْرُ جَائِزَةٍ، بَلْ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ. قَالَ الْقَاضِي فِي قَوْلِهِ: ﴿**رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا**﴾ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَا عُذْرَ لَهُمْ إِلَّا الِاعْتِرَافُ، فَلَوْ كَانَ كُفْرُهُمْ مِنْ خَلْقِهِ تَعَالَى وَبِإِرَادَتِهِ وَعَلِمُوا ذَلِكَ لَكَانُوا بِأَنْ يَذْكُرُوا ذَلِكَ أَجْدَرَ وَإِلَى الْعُذْرِ أَقْرَبَ، فَنَقُولُ قَدْ بَيَّنَّا أَنَّ الَّذِي ذَكَرُوهُ لَيْسَ إِلَّا ذَلِكَ وَلَكِنَّهُمْ مُقِرُّونَ أَنْ لَا عُذْرَ لَهُمْ فَلَا جَرَمَ، قال لهم: ﴿**اخْسَؤُا فِيها وَلا تُكَلِّمُونِ**﴾ .

أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿**رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْها فَإِنْ عُدْنا فَإِنَّا ظالِمُونَ**﴾ ، فَالْمَعْنَىٰ: أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الدَّارِ إِلَىٰ دَارِ الدُّنْيَا، فَإِنْ عُدْنَا إِلَىٰ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ فَإِنَّا ظَالِمُونَ، فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَطْلُبُوا ذَلِكَ وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ عِقَابَهُمْ دَائِمٌ؟ قُلْنَا يَجُوزُ أَنْ يَلْحَقَهُمُ السَّهْوُ عَنْ ذَلِكَ فِي أَحْوَالِ شِدَّةِ الْعَذَابِ فَيَسْأَلُونَ الرَّجْعَةَ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعَ عِلْمِهِمْ بِذَلِكَ يَسْأَلُونَ ذَلِكَ عَلَىٰ وَجْهِ الْغَوْثِ والاسترواح.

أمَّا قوله: ﴿**اخْسَؤُا فِيها**﴾ ، فَالْمَعْنَىٰ ذِلُّوا فِيهَا وَانْزَجِرُوا كَمَا يُزْجَرُ الْكِلَابُ إِذَا زُجِرَتْ، يُقَالُ: خَسَأَ الْكَلْبُ وَخَسَأَ بِنَفْسِهِ.

أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿**وَلا تُكَلِّمُونِ**﴾ ، فَلَيْسَ هَذَا نَهْيًا لِأَنَّهُ لَا تَكْلِيفَ فِي الْآخِرَةِ، بَلِ الْمُرَادُ لَا تُكَلِّمُونِ فِي رَفْعِ الْعَذَابِ فَإِنَّهُ لَا يُرْفَعُ وَلَا يُخَفَّفُ، قِيلَ هُوَ آخِرُ كَلَامٍ يَتَكَلَّمُونَ بِهِ ثُمَّ لَا كَلَامَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا الشَّهِيقُ وَالزَّفِيرُ، وَالْعُوَاءُ كَعُوَاءِ الْكِلَابِ، لَا يُفْهِمُونَ وَلَا يُفْهَمُونَ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ لَهُمْ سِتَّ دَعَوَاتٍ، إِذَا دَخَلُوا النَّارَ قَالُوا أَلْفَ سَنَةٍ ﴿**رَبَّنا أَبْصَرْنا وَسَمِعْنا فَارْجِعْنا**﴾ [السَّجْدَةِ: ١٢] ، فَيُجَابُونَ ﴿**حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي**﴾ [السَّجْدَةِ: ١٣] فَيُنَادُونَ أَلْفَ سَنَةٍ ثَانِيَةٍ ﴿**رَبَّنا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ**﴾ [غَافِرٍ: ١١] ، فَيُجَابُونَ ﴿**ذلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ**﴾ [غَافِرٍ: ١٢] ، فينادون ألف ثالثة ﴿**يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ**﴾ [الزُّخْرُفِ: ٧٧] ، فَيُجَابُونَ ﴿**إِنَّكُمْ ماكِثُونَ**﴾ [الزُّخْرُفِ: ٧٧] ، فَيُنَادُونَ أَلْفًا رَابِعَةً رَبَّنا أَخْرِجْنا فَيُجَابُونَ ﴿**أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ ما لَكُمْ مِنْ زَوالٍ**﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ٤٤] ، فَيُنَادُونَ أَلْفًا خَامِسَةً ﴿**أَخْرِجْنا نَعْمَلْ صالِحاً**﴾ [فَاطِرٍ: ٣٧] فَيُجَابُونَ ﴿**أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ**﴾ [فَاطِرٍ: ٣٧] فَيُنَادُونَ أَلْفًا سَادِسَةً ﴿**رَبِّ ارْجِعُونِ**﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ٩٩] ، فَيُجَابُونَ ﴿**اخْسَؤُا فِيها**﴾ " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٢/١٥٣-١٥٤) : " قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:﴿ **قالُوا رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا**﴾ قِرَاءَةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَأَبِي عَمْرٍو وَعَاصِمٍ" شِقْوَتُنا " وَقَرَأَ الْكُوفِيُّونَ إِلَّا عَاصِمًا:" شَقَاوَتُنَا". وَهَذِهِ الْقِرَاءَةُ مَرْوِيَّةٌ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَالْحَسَنِ. وَيُقَالُ: شَقَاءٌ وَشَقًا، بِالْمَدِّ وَالْقَصْرِ. وَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي مَعْنَاهُ: غَلَبَتْ عَلَيْنَا لَذَّاتُنَا وَأَهْوَاؤُنَا، فَسَمَّىٰ اللَّذَّاتِ وَالْأَهْوَاءَ شِقْوَةً، لِأَنَّهُمَا يُؤَدِّيَانِ إِلَيْهَا، كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً** ﴾ [النساء: ١٠] ، لِأَنَّ ذَلِكَ يُؤَدِّيهِمْ إِلَىٰ النَّارِ. وَقِيلَ: مَا سَبَقَ فِي عِلْمِكَ وَكُتِبَ عَلَيْنَا فِي أُمِّ الْكِتَابِ مِنَ الشَّقَاوَةِ. وَقِيلَ: حُسْنُ الظَّنِّ بِالنَّفْسِ وَسُوءُ الظَّنِّ بِالْخَلْقِ﴿ **وَكُنَّا قَوْماً ضالِّينَ**﴾ ، أَيْ كُنَّا فِي فِعْلِنَا ضَالِّينَ عَنِ الْهُدَىٰ ، وَلَيْسَ هَذَا اعْتِذَارٌ مِنْهُمْ إِنَّمَا هُوَ إِقْرَارٌ، وَيَدُلُّ عَلَىٰ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: ﴿**رَبَّنا أَخْرِجنا مِنْها فَإِنْ عُدْنا فَإِنَّا ظالِمُونَ**﴾ طَلَبُوا الرَّجْعَةَ إِلَىٰ الدُّنْيَا كَمَا طَلَبُوهَا عِنْدَ الْمَوْتِ." فَإِنْ

عُدْنا " إِلَى الْكُفْرِ ﴿فَإِنَّا ظالِمُونَ﴾ لِأَنْفُسِنَا بِالْعَوْدِ إِلَيْهِ فَيُجَابُونَ بعد ألف سنة:﴿اخْسَؤُا فِيها وَلا تُكَلِّمُونِ﴾ ، أَيِ ابْعُدُوا فِي جَهَنَّمَ، كَمَا يُقَالُ لِلْكَلْبِ: اخْسَأْ، أَيِ ابْعُدْ. خَسَأْتُ الْكَلْبَ خَسْئًا طَرَدْتُهُ. وَخَسَأَ الْكَلْبُ بِنَفْسِهِ خُسُوءًا، يَتَعَدَّىٰ وَلَا يَتَعَدَّىٰ. وَانْخَسَأَ الْكَلْبُ أَيْضًا. وَذَكَرَ ابْنُ الْمُبَارَكِ قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ عَنْ قَتَادَةَ يَذْكُرُهُ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ عن عبد الله بن عمرو ابن العاصي قَالَ: إِنَّ أَهْلَ جَهَنَّمَ يَدْعُونَ مَالِكًا فَلَا يُجِيبُهُمْ أَرْبَعِينَ عَامًا، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ: إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ. قَالَ: هَانَتْ وَاللَّهِ دَعْوَتُهُمْ عَلَىٰ مَالِكٍ وَرَبِّ مَالِكٍ. قَالَ: ثُمَّ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ فَيَقُولُونَ: ﴿رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا وَكُنَّا قَوْماً ضالِّينَ *رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْها فَإِنْ عُدْنا فَإِنَّا ظالِمُونَ﴾ ، قَالَ: فَيَسْكُتُ عَنْهُمْ قَدْرَ الدُّنْيَا مَرَّتَيْنِ. قَالَ: ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيْهِمُ اخْسَئُوا فِيهَا. قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا نَبَسَ الْقَوْمُ بَعْدَهَا بِكَلِمَةٍ، وَمَا هُوَ إِلَّا الزَّفِير والشَّهيق من نار جهنَّم فَشَبَّهَ أَصْوَاتَهُمْ بِصَوْتِ الْحَمِيرِ، أَوَّلُهَا زَفِيرٌ وَآخِرُهَا شهيق. خرَّجه التِّرمذي مرفوعاً بمعناه من حيث أَبِي الدَّرْدَاءِ. وَقَالَ قَتَادَةُ: صَوْتُ الْكُفَّارِ فِي النَّارِ كَصَوْتِ الْحِمَارِ، أَوَّلُهُ زَفِيرٌ وَآخِرُهُ شَهِيقٌ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَصِيرُ لَهُمْ نُبَاحٌ كَنُبَاحِ الْكِلَابِ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ: بَلَغَنِي أَوْ ذُكِرَ لِي أَنَّ أَهْلَ النَّارِ اسْتَغَاثُوا بِالْخَزَنَةِ ... الْخَبَرَ بِطُولِهِ، ذَكَرَهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ بِكَمَالِهِ فِي التَّذْكِرَةِ، وَفِي آخِرِهِ: ثُمَّ مَكَثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ نَادَاهُمْ : ﴿أَلَمْ تَكُنْ آياتِي تُتْلى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِها تُكَذِّبُونَ﴾ ، قَالَ: فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ قَالُوا الْآنَ يَرْحَمُنَا رَبُّنَا، فَقَالُوا عِنْدَ ذَلِكَ. ﴿رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا﴾ ، أَي : الْكِتَابُ الَّذِي كُتِبَ عَلَيْنَا ﴿وَكُنَّا قَوْماً ضالِّينَ * رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْها فَإِنْ عُدْنا فَإِنَّا ظالِمُونَ﴾ ، فقال عند ذلك: ﴿اخْسَؤُا فِيها وَلا تُكَلِّمُونِ﴾ ، فَانْقَطَعَ عِنْدَ ذَلِكَ الدُّعَاءُ وَالرَّجَاءُ، وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَنْبَحُ بَعْضُهُمْ في وجوه بعض، وأطبقت عليهم " .

﴿سُؤالٌ﴾ : قَالَ تَعَالَى : ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [الصافات:٢٢] **، فَمَا مَعْنَى: ﴿احْشُرُوا﴾ مَعَ أَنَّهُمْ قَدْ حُشِرُوا مِنْ قَبْلُ وَحَضَرُوا فِي مَحْفَلِ القِيَامَةِ وَقَالُوا: ﴿هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾** [الصافات: ٢٠] **وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لَهُمْ بَلْ: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾** [الصافات: ٢١] ؟

الجواب : قال الإمام الرَّزي في " التَّفسير" (٢٦/ ٣٢٧-٣٢٨) : " أَجَابَ الْقَاضِي عَنْهُ، فَقَالَ : الْمُرَادُ احْشُرُوهُمْ إِلَىٰ دَارِ الْجَزَاءِ وَهِيَ النَّارُ، وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْدَهُ: فَاهْدُوهُمْ إِلىٰ صِراطِ الْجَحِيمِ ، أَيْ : خُذُوهُمْ إِلَىٰ ذَلِكَ الطَّرِيقِ وَدُلُّوهُمْ عَلَيْهِ ثُمَّ سَأَلَ نَفْسَهُ فَقَالَ: كَيْفَ يَصِحُّ ذَلِكَ وَقَدْ قَالَ بَعْدَهُ : ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ﴾ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ حَشْرَهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ، إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ الْمَسْأَلَةِ، وَأَجَابَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْعَطْفِ بِحَرْفِ الْوَاوِ تَرْتِيبٌ فَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ

يُقَالَ احْشُرُوهُمْ وَقِفُوهُمْ، مَعَ أَنَّا بِعُقُولِنَا نَعْلَمُ أَنَّ الْوُقُوفَ كَانَ قَبْلَ الْحَشْرِ إِلَى النَّارِ، هَذَا مَا قَالَهُ الْقَاضِي، وَعِنْدِي فِيهِ وَجْهٌ آخَرُ وَهُوَ أَنْ يُقَالَ إِنَّهُمْ إِذَا قَامُوا مِنْ قُبُورِهِمْ لَمْ يَبْعُدْ أَنْ يَقِفُوا هُنَاكَ بِحَيْرَةٍ تَلْحَقُهُمْ بِسَبَبِ مُعَايَنَةِ أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ: احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ، أَيْ سُوقُوهُمْ إِلَى طَرِيقِ جَهَنَّمَ وَقِفُوهُمْ هُنَاكَ وَتَحْصُلُ الْمَسْأَلَةُ هُنَاكَ ثُمَّ مِنْ هُنَاكَ يُسَاقُونَ إِلَى النَّارِ وَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ فَظَاهِرُ النَّظْمِ مُوَافِقٌ لِمَا عَلَيْهِ الْوَجْهُ ... وَالْمُرَادُ مِنَ الْحَشْرِ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَسُوقُونَهُمْ إِلَى ذَلِكَ الْمَوْقِفِ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا الفَائِدَةُ فِيْ حَشْرِ الظَّالِمِينَ وَأَزْوَاجِهِمْ وَالْأَشْيَاءِ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا ؟

الجواب : قال الإمام الرَّزي في " التَّفسير" (٣٢٨/٢٦) : " وَفِيهِ فَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا ثُمَّ ذَكَرَ مِنْ صِفَاتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا كَوْنَهُمْ عَابِدِينَ لِغَيْرِ اللهِ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الظَّالِمَ الْمُطْلَقَ هُوَ الْكَافِرُ وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ كُلَّ وَعِيدٍ وَرَدَ فِي حَقِّ الظَّالِمِ فَهُوَ مَصْرُوفٌ إِلَى الْكُفَّارِ وَمِمَّا يُؤَكِّدُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿وَالْكافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾** [الْبَقَرَةِ: ٢٥٤] .

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: اخْتَلَفُوا فِي الْمُرَادِ بِأَزْوَاجِهِمْ وَفِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ :

الْأَوَّلُ: الْمُرَادُ بِأَزْوَاجِهِمْ أَشْبَاهُهُمْ أَيْ أَحْزَابُهُمْ وَنُظَرَاؤُهُمْ مِنَ الْكُفْرِ فَالْيَهُودِيُّ مَعَ الْيَهُودِيِّ وَالنَّصْرَانِيُّ مَعَ النَّصْرَانِيِّ وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنَ الْأَزْوَاجِ الْأَشْبَاهُ وُجُوهٌ الْأَوَّلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿وَكُنْتُمْ أَزْواجاً ثَلاثَةً﴾** [الْوَاقِعَةِ: ٧] ، أَيْ : أَشْكَالًا وَأَشْبَاهًا .

الثَّانِي: أَنَّكَ تَقُولُ عِنْدِي مِنْ هَذَا أَزْوَاجٌ أَيْ أَمْثَالٌ وَتَقُولُ زَوْجَانِ مِنَ الْخُفِّ لِكَوْنِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا نَظِيرَ الْآخَرِ وَكَذَلِكَ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ سُمِّيَا زَوْجَيْنِ لِكَوْنِهِمَا مُتَشَابِهَيْنِ فِي أَكْثَرِ أَحْكَامِ النِّكَاحِ وَكَذَلِكَ الْعَدَدُ الزَّوْجُ سُمِّيَ بِهَذَا الِاسْمِ لِكَوْنِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ سَمِيِّهِ مِثَالًا لِلْقِسْمِ الثَّانِي فِي الْعَدَدِ الصَّحِيحِ، قَالَ الْوَاحِدِيُّ : فَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالَّذِينِ ظَلَمُوا الرُّؤَسَاءَ لِأَنَّكَ لَوْ جَعَلْتَ الَّذِينَ ظَلَمُوا عَامًّا فِي كُلِّ مَنْ أَشْرَكَ لَمْ يَكُنْ لِلْأَزْوَاجِ مَعْنًى .

الْقَوْلُ الثَّانِي: فِي تَفْسِيرِ الْأَزْوَاجِ أَنَّ الْمُرَادَ قُرَنَاؤُهُمْ مِنَ الشَّيَاطِينِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿وَإِخْوانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ﴾** [الْأَعْرَافِ: ٢٠٢] .

وَالْقَوْلُ الثَّالِثُ: أَنَّ الْمُرَادَ نِسَاؤُهُمُ اللَّوَاتِي عَلَى دِينِهِمْ.

أَمَّا قَوْلُهُ: **﴿وَما كانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾** ، فَفِيهِ قَوْلَانِ :

الْأَوَّلُ: الْمُرَادُ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالطَّوَاغِيتِ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ: **﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ﴾** [الْبَقَرَةِ: ٢٤] ، قِيلَ : الْمُرَادُ بِالنَّاسِ عُبَّادُ الْأَوْثَانِ وَالْمُرَادُ بِالْحِجَارَةِ الْأَصْنَامُ الَّتِي هِيَ أَحْجَارٌ مَنْحُوتَةٌ، فَإِنْ قِيلَ إِنَّ تِلْكَ الْأَحْجَارَ جَمَادَاتٌ فَمَا الْفَائِدَةُ فِي حشرها إلى جهنم؟

أجاب القاضي بأنه وَرَدَ الْخَبَرُ بِأَنَّهَا تُعَادُ وَتَحْيَا لِتَحْصُلَ الْمُبَالَغَةُ فِي تَوْبِيخِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَهَا وَلِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ هَبْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُحْيِي تِلْكَ الْأَصْنَامَ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَصْدُرْ عَنْهَا ذَنْبٌ، فَكَيْفَ يَجُوزُ مِنَ اللهِ تَعَالَى تَعْذِيبُهَا؟ وَالْأَقْرَبُ أَنْ يُقَالَ إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يُحْيِي تِلْكَ الْأَصْنَامَ بَلْ يَتْرُكُهَا عَلَى الْجَمَادِيَّةِ. ثُمَّ يُلْقِيهَا فِي جَهَنَّمَ لِأَنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَزِيدُ فِي تَخْجِيلِ الْكُفَّارِ .

الْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ قَوْلِهِ: **﴿وَما كانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾** الشَّيَاطِينُ الَّذِينَ دَعَوْهُمْ إِلَى عِبَادَةِ مَا عَبَدُوا فَلَمَّا قَبِلُوا مِنْهُمْ ذَلِكَ الدِّينَ صَارُوا كَالْعَابِدِينَ لِأُولَئِكَ الشَّيَاطِينِ ، وَتَأَكَّدَ هَذَا بِقَوْلِهِ تعالى: **﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ﴾** [يس: ٦٠] ، وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَوْلَى لِأَنَّ الشَّيَاطِينَ عُقَلَاءُ وَكَلِمَةُ مَا لَا تَلِيقُ بِالْعُقَلَاءِ وَاللهُ أَعْلَمُ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَتَى يَنْقَطِعُ الرَّجَاءُ عِنْدَ أَهْلِ النَّار ؟

الجواب : ينقطع الرَّجاء عند أهل النَّار عند ذبح الموت ، فقد روى البخاري (٦/٩٣ برقم ٤٧٣٠) ، مسلم (٤/٢١٨٨ برقم ٢٨٤٩ ، واللفظ له) بسندهما عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ - زَادَ أَبُو كُرَيْبٍ: فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَاتَّفَقَا فِي بَاقِي الْحَدِيثِ - فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ " قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾** [مريم: ٣٩] ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا" .

قال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (٥/٢٣٣-٢٣٤) : " قَالَ تَعَالَى: **﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾** ، أَيْ: أَنْذِرِ الْخَلَائِقَ يَوْمَ الْحَسْرَةِ، **﴿إِذْ قُضِيَ الأمْرُ﴾** ، أَيْ: فَصَلَ بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ، ودَخل كُلٌّ إِلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ مُخَلَّدًا فِيهِ، **﴿وَهُمْ﴾** ، أَيِ: الْيَوْمَ **﴿فِي غَفْلَةٍ﴾** عَمَّا أُنْذِرُوا بِهِ **﴿وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾** ، أَيْ: لَا يُصَدقون بِهِ.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، يُجَاءُ بِالْمَوْتِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ: "فَيَشْرَئِبُّونَ [فَيَنْظُرُونَ] وَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ". قَالَ: "فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ، هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ: فَيَشْرَئِبُّونَ فَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ" قَالَ: "فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ" قَالَ: "وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ" قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾** ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ قَالَ: "أَهْلُ الدُّنْيَا فِي غَفْلَةِ الدُّنْيَا " .

هَكَذَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَقَدْ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا، مِنْ حَدِيثِ الْأَعْمَشِ، بِهِ . وَلَفْظُهُمَا قَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ. وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ الْحَسَنُ بْنُ عَرَفَةَ: حَدَّثَنِي أَسْبَاطُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هريرة مرفوعا، مِثْلَهُ. وَفِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ وَغَيْرِهِ، مِنْ حَدِيثَ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بِنَحْوِهِ وَهُوَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ . وَرَوَاهُ ابْنُ جُرَيْج قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَذَكَرَ مِنْ قِبَلِهِ نَحْوَهُ . وَرَوَاهُ أَيْضًا عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ سَمِعَ عُبَيْدَ بْنَ عُمَيْرٍ يَقُولُ فِي قِصَصِهِ: يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَأَنَّهُ دَابَّةٌ، فَيُذْبَحُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيل، حَدَّثَنَا أَبُو الزَّعْرَاءِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ -هُوَ ابْنُ مَسْعُودٍ-فِي قِصَّةٍ ذَكَرَهَا، قَالَ: فَلَيْسَ نَفْسٌ إِلَّا وَهِيَ تَنْظُرُ إِلَى بَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ وَبَيْتٍ فِي النَّارِ، وَهُوَ يَوْمُ الْحَسْرَةِ. فَيَرَى أَهْلُ النار البيت الذي الَّذِي كَانَ قَدْ أَعَدَّهُ اللَّهُ لَهُمْ لَوْ آمَنُوا، فَيُقَالُ لَهُمْ: لَوْ آمَنْتُمْ وَعَمِلْتُمْ صَالِحًا، كَانَ لَكُمْ هَذَا الَّذِي تَرَوْنَهُ فِي الْجَنَّةِ، فَتَأْخُذُهُمُ الْحَسْرَةُ ، قَالَ: وَيَرَى أَهْلُ الْجَنَّةِ الْبَيْتَ الَّذِي فِي النَّارِ، فَيُقَالُ: لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ.

وَقَالَ السُّدِّيُّ، عَنْ زِيَادٍ، عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْش، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي قوله: **﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ﴾** قَالَ: إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، أُتِيَ بِالْمَوْتِ فِي صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، حَتَّى يُوقَفَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، هَذَا الْمَوْتُ الَّذِي كَانَ يُمِيتُ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ فِي أَهْلِ عِلِّيِّينَ وَلَا فِي أَسْفَلِ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ إِلَّا نَظَرَ إِلَيْهِ، ثم ينادى: يا أهل النَّارِ، هَذَا الْمَوْتُ الَّذِي كَانَ يُمِيتُ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ فِي ضِحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ وَلَا فِي أَسْفَلِ دَرْكٍ مِنْ جَهَنَّمَ، إِلَّا نَظَرَ إِلَيْهِ، ثُمَّ يُذْبَحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُنَادَى: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، هُوَ الْخُلُودُ أَبَدَ الْآبِدِينَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، هُوَ الْخُلُودُ أَبَدَ الْآبِدِينَ، فَيَفْرَحُ أَهْلُ

الْجَنَّةِ فَرْحَةً لَوْ كَانَ أَحَدٌ مَيِّتًا مِنْ فَرَحٍ مَاتُوا، وَيَشْهَقُ أَهْلُ النَّارِ شَهْقَةً لَوْ كَانَ أَحَدٌ مَيِّتًا مِنْ شَهْقَةٍ مَاتُوا فَذَلِكَ قَوْلُهُ: **﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ﴾** [] ، يَقُولُ: إِذَا ذُبِحَ الْمَوْتُ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ سَيَتَمَنَّى أَهْلُ النَّارِ المَوْتَ لِيَتَخَلَّصُوا مِنَ العَذَاب ؟

الجواب : قال الله تعالىٰ : **﴿وَنادَوْا يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ قالَ إِنَّكُمْ ماكِثُونَ﴾** [الزخرف:٧٧] .

قال الإمام الماوردي في " النُّكت والعيون" (٥/ ٢٣٩-٢٤٠) : " قوله عزَّ وجلَّ: **﴿وَنَادَوْاْ يَا مَالِكُ﴾** هذا نداء أهل النَّار لخزانها حين ذاقوا عذابها. **﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾** ، أي : يميتنا، طلبوا الموت ليستريحوا به من عذاب النَّار. **﴿قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾** ، أي : لابثون في عذابها أحياء ، وفي مدَّة ما بين ندائهم وجوابه أربعة أقاويل. أحدها: أربعون سنة، قاله عبد الله بن عمرو. الثَّاني: ثمانون سنة، قاله السدِّي. الثَّالث: مائة سنة، قاله نوف . الرَّابع: ألف سنة ، قاله ابن عبَّاس ، لأن بعد ما بين النِّداء والجواب أخزىٰ لهم وأذل " .

وقال الإمام ابن الجوزي في " زاد المسير في علم التَّفسير " (٤/ ٨٤) : **﴿وَنادَوْا يا مالِكُ﴾** وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وابن مسعود، وابن يعمر: «يا مالِ» بغير كاف مع كسر اللام. قال الزَّجَّاج: وهذا يسميَّه النحويُّون: التَّرخيم، ولكِّني أكرهها لمخالفة المصحف. قال المفسِّرون: يَدْعُون مالكاً خازنَ النَّار فيقولون: **﴿لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ﴾** ، أي: لِيُمِتْنا ، والمعنىٰ: أنَّهم توسَّلوا به لِيَسأل الله تعالىٰ لهم الموتَ فيستريحوا من العذاب فيسكُت عن جوابهم مُدَّةً، فيها أربعة أقوال:

أحدها: أربعون عاماً، قاله عبد الله بن عمرو، ومقاتل. والثَّاني: ثلاثون سنة، قاله أنس. والثَّالث: ألف سنة، قاله ابن عبَّاس. والرَّابع: مائة سنة، قاله كعب .

وفي سكوته عن جوابهم هذه المدَّة قولان.

أحدهما: أنَّه سكت حتىٰ أوحىٰ الله إليه أَن أَجِبْهم، قاله مقاتل. والثَّاني: لأن بُعْدَ ما بين النِّداء والجواب أخزىٰ لهم وأذَلُّ. قال الماوردي: فردَّ عليهم مالك فقال: إِنَّكُمْ ماكِثُونَ أي: مقيمون في العذاب. لَقَدْ جِئْناكُمْ بِالْحَقِّ أي: أرسَلْنا رسلنا بالتَّوحيد وَلكِنَّ أَكْثَرَكُمْ قال ابن عبَّاس: يريد: كُلّكم كارِهُونَ لِما جاء به محمَّد النَّبيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " .

وقال الإمام الرَّازي في "التَّفسير " (٢٧/ ٦٤٤) : " اخْتَلَفُوا فِي أَنَّ قَوْلَهُمْ : **﴿يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ﴾** عَلَىٰ أَيِّ وَجْهٍ طَلَبُوا ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ التَّمَنِّي، وَقَالَ آخَرُونَ عَلَىٰ وَجْهِ الِاسْتِغَاثَةِ، وَإِلَّا فَهُمْ عَالِمُونَ بِأَنَّهُ لَا

خَلَاصَ لَهُمْ عَنْ ذَلِكَ الْعِقَابِ، وَقِيلَ لَا يَبْعُدُ أَنْ يُقَالَ إِنَّهُمْ لِشِدَّةِ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ نَسُوا تِلْكَ الْمَسْأَلَةَ فَذَكَرُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ الطَّلَبِ. ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَىٰ بَيَّنَ أَنَّ مَالِكًا يَقُولُ لَهُمْ إِنَّكُمْ ماكِثُونَ وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ مَتَىٰ أَجَابَهُمْ، هَلْ أَجَابَهُمْ فِي الْحَالِ أَوْ بِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ، وَإِنْ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهَلْ حَصَلَ ذَلِكَ الْجَوَابُ بَعْدَ ذَلِكَ السُّؤَالِ بِمُدَّةٍ قَلِيلَةٍ أَوْ بِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ، فَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ تُؤَخَّرَ الْإِجَابَةُ اسْتِخْفَافًا بِهِمْ وَزِيَادَةً فِي غَمِّهِمْ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَعَنْ غَيْرِهِ بَعْدَ مِائَةِ سَنَةٍ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ بَعْدَ أَلْفِ سَنَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِذَلِكَ الْمِقْدَارِ ".

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٦/ ١١٦-١١٧) : " قوله تعالىٰ: **﴿وَنَادَوْا يا مالِكُ﴾** وَهُوَ خَازِنُ جَهَنَّمَ، خَلَقَهُ لِغَضَبِهِ، إِذَا زَجَرَ النَّارَ زَجْرَةً أَكَلَ بَعْضُهَا بَعْضًا. وَقَرَأَ عَلِيٌّ وَابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا" وَنَادَوْا يَا مَالِ" وَذَلِكَ خِلَافُ الْمُصْحَفِ. وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ وَابْنُ مَسْعُودٍ: قَرَأَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" وَنَادَوْا يَا مَالِ" بِاللَّامِ خَاصَّةً، يَعْنِي رَخَّمَ الِاسْمَ وَحَذَفَ الْكَافَ. وَالتَّرْخِيمُ الْحَذْفُ، وَمِنْهُ تَرْخِيمُ الِاسْمِ فِي النِّدَاءِ، وَهُوَ أَنْ يُحْذَفَ مِنْ آخِرِهِ حَرْفٌ أَوْ أَكْثَرُ، فَتَقُولُ فِي مَالِكٍ: يَا مَالِ، وَفِي حَارِثٍ: يَا حَارِ، وَفِي فَاطِمَةَ: يَا فَاطِمَ، وَفِي عَائِشَةَ: يَا عَائِشَ وَفِي مَرْوَانَ: يَا مَرْوَ، وَهَكَذَا. قَالَ:

يَا حَارِ لَا أُرْمَيَنْ مِنْكُمْ بِدَاهِيَةٍ　　　لَمْ يَلْقَهَا سُوقَةٌ قَبْلِي وَلَا مَلِكُ

وَقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ:

أَحَارِ تَرَىٰ بَرْقًا أُرِيكَ وَمِيضَهُ　　　كَلَمْعِ الْيَدَيْنِ فِي حَبِيٍّ مُكَلَّلِ

وَقَالَ أَيْضًا:

أَفَاطِمُ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ　　　وَإِنْ كُنْتِ قَدْ أزمعت صرمي فأجمل

وَقَالَ آخَرُ :

يَا مَرْوَ إِنَّ مَطِيَّتِي مَحْبُوسَةٌ　　　تَرْجُو الْحِبَاءَ وَرَبُّهَا لَمْ يَيْأَسْ

وَفِي صَحِيحِ الْحَدِيثِ (أَيْ فُلْ، هَلُمَّ). وَلَكَ فِي آخِرِ الِاسْمِ الْمُرَخَّمِ وَجْهَانِ:

أَحَدُهُمَا : أَنْ تُبْقِيَهُ عَلَىٰ مَا كَانَ عَلَيْهِ قَبْلَ الْحَذْفِ.

وَالْآخَرُ : أَنْ تَبْنِيَهُ عَلَىٰ الضَّمِّ، مِثْلُ: يَا زَيْدُ، كَأَنَّكَ أَنْزَلْتَهُ مَنْزِلَتَهُ وَلَمْ تُراعِ الْمَحْذُوفَ. وَذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ الْأَنْبَارِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَىٰ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ- وَهُوَ ابْنُ سَعْدَانَ- قَالَ حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ عَنْ شُعْبَةَ عَنِ الْحَكَمِ بن عيينة عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: كُنَّا لَا نَدْرِي مَا الزُّخْرُفُ حَتَّىٰ وَجَدْنَاهُ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ" بَيْتٌ مِنْ ذَهَبٍ" ،

وَكُنَّا لَا نَدْرِي **﴿وَنادَوْا يَا مالِكُ﴾** أَوْ يَا مَلَكُ (بِفَتْحِ اللَّامِ وَكَسْرِهَا) حَتَّىٰ وَجَدْنَاهُ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللهِ" وَنَادَوْا يَا مَالِ" عَلَىٰ التَّرْخِيمِ.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَا يُعْمَلُ عَلَىٰ هَذَا الْحَدِيثِ لِأَنَّهُ مَقْطُوعٌ لَا يُقْبَلُ مِثْلُهُ فِي الرِّوَايَةِ عَنِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكِتَابُ اللهِ أَحَقُّ بِأَنْ يُحْتَاطَ لَهُ وَيُنْفَىٰ عَنْهُ الْبَاطِلُ. قُلْتُ: وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَعْلَىٰ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ **﴿وَنادَوْا يَا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ﴾** بِإِثْبَاتِ الْكَافِ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ: بَلَغَنِي- أَوْ ذُكِرَ لِي- أَنَّ أَهْلَ النَّارِ اسْتَغَاثُوا بِالْخَزَنَةِ فَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: **﴿وَقالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِنَ الْعَذابِ﴾** [غافر: ٤٩] ، فسألوا يوما واحدا يخفف عنهم فيه العذاب، فَرَدَّتْ عَلَيْهِمْ **﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّناتِ قالُوا بَلى قالُوا فَادْعُوا وَما دُعاءُ الْكافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلالٍ﴾** [غافر: ٥٠] قَالَ: فَلَمَّا يَئِسُوا مِمَّا عِنْدَ الْخَزَنَةِ نَادَوْا مَالِكًا، وَهُوَ عَلَيْهِمْ وَلَهُ مَجْلِسٌ فِي وَسَطِهَا، وَجُسُورٌ تَمُرُّ عَلَيْهَا مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَهُوَ يَرَىٰ أقصاها كما يرى أدناها فقالوا: **﴿يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ﴾** قال: سَأَلُوا الْمَوْتَ، قَالَ: فَسَكَتَ عَنْهُمْ لَا يُجِيبُهُمْ ثَمَانِينَ سَنَةً، قَالَ: وَالسَّنَةُ سِتُّونَ وَثَلَاثُمِائَةِ يَوْمٍ، وَالشَّهْرُ ثَلَاثُونَ يَوْمًا، وَالْيَوْمُ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ، ثُمَّ لَحَظَ إِلَيْهِمْ بَعْدَ الثَّمَانِينَ فَقَالَ: **﴿إِنَّكُمْ ماكِثُونَ﴾** ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ، ذَكَرَهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ. وَفِي حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَيَقُولُونَ ادْعُوا مَالِكًا فَيَقُولُونَ **﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾** . قَالَ الْأَعْمَشُ: نُبِّئْتُ أَنَّ بَيْنَ دُعَائِهِمْ وَبَيْنَ إِجَابَةِ مَالِكٍ إِيَّاهُمْ أَلْفَ عَامٍ، خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَقُولُونَ ذَلِكَ فَلَا يُجِيبُهُمْ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ يَقُولُ : **﴿إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾** . وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَنَوْفٌ الْبِكَالِيُّ: بَيْنَ نِدَائِهِمْ وَإِجَابَتِهِ إِيَّاهُمْ مِائَةُ سَنَةٍ. وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو: أَرْبَعُونَ سَنَةً، ذَكَرَهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ" .

وقال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (٧/ ٢٤٠-٢٤١) : "قَالَ الْبُخَارِيُّ (٤/ ١٢١ برقم٣٢٦٦) : حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مِنْهال، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ عَطَاءٍ ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَعْلَىٰ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ: **﴿وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾** ، أَيْ: لِيَقْبِضْ أَرْوَاحَنَا فَيُرِيحَنَا مِمَّا نَحْنُ فِيهِ، فَإِنَّهُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: **﴿لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾** [فَاطِرٍ: ٣٦] . وَقَالَ: **﴿يَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى * الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى * ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى﴾** [الْأَعْلَىٰ: ١١ -١٣] ، فَلَمَّا سَأَلُوا

أَنْ يَمُوتُوا أَجَابَهُمْ مَالِكٌ، **﴿قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾** : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَكَثَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ، أَيْ: لَا خُرُوجَ لَكُمْ مِنْهَا وَلَا مَحِيدَ لَكُمْ عَنْهَا " .

﴿سُؤَالٌ﴾ : مَاذَا عَنِ الحِوَارِ الذِيْ سَيَدُوْرُ بَيْنَ أَهْلِ الجَنَّة وَأَهْلِ النَّار ؟

الجواب : أخبرنا القرآن الكريم بالحوار الذي سيدور بين أهل الجنَّة وأهل النَّار بعد استقرارهم فيها ، بالرَّغم من وجود سور بين الفريقين ، واجهته من جهة أهل الجنَّة فيها الرَّحمة ، وواجهته من جهة أهل النَّار فيها العذاب ... قال الله تعالى : **﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ يَسْعى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمانِهِمْ بُشْراكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * يَوْمَ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَالْمُنافِقاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَراءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بابٌ باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذابُ * يُنادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قالُوا بَلى وَلكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمانِيُّ حَتَّى جاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ * فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْواكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾** [الحديد:١٢-١٥] .

ومن صور ذلكم الحوار الذي سيجري بين أهل الجنَّة وأهل النَّار ما جاء في سورة الأعراف ، قال تعالى : **﴿وَنادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنا مَا وَعَدَنا رَبُّنا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَها عِوَجاً وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كافِرُونَ﴾** [الأعراف:٤٤-٤٥] .

وقال تعالى : **﴿وَنادى أَصْحابُ النَّارِ أَصْحابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ الْماءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُما عَلَى الْكافِرِينَ * الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا فَالْيَوْمَ نَنْساهُمْ كَما نَسُوا لِقاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَما كانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ﴾** [الأعراف:٥٠-٥١] .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (١٤/ ٢٤٥-٢٤٧) : " في قَوْلُهُ تَعَالَى : **﴿وَنادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنا مَا وَعَدَنا رَبُّنا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾** اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا شَرَحَ وَعِيدَ الْكُفَّارِ وَثَوَابَ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالطَّاعَاتِ أَتْبَعَهُ بِذِكْرِ الْمُنَاظَرَاتِ الَّتِي تَدُورُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ وَهِيَ الْأَحْوَالُ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَىٰ لَمَّا ذَكَرَ فِي الْآيَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ قَوْلَهُ: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوها﴾ [الأعراف: ٤٣] دَلَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّهُمُ اسْتَقَرُّوا فِي الْجَنَّةِ فِي وَقْتِ هَذَا النِّدَاءِ فَلَمَّا قَالَ بَعْدَهُ: ﴿وَنادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ﴾ دَلَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّ هَذَا النِّدَاءَ إِنَّمَا حَصَلَ بَعْدَ الِاسْتِقْرَارِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا فِي الدُّنْيَا مِنَ الثَّوَابِ حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ مِنَ الْعِقَابِ حَقًّا؟ وَالْغَرَضُ مِنْ هَذَا السُّؤَالِ إِظْهَارُ أَنَّهُ وَصَلَ إِلَىٰ السَّعَادَاتِ الْكَامِلَةِ وَإِيقَاعُ الْحُزْنِ فِي قَلْبِ العدو وهاهنا سُؤَالَاتٌ:

السُّؤَالُ الْأَوَّلُ: إِذَا كَانَتِ الْجَنَّةُ فِي أعلىٰ السموات وَالنَّارُ فِي أَسْفَلِ الْأَرَضِينَ فَمَعَ هَذَا الْبُعْدِ الشَّدِيدِ كَيْفَ يَصِحُّ هَذَا النِّدَاءُ؟

وَالْجَوَابُ: هَذَا يَصِحُّ عَلَىٰ قَوْلِنَا: لِأَنَّا عِنْدَنَا الْبُعْدَ الشَّدِيدَ وَالْقُرْبَ الشَّدِيدَ لَيْسَ مِنْ مَوَانِعِ الْإِدْرَاكِ وَالْتَزَمَ الْقَاضِي ذَلِكَ وَقَالَ: إِنَّ فِي الْعُلَمَاءِ مَنْ يَقُولُ فِي الصَّوْتِ خَاصِّيَّةٌ أَنَّ الْبُعْدَ فِيهِ وَحْدَهُ لَا يَكُونُ مَانِعًا مِنَ السَّمَاعِ.

السُّؤَالُ الثَّانِي: هَذَا النِّدَاءُ يَقَعُ مِنْ كُلِّ أَهْلِ الْجَنَّةِ لِكُلِّ أَهْلِ النَّارِ أَوْ مِنَ الْبَعْضِ لِلْبَعْضِ؟

وَالْجَوَابُ: أَنَّ قَوْلَهُ: وَنادىٰ أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ يُفِيدُ الْعُمُومَ وَالْجَمْعُ إِذَا قُوبِلَ بِالْجَمْعِ يُوَزَّعُ الْفَرْدُ عَلَىٰ الْفَرْدِ وَكُلُّ فَرِيقٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يُنَادِي مَنْ كَانَ يَعْرِفُهُ مِنَ الْكُفَّارِ فِي الدُّنْيَا.

السُّؤَالُ الثَّالِثُ: مَا مَعْنَىٰ (أَنْ) فِي قَوْلِهِ: أَنْ قَدْ وَجَدْنا.

وَالْجَوَابُ: أَنَّهُ يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ مُخَفَّفَةً مِنَ الثَّقِيلَةِ وَأَنْ تَكُونَ مُفَسِّرَةً كَالَّتِي سَبَقَتْ فِي قوله: ﴿أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ﴾ [الأعراف: ٤٣] وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَىٰ الظَّالِمِينَ.

السُّؤَالُ الرَّابِعُ: هَلَّا قِيلَ: مَا وَعدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا) كَمَا قِيلَ: مَا وَعَدَنا رَبُّنا.

وَالْجَوَابُ: قَوْلُهُ: ﴿مَا وَعَدَنا رَبُّنا حَقًّا﴾ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ تَعَالَىٰ خَاطَبَهُمْ بِهَذَا الْوَعْدِ وَكَوْنُهُمْ مُخَاطَبِينَ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ تَعَالَىٰ بِهَذَا الْوَعْدِ يُوجِبُ مَزِيدَ التَّشْرِيفِ وَمَزِيدُ التَّشْرِيفِ لَائِقٌ بِحَالِ الْمُؤْمِنِينَ أَمَّا الْكَافِرُ فَهُوَ لَيْسَ أَهْلًا لِأَنْ يُخَاطِبَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ فَلِهَذَا السَّبَبِ لَمْ يَذْكُرِ اللَّهُ تَعَالَىٰ أَنَّهُ خَاطَبَهُمْ بِهَذَا الْخِطَابِ بَلْ ذَكَرَ تَعَالَىٰ أَنَّهُ بَيَّنَ هَذَا الْحُكْمَ.

أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قالُوا نَعَمْ﴾ فَفِيهِ مَسَائِلُ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الْكُفَّارَ يَعْتَرِفُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَنَّ وَعْدَ اللَّهِ وَوَعِيدَهُ حَقٌّ وَصِدْقٌ وَلَا يُمْكِنُ ذَلِكَ إِلَّا إِذَا كَانُوا عَارِفِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِذَاتِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ.

فَإِنْ قِيلَ: لَمَّا كَانُوا عَارِفِينَ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَثَبَتَ أَنَّ مِنْ صِفَاتِهِ أَنَّهُ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَعَلِمُوا بِالضَّرُورَةِ أَنَّ عِنْدَ قَبُولِ التَّوْبَةِ يَتَخَلَّصُونَ مِنَ الْعَذَابِ فَلِمَ لَا يَتُوبُونَ لِيُخَلِّصُوا أَنْفُسَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ؟ وَلَيْسَ لِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ تَعَالَىٰ إِنَّمَا يَقْبَلُ التَّوْبَةَ فِي الدُّنْيَا لِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: **﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئاتِ﴾** [الشُّورَىٰ: ٢٥] عَامٌّ فِي الْأَحْوَالِ كُلِّهَا وَأَيْضًا فَالتَّوْبَةُ اعْتِرَافٌ بِالذَّنْبِ وَإِقْرَارٌ بِالذِّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ وَاللَّائِقُ بِالرَّحِيمِ الْحَكِيمِ التَّجَاوُزُ عَنْ هَذِهِ الْحَالَةِ سَوَاءٌ كَانَ فِي الدُّنْيَا أَوْ فِي الْآخِرَةِ.

أَجَابَ الْمُتَكَلِّمُونَ: بِأَنَّ شِدَّةَ اشْتِغَالِهِمْ بِتِلْكَ الْآلَامِ الشَّدِيدَةِ يَمْنَعُهُمْ عَنِ الْإِقْدَامِ عَلَىٰ التَّوْبَةِ وَلِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: إِذَا كَانَتْ تِلْكَ الْآلَامُ لَا تَمْنَعُهُمْ عَنْ هَذِهِ الْمُنَاظَرَاتِ فَكَيْفَ تَمْنَعُهُمْ عَنِ التَّوْبَةِ الَّتِي بِهَا يَتَخَلَّصُونَ عَنْ تِلْكَ الْآلَامِ الشَّدِيدَةِ؟

وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُعْتَزِلَةَ الَّذِينَ يَقُولُونَ يَجِبُ عَلَىٰ اللهِ قَبُولُ التَّوْبَةِ لَا خَلَاصَ لَهُمْ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ. أَمَّا أَصْحَابُنَا لَمَّا قَالُوا إِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ وَاجِبٍ عَقْلًا قَالُوا للهِ تَعَالَىٰ أَنْ يَقْبَلَ التَّوْبَةَ فِي الدُّنْيَا وَأَنْ لَا يَقْبَلَهَا فِي الْآخِرَةِ فَزَالَ السُّؤَالُ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: قَالَ سِيبَوَيْهِ: نَعَمْ عِدَةٌ وَتَصْدِيقٌ وَقَالَ الَّذِينَ شَرَحُوا كَلَامَهُ مَعْنَاهُ: أَنَّهُ يُسْتَعْمَلُ تَارَةً عِدَةً وَتَارَةً تَصْدِيقًا وَلَيْسَ مَعْنَاهُ: أَنَّهُ عِدَةٌ وَتَصْدِيقٌ مَعًا أَلَا تَرَىٰ أَنَّهُ إِذَا قَالَ: أَتُعْطِينِي؟ وَقَالَ نَعَمْ كَانَ عِدَةً وَلَا تَصْدِيقَ فِيهِ وَإِذَا قَالَ: قَدْ كَانَ كَذَا وَكَذَا. فَقُلْتَ: نَعَمْ فَقَدْ صَدَّقْتَ وَلَا عِدَةَ فِيهِ وَأَيْضًا إِذَا اسْتَفْهَمْتَ عَنْ مُوجَبٍ كَمَا يُقَالُ: أَيَقُومُ زَيْدٌ؟ قُلْتَ: نَعَمْ وَلَوْ كَانَ مَكَانُ الْإِيجَابِ نَفْيًا لَقُلْتَ: بَلَىٰ وَلَمْ تَقُلْ نَعَمْ فَلَفْظَةُ نَعَمْ مُخْتَصَّةٌ بِالْجَوَابِ عَنِ الْإِيجَابِ وَلَفْظَةُ بَلَىٰ مُخْتَصَّةٌ بِالنَّفْيِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى﴾** [الْأَعْرَافِ:١٧٢] .

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: قَرَأَ الْكِسَائِيُّ نَعِمْ بِكَسْرِ الْعَيْنِ فِي كُلِّ الْقُرْآنِ. قَالَ أَبُو الْحَسَنِ: هُمَا لُغَتَانِ قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: الْكَسْرُ لَيْسَ بِمَعْرُوفٍ وَاحْتَجَّ الْكِسَائِيُّ بِأَنَّهُ رُوِيَ عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ سَأَلَ قَوْمًا عَنْ شَيْءٍ فَقَالُوا: نَعَمْ. فَقَالَ عُمَرُ: أَمَّا النَّعَمُ فَالْإِبِلُ. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: هَذِهِ الرِّوَايَةُ عَنْ عُمَرَ غَيْرُ مَشْهُورَةٍ.

أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾** فَفِيهِ مَسْأَلَتَانِ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَىٰ: مَعْنَىٰ التَّأْذِينِ فِي اللُّغَةِ النِّدَاءُ وَالتَّصْوِيتُ بِالْإِعْلَامِ وَالْأَذَانُ لِلصَّلَاةِ إِعْلَامٌ بِهَا وَبِوَقْتِهَا وقالوا فِي: فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ نَادَىٰ مُنَادٍ أَسْمَعَ الْفَرِيقَيْنِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَذَلِكَ الْمُؤَذِّنُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَهُوَ صَاحِبُ الصُّورِ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ: ﴿**بَيْنَهُمْ**﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يكون ظرفا لقوله: ﴿**فَأَذَّنَ**﴾ وَالتَّقْدِيرُ: أَنَّ الْمُؤَذِّنَ أَوْقَعَ ذَلِكَ الْأَذَانَ بَيْنَهُمْ وَفِي وَسَطِهِمْ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ صِفَةً لِقَوْلِهِ: مُؤَذِّنٌ وَالتَّقْدِيرُ: أَنَّ مُؤَذِّنًا مِنْ بَيْنِهِمْ أَذَّنَ بِذَلِكَ الْأَذَانِ وَالْأَوَّلُ أَوْلَى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾، فَفِيهِ مَسْأَلَتَانِ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: قَرَأَ نَافِعٌ وَأَبُو عَمْرٍو وَعَاصِمٌ أَنْ مُخَفَّفَةً لَعْنَةُ بِالرَّفْعِ وَالْبَاقُونَ مُشَدَّدَةً لَعْنَةَ بِالنَّصْبِ. قَالَ الْوَاحِدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَنْ شَدَّدَ فَهُوَ الْأَصْلُ وَمَنْ خَفَّفَ (أَنْ) فَهِيَ مُخَفَّفَةٌ مِنَ الشَّدِيدَةِ عَلَى إِرَادَةِ إِضْمَارِ الْقِصَّةِ وَالْحَدِيثُ تَقْدِيرُهُ أَنَّهُ لَعَنَةُ اللَّهِ وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَآخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمِينَ**﴾ [يُونُس: ١٠] التَّقْدِيرُ: أَنَّهُ وَلَا تُخَفَّفُ أَنْ إِلَّا وَيَكُونُ مَعَهَا إِضْمَارُ الْحَدِيثِ وَالشَّأْنِ. وَيَجُوزُ أَيْضًا أَنْ تَكُونَ الْمُخَفَّفَةُ هِيَ الَّتِي لِلتَّفْسِيرِ كَأَنَّهَا تَفْسِيرٌ لِمَا أُذِّنُوا بِهِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿**أَنْ قَدْ وَجَدْنا**﴾، وَرَوَى صَاحِبُ «الْكَشَّافِ» أَنَّ الْأَعْمَشَ قَرَأَ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ بِكَسْرِ إِنَّ عَلَى إِرَادَةِ الْقَوْلِ أَوْ على اجراء فَأَذَّنَ مُجْرَى "قَالَ".

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الْمُؤَذِّنَ أَوْقَعَ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى مَنْ كَانَ مَوْصُوفًا بِصِفَاتٍ أَرْبَعَةٍ.

الصِّفَةُ الْأُولَى: كَوْنُهُمْ ظَالِمِينَ. لِأَنَّهُ قَالَ: أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ قَالَ أَصْحَابُنَا الْمُرَادُ مِنْهُ الْمُشْرِكُونَ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُنَاظَرَةَ الْمُتَقَدِّمَةَ إِنَّمَا وَقَعَتْ بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَبَيْنَ الْكُفَّارِ بدليل ان قول اهل الجنة فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا لا يَلِيقُ ذِكْرُهُ إِلَّا مَعَ الْكُفَّارِ.

وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا فَقَوْلُ الْمُؤَذِّنِ بَعْدَهُ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُنْصَرِفًا إِلَيْهِمْ فَثَبَتَ ان المراد بالظالمين هاهنا الْمُشْرِكُونَ وَأَيْضًا أَنَّهُ وَصَفَ هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ بِصِفَاتٍ ثَلَاثَةٍ. هِيَ مُخْتَصَّةٌ بِالْكُفَّارِ وَذَلِكَ يُقَوِّي مَا ذَكَرْنَاهُ وَقَالَ الْقَاضِي الْمُرَادُ مِنْهُ كُلُّ مَنْ كَانَ ظَالِمًا سَوَاءٌ كَانَ كَافِرًا أَوْ كَانَ فَاسِقًا تَمَسُّكًا بِعُمُومِ اللَّفْظِ".

وروى مسلم (٤/ ٢١٨٢ برقم ٢٨٣٧) بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا" فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [الأعراف: ٤٣].

وقال الإمام البغوي في "معالم التَّنزيل في تفسير القرآن" (٢/ ١٩٣) : " وَرُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَلَهُ مَنْزِلُهُ فِي الْجَنَّةِ وَمَنْزِلُهُ فِي النَّارِ، فَأَمَّا الْكَافِرُ فَإِنَّهُ يَرِثُ الْمُؤْمِنَ مَنْزِلَهُ مِنَ النَّارِ، وَالْمُؤْمِنُ يَرِثُ الْكَافِرَ ومنزله من الجنّة» .

﴿وَنادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنا مَا وَعَدَنا رَبُّنا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف:٤٤] .

قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿وَنادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنا مَا وَعَدَنا رَبُّنا﴾** ، مِنَ الثَّوَابِ، **﴿حَقًّا﴾** ، أَيْ: صِدْقًا، **﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾** ، مِنَ الْعَذَابِ، **﴿حَقًّا قالُوا نَعَمْ﴾** ، قَرَأَ الْكِسَائِيُّ بِكَسْرِ الْعَيْنِ حَيْثُ كَانَ، وَالْبَاقُونَ بِفَتْحِهَا وَهُمَا لُغَتَانِ، **﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾** ، أَيْ: نَادَى مُنَادٍ أَسْمَعَ الْفَرِيقَيْنِ، **﴿أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾** ، قَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ وَعَاصِمٌ: (أَنْ) خَفِيفٌ، لَعْنَةُ رَفْعٌ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالتَّشْدِيدِ، لَعْنَةَ اللَّهِ بالنَّصب عَلَى الظَّالِمِينَ، أي: الكافرين" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ سَيَرِثُ أَهْلُ الجَنَّةِ فِيْهَا لَوْ دَخَلُوْهَا ، وَالْعَكْس ؟

الجواب : قال الإمام البغوي في " معالم التنزّيل في تفسير القرآن " (٣/ ٣٦٠) : " أُولئِكَ، أَهْلُ هَذِهِ الصِّفَةِ، هُمُ الْوارِثُونَ، يَرِثُونَ مَنَازِلَ أَهْلِ النَّارِ مِنَ الْجَنَّةِ. وَرُوِيَ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَلَهُ مَنْزِلَانِ مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ، فَإِنْ مَاتَ وَدَخَلَ النَّارَ وِرْثَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْزِلَهُ» وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿أُولئِكَ هُمُ الْوارِثُونَ﴾** . وَقَالَ مجاهد: لكل واحد مَنْزِلَانِ مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَبْنِي مَنْزِلَهُ الَّذِي لَهُ فِي الْجَنَّةِ وَيَهْدِمُ مَنْزِلَهُ الَّذِي لَهُ فِي النَّارِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَهْدِمُ مَنْزِلَهُ الذي له فِي الْجَنَّةِ وَيَبْنِي مَنْزِلَهُ الَّذِي فِي النَّارِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَى الوارثة هو أنه يؤول أَمْرُهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَنَالُونَهَا كما يؤول أمر الميراث إلى الوارث " .

وقال الإمام القرطبي في" الجامع لأحكام القرآن" (١٢/ ١٠٨) : " **﴿أُولئِكَ هُمُ الْوارِثُونَ﴾** ، أَيْ مَنْ عَمِلَ بِمَا ذُكِرَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ فَهُمُ الْوَارِثُونَ، أَيْ يَرِثُونَ مَنَازِلَ أَهْلِ النَّارِ مِنَ الْجَنَّةِ. وَفِي الْخَبَرِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مَسْكَنًا فِي الْجَنَّةِ وَمَسْكَنًا فِي النَّارِ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَيَأْخُذُونَ مَنَازِلَهُمْ وَيَرِثُونَ مَنَازِلَ الْكُفَّارِ وَيَجْعَلُ الْكُفَّارَ فِي مَنَازِلِهِمْ فِي النَّارِ ". خَرَّجَهُ ابْنُ مَاجَهْ بِمَعْنَاهُ. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَيْضًا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَلَهُ مَنْزِلَانِ

مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ فَإِذَا مَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ وَرِثَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْزِلَهُ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوارِثُونَ﴾** إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُسَمَّىٰ الْحُصُولُ عَلَىٰ الْجَنَّةِ وِرَاثَةً مِنْ حَيْثُ حُصُولُهَا دُونَ غَيْرِهِمْ، فَهُوَ اسْمٌ مُسْتَعَارٌ عَلَىٰ الْوَجْهَيْنِ " .

وقال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (٥/ ٤٦٤-٤٦٥) : " وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سِنَان، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَلَهُ مَنْزِلَانِ: مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ، فَإِنْ مَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ وَرِثَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْزِلَهُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: **﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾** . أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٥٣ برقم ٤٣٤١) ، البيهقي في " البعث والنُّشور " (ص١٧٠ برقم ٢٤١) . والحديث صحَّح إسناده الحافظ في " الفتح" (١١/ ٤٤٢) ، وقال : " وَقَالَ جُمْهُورُ الْمُفَسِّرِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ للهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾ [الزمر:٧٤] الْآيَةَ الْمُرَادُ أَرْضُ الْجَنَّةِ الَّتِي كَانَتْ لِأَهْلِ النَّارِ لَوْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ ، وَهُوَ مُوَافِقٌ لِهَذَا الْحَدِيثِ ، وَقِيلَ : الْمُرَادُ أَرْضُ الدُّنْيَا ، لِأَنَّهَا صَارَتْ خُبْزَةً فَأَكَلُوهَا كَمَا تَقَدَّمَ ، وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ : يَحْتَمِلُ أَنْ يُسَمَّىٰ الْحُصُولُ فِي الْجَنَّةِ وِرَاثَةً مِنْ حَيْثُ اخْتِصَاصِهِمْ بِذَلِكَ دُونَ غَيْرِهِمْ ، فَهُوَ إِرْثٌ بِطَرِيقِ الِاسْتِعَارَةِ ، وَاللهُ أَعْلَمُ " .

وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنْ لَيْث، عَنْ مُجَاهِدٍ: **﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾** ، قَالَ: مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وَلَهُ مَنْزِلَانِ: مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فيُبنَىٰ بَيْتُهُ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ، ويُهدّم بَيْتُهُ الَّذِي فِي النَّارِ ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فيُهْدَم بَيْتُهُ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ، ويُبنىٰ بَيْتُهُ الَّذِي فِي النَّارِ. وَرُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْر نَحْوَ ذَلِكَ.

فَالْمُؤْمِنُونَ يَرِثُونَ مَنَازِلَ الْكُفَّارِ؛ لِأَنَّهُمْ كُلَّهُمْ خُلِقُوا لِعِبَادَةِ اللهَّ تَعَالَىٰ ، فَلَمَّا قَامَ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ بِمَا وَجَبَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعِبَادَةِ، وترَكَ أُولَئِكَ مَا أمرُوا بِهِ مِمَّا خُلقوا لَهُ -أحرزَ هؤلاء نصيب أُولَئِكَ لَوْ كَانُوا أَطَاعُوا رَبَّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ، بَلْ أَبْلَغُ مِنْ هَذَا أَيْضًا، وَهُوَ مَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (٤/ ٢١٢٠ برقم ٢٧٦٧) عَنْ أَبِي بُرْدَةَ ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ، فَيَغْفِرُهَا اللهُ لَهُمْ، ويضَعُها عَلَىٰ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ" .

وَفِي لَفْظٍ لَهُ (٤/ ٢١١٩ برقم ٢٧٦٧) : قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللهُ لِكُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا، فَيُقَالُ : هَذَا فَكَاكُكَ مِنَ النَّارِ " .

روىٰ ابن حبَّان في " الصَّحيح" (١٦/ ٤٨٨ برقم ٧٤٥١) بسنده هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ إِلَّا أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ لَوْ أَسَاءَ لِيَزْدَادَ شُكْرًا، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ إِلَّا أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ لَوْ أحسن ليكون عليه حسرة" . قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير محمد بن مشكان ذكره المؤلف فى "ثقاته" ٩/ ١٢٧ فقال: محمد بن مشكان السَّرْخَسي، يروىٰ عن يزيد عن هارون، وعبد الرزاق، حدثنا عنه

محمد بن عبد الرحمن الدغولي وغيره، مات سنة تسع وخمسين ومئتين، وكان ابن حنبل رحمه الله يكاتبه، وهو عبد الله بن ذكوان، والأعرج: هو عبد الرحمن بن هرمز. وأخرجه البخاري "٦٥٦٩" في الرقاق: باب صفة الجنة والنار، والبيهقي في "البعث" "٢٤٤"، والبغوي "٤٣٦٨" من طريق أبي اليمان، عن شعيب، وأحمد ٢/ ٥٤١ عن حسن بن محمد، عن ابن أبي الزناد، بهذا الإسناد. وأخرجه بأطول مما هنا: ابن ماجة "٤٢٦٨" في الزهد: باب ذكر القبر البلى، والنسائي في "الكبرى" كما في "التحفة" ١٠/ ٧٨ من طريقين عن ابن أبي ذئب، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَطَاءٍ عَنْ سعيد بن يسار، عن أبي هريرة، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "إن الميت يصير إلى القبر، فيجلس الرجل الصالح في قبره، غير فزع ولا مشغوف. ثم يقال له: فيم كنت؟ فيقول: كنت في الإسلام. فيقال له: ما هذا الرجل؟ فيقول: محمد صلى الله عليه وسلم، جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه، فيقال له: هل رأيت الله؟ فيقول: ما ينبغي لأحد أن يرى الله، فيفرج له فرجة قبل النار، فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً، فيقال له: انظر إلى ما وقاك الله، ثم يفرج له قبل الجنة، فينظر إلى زهرتها وما فيها، فيقال له: هذا مقعدك. ويقال له: على اليقين كنت، وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء الله. ويجلس المرء السوء في قبره فزعاً مشغوفاً، فيقال له: فيم كنت؟ فيقول: لا أدري، فيقال له: ما هذا الرجل؟ فيقول: سمعت الناس يقولون قولاً فقلته، فيفرج له قبل الجنة، فينظر إلى زهرتها وما فيها. فيقال له: انظر ماذا صرف الله عنك. ثم يفرج له فرجة قبل النار، فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً، فيقال له: هذا مقعدك. على الشك كنت، وعليه مت، وعليه تبعث إنشاء الله تعالى". وهذا سند صحيح كما قال: البوصيري في "مصباح الزجاجة" ورقة ٢٧١. وأخرجه ابن ماجة "٤٣٤١" من طريق أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما منكم من أحد إلا له منزلان: منزل في الجنة ومنزل في النار، فإذا مات فدخل النار رث أهل الجنة منزله" فذلك قوله تعالى: {أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ} ، وهذا سند صحيح على شرط الشيخين ".

وروى مسلم (٤/ ٢١١٩ برقم ٢٧٦٧) بسنده عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، دَفَعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، يَهُودِيًّا، أَوْ نَصْرَانِيًّا، فَيَقُولُ: هَذَا فِكَاكُكَ مِنَ النَّارِ " .

قال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج "(١٧/ ٨٥) : " وَفِي رِوَايَةٍ : " لَا يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا أَدْخَلَ اللهُ مَكَانَهُ النَّارَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا " ، وَفِي رِوَايَةٍ : " يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ فَيَغْفِرُهَا اللهُ لَهُمْ وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى " . الْفَكَاكُ بِفَتْحِ الْفَاءِ وَكَسْرِهَا الْفَتْحُ أَفْصَحُ وَأَشْهَرُ وَهُوَ الْخَلَاصُ وَالْفِدَاءُ ، وَمَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ : لِكُلِّ أَحَدٍ مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ فَالْمُؤْمِنُ إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ خَلَفَهُ الْكَافِرُ فِي النار لاستحقاقه ذلك بكفره ، ومعنى فَكَاكُكَ مِنَ النَّارِ : أَنَّكَ كُنْتَ مُعَرَّضًا لِدُخُولِ النَّارِ ، وَهَذَا فَكَاكُكَ ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدَّرَ لَهَا عَدَدًا يَمْلَؤُهَ، ا فَإِذَا دَخَلَهَا الْكُفَّارُ بِكُفْرِهِمْ وَذُنُوبِهِمْ صَارُوا فِي مَعْنَى الْفَكَاكِ لِلْمُسْلِمِينَ " .

وقال الإمام القرطبي في " التَّذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة" (ص٩٠٦-٩٠٧) : " قال علماؤنا رحمة الله عليهم: هذه الأحاديث ظاهرها الإطلاق والعموم وليس كذلك، وإنَّما هي في ناس مذنبين تفضَّل الله تعالى عليهم برحمته ومغفرته، فأعطى كلَّ إنسان منهم فكاكاً من النَّار من الكفَّار، واستدلُّوا بحديث أَبِي بُرْدَةَ،

عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ، فَيَغْفِرُهَا اللهُ لَهُمْ وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى " . أخرجه مسلم (٤/ ٢١٢٠ برقم ٢٧٦٧) ...

قالوا: وما معنى فيغفرها لهم؟ أي: يسقط المؤاخذة عنهم بها حتى كأنَّهم لم يذنبوا» .

ومعنى قوله: " وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى " : أنَّه يضاعف عليهم عذاب ذنوبهم ، حتى يكون عذابهم بقدر جرمهم وجرم ومذنبي المسلمين، لو أخذوا بذلك، لأنَّه تعالى يأخذ أحداً بذنب أحد، كما قال تعالى: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام:١٦٤] ، وله سبحانه أن يضاعف لمن يشاء العذاب، ويخفِّف عمَّن يشاء بحكم إرادته ومشيئته ، إذ لا نسأل عن فعله.

قالوا : وقوله في الرِّواية الأخرى: « لَا يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا أَدْخَلَ اللهُ مَكَانَهُ النَّارَ، يَهُودِيًّا، أَوْ نَصْرَانِيًّا » (مسلم (٤/ ٢١١٩ برقم ٢٧٦٧) ، فمعنى ذلك أنَّ المسلم المذنب لَمَّا كان يستحقُّ مكاناً من النَّار بسبب ذنوبه، وعفا الله عنه وبقي مكانه خالياً منه، أضاف الله تعالى ذلك المكان إلى يهودي أو نصراني ليعذَّب فيه زيادة على تعذيب مكانه الذي يستحقُّه بحسب كفره، ويشهد لهذا قوله عليه السَّلام «في حديث أنس للمؤمن الذي يثبت عند السؤال في القبر " فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ " . أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٠٠ برقم ٢٨٧٠) .

قلت: قد جاءت أحاديث دالَّة على أنَّ لكلِّ مسلم مذنباً كان أو غير مذنب منزلين: منزلاً من الجنَّة ومنزلاً من النَّار، وذلك هو معنى قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ ، أي يرث المؤمنون منازل الكفَّار، ويجعل الكفَّار في منازلهم في النَّار على ما يأتي بيانه، وهو مقتضى «حديث أنس عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِيْ قَبْرِه» الحديث وقد تقدَّم.

إلَّا أنَّ هذه الوراثة تختلف. فمنهم من يرث ولا حساب، ومنهم من يرث بحسابه وبمناقشته وبعد الخروج من النَّار، حسب ما تقدَّم من أحوال النَّاس. والله أعلم.

وقد يحتمل أن يسمَّى الحصول على الجنَّة وراثة من حيث حصولها دون غيرهم.

وهو مقتضى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ للهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ [الزمر:٧٤] " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا قِصَّة العُنُقِ الذِيْ سَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَة ؟

الجواب : روى أحمد في " المسند" (١٤/ ١٥٢ برقم ٨٤٣٠) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا، وَأُذُنَانِ يَسْمَعُ بِهِمَا، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ، فَيَقُولُ: إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلَاثَةٍ: بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَبِكُلِّ مَنِ ادَّعَى مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ، وَالْمُصَوِّرِينَ " . قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح على شرط الشيخين. سليمان: هو ابن مهران الأعمش، وأبو صالح: هو ذكوان السمان. وأخرجه الترمذي (٢٥٧٤) ، والبيهقي في "الشعب" (٦٣١٧) ، وفي "البعث والنشور" (٥٢٤) من طرق عن عبد العزيز بن مسلم، بهذا الإسناد. وقال الترمذي: حسن صحيح " .

قال الإمام علي بن سلطان القاري في " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" (٧/ ٢٨٥٥-٢٨٥٦) : " يَخْرُجُ عُنُقٌ) : بِضَمَّتَيْنِ أَيْ شَخْصٌ قَوِيٌّ، وَقِيلَ هُوَ طَائِفَةٌ. ذَكَرَهُ بَعْضُ الشُّرَّاحِ، وَفِي الْقَامُوسِ: الْعُنُقُ بِالضَّمِّ وَبِضَمَّتَيْنِ وَكَصَرْدِ الْجِيدِ مُؤَنَّثٌ، وَالْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ وَقَالَ الطِّيبِيُّ: أَيْ طَائِفَةٌ (مِنَ النَّارِ) : وَمِنْ بَيَانِيَّةٌ، وَالْأَظْهَرُ أَنَّهَا تَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ يَخْرُجُ كَمَا أَنَّ قَوْلَهُ: (يَوْمَ الْقِيَامَةِ) : ظَرْفٌ لَهُ، ثُمَّ الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: (لَهَا) : رَاجِعٌ إِلَى مَعْنَى عُنُقٍ قَالَهُ الطِّيبِيُّ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْعُنُقِ الْجِيدُ عَلَى مَا هُوَ الْمَعْرُوفُ فِي اللُّغَةِ إِذْ لَا صَارِفَ عَنْ ظَاهِرِهِ فَهُوَ مُؤَنَّثٌ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ تَخْرُجُ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ عَلَى هَيْئَةِ الرَّقَبَةِ الطَّوِيلَةِ لَهَا (عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ، وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ) : كَمَا وَرَدَ مِثْلُ هَذِهِ الْأَوْصَافِ فِي الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ الْأَسْعَدُ يَشْهَدُ لِمَنْ وَافَاهُ بِالْعَهْدِ الْمِيثَاقِيِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (يَقُولُ) : بِصِيغَةِ التَّذْكِيرِ، وَهُوَ بَدَلٌ مِنْ يَنْطِقُ أَوْ حَالٌ، وَالْمَعْنَى يَقُولُ لِسَانُهَا حَالًا أَوْ مَآلًا (إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلَاثَةٍ) : أَيْ وَكَّلَنِي اللهُ بِأَنْ أُدْخِلَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ النَّارَ، وَأُعَذِّبَهُمْ بِالْفَضِيحَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ (بِكُلِّ جَبَّارٍ) : أَيْ ظَالِمٍ (عَنِيدٍ) : أَيْ مُعَانِدٍ مُتَكَبِّرٍ عَنِ الْحَقِّ مُلَازِمٍ عَلَى الْبَاطِلِ، وَفِي النِّهَايَةِ: الْجَبَّارُ هُوَ الْمُتَمَرِّدُ الْعَاتِي وَالْعَنِيدُ الْجَائِرُ عَنِ الْقَصْدِ الْبَاغِي الَّذِي يَرُدُّ الْحَقَّ مَعَ الْعِلْمِ بِهِ. (وَكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ، وَبِالْمُصَوِّرِينَ) : وَفِي هَذَا تَهْدِيدٌ شَدِيدٌ وَوَعِيدٌ أَكِيدٌ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا المَقْصُوْدُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّواصِي وَالْأَقْدامِ﴾ [الرحمن:٤١].

الجواب :

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢٩/ ٣٦٧-٣٦٨) : " وَفِيهِ مَسَائِلُ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: السِّيمَا كَالضِّيزَى وَأَصْلُهُ سَوْمَى مِنَ السَّوْمَةِ وَهُوَ يَحْتَمِلُ وُجُوهًا :

أَحَدُهَا: كَيٌّ عَلَى جِبَاهِهِمْ، قَالَ تَعَالَى: **﴿يَوْمَ يُحْمى عَلَيْها فِي نارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوى بِها جِباهُهُمْ﴾** [التَّوْبَةِ: ٣٥] .

ثَانِيهَا: سَوَادٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى: **﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾** [آل عِمْرَان: ١٠٦] ، وَقَالَ تَعَالَى: **﴿وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾** [الزُّمَر: ٦٠] .

ثَالِثُهَا: غَبَرَةٌ وَقَتَرَةٌ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: مَا وَجْهُ إِفْرَادِ (يُؤْخَذُ) مَعَ أَنَّ (الْمُجْرِمِينَ) جَمْعٌ، وَهُمُ الْمَأْخُوذُونَ؟ نَقُولُ فِيهِ وَجْهَانِ :

أَحَدُهُمَا: أَنَّ يُؤْخَذَ مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: بِالنَّوَاصِي كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ ذُهِبَ بِزَيْدٍ .

وَثَانِيهِمَا: أَنْ يَتَعَلَّقَ بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ يُؤْخَذُ، فَكَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ، فَيُؤْخَذُونَ بِالنَّوَاصِي، فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ عُدِّيَ الْأَخْذُ بِالْبَاءِ وَهُوَ يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ قَالَ تَعَالَى: **﴿لا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ﴾** [الحَدِيد: ١٥] ، وَقَالَ: **﴿خُذْها وَلا تَخَفْ﴾** [طه: ٢١] نَقُولُ: الْأَخْذُ يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ كَمَا بَيَّنْتَ، وَبِالْبَاءِ أَيْضًا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي﴾** [طه: ٩٤] لَكِنْ فِي الِاسْتِعْمَالِ تَدْقِيقٌ، وَهُوَ أَنَّ الْمَأْخُوذَ إِنْ كَانَ مَقْصُودًا بِالْأَخْذِ تَوَجَّهَ الْفِعْلُ نَحْوَهُ فَيَتَعَدَّى إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ حَرْفٍ، وَإِنْ كَانَ الْمَقْصُودُ بِالْأَخْذِ غَيْرَ الشَّيْءِ الْمَأْخُوذِ حِسًّا تَعَدَّى إِلَيْهِ بِحَرْفٍ، لِأَنَّهُ لَمَّا لَمْ يَكُنْ مَقْصُودًا فَكَأَنَّهُ لَيْسَ هُوَ الْمَأْخُوذُ، وَكَأَنَّ الْفِعْلَ لَمْ يَتَعَدَّ إِلَيْهِ بِنَفْسِهِ، فَذَكَرَ الْحَرْفَ، وَيَدُلُّ عَلَى مَا ذَكَرْنَا اسْتِعْمَالُ الْقُرْآنِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: **﴿خُذْها وَلا تَخَفْ﴾** فِي الْعَصَا وَقَالَ تَعَالَى: **﴿وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ﴾** [النساء: ١٠٢] ، **﴿وَأَخَذَ الْأَلْواحَ﴾** [الأعراف: ١٥٤] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، فَلَمَّا كَانَ مَا ذُكِرَ هُوَ الْمَقْصُودُ بِالْأَخْذِ عُدِّيَ الْفِعْلُ إِلَيْهِ مِنْ غير حرف، وقال تعالى: تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي.

وَقَالَ تَعَالَى: فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدامِ وَيُقَالُ: خُذْ بِيَدِي وَأَخَذَ اللهُ بِيَدِكَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَكُونُ الْمَقْصُودُ بِالْأَخْذِ غَيْرَ مَا ذَكَرْنَا، فَإِنْ قِيلَ: مَا الْفَائِدَةُ فِي تَوْجِيهِ الْفِعْلِ إِلَى غَيْرِ مَا تَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْفِعْلُ الْأَوَّلُ، وَلِمَ قَالَ: **﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّواصِي﴾** ؟ نَقُولُ فِيهِ بَيَانُ نَكَالِهِمْ وَسُوءِ حَالِهِمْ وَنُبَيِّنُ هَذَا بِتَقْدِيمِ مِثَالٍ وَهُوَ أَنَّ الْقَائِلَ إِذَا قَالَ ضُرِبَ زَيْدٌ فَقُتِلَ عَمْرٌو فَإِنَّ الْمَفْعُولَ فِي بَابِ مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ قَائِمٌ مَقَامَ الْفَاعِلِ وَمُشَبَّهٌ بِهِ وَلِهَذَا أُعْرِبَ إِعْرَابُهُ فَلَوْ لَمْ يُوَجَّهْ يُؤْخَذُ إِلَى غَيْرِ مَا وُجِّهَ إِلَيْهِ يُعْرَفُ لَكَانَ الْأَخْذُ فِعْلٌ مِنْ عَرَفَ فَيَكُونُ كَأَنَّهُ قَالَ: يَعْرِفُ الْمُجْرِمِينَ عَارِفٌ فَيَأْخُذُهُمْ ذَلِكَ الْعَارِفُ، لَكِنِ الْمُجْرِمُ يَعْرِفُهُ بِسِيمَاهُ كُلُّ أَحَدٍ، وَلَا يَأْخُذُهُ كُلُّ مَنْ عَرَفَهُ بِسِيمَاهُ، بَلْ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ قَوْلُهُ: **﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ﴾** الْمُرَادُ يَعْرِفُهُمُ النَّاسُ وَالْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ يَحْتَاجُونَ فِي مَعْرِفَتِهِمْ إِلَى عَلَامَةٍ، أَمَّا كَتَبَةُ الْأَعْمَالِ وَالْمَلَائِكَةُ الْغِلَاظُ الشِّدَادُ فَيَعْرِفُونَهُمْ كَمَا يَعْرِفُونَ أَنْفُسَهُمْ مِنْ غَيْرِ احْتِيَاجٍ إِلَى عَلَامَةٍ، وَبِالْجُمْلَةِ فَقَوْلُهُ: يُعْرَفُ مَعْنَاهُ يَكُونُونَ مَعْرُوفِينَ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ فَلَوْ قَالَ: يُؤْخَذُونَ

يَكُونُ كَأَنَّهُ قَالَ: فَيَكُونُونَ مَأْخُوذِينَ لِكُلِّ أَحَدٍ، كَذَلِكَ إِذَا تَأَمَّلْتَ فِي قَوْلِ الْقَائِلِ: شُغِلْتُ فَضُرِبَ زَيْدٌ عَلِمْتَ عِنْدَ تَوْجِهِ التَّعْلِيقِ إِلَى مَفْعُولَيْنِ دَلِيلُ تَغايُرِ الشَّاغِلِ وَالضَّارِبِ لِأَنَّهُ يُفْهَمُ مِنْهُ أَنِّي شَغَلَنِي شَاغِلٌ فَضَرَبَ زَيْدًا ضَارِبٌ، فَالضَّارِبُ غَيْرُ ذَلِكَ الشَّاغِلِ، وَإِذَا قُلْتَ: شُغِلَ زَيْدٌ فَضُرِبَ لَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ حَيْثُ تَوَجَّهَ إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ، وَإِنْ كَانَ يَدُلُّ فَلَا يَظْهَرُ مِثْلَ مَا يَظْهَرُ عِنْدَ تَوَجُّهِهِ إِلَى مَفْعُولَيْنِ، أَمَّا بَيَانُ النَّكَالِ فَلِأَنَّهُ لَمَّا قَالَ: **﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي﴾** بَيَّنَ كَيْفِيَّةَ الْأَخْذِ وَجَعْلَهَا مَقْصُودَ الْكَلَامِ، وَلَوْ قَالَ: فَيُؤْخَذُونَ لَكَانَ الْكَلَامُ يَتِمُّ عِنْدَهُ وَيَكُونُ قَوْلُهُ: بِالنَّوَاصِي فَائِدَةً جَاءَتْ بَعْدَ تَمَامِ الْكَلَامِ فَلَا يَكُونُ هُوَ الْمَقْصُودُ، وَأَمَّا إِذَا قَالَ: فَيُؤْخَذُ، فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَمْرٍ يَتَعَلَّقُ بِهِ فَيَنْتَظِرُ السَّامِعُ وُجُودَ ذَلِكَ، فَإِذَا قَالَ: بِالنَّوَاصِي يَكُونُ هَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ، وَفِي كَيْفِيَّةِ الْأَخْذِ ظُهُورُ نَكَالِهِمْ لِأَنَّ فِي نَفْسِ الْأَخْذِ بِالنَّاصِيَةِ إِذْلَالًا وَإِهَانَةً، وَكَذَلِكَ الْأَخْذُ بِالْقَدَمِ، لَا يُقَالُ قَدْ ذَكَرْتَ أَنَّ التَّعْدِيَةَ بِالْبَاءِ إِنَّمَا تَكُونُ حَيْثُ لَا يَكُونُ الْمَأْخُوذُ مَقْصُودًا وَالْآنَ ذَكَرْتَ أَنَّ الْأَخْذَ بِالنَّوَاصِي هُوَ الْمَقْصُودُ لِأَنَّا نَقُولُ: لَا تَنَافِيَ بَيْنَهُمَا فَإِنَّ الْأَخْذَ بِالنَّوَاصِي مَقْصُودُ الْكَلَامِ وَالنَّاصِيَةُ مَا أُخِذَتْ لِنَفْسِ كَوْنِهَا نَاصِيَةً وَإِنَّمَا أُخِذَتْ لِيَصِيرَ صَاحِبُهَا مَأْخُوذًا، وَفَرْقٌ بَيْنَ مَقْصُودِ الْكَلَامِ وَبَيْنَ الْأَخْذِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾** فِيهِ وَجْهَانِ :

أَحَدُهُمَا: يُجْمَعُ بَيْنَ نَاصِيَتِهِمْ وَقَدَمِهِمْ، وَعَلَى هَذَا فَفِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ ذَلِكَ قَدْ يَكُونُ مِنْ جَانِبِ ظُهُورِهِمْ فَيَرْبِطُ بِنَوَاصِيهِمْ أَقْدَامَهُمْ مِنْ جَانِبِ الظَّهْرِ فَتَخْرُجُ صُدُورُهُمْ نَتأً .

وَالثَّانِي: أَنَّ ذَلِكَ مِنْ جَانِبِ وُجُوهِهِمْ فَتَكُونُ رُءُوسُهُمْ عَلَى رُكَبِهِمْ وَنَوَاصِيهِمْ فِي أَصَابِعِ أَرْجُلِهِمْ مَرْبُوطَةً

الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّهُمْ يُسْحَبُونَ سَحْبًا فَبَعْضُهُمْ يُؤْخَذُ بِنَاصِيَتِهِ وَبَعْضُهُمْ يُجَرُّ بِرِجْلِهِ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ وأوضح " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٧/ ١٧٥) : " قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾** قَالَ الْحَسَنُ: سَوَادُ الْوَجْهِ وَزُرْقَةُ الْأَعْيُنِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْق﴾**) ، وَقَالَ تَعَالَى: **﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾** ، **﴿يُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾** ، أَيْ تَأْخُذُ الْمَلَائِكَةُ بنواصيهم، أي بشعور مقدم رؤوسهم وَأَقْدَامِهِمْ فَيَقْذِفُونَهُمْ فِي النَّارِ. وَالنَّوَاصِي جَمْعُ نَاصِيَةٍ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: يُجْمَعُ بَيْنَ نَاصِيَتِهِ وَقَدَمَيْهِ فِي سِلْسِلَةٍ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ. وَعَنْهُ: يُؤْخَذُ بِرِجْلَيِ الرجل فيجمع بينهما وبين ناصية حَتَّى يَنْدَقَّ ظَهْرُهُ

ثُمَّ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ. وَقِيلَ: يُفْعَلُ ذَلِكَ بِهِ لِيَكُونَ أَشَدَّ لِعَذَابِهِ وَأَكْثَرَ لِتَشْوِيهِهِ. وَقِيلَ: تَسْحَبُهُمُ الْمَلَائِكَةُ إِلَى النَّارِ، تَارَةً تَأْخُذُ بِنَاصِيَتِهِ وَتَجُرُّهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ، وَتَارَةً تَأْخُذُ بِقَدَمَيْهِ وَتَسْحَبُهُ عَلَىٰ رَأْسِهِ " .

وقال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير" (٢٧/ ٢٦٢-٢٦٣) : **﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾** .

هَذَا اسْتِئْنَاف بياني ناشىء عَنْ قَوْلِهِ: **﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾** [الرَّحْمَن:٣٩] ، أَيْ يُسْتَغْنَىٰ عَنْ سُؤَالِهِمْ بِظُهُورِ عَلَامَاتِهِمْ لِلْمَلَائِكَةِ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُونَ أَخْذَ عِقَابٍ وَيُسَاقُونَ إِلَى الْجَزَاءِ.

وَالسِّيمَا: الْعَلَامَةُ. وَتَقَدَّمَتْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾** فِي آخِرِ سُورَةِ [الْبَقَرَةِ:٢٧٣] .

وَ (الْ) فِي **﴿بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾** عِوَضٌ عَنِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، أَيْ بِنَوَاصِيهِمْ وَأَقْدَامِهِمْ وَهُوَ اسْتِعْمَالٌ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ

وَالنَّوَاصِي: جَمْعُ نَاصِيَةٍ وَهِيَ الشَّعْرُ الَّذِي فِي مُقَدَّمِ الرَّأْسِ، وَتَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾** فِي سُورَةِ [هُودٍ:٥٦] .

وَالْأَخْذُ بالناصية أَخذ تمكّن لَا يُفْلِتُ مِنْهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: **﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ﴾** [العلق: ١٥] .

وَالْأَقْدَامُ: جَمْعُ قَدَمٍ، وَهُوَ ظَاهِرُ السَّاقِ مِنْ حَيْثُ تُمْسِكُ الْيَدُ رِجْلَ الْهَارِبِ فَلَا يَسْتَطِيعُ انْفِلَاتًا وَفِيهِ أَيْضًا يُوضَعُ الْقَيْدُ، قَالَ النَّابِغَةُ:

أَوْ حُرَّةٌ كَمَهَاةِ الرَّمْلِ قَدْ كُبِلَتْ فَوْقَ الْمَعَاصِمِ مِنْهَا والعراقيب" .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَنْ أَشَدُّ النَّاسِ حَسْرَةً يَوْم القِيَامَة ؟ .

الجواب : قال الإمام محمَّد بن أحمد بن عبد الرَّحمن، أبو الحسين المَلَطي العسقلاني في " التَّنبيه والرَّدُّ على أهل الأهواء والبدع " (ص١١١) : " قَالَ عِكْرِمَة : أَشد النَّاس حسرة يَوْم الْقِيَامَة رجل أبْصر مَاله فِي ميزَان غَيره إِنَّه يَأْكُل كفيه إِلَى إبطَيْه ثمَّ ينبتان ثمَّ يأكلهما حسرة وندامة حَتَّى يقْضِي الله فِي أمره مَا أَرَادَ " .

وقال الإمام السَّمعاني في " تفسير القرآن" (٢/ ٢٦٤) : " قَالَ الْحسن: أَشد النَّاس حسرة يَوْم القيامه من يرى مَاله فِي ميزَان غَيره " .

وروىٰ أبو نعيم الأصبهاني في " حلية الأولياء وطبقات الأصفياء " (٧/ ٢٨٨) بسنده عَنْ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، قَالَ: " كَانَ يُقَالُ: أَشَدُّ النَّاسِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ كَانَ لَهُ عَبْدٌ فَجَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَفْضَلَ عَمَلًا

مِنْهُ ، وَرَجُلٌ لَهُ مَالٌ فَلَمْ يَتَصَدَّقْ مِنْهُ فَمَاتَ فَوَرِثَهُ غَيْرُهُ فَتَصَدَّقَ مِنْهُ ، وَرَجُلٌ عَالِمٌ لَمْ يَنْتَفِعْ بِعِلْمِهِ فَعَلَّمَهُ غَيْرَهُ فَانْتَفَعَ بِهِ " . وانظر : صفة الصفوة (٢/ ٢٣٥) ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (١١/ ١٩٣) .

وقال الإمام ابن عبد البر في " جامع بيان العلم وفضله " (١/ ٧٠٨ برقم) : " قَالَ الْحَسَنُ: " إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلَانِ: رَجُلٌ نَظَرَ إِلَى مَالِهِ فِي مِيزَانِ غَيْرِهِ سَعِدَ بِهِ وَشَقِيٌّ هُوَ بِهِ، وَرَجُلٌ نَظَرَ إِلَى عِلْمِهِ فِي مِيزَانِ غَيْرِهِ سَعِدَ بِهِ وَشَقِيَّ هُوَ بِهِ " .

وقال القرطبي في " التَّذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة" (ص٨٩٣) : " قال بعض السَّادة: أشدُّ النَّاس حسرة يوم القيامة ثلاثة: رجل ملك عبداً فعلَّمه شرائع الإسلام، فأطاع وأحسن وعصىٰ السيِّد، فإذا كان يوم القيامة أُمر بالعبدِ إلىٰ الجنَّة، وأُمر بسيِّده إلىٰ النَّار، فيقول عند ذلك: واحسرتاه! وأغبناه! أما هذا عبدي؟ أما كنت مالكاً لمهجته وماله؟ وقادراً علىٰ جميع ماله؟ فما له سعد، وما لي شقيت؟ فيناديه الملك الموكَّل به: لأنَّه تأدَّب، وما تأدَّبت، وأحسن، وأسأت ورجل كسب مالاً فعصىٰ الله تعالىٰ في جمعه ومنعه ولم يقدِّمه بين يديه حتىٰ صار إلىٰ وارثه، فأحسن في إنفاقه وأطاع الله سبحانه في إخراجه، وقدَّمه بين يديه، فإذا كان يوم القيامة أمر بالوارث إلىٰ الجنَّة، وأمر بصاحب المال إلىٰ النَّار، فيقول: وحسرتاه! واغبناه! أما هذا ما لي فما أحسنت به أحوالي وأعمالي..

فيناديه الملك الموكَّل به: لأنَّه أطاع الله، وما أطعت، وأنفق لوجهه وما أنفقت، فسعد وشقيت.

ورجل علَّم قوماً ووعظهم فعملوا بقوله ولم يعمل، فإذا كان يوم القيامة أمر بهم إلىٰ الجنَّة، وأمر به إلىٰ النَّار، فيقول: واحسرتاه! واغبناه! أما هذا علمي؟ فما لهم فازوا به وما فزت؟ وسلموا به وما سلمت؟ فيناديه الملك الموكَّل به: لأنَّهم عملوا بما قلت، وما عملت، فسعدوا وشقيت. ذكره أبو الفرج بن الجوزي" .

وذكر الإمام السَّخاوي في " البلدانيَّات " (ص٢٥٦) عَنْ إِبْرَاهِيم بْن مُحَمَّد الْكِنْدِيّ قَالَ دَخَلَ الْحَسَن بْن أَبِي الْحَسَن عَلَىٰ عَمْرو بْن الْهَيْثَم التَّمِيمِي يعودهُ فَجعل يقلب عَيْنَيْهِ فِي جَوَانِب الْبَيْت ، فَقَالَ لَهُ الْحَسَن : أَرَاك تقلب عَيْنَيْك ، فَقَالَ : مَا تَقول فِي مئة ألف فِي هَذَا الصندوق وَلَمْ تُؤَد مِنْهَا زَكَاة وَلَمْ توصل مِنْهَا رحم ، قَالَ : وَلِمَ ذَاك للهَّ أَبوك ؟ قَالَ : لروعة الزَّمَان ، وجفوة السُّلْطَان ، ومكاثرة الْعَشِيرَة ، فَلَمَّا كَانَ الْغَد دعِي الْحَسَن إِلَىٰ جنَازَته فحضره وَصلَّىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ تبعه إِلَىٰ قَبره فَقَال : أنظروا إِلَىٰ صَاحب هَذَا الْقَبْر أَتا شَيْطَانه فحذَّره روعة زَمَانه ، وجفوة سُلْطَانه عَمَّا استودعه اللهَّ إِيَّاه واسترعاه فِيهِ ، ثُمَّ خرج مِنْهُ سليباً حريباً ذَمِيمًا ، فيا هَذَا

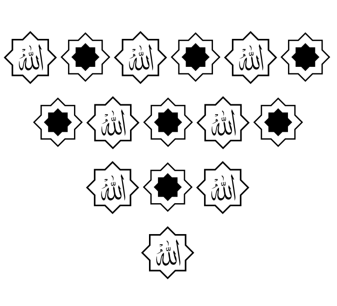
الْوَارِث إِنَّ هَذَا الْمَال قَدْ أَتَاك حَلَالاً فَلَا يكونن عَلَيْك وبالاً ، أَتَاك مِمَّن كَانَ لَهُ جموعاً منوعاً من بَاطِل جمعه ، وَعَن حقٍّ مَنعه ، ركب بِهِ لجج الْبحار ومفاوز القفار ، جمعه فأوعاه وشده فأوكاه ، أَلا إِنَّ أَشدَّ النَّاس حسرة يَوْم الْقِيَامَة رجل أَتَاهُ اللهَّ مَالا فبخل بِهِ عَمَّا أمره اللهَّ فِيهِ فورثه من بعده وَارِث عمل فِيهِ بِطَاعَة اللهَّ ، فَهُوَ ينظر إِلَى كَسبه فِي ميزَان غَيره ، فيا لَهَا تَوْبَة لَا تنَال ، وعثرة لَا تقال" . وانظر : : سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني (١/ ٧٤٣)

وقال الإمام السَّفاريني في " غذاء الألباب شرح منظومة الآداب " (٢/ ٤٩) : " أَشَدُّ النَّاسِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ : رَجُلٌ جَمَعَ مَالَهُ مِنْ حِلٍّ وَحَرَمٍ وَمَنَعَ مِنْهُ حُقُوقَ اللهَّ ، ثُمَّ مَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَجَاءَ وَارِثُهُ فَوَجَدَ مَالًا حَاصِلًا مُجْتَمِعًا فَصَرَفَهُ فِي وُجُوهِ الْبِرِّ ، ثُمَّ مَاتَ فَدَخَلَ بِهِ الْجَنَّةَ فَذَاكَ جَمَعَهُ وَصَرَفَ فِي جَمْعِهِ عُمْرَهُ ، ثُمَّ دَخَلَ بِهِ النَّارَ ، وَهَذَا وَجَدَهُ مَجْمُوعًا لَمْ يَصْرِفْ مِنْ عُمْرِهِ فِي جَمْعِهِ لَحْظَةً وَاحِدَةً وَدَخَلَ بِهِ الْجَنَّةَ . وَمِثْلُ هَذَا عَالِمٌ عَلَّمَ النَّاسَ الْعِلْمَ فَانْتَفَعُوا بِعِلْمِهِ فَدَخَلُوا الْجَنَّةَ ، وَهُوَ دَخَلَ النَّارَ لِعَدَمِ عَمَلِهِ بِمَا يَعْلَمُ ، وَكَذَا رَجُلٌ اشْتَرَى عَبْدًا كَافِرًا فَأَسْلَمَ وَدَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَوْلَاهُ دَخَلَ النَّارَ بِإِسَاءَتِهِ إلَيْهِ ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ . وَأَشَارَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ إلَى قَضِيَّةِ مَا قَدَّمْنَا مِنْ تَشْبِيهِ الْإِنْسَانِ بِدُودِ الْقَزِّ فَقَالَ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَرْءَ طُولَ حَيَاتِهِ ... مُعَنًّى بِأَمْرٍ لَا يَزَالُ يُعَالِجُهْ
كَدُودِ الْقَزِّ يَنْسِجُ دَائِمًا وَيَهْلِكُ ... غَمًّا وَسْطَ مَا هُوَ نَاسِجُهْ

وَقَالَ آخَرُ :

يُفْنِي الْحَرِيصُ بِجَمْعِ الْمَالِ مُدَّتَهُ ... وَلِلْحَوَادِثِ مَا يُبْقِي وَمَا يَدَعُ
كَدُودَةِ الْقَزِّ مَا تَبْنِيهِ يُهْلِكُهَا ... وَغَيْرُهَا بِالَّذِي تَبْنِيهِ يَنْتَفِعُ



﴿الفَصْلُ الثَّالِثُ﴾

۞۞۞ أَسْبَابُ الهَلَاكِ وَأَسْبَابُ النَّجَـــــــــــاةِ مِنَ النَّار ۞۞۞

جعل الله تعالىٰ لدخول النَّار أسباباً وكذا للنَّجاة منها ...جاء ذلك في محكم القرآن العظيم وصحيح الحديث الشَّريف ... وذلك كي يكون الخلق علىٰ بصيرة من أمرهم ... فيعملوا بما يحقِّقُ نجاتهم ، ويبتعدوا عمَّا سبيله الوصول بهم إلىٰ الهاوية ... فالطَّاعات وسائر القُرُبات سبيل للنَّجاة ، والولوغ في الشَّهوات وسائر المحرَّمات والموبقات سبيل للهلكة ودخول النَّار ...

وللإحاطة بأسباب الهلاك ودخول النَّار وكذا بأسباب النَّجاة ،كان هذا الفصّل الذي اشتمل علىٰ الأسئلة التَّالية وأجوبتها ...

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا هِيَ أَسْبَابُ دُخُوْلِ النَّار ؟

الجواب : لدخول النَّار أسباب عديدة ، من أهمِّها:

۞ أَوَّلاً : الكُفْرُ بِالله تَعَالَى :

قال سبحانه : **﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِّ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ﴾** [البقرة:٢٣-٢٤] .

۞ ثَانِيَاً : الشِّرْكُ بِالله تَعَالَى :

قال تعالىٰ : **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهَّ أَنْداداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للهَّ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذابَ أَنَّ الْقُوَّةَ للهَّ جَمِيعاً وَأَنَّ اللهَّ شَدِيدُ الْعَذابِ * إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبابُ * وَقالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَما تَبَرَّؤُا مِنَّا كَذلِكَ يُرِيهِمُ اللهَّ أَعْمالَهُمْ حَسَراتٍ عَلَيْهِمْ وَما هُمْ بِخارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾** [البقرة:١٦٥-١٦٧] .

۞ ثَالِثَاً : النِّفَاقُ :

قال تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَما يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَما يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ بِما كانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة:٨-١٠] ، وقال سبحانه : ﴿إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾ [النساء:١٤٥] .

ﷻ رَابِعَاً : شِرَاءُ لَهْوِ الحَدِيْثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى :

قال تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَها هُزُواً أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ * وَإِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْها كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان:٦-٧] .

ﷻ خَامِسَاً : تَقْلِيْدُ الآبَاءِ وَالأَجْدَادِ فِيْمَا هُمْ عَلَيْهِ عَلَى الدِّيْن :

قال تعالى : ﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَوَلَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٧٠] .

ﷻ سَادِسَاً : الافْتِرَاءُ عَلَى دِيْنِ الله تَعَالَى :

قال تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ * وَقالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ * بَلى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ [البقرة:٧٩-٨١] .

ﷻ سَابِعَاً : الارْتِدَادُ عَنْ دِيْنِ الله تَعَالَى :

قال تعالى : ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرامِ قِتالٍ فِيهِ قُلْ قِتالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَإِخْراجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلا يَزالُونَ يُقاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كافِرٌ فَأُولئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ [البقرة:٢١٧] .

ﷻ ثَامِنَاً : مُحَارَبَةُ الله وَرَسُوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالسَّعْي بِالفَسَادِ فِي الأَرْض :

قال تعالى : ﴿إِنَّما جَزاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللهَّ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَساداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:٣٣] .

ﷻ تَاسِعَاً : مُحَادَدَةُ اللهِ وَرَسُوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

قال تعالى : ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحادِدِ اللهَّ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِداً فِيها ذلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:٦٣]

عَاشِرَاً : إِيْذَاءُ اللهِ وَرَسُوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالمُؤمِنِيْنَ وَالمُؤْمِنَاتِ :

قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَّ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهَّ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً مُهِيناً * وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب:٥٧-٥٨] .

ﷻ حَادِيْ عَشَر : عِصْيَانُ اللهِ وَرَسُوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَعَدِّي حُدُوْدِهِ :

قال تعالى : ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَّ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خالِداً فِيها وَلَهُ عَذابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء:١٤] .

ﷻ ثَانِيْ عَشَر : مُشَاقَقَةُ الرَّسُوْلِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

قال تعالى : ﴿وَمَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَساءَتْ مَصِيراً﴾ [النساء:١١٥] .

ﷻ ثَالِثُ عَشَر : اسْتِحْبَابُ الحَيَاةِ الدُّنيَا عَلَى الآخِرَة :

قال تعالى : ﴿فَإِذا قَضَيْتُمْ مَناسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللهَّ كَذِكْرِكُمْ آباءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا وَما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنا عَذابَ النَّارِ * أُولئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللهَّ سَرِيعُ الْحِسابِ﴾ [البقرة:٢٠٠-٢٠٢] .

ﷻ رَابِعُ عَشَر : الاسْتِكْبَارُ فِي الأَرْض :

قال تعالى : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذاباً أَلِيماً وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهَّ وَلِيًّا وَلا نَصِيراً﴾ [النساء:١٧٣] .

ﷻ خَامِسُ عَشَر : الفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ :

قال تعالى : ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبارَ * وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلى فِئَةٍ فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهَّ وَمَأْواهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال:١٥-١٦] .

﷽ سَادِسُ عَشَر : إحَاطَةُ الخَطِيْئَةِ بِصَاحِبِهَا فَانْعَدَتِ الحَسَنَات :

قال تعالى : ﴿وَقالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهَّ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُّ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهَّ مَا لا تَعْلَمُونَ * بَلى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ [البقرة:٨٠-٨١] .

﷽ سَابِعُ عَشَر : الظُّلْمُ بِأَنْوَاعِه :

قال تعالى : ﴿رَبَّنا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ﴾ [آل عمران:١٩٢] .

﷽ ثَامِنُ عَشَر : أَخَذَةُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ :

قال تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَيُشْهِدُ اللهَّ عَلى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ * وَإِذا تَوَلَّى سَعى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُّ لا يُحِبُّ الْفَسادَ * وَإِذا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَّ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهادُ﴾ [البقرة:٢٠٤-٢٠٦] .

﷽ تِاسِعُ عَشَر : قَسْوَةُ القَلْبِ :

قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا إِلى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْناهُمْ بِالْبَأْساءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلا إِذْ جاءَهُمْ بَأْسُنا تَضَرَّعُوا وَلكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ مَا كانُوا يَعْمَلُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذا فَرِحُوا بِما أُوتُوا أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً فَإِذا هُمْ مُبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ للهَِّ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾ [الأنعام:٤٢-٤٥] .

﷽ عِشْرُوْن : تَوَلِّي الكُفَّارِ وَالفُجَّارِ مِنْ دُوْنِ الْمُؤْمِنِيْن :

قال تعالى : ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصارى أَوْلِياءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَّ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة:٥١] .

﷽ وَاحِدٌ وَعِشْرُوْن : مَّنَعُ ذِكْرِ اسْمِ الله تَعَالَى فِي الْمَسَاجِدِ والسَّعْيُ فِيْ خَرَابِهَا :

قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَساجِدَ اللهَّ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعى فِي خَرابِها أُولئِكَ مَا كانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوها إِلاَّ خائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:١١٤] .

﷽ ثَانِيْ وَعِشْرُوْن : التَّفَرُّقُ وَالاخْتِلَافُ فِي الدِّيْن :

قال تعالى : ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جاءَهُمُ الْبَيِّناتُ وَأُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٠٥] .

ﷻ ثَالِثُ وَعِشْرُوْن : عَدَمُ الانْكِفَافِ وَالتَّنَاهِي عَنْ فِعْلِ الْمُنْكَر :

قال تعالى : **﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلى لِسانِ داوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذلِكَ بِما عَصَوْا وَكانُوا يَعْتَدُونَ * كانُوا لا يَتَناهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كانُوا يَفْعَلُونَ * تَرى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذابِ هُمْ خالِدُونَ﴾** [المائدة:٧٨-٨٠] .

ﷻ رَابِعُ وَعِشْرُوْن : أَكْلُ أَمْوَالِ اليَتَامَى ظُلْماً :

قال تعالى : **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾** [النساء:١٠]

ﷻ خَامِسُ وَعِشْرُوْن : قَتْلُ النَّفْسِ عُدْوَاناً وَظُلْماً بِغَيْرِ حَقٍّ :

قال تعالى : **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجارَةً عَنْ تَراضٍ مِنْكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كانَ بِكُمْ رَحِيماً * وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ عُدْواناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكانَ ذلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً﴾** [النساء:٢٩-٣٠] ، وقال تعالى : **﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِيها وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِيماً﴾** [النساء:٩٣] .

وروى البخاري (٤/ ٣٧ برقم ٢٨٩٨) بسنده عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، التَقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ، فَاقْتَتَلُوا، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَسْكَرِهِ، وَمَالَ الآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، لاَ يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً وَلاَ فَاذَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ، فَقَالَ: مَا أَجْزَأَ مِنَّا اليَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلاَنٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ» ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ، قَالَ: فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ، قَالَ: فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالأَرْضِ، وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالَ: الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفًا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ، فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ، ثُمَّ جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ فِي الأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ: «إِنَّ

الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ " .

ﷻ **سَادِسُ وَعِشْرُوْن : الاعْتِدَاءُ فِي القِصَاصِ :**

قال تعالى : **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصاصُ فِي الْقَتْلى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثى بِالْأُنْثى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّباعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَداءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسانٍ ذلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدى بَعْدَ ذلِكَ فَلَهُ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾** [البقرة:١٧٨] .

ﷻ **سَابِعُ وَعِشْرُوْن :كَنْزُ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَعَدَمُ إِنْفَاقِهَا فِي سَبِيلِ اللهِ :**

قال تعالى : **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبارِ وَالرُّهْبانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوالَ النَّاسِ بِالْباطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمى عَلَيْها فِي نارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوى بِها جِباهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾** [التوبة:٣٤-٣٥] .

ﷻ **سَابِعُ وَعِشْرُوْن : أَكْلُ الرِّبَا :**

قال تعالى : **﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَما يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ مِنَ الْمَسِّ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا فَمَنْ جاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهى فَلَهُ ما سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ وَمَنْ عادَ فَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ * يَمْحَقُ اللهُ الرِّبا وَيُرْبِي الصَّدَقاتِ وَاللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾** [البقرة:٢٧٥-٢٧٦] .

ﷻ **ثَامِنُ وَعِشْرُوْن : البُخْلُ وَأَمْرُ النَّاسِ بِهِ :**

قال تعالى : **﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ عَذاباً مُهِيناً﴾** [النساء:٣٧] .

ﷻ **تَاسِعُ وَعِشْرُوْن : فَرَحُ الانِسَانِ بِمَا لَمْ يُؤت :**

قال تعالى : **﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِما لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفازَةٍ مِنَ الْعَذابِ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾** [آل عمران:١٨٣] .

ﷻ **ثَلَاثُوْن : قَذْفُ المُؤمِنَاتِ المُحْصَنَاتِ الغَافِلَات :**

قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ جاؤُ بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذابٌ عَظِيمٌ * لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَقالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ * لَوْلا جاؤُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَداءِ فَأُولئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الْكاذِبُونَ * وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِيما أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذابٌ عَظِيمٌ * إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْواهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهذا سُبْحانَكَ هَذَا بُهْتانٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمُ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَيُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآياتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النور:١١-١٩] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَناتِ الْغافِلاتِ الْمُؤْمِناتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور:٢٣-٢٤] .

وبمناسبة الحديث عن قذف المؤمنات المحصنات الغافلات لا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ الرَّافضة ما زالوا – وكما هو مقرَّر في كتبهم – يتَّهمون الحصان الرَّزان أمّ المؤمنين بالفاحشة ، مع أنَّ الله تعالى برأها ممَّا اتَّهمها به المنافقون ، ولذلك فقد عدُّوا من الأعمال الشَّنيعة التي سيقومُ بها مَهْدِيُّ الشِّيْعَة : إقامة الحدِّ عَلَىٰ أُمِّ الْمُؤمِنِيْن : عَائِشَة بنت أَبِي بكر ، زوج رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، المبرَّأة بنصِّ القرآن ، ممَّا رماها به أهل النِّفاق والبهتان ... فمن المعلوم أنَّ الله تعالى أنزل قرآناً يُتلىٰ إِلَىٰ يوم القيامة في براءة أم الْمُؤمِنِيْن عَائِشَة ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ممَّا رماها به المبطلون المنافقون ، ومع ذلك أبى النِّفاق والكُفْرُ الرَّافضي المجوسي إلَّا أن يُسطِّر عَلَىٰ أُمِّ الْمُؤمِنِيْن إفكاً آخر...

ففي تفسير قوله الله تعالى : ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنا صالِحَيْنِ فَخانَتاهُما فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِنَ اللهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠] ، قال علماؤهم بأنَّ هذا " مثل ضربه الله لعائشة وحفصة . انظر : تفسير الميزان (١٩/ ٣٤٦) ، التفسير الصافي (٧/ ٢٣٩) .

وفسَّر بعض علمائهم قوله تعالى : ﴿فَخانَتاهُما﴾ بارتكاب الفاحشة...

قال عَلِيّ بن إبراهيم القمِّي في تفسير قوله الله تعالى : ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنا صالِحَيْنِ فَخانَتاهُما فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِنَ اللهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ

الدَّاخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠] ، قال : والله ما عنىٰ بقوله : **﴿فَخانَتاهُما﴾** إلَّا الفاحشة ، وليقيمنَّ الحدَّ عَلَىٰ فلانة فيما أتت في طريق ، وكان فلان يحبُّها . جاء في تفسير نور الثَّقلين (٥/ ٣٧٥) التَّصريح بـ : طلحة ، بدلاً من فلان .

فلمَّا أرادت أن تخرج إلَىٰ(...) . هكذا هو في تفسير القمِّي ، وجاء في البحار (٢٢/ ٢٤٠) ، تفسير نور الثَّقلين (٥/ ٣٧٥) : البصرة ، بدلاً من الفراغ ...

قال لها فلان : لا يحلُّ لك أن تخرجي من غير محْرم ، فزوَّجت نفسها من فلان . انظر : تفسير القمي (٢/ ٣٧٧) ، بحار الأنوار (٢٢/ ٢٤٠) ، تفسير نور الثقلين (٥/ ٣٧٥) .

قال إمامهم المجلسي في " بحار الأنوار" (٢٢/ ٢٤٠) : قوله : إلَّا الفاحشة ، لعلَّها مؤولة بمحض التَّزويج ، وقوله : وليقيمنَّ الحدَّ ، أي القائم عليه السَّلام في الرَّجْعة ، والمراد بفلان : طلحة ...

فالمهدي سَيُقِيّمُ الحدَّ عَلَىٰ عَائِشَة رضي الله عنها في رجعته ، والسَّبب في إقامة الحدِّ عليها هو : لأنَّها زوَّجت نفسها من طلحة بن عبيد الله وهي في طريقها إلَىٰ البصرة ، مع كون ذلك محرَّماً ، لقول الله تعالىٰ : **﴿وَما كانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِّ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذلِكُمْ كانَ عِنْدَ اللهِّ عَظِيماً﴾** [الأحزاب: ٥٣] .

فعائشة إذن – بحسب الرِّواية – هي التي خرجت إلَىٰ البصرة ، وزوَّجت نفسها – كما يزعمون – من طلحة – والعياذ بالله – فما بال حفصة ؟ وهي التي لم تخرُج إلَىٰ البصرة ، ولم تزوِّج نفسها ، وما هي الفاحشة التي ارتكبتها حتَّىٰ يكون قوله تعالىٰ : **﴿فَخانَتاهُما﴾** مثلاً ضربه الله تعالىٰ لعائشة وحفصة ؟

وقد أكَّد الرَّافضة افتراءهم وكذبهم عَلَىٰ السيِّدة عَائِشَة وطلحة بن عبيد الله بما سطَّرته أياديهم الملطَّخة بدماء الغدر والخيانة للأمَّة والدِّين ، حيث ذكروا رواية أخرىٰ في تفسير قوله تعالىٰ : **﴿وَما كانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِّ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذلِكُمْ كانَ عِنْدَ اللهِّ عَظِيماً﴾** [الأحزاب: ٥٣] ، قال إمامهم القُمِّي : " أنَّه كان سبب نزولها أنَّه لما أنزل الله : **﴿النَّبِيُّ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ﴾** [الأحزاب: ٦] ، وحرَّم الله نساء النَّبي عَلَىٰ المُسْلِمِيْن ، غضب طلحة ، فقال : يحرِّم مُحَمَّدٌ علينا نساءه ، ويتزوَّج هو نساءنا ، لئن أمات الله محمَّداً لنفعلنَّ كذا وكذا. انظر : تفسير القمي (٢/ ١٩٥) ، بحار الأنوار (١٧/ ٢٧)، (٢٢/ ١٩٠) ، (٣٢/ ١٠٧) ، التفسير الصافي (٤/ ١٩٩) ، (٦/ ٦٢) ، تفسير نور الثقلين (٤/ ٢٩٨) ، ألف سؤال وإشكال (٢/ ٣٠٧) ، كِتَاب الأربعين للشيرازي (ص٢١٧) ، التفسير الأصفىٰ (٢/ ١٠٠١) ، موسوعة شهادة المعصومين (١/ ٣٢٠) .

والقُمِّيُّ في روايته لم يذكر اسم طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه ، وقد تكرَّر هذا منه غير مرَّة في تفسيره ، وهو من باب التَّقيَّة الشِّيعيَّة ، وقد جاء التَّصريح باسم طلحة عند غير القُمِّي ممَّن روى الرِّواية السَّابقة ، بلفظ "... لئن أمات الله محمَّداً لنركض بين خلاخيل نسائه ، كما ركض بين خلاخيل نسائنا..." .
والخلاخيل : جمع خلخال ، حلية كالسِّوار تلبسُهُ النِّساء في أرجلهنَّ " . انظر : معجم ألفاظ الفقه الجعفري (ص١٠٣٩) ، معجم لغة الفقهاء (ص١٩٩) .

ﷺ وَاحِدٌ وَثَلَاثُوْن : مُلَاعَنَةُ الزَّوْجَةِ كَذِباً :

قال تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْواجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَداءُ إِلاَّ أَنْفُسُهُمْ فَشَهادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهاداتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * وَالْخامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كانَ مِنَ الْكاذِبِينَ * وَيَدْرَؤُا عَنْها الْعَذابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهاداتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكاذِبِينَ * وَالْخامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْها إِنْ كانَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾ [النور:٦-٩] .

ﷺ ثَانِيْ وَثَلاثُوْن : أَخْذُ مَالِ الغَيْرِ بِغَيْرِ حَقٍّ :

روى مسلم (١/ ١٢٤ برقم ١٤٠) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: «فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: «قَاتِلْهُ» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: «فَأَنْتَ شَهِيدٌ»، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: «هُوَ فِي النَّارِ " .

ﷺ ثَالِثُ وَثَلَاثُوْن : اقْتِرَافُ الكَبَائِرِ وَالْمُوْبِقَات :

روى البخاري (٣/ ١٧١ برقم ٢٦٥٣) بسنده عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الكَبَائِرِ، قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ " .

وروى البخاري (٤/ ١٠ برقم ٢٧٦٦) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ» ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ " .

وروى البخاري (٨/ ٣ برقم ٥٩٧٣) بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ " .

وروى البخاري (٨/ ١٣٧ برقم ٦٦٧٥) بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " الكَبَائِرُ: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَاليَمِينُ الغَمُوسُ " .

وروى البخاري (٩/ ١٤ برقم ٦٩٢٠) بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الكَبَائِرُ؟ قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ» قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «ثُمَّ عُقُوقُ الوَالِدَيْنِ» قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «اليَمِينُ الغَمُوسُ» قُلْتُ: وَمَا اليَمِينُ الغَمُوسُ؟ قَالَ: «الَّذِي يَقْتَطِعُ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، هُوَ فِيهَا كَاذِبٌ " .

۞ رَابِعُ وَثَلَاثُوْن : غِشُّ الرَّاعِيْ لِرَعِيَّتِه :

روى مسلم (١/ ١٢٦ برقم ١٤٢) بسنده عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ أَنَّ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ زِيَادٍ عَادَ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ فِي مَرَضِهِ، فَقَالَ لَهُ مَعْقِلٌ: إِنِّي مُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ لَوْلَا أَنِّي فِي الْمَوْتِ لَمْ أُحَدِّثْكَ بِهِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ، وَيَنْصَحُ، إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ " .

وروى أحمد في " المسند" (٣٣/ ٤٢٧ برقم ٢٠٣١٥) بسنده عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: مَرِضَ مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ مَرَضًا ثَقُلَ فِيهِ، فَأَتَاهُ ابْنُ زِيَادٍ يَعُودُهُ، فَقَالَ: إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " مَنِ اسْتُرْعِيَ رَعِيَّةً، فَلَمْ يُحِطْهُمْ بِنَصِيحَةٍ، لَمْ يَجِدْ رِيحَ الْجَنَّةِ، وَرِيحُهَا يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ مِائَةِ عَامٍ "، قَالَ ابْنُ زِيَادٍ: أَلَا كُنْتَ حَدَّثْتَنِي بِهَذَا قَبْلَ الْآنَ؟ قَالَ: " وَالْآنَ لَوْلَا الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ لَمْ أُحَدِّثْكَ بِهِ " . قال الأرنؤوط : " حديث صحيح، وهذا إسناد قوي، هوذة بن خليفة صدوق لا بأس به، وهو من رجال ابن ماجه، ومن فوقه ثقات من رجال الشيخين. عوف: هو ابن أبي جميلة، والحسن: هو البصري. وأخرجه أبو عوانة ٤/ ٤٢٣، وابن قانع في "معجم الصحابة" ٣/ ٧٩ من طريق هوذة بن خليفة، بهذا الإسناد " .

۞ خَامِسُ وَثَلَاثُوْن : تَعَمُّدُ الكَذِبِ عَلَى رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

روى البخاري (١/ ٣٣ برقم ١٠٨) ، مسلم (١/ ١٠ برقم ٢) بسندهما عَنْ عَبْدِ العَزِيزِ، قَالَ أَنَسٌ: إِنَّهُ لَيَمْنَعُنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ حَدِيثًا كَثِيرًا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ تَعَمَّدَ عَلَيَّ كَذِبًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ " .

۞ سَادِسُ وَثَلَاثُوْن : أَمْرُ النَّاس بِالْبِرِّ وَالمَعْرُوْف مَعَ نِسْيَانِ النَّفْس الذِيْ يَصْنَعهُ خُطَبَاءُ السُّوْء :

قال تعالى : **﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾** [البقرة:٤٤] .

وروى البخاري (٤/ ١٢١ برقم ٣٢٦٧) بسنده عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ قِيلَ لِأُسَامَةَ لَوْ أَتَيْتَ فُلاَنًا فَكَلَّمْتَهُ، قَالَ: إِنَّكُمْ لَتُرَوْنَ أَنِّي لاَ أُكَلِّمُهُ إِلَّا أُسْمِعُكُمْ، إِنِّي أُكَلِّمُهُ فِي السِّرِّ دُونَ أَنْ أَفْتَحَ بَابًا لاَ أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ، وَلاَ أَقُولُ

لِرَجُلٍ أَنْ كَانَ عَلَيَّ أَمِيرًا إِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ، بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالُوا: وَمَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ: قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: " يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلاَنُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ " .

وروىٰ البخاري (٩/ ٥٥ برقم ٧٠٩٨) بسنده عَنْ سُلَيْمَانَ، سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ، قَالَ: قِيلَ لِأُسَامَةَ: أَلاَ تُكَلِّمُ هَذَا؟ قَالَ: قَدْ كَلَّمْتُهُ مَا دُونَ أَنْ أَفْتَحَ بَابًا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَفْتَحُهُ، وَمَا أَنَا بِالَّذِي أَقُولُ لِرَجُلٍ، بَعْدَ أَنْ يَكُونَ أَمِيرًا عَلَىٰ رَجُلَيْنِ: أَنْتَ خَيْرٌ، بَعْدَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " يُجَاءُ بِرَجُلٍ فَيُطْرَحُ فِي النَّارِ، فَيَطْحَنُ فِيهَا كَطَحْنِ الحِمَارِ بِرَحَاهُ، فَيُطِيفُ بِهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلاَنُ، أَلَسْتَ كُنْتَ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ أَفْعَلُهُ، وَأَنْهَىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَفْعَلُهُ " .

وروىٰ أحمد في " المسند" (١٩/ ٢٤٤ برقم ١٢٢١١) بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَىٰ قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ. قَالَ: قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالُوا: خُطَبَاءُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا مِمَّنْ كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ، وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ، أَفَلَا يَعْقِلُونَ "

. قال الأرنؤوط : " حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان، لكن قد توبع كما سيأتي، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الصحيح. وسيتكرر من هذا الطريق برقم (١٢٨٥٦) ، وهو في "الزهد" لوكيع (٢٩٧) ، ومن طريقه أخرجه أيضاً ابن أبي شيبة ١٤/ ٣٠٨، وأبو يعلىٰ (٣٩٩٦) ، وأخرجه ابن المبارك في "الزهد" (٨١٩) ، وعبد بن حميد (١٢٢٢) ، وابن أبي الدنيا في "الصمت" (٥١٣) ، والخطيب في "تاريخ بغداد" ٦/ ١٩٩-٢٠٠ و١٢/ ٤٧، وفي "موضح أوهام الجمع والتفريق" ٢/ ١٧٠، والبغوي في "شرح السنة" (٤١٥٩) ، وفي "تفسيره" ١/ ٦٨ من طرق عن حماد بن سلمة، بهذا الإسناد. وأخرجه أبو يعلىٰ (٤٠٦٩) ، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٤٩٦٥) من طريق معتمر بن سليمان، وأبو نعيم في "الحلية" ٨/ ١٧٢ من طريق ابن المبارك، كلاهما عن سليمان التيمي، عن أنس. والإسنادان صحيحان. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسير سورة البقرة (٤٧٦) ، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٤٩٦٦) من طريق هشام الدستوائي، عن المغيرة بن حبيب ختن مالك ابن دينار، عن ثُمامة، عن أنس. وإسناده محتمل للتحسين. وأخرجه البيهقي (٤٩٦٦) من طريق صدقة بن موسي، عن مالك بن دينار، عن ثمامة، عن أنس. وصدقة ضعيف. وأخرجه أبو يعلىٰ (٤١٦٠) ، وابن حبان (٥٣) ، وأبو نعيم في "الحلية" ٢/ ٣٨٦-٣٨٧ من طريق المغيرة بن حبيب، وأبو نعيم ٨/ ٤٣-٤٤ من طريق إبراهيم بن أدهم، كلاهما عن مالك بن دينار، عن أنس -بإسقاط ثمامة. وأخرجه البيهقي في "الشعب" (٤٩٦٧) من طريق سفيان، عن خالد بن سلمة المخزومي، عن أنس. وإسناده منقطع، خالد لم يسمع من أنس " .

قال الإمام القرطبي في " التَّذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة " (ص٨٩٣) : " قال إبراهيم النَّخعي رضي الله عنه: إنِّي لأكره القصص لثلاث آيات: قوله تعالىٰ: **﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾** [البقرة:٤٤] ،

وقوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٢-٣]، وقوله تعالى: ﴿وَما أُرِيدُ أَنْ أُخالِفَكُمْ إِلى مَا أَنْهاكُمْ عَنْهُ﴾ [هود:٨٨].

قلت: وألفاظ هذه الأبيات تدلُّ على ما ذكرناه من الأحاديث على أنَّ عقوبة من كان عالماً بالمعروف وبالمنكر، وبوجوب القيام بوظيفة كلّ واحد منهما أشدّ ممَّن لم يعلمه، وإنَّما كان كذلك لأنَّه كالمستهين بحرمات الله، ويستحقّ لأحكامه، وهو كمن لم ينتفع بعمله ".

ﷺ سَابِعُ وَثَلَاثُوْن: كُفْرَانُ العَشِيْرِ مِقِبَلِ النِّسَاء:

روى البخاري (١/٦٨ برقم ٣٠٤) بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى المُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ»، قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ شَهَادَةُ المَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا" .

وروى البخاري (١/١٥ برقم ٢٩) بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ» قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللهِ؟ قَالَ: " يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ " .

ﷺ ثَامِنُ وَثَلَاثُوْن: إِيْذَاءُ الجَار:

روى مسلم (١/٦٨ برقم ٤٦) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ" .

وروى أحمد في " المسند" (١٥/٤٢١ برقم ٩٦٧٥) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا، وَصِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: " هِيَ فِي النَّارِ "، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، وَصَلَاتِهَا، وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ، وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: " هِيَ فِي الْجَنَّةِ " . قال الأرنؤوط: " إسناده حسن، أبو يحيى مولى جعدة لم يرو عنه غير سليمان الأعمش، وروى له مسلم متابعة، والبخاري في "الأدب المفرد"، وابن ماجه، ووثقه ابن معين وابن حبان والذهبي في "الميزان"، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين. وأخرجه ابن حبان (٥٧٦٤) من طريق أبي أسامة، بهذا الإسناد. وأخرجه البخاري في "الأدب

المفرد" (١١٩) ، والبزار (١٩٠٢ - كشف الأستار) ، والخرائطي في "مساوئ الأخلاق" (٣٨٥) و (٦١٦) ، والحاكم ١٦٦/٤، والبيهقي في "الشعب" (٩٥٤٥) و (٩٥٤٦) من طرق عن الأعمش، به. قوله: "أثوار أقِط"، الأثوار: جمع ثَوْرٍ: وهي القطعة من الأقِط، والأقِط -بفتح الهمزة وكسر القاف، وقد تسكن القاف للتخفيف مع فتح الهمزة وكسرها-: لَبَن جامد مستَحجِر " .

ﷻ تَاسِعُ وَثَلَاثُوْن : التَّجَبُّرُ وَالتَّكَبُّرُ :

روىٰ مسلم (٤/ ٢١٨٦ برقم ٢٨٤٦) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " احْتَجَّتِ النَّارُ، وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتْ: هَذِهِ يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ، وَالْمُتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتْ: هَذِهِ يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ، وَالْمَسَاكِينُ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِهَذِهِ: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ - وَرُبَّمَا قَالَ: أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ - وَقَالَ لِهَذِهِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا" .

وروىٰ مسلم (١/ ٩٣ برقم ٩١) بسنده عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ " .

ﷻ أَرْبَعُوْن : إِعَانَةُ الظَّلَمَةِ عَلَى ظُلْمِهِم :

روىٰ مسلم (٣/ ١٦٨٠ برقم ٢١٢٨) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا " .

ﷻ وَاحِدٌ وَأَرْبَعُوْن : اقْتِرَافُ جَرِيْمَةِ الزِّنَا :

روىٰ البخاري (٢/ ١٠٠ برقم ١٣٨٦) بسنده عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّىٰ صَلاَةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟» قَالَ: فَإِنْ رَأَىٰ أَحَدٌ قَصَّهَا، فَيَقُولُ: «مَا شَاءَ اللهُ» فَسَأَلَنَا يَوْمًا فَقَالَ: «هَلْ رَأَىٰ أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟» قُلْنَا: لاَ، قَالَ: «لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَىٰ الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ، بِيَدِهِ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ» قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ مُوسَىٰ: " إِنَّهُ يُدْخِلُ ذَلِكَ الكَلُّوبَ فِي شِدْقِهِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الآخَرِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْتَئِمُ شِدْقُهُ هَذَا، فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالاَ: انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّىٰ أَتَيْنَا عَلَىٰ رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَىٰ قَفَاهُ وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَىٰ رَأْسِهِ بِفِهْرٍ - أَوْ صَخْرَةٍ - فَيَشْدَخُ بِهِ رَأْسَهُ، فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَهْدَهَ الحَجَرُ،

فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ، فَلاَ يَرْجِعُ إِلَى هَذَا حَتَّى يَلْتَئِمَ رَأْسُهُ وَعَادَ رَأْسُهُ كَمَا هُوَ، فَعَادَ إِلَيْهِ، فَضَرَبَهُ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالاَ: انْطَلِقْ فَانْطَلَقْنَا إِلَى ثَقْبٍ مِثْلِ التَّنُّورِ، أَعْلاَهُ ضَيِّقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارًا، فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجُوا، فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا، وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالاَ: انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى وَسَطِ النَّهَرِ - قَالَ يَزِيدُ، وَوَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ: عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ - وَعَلَى شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهَرِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ، فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ، فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالاَ: انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، فِيهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ، وَفِي أَصْلِهَا شَيْخٌ وَصِبْيَانٌ، وَإِذَا رَجُلٌ قَرِيبٌ مِنَ الشَّجَرَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ نَارٌ يُوقِدُهَا، فَصَعِدَا بِي فِي الشَّجَرَةِ، وَأَدْخَلاَنِي دَارًا لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا، فِيهَا رِجَالٌ شُيُوخٌ وَشَبَابٌ، وَنِسَاءٌ، وَصِبْيَانٌ، ثُمَّ أَخْرَجَانِي مِنْهَا فَصَعِدَا بِي الشَّجَرَةَ، فَأَدْخَلاَنِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ فِيهَا شُيُوخٌ، وَشَبَابٌ، قُلْتُ: طَوَّفْتُمَانِي اللَّيْلَةَ، فَأَخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتُ، قَالاَ: نَعَمْ، أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ، فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالكَذْبَةِ، فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ يُشْدَخُ رَأْسُهُ، فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللهُ القُرْآنَ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ، يُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي الثَّقْبِ فَهُمُ الزُّنَاةُ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهَرِ آكِلُوا الرِّبَا " ...

۞ ثَانِيْ وَأَرْبَعُوْن : أَكْلُ أَمْوَالِ النَّاسِ بِغَيْرِ وَجْهٍ حَق :

روى الطَّبراني في " المعجم الكبير" (٧/ ٣١٠ برقم ٧٢٢٦) بسنده عَنْ شُفَيِّ بْنِ مَاتِعٍ الْأَصْبَحِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " أَرْبَعَةٌ يُؤْذُونَ أَهْلَ النَّارِ عَلَى مَا بِهِمْ مِنَ الْأَذَى، يَسْعَوْنَ بَيْنَ الْحَمِيمِ وَالْجَحِيمِ ، يَدْعُونَ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ، يَقُولُ أَهْلُ النَّارِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا بَالُ هَؤُلَاءِ قَدْ آذَوْنَا عَلَى مَا بِنَا مِنَ الْأَذَى؟ قَالَ: فَرَجُلٌ مُغْلَقٌ عَلَيْهِ تَابُوتٌ مِنْ جَمْرٍ، وَرَجُلٌ يَجُرُّ أَمْعَاءَهُ، وَرَجُلٌ يَسِيلُ فُوهُ قَيْحًا وَدَمًا، وَرَجُلٌ يَأْكُلُ لَحْمَهُ، قَالَ: فَيُقَالُ لِصَاحِبِ التَّابُوتِ: مَا بَالُ الْأَبْعَدِ قَدْ آذَانَا عَلَى مَا بِنَا مِنَ الْأَذَى؟ قَالَ: فَيَقُولُ: إِنَّ الْأَبْعَدَ مَاتَ وَفِي عُنُقِهِ أَمْوَالٌ إِلَى النَّاسِ مَا نَجِدُ لَهَا قَضَاءً أَوْ وَفَاءً، ثُمَّ يُقَالُ لِلَّذِي يَجُرُّ أَمْعَاءَهُ: مَا بَالُ الْأَبْعَدِ قَدْ آذَانَا عَلَى مَا بِنَا مِنَ الْأَذَى؟ فَيُقَالُ: إِنَّ الْأَبْعَدَ كَانَ لَا يُبَالِي إِنْ أَصَابَ الْبَوْلُ مِنْهُ لَا يَغْسِلُهُ، ثُمَّ يُقَالُ لِلَّذِي يَسِيلُ فُوهُ قَيْحًا وَدَمًا: مَا بَالُ الْأَبْعَدِ قَدْ آذَانَا عَلَى مَا بِنَا مِنَ الْأَذَى؟ فَيَقُولُ: إِنَّ الْأَبْعَدَ كَانَ يَأْكُلُ لُحُومَ النَّاسِ " . قال الهيثمي في " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد" (١/ ٢٠٩ برقم ١٠٣٢) : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ،وَرِجَالُهُ مُوَثَّقُونَ " .

ﷻ ثَالِثُ وَأَرْبَعُوْن : الفِطْرُ قَبْلَ دُخُوْلِ وَقْتِ الإفطَار :

روى ابن حبَّان في " الصَّحيح" (١٦/ ٥٣٦ برقم ٧٤٩١) بسنده أَبِيْ أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ أَتَانِي رَجُلَانِ فَأَخَذَا بِضَبْعَيَّ فَأَتَيَا بِي جَبَلًا وَعْرًا فَقَالَا لِي: اصْعَدْ حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي سَوَاءِ الْجَبَلِ فَإِذَا أَنَا بِصَوْتٍ شَدِيدٍ فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ الْأَصْوَاتُ؟ قَالَ: هَذَا عُوَاءُ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي فَإِذَا بِقَوْمٍ مُعَلَّقِينَ بِعَرَاقِيبِهِمْ مُشَقَّقَةٍ أَشْدَاقُهُمْ تَسِيلُ أَشْدَاقُهُمْ دَمًا ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَقِيلَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُفْطِرُونَ قَبْلَ تَحِلَّةِ صَوْمِهِمْ ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي فَإِذَا بِقَوْمٍ أَشَدِّ شَيْءٍ انْتِفَاخًا وَأَنْتَنِهِ رِيحًا وَأَسْوَئِهِ مَنْظَرًا ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قِيلَ: الزَّانُونَ وَالزَّوَانِي ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي فَإِذَا بِنِسَاءٍ تَنْهَش ثَدْيَهُنَّ الْحَيَّاتُ ، قُلْتُ: مَا بَالُ هَؤُلَاءِ؟ قِيلَ: هَؤُلَاءِ اللَّاتِي يَمْنَعْنَ أَوْلَادهُنَّ أَلْبَانَهُنَّ ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي ، فَإِذَا أَنَا بِغِلْمَانٍ يَلْعَبُونَ بَيْنَ نَهْرَيْنِ فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَقِيلَ: هَؤُلَاءِ ذَرَارِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ شَرَفَ بِي شَرَفًا فَإِذَا أَنَا بِثَلَاثَةٍ يَشْرَبُونَ مِنْ خَمْرٍ لَهُمْ ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالُوا: هَذَا إِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى وَهُمْ يَنْتَظِرُونَكَ" . قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح. رجاله ثقات رجال الشيخين غير بشر بن أبي بكر، فمن رجال البخاري، وسليم بن عامر- وهو أبو يحيى الكلاعي- فمن رجال مسلم. ابن جابر: هو عبد الرحن بن يزيد بن جابر. وهو في "صحيح ابن خزيمة" "١٩٨٦" بأطول منه. وأخرجه ابن خزيمة "١٩٨٦"، والحاكم مختصراً ١/ ٤٣٠ ومن طريقه البيهقي ٤/ ٢١٦ من طريق بحر بن نصر بن سابق الخولاني، عن بشر بن بكر، به، وصححه الحاكم على مسلم، ووافقه الذهبي. وأخرجه الطبراني "٧٦٦٧" من طريق عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، والنسائي في "الكبرى" كما في "التحفة" ٤/ ١٦٦ من طريق الوليد بن مسلم، كلاهما عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، به. واخرجه الطبراني "٧٦٦٦" من طريق معاوية بن صالح عن سليم، به. وذكره الهيثمي في "المجمع" ١/ ٧٦-٧٧ وقال: رواه الطبراني في "الكبير" ورجاله رجال الصحيح " .

ﷻ رَابِعُ وَأَرْبَعُوْن : الخِصَامُ فِيْ البَاطِلِ :

روى أحمد في " المسند" (٩/ ٢٨٣ برقم ٥٣٨٥) بسنده عَنْ يَحْيَى بْنِ رَاشِدٍ قَالَ: خَرَجْنَا حُجَّاجًا عَشَرَةً مِنْ أَهْلِ الشَّامِ حَتَّى أَتَيْنَا مَكَّةَ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ قَالَ: فَأَتَيْنَاهُ فَخَرَجَ إِلَيْنَا يَعْنِي ابْنَ عُمَرَ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَدْ ضَادَّ اللهَ أَمْرَهُ،وَمَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ، فَلَيْسَ بِالدِّينَارِ وَلَا بِالدِّرْهَمِ، وَلَكِنَّهَا الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ، وَمَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُهُ، لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللهِ حَتَّى يَنْزِعَ، وَمَنْ قَالَ: فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللهُ رَدْغَةَ الْخَبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ " .

قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح غير يحيى بن راشد، فقد روى له أبو داود، ووثقه أبو زرعة، وذكره ابن حبان في "الثقات". زهير: هو ابن معاوية. وأخرجه بتمامه الحاكم ٢/ ٢٧، والبيهقي في "السنن " ٦/ ٨٢ من طريق أحمد بن يونس، وفي ٨/ ٣٣٢، وفي "الشعب" (٧٦٧٣) من طريق يحيى بن أبي بكير، كلاهما عن زهير بن معاوية، بهذا الإسناد. وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي . وأخرجه أبو داود (٣٥٩٧) دون قوله: "ومن مات وعليه دين ... " عن أحمد بن يونس، عن زهير بن معاوية، به. وجود

إسناده المنذري في "الترغيب والترهيب". وأخرج القسم الأول منه – وهو قوله: "من حالتْ شفاعته دون حدٍّ. .." الحاكم ٤/ ٣٨٣، والطبراني في "الكبير" (١٣٠٨٤) من طريق عبد اللهُ بن عامر بن ربيعة، عن ابن عمر، به. وله طريق آخر فيه ضعف سيأتي برقم (٥٥٤٤) .
قوله: "أسكنه الله في ردغة الخبال"، قال السندي: بسكون دال وفتحها، وإعجام غينٍ: الطين. والخبال، بفتح خاءٍ معجمة: الفساد. وقد جاء تفسير ردغة الخبال بعصارة أهل النار، وهذا يقتضي أن هذا عقابه في الآخرة. وقوله: "حتىٰ يخرج مما قال" معناه يتطهر باستيفاء موجب إثمه في النار، وقيل: أي يتوب منه، ولا يخفىٰ ما فيه " .

﴿ خَامِسُ وَأَرْبَعُوْن : الدِّياثّةُ وَعَدَمُ الغَيْرَةِ عَلَى الأَعْرَاض :

روىٰ أحمد في " المسند" (٩/ ٢٧٢ برقم ٥٣٧٢) بسنده عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " ثَلَاثَةٌ قَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَالْعَاقُّ، وَالدَّيُّوثُ "، الَّذِي يُقِرُّ فِي أَهْلِهِ الْخَبَثَ " .

﴿ سَادِسُ وَأَرْبَعُوْن : لِبْسُ الحَرِيْرِ فِيْ الدُّنْيَا :

روىٰ البخاري (٧/ ١٥٠ برقم ٥٨٣٢) ، مسلم (٣/ ١٦٤٥ برقم ٢٠٧٣) بسندهما عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ صُهَيْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، قَالَ شُعْبَةُ: فَقُلْتُ: أَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ شَدِيدًا: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَنْ لَبِسَ الحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا فَلَنْ يَلْبَسَهُ فِي الآخِرَةِ" .

﴿ سَابِعُ وَأَرْبَعُوْن : إِرَادَةُ أَهْلِ المَدِيْنَةِ بِسُوْءٍ :

روىٰ مسلم (٢/ ٩٩٢ برقم ١٣٦٣) بسنده عَنْ عَامِرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَ حَدِيثِ ابْنِ نُمَيْرٍ، وَزَادَ فِي الْحَدِيثِ: «وَلَا يُرِيدُ أَحَدٌ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ إِلَّا أَذَابَهُ اللهُ فِي النَّارِ ذَوْبَ الرَّصَاصِ، أَوْ ذَوْبَ الْمِلْحِ فِي الْمَاءِ" .

﴿ ثَامِنُ وَأَرْبَعُوْن : الأَخْذُ مِنَ الغَنِيْمَةِ سِرّاً قَبْلَ قِسْمَتِهَا :

روىٰ البخاري (٤/ ٧٤ برقم ٣٠٧٤) بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: كَانَ عَلَىٰ ثَقَلِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ كِرْكِرَةُ، فَمَاتَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هُوَ فِي النَّارِ» ، فَذَهَبُوا [ص:٧٥] يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَوَجَدُوا عَبَاءَةً قَدْ غَلَّهَا، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: " قَالَ ابْنُ سَلَامٍ: كَرْكَرَةُ يَعْنِي بِفَتْحِ الكَافِ: وَهُوَ مَضْبُوطٌ كَذَا " .

﴿ تَاسِعُ وَأَرْبَعُوْن : اقْتَطَاعُ حَقِّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِاليَمِيْنِ الكَاذِبَة :

روى مسلم (١/ ١٢٢ برقم ١٣٧) بسنده عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ" .

﴿ خَمْسُوْن : قَتْلُ الْمُعَاهِدِ بِغَيْرِ حَقٍّ :

روى البخاري (٤/ ٩٩ برقم ٣١٦٦) بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا" .

وروى أحمد في " المسند" (٣٤/ ٢٠ برقم ٢٠٣٨٣) بسنده عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهَدَةً بِغَيْرِ حِلِّهَا، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ أَنْ يَجِدَ رِيحَهَا " .

﴿ وَاحِدٌ وَخَمْسُوْن : تَوَلِّي قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِ الْمَوَالِي :

روى البخاري (٣/ ٢٠ برقم ١٨٧٠) بسنده عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ، وَهَذِهِ الصَّحِيفَةُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " المَدِينَةُ حَرَمٌ، مَا بَيْنَ عَائِرٍ إِلَى كَذَا، مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلاَ عَدْلٌ، وَقَالَ: ذِمَّةُ المُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ، فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ، وَلاَ عَدْلٌ، وَمَنْ تَوَلَّى قَوْمًا بِغَيْرِ إِذْنِ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ، وَلاَ عَدْلٌ " قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: " عَدْلٌ: فِدَاءٌ " .

﴿ ثَانِيْ وَخَمْسُوْن : اغْتِيَابُ النَّاسِ وَالوَقِيْعَةُ بِأَعْرَاضِهِم :

روى أحمد في " المسند" (٢١/ ٥٣ برقم ١٣٣٤٠) بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَمَّا عَرَجَ بِي رَبِّي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ، يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ. فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ " . قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح على شرط مسلم من جهة عبد الرحمن بن جبير، وأما متابعه راشد بن سعد، فمن رجال أصحاب السنن، وهو ثقة. أبو المغيرة: هو عبد القدوس بن الحجاج الخولاني، وصفوان: هو ابن عمرو السَّكسكي. وأخرجه الضياء في "المختارة" (٢٢٨٥) من طريق عبد الله بن أحمد، عن أبيه، بهذا الإسناد. وأخرجه أبو داود (٤٨٧٨) و (٤٨٧٩) ، وابن أبي الدنيا في "الصمت " (٥٧٧) ، والطبراني في "الأوسط " (٨) ، وفي "الشاميين " (٩٣٢) ، والبيهقي في "الشعب " (٦٧١٦) ، وفي "الآداب " (١٣٨) ، والبغوي في "التفسير " ٤/ ٢١٦، والضياء (٢٢٨٦) من طريق أبي المغيرة عبد القدوس الخولاني، به. وأخرجه أبو داود (٤٨٧٨) ، والبيهقي في "الشعب " (٦٧١٦) ، وفي "الآداب

" (١٣٨) من طريق بقية، عن صفوان، به. وأشار أبو داود بإثر الحديث (٤٨٧٨) إلى أن يحيى بن عثمان حدثه بهذا الحديث عن بقية مرسلاً ليس فيه أنس " .

ﷻ ثَالِثُ وَخَمْسُوْن : إِحْدَاثُ الحَدَثِ أَوْ إِيْوَاءِ المُحْدِث :

روى أحمد في " المسند" (٢/ ٢٨٦ برقم ٩٩٣) بسنده عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ، قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَالْأَشْتَرُ، إِلَى عَلِيٍّ، فَقُلْنَا: هَلْ عَهِدَ إِلَيْكَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا لَمْ يَعْهَدْهُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً؟ قَالَ: لَا، إِلَّا مَا فِي كِتَابِي هَذَا، قَالَ: وَكِتَابٌ فِي قِرَابِ سَيْفِهِ، فَإِذَا فِيهِ " الْمُؤْمِنُونَ تَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، أَلا لَا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ، وَلا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ، مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ، وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ " . قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح على شرط الشيخين. يحيى: هو ابن سعيد القطان، وسماعه من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط. وأخرجه أبو داود (٤٥٣٠) ، والبيهقي ٧/ ١٣٣-١٣٤ من طريق أحمد بن حنبل، بهذا الإسناد. وقرن أبو داود في سننه بأحمد بن حنبل مسددَ بنَ مسرهد. وأخرجه البزار (٧١٤) ، والنسائي ٨/ ١٩، وأبو يعلى (٦٢٨) ، والطحاوي ٣/ ١٩٢، والبغوي (٢٥٣١) من طريق يحيى بن سعيد، به. وأخرجه البزار (١٣٧) ، وأبو يعلى (٨٣٣) ، والبيهقي ٨/ ٢٩ من طريقين عن سعيد بن أبي عروبة، به " .

ﷻ رَابِعُ وَخَمْسُوْن : قَطْعُ الأَرْحَامِ :

روى البخاري (٨/ ٥ برقم ٥٩٨٤) ، مسلم (٤/ ١٩٨١ برقم ٢٥٥٦) بسندهما عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، قَالَ: إِنَّ جُبَيْرَ بْنَ مُطْعِمٍ، أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ "

وروى مسلم (٤/ ١٩٨١ برقم ٢٥٥٦) بسنده عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ» قَالَ ابْنُ أَبِي عُمَرَ: قَالَ سُفْيَانُ: يَعْنِي قَاطِعَ رَحِمٍ .

ﷻ خَامِسُ وَخَمْسُوْن : بَذَاءَةُ اللِسَان :

روى مسلم (٤/ ٢٢٩٠ برقم ٢٩٨٨) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، يَنْزِلُ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ " .

ﷻ سَادِس وَخَمْسُوْن : التَقَاءُ المُسْلِمَيْنِ بِسَيْفَيْهِمَا :

روى البخاري (١/ ١٥ برقم ٣١) بسنده عَنِ الأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: ذَهَبْتُ لِأَنْصُرَ هَذَا الرَّجُلَ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرَةَ فَقَالَ أَيْنَ تُرِيدُ؟ قُلْتُ: أَنْصُرُ هَذَا الرَّجُلَ، قَالَ: ارْجِعْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا التَقَى المُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ» ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا القَاتِلُ فَمَا بَالُ المَقْتُولِ قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ" .

﷽ سابع وَخَمْسُوْن : التَّخْلِيْطُ فِي المَالِ وَتَحْصِيْلُهُ مِنْ غَيْرِ وَجْهِه :

روى البخاري (٤/ ٨٥ برقم٣١١٨) بسنده عَنْ خَوْلَةَ الأَنْصَارِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ» ...

﷽ تَاسِع وَخَمْسُوْن : أَصْنَافٌ أُخْرَى مِنَ النَّاس :

روى أحمد في " المسند" (١٤/ ٢٩ برقم ٨٢٧٧) بسنده عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: تَفَرَّجَ النَّاسُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ لَهُ نَاتِلُ الشَّامِيُّ: أَيُّهَا الشَّيْخُ، حَدِّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى فِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، فَقَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى قُتِلْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، فَقَالَ: مَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ فِيكَ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. فَقَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ: هُوَ عَالِمٌ، فَقَدْ قِيلَ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أَمَرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، فَقَالَ: مَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَّادٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ " . قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير يونس بن يوسف، فمن رجال مسلم. وأخرجه مسلم (١٩٠٥) من طريق الحجاج بن محمد، بهذا الإسناد. وأخرجه مسلم (١٩٠٥) ، والنسائي في "المجتبى" ٦/ ٢٣-٢٤، وفي "الكبرى" (٨٠٨٣) ، والبيهقي ٩/ ١٦٨ من طرق، عن ابن جريج، به. وأخرجه بأطول مما هنا عبد الله بن المبارك في "الزهد" (٤٦٩) ، ومن طريقه البخاري في "خلق أفعال العباد" (٣٣٥) ، والترمذي (٢٣٨٢) ، والنسائي في الرقاق من "الكبرى" كما في "التحفة" ١٠/ ١١١، والطبري في "تفسيره" ١٢/ ١٣، وابن خزيمة (٢٤٨٢) ، وابن حبان (٤٠٨) ، والحاكم ١/ ٤١٨-٤١٩، وأبو نعيم في "الحلية" ٥/ ١٦٩، والبغوي (٤١٤٣) عن حيوة بن شريح، وأبو نعيم في "الحلية" من طريق الليث بن سعد، كلاهما عن الوليد بن أبي الوليد، عن عقبة بن مسلم، عن شفي، عن أبي هريرة. قال الترمذي: حسن غريب، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. ورواية البخاري مختصرة. ناتل الشامي الذي سأل أبا هريرة: هو ناتل بن قيس بن زيد الجذامي الشامي الفلسطيني، سيد جذام بالشام، كان أبوه قيس بن زيد ممن وفد على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشهد ناتل صفين مع معاوية بن أبي سفيان، وكان يومئذٍ على لخم وجذام، خرج على عبد الملك بن مروان فبعث إليه عبدُ الملك عمرو بن سعيد الأشدق فقتله في سنة ست وستين. انظر ترجمته في "تهذيب الكمال" ٢٩/ ٢٥٠ " .

وروى مسلم (٤/ ١٩٩٧ برقم ٢٥٨١) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ

بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ " .

وروى مسلم (٢/ ٦٢٢ برقم ٩٠٤) بسنده عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: كَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ، فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَصْحَابِهِ، فَأَطَالَ الْقِيَامَ، حَتَّى جَعَلُوا يَخِرُّونَ، ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ، ثُمَّ رَفَعَ فَأَطَالَ، ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ، ثُمَّ رَفَعَ فَأَطَالَ، ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ قَامَ فَصَنَعَ نَحْوًا مِنْ ذَاكَ، فَكَانَتْ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، وَأَرْبَعَ سَجَدَاتٍ، ثُمَّ قَالَ: " إِنَّهُ عُرِضَ عَلَيَّ كُلُّ شَيْءٍ تُولَجُونَهُ، فَعُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ، حَتَّى لَوْ تَنَاوَلْتُ مِنْهَا قِطْفًا أَخَذْتُهُ - أَوْ قَالَ: تَنَاوَلْتُ مِنْهَا قِطْفًا - فَقَصُرَتْ يَدِي عَنْهُ، وَعُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ، فَرَأَيْتُ فِيهَا امْرَأَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ تُعَذَّبُ فِي هِرَّةٍ لَهَا، رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ، وَرَأَيْتُ أَبَا ثُمَامَةَ عَمْرَو بْنَ مَالِكٍ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، وَإِنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَخْسِفَانِ إِلَّا لِمَوْتِ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ يُرِيكُمُوهُمَا، فَإِذَا خَسَفَا فَصَلُّوا حَتَّى تَنْجَلِيَ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : سَمِّ لَنا بَعْضَ الدُّعَاةِ إِلَى النَّار ؟

الجواب : جاء في الكتاب العزيز وكذا في السُّنَّة المطهَّرة ذكر لبعض الدُّعاة إلى النَّار ...

ومن أشهر الدَّاعين إلى النَّار : إبليس ، الذي أقسم عند خروجه من الجنَّة بأنَّه سيُغوي النَّاس أجمعين ، قال تعالى : **﴿قالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ * لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾** [ص:٨٢-٨٥] . قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٥/ ٢٢٩) : " لَمَّا طَرَدَهُ بِسَبَبِ آدَمَ حَلَفَ بِعِزَّةِ اللهِ أَنَّهُ يُضِلُّ بَنِي آدَمَ بِتَزْيِينِ الشَّهَوَاتِ وَإِدْخَالِ الشُّبْهَةِ عَلَيْهِمْ، فَمَعْنَى: **﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾** لَأَسْتَدْعِيَنَّهُمْ إِلَى الْمَعَاصِي ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَصِلُ إِلَّا إِلَى الْوَسْوَسَةِ، وَلَا يُفْسِدُ إِلَّا مَنْ كَانَ لَا يَصْلُحُ لَوْ لَمْ يُوَسْوِسْهُ، وَلِهَذَا قَالَ: **﴿إِلَّا عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾** ، أي : الذين أَخْلَصْتَهُمْ لِعِبَادَتِكَ، وَعَصَمْتَهُمْ مِنِّي" .

وقوله تعالى : **﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَوَلَوْ كانَ الشَّيْطانُ يَدْعُوهُمْ إِلى عَذابِ السَّعِيرِ﴾** [لقمان:٢١] .

ومن الآيات التي أشارت إلى بعض الدُّعاة إلى النَّار : قوله تعالى : **﴿أُولئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آياتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾** [البقرة:٢٢١] . قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٦/ ٤١٣) : " قَوْلُهُ: **﴿أُولئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾** فَفِيهِ مَسْأَلَتَانِ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: هَذِهِ الْآيَةُ نَظِيرُ قَوْلِهِ: **﴿مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾** [غَافِرٍ: ٤١] .

فَإِنْ قِيلَ: فَكَيْفَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَرُبَّمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِالنَّارِ أَصْلًا، فَكَيْفَ يَدْعُونَ إِلَيْهَا.

وَجَوَابُهُ: أَنَّهُمْ ذَكَرُوا فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ وُجُوهًا :

أَحَدُهَا: أَنَّهُمْ يَدْعُونَ إِلَى مَا يُؤَدِّي إِلَى النَّارِ، فَإِنَّ الظَّاهِرَ أَنَّ الزَّوْجِيَّةَ مَظِنَّةُ الْأُلْفَةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْمَوَدَّةِ، وَكُلُّ ذَلِكَ يُوجِبُ الْمُوَافَقَةَ فِي الْمَطَالِبِ وَالْأَغْرَاضِ، وَرُبَّمَا يُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَى انْتِقَالِ الْمُسْلِمِ عَنِ الْإِسْلَامِ بِسَبَبِ مُوَافَقَةِ حَبِيبِهِ.

فَإِنْ قِيلَ: احْتِمَالُ الْمَحَبَّةِ حَاصِلٌ مِنَ الْجَانِبَيْنِ، فَكَمَا يُحْتَمَلُ أَنْ يَصِيرَ الْمُسْلِمُ كَافِرًا بِسَبَبِ الْأُلْفَةِ وَالْمَحَبَّةِ، يُحْتَمَلُ أَيْضًا أَنْ يَصِيرَ الْكَافِرُ مُسْلِمًا بِسَبَبِ الْأُلْفَةِ وَالْمَحَبَّةِ، وَإِذَا تَعَارَضَ الِاحْتِمَالَانِ وَجَبَ أَنْ يَتَسَاقَطَا، فَيَبْقَى أَصْلُ الْجَوَازِ.

قُلْنَا: إِنَّ الرُّجْحَانَ لِهَذَا الْجَانِبِ لِأَنَّ بِتَقْدِيرِ أَنْ يَنْتَقِلَ الْكَافِرُ عَنْ كُفْرِهِ يَسْتَوْجِبُ الْمُسْلِمُ بِهِ مَزِيدَ ثَوَابٍ وَدَرَجَةٍ، وَبِتَقْدِيرِ أَنْ يَنْتَقِلَ الْمُسْلِمُ عَنْ إِسْلَامِهِ يَسْتَوْجِبُ الْعُقُوبَةَ الْعَظِيمَةَ، وَالْإِقْدَامُ عَلَى هَذَا الْعَمَلِ دَائِرٌ بَيْنَ أَنْ يَلْحَقَهُ مَزِيدُ نَفْعٍ، وَبَيْنَ أَنْ يَلْحَقَهُ ضَرَرٌ عَظِيمٌ، وَفِي مِثْلِ هَذِهِ الصُّورَةِ يَجِبُ الِاحْتِرَازُ عَنِ الضَّرَرِ، فَلِهَذَا السَّبَبِ رَجَّحَ اللهُ تَعَالَى جَانِبَ الْمَنْعِ عَلَى جَانِبِ الْإِطْلَاقِ.

التَّأْوِيلُ الثَّانِي: أَنَّ فِي النَّاسِ مَنْ حَمَلَ قَوْلَهُ: **﴿أُولئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾** أَنَّهُمْ يَدْعُونَ إِلَى تَرْكِ الْمُحَارَبَةِ وَالْقِتَالِ، وَفِي تَرْكِهِمَا وُجُوبُ اسْتِحْقَاقِ النَّارِ وَالْعَذَابِ وَغَرَضُ هَذَا الْقَائِلِ مِنْ هَذَا التَّأْوِيلِ أَنْ يَجْعَلَ هَذَا فَرْقًا بَيْنَ الذِّمِّيَّةِ وَبَيْنَ غَيْرِهَا، فَإِنَّ الذِّمِّيَّةَ لَا تَحْمِلُ زَوْجَهَا عَلَى الْمُقَاتَلَةِ فَظَهَرَ الْفَرْقُ.

التَّأْوِيلُ الثَّالِثُ: أَنَّ الْوَلَدَ الَّذِي يَحْدُثُ رُبَّمَا دَعَاهُ الْكَافِرُ إِلَى الْكُفْرِ فَيَصِيرُ الْوَلَدُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَهَذَا هُوَ الدعوة إلى النَّار وَاللهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ حَيْثُ أَمَرَنَا بِتَزْوِيجِ الْمُسْلِمَةِ حَتَّى يَكُونَ الْوَلَدُ مُسْلِمًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ " .

وقوله تعالى : **﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾** [القصص: ٤١] . قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢٤/ ٦٠١) : " وَمَعْنَى دَعْوَتِهِمْ إِلَى النَّارِ دَعْوَتُهُمْ إِلَى مُوجِبَاتِهَا مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي فَإِنَّ أَحَدًا لَا يَدْعُو إِلَى النَّارِ

الْبَتَّةَ، وَإِنَّمَا جَعَلَهُمُ اللهَّ تَعَالَىٰ أَئِمَّةً فِي هَذَا الْبَابِ، لِأَنَّهُمْ بَلَغُوا فِي هذا الباب أقص النِّهَايَاتِ، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ اسْتَحَقَّ أَنْ يَكُونَ إِمَامًا يُقْتَدَىٰ بِهِ فِي ذَلِكَ الْبَابِ، ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالَىٰ أَنَّ ذَلِكَ الْعِقَابَ سَيَنْزِلُ بِهِمْ عَلَىٰ وَجْهٍ لَا يُمْكِنُ التَّخَلُّصُ مِنْهُ وَهُوَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿**وَيَوْمَ الْقِيامَةِ لا يُنْصَرُونَ**﴾ ، أَوْ يَكُونُ مَعْنَاهُ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ كَمَا يَنْصُرُ الْأَئِمَّةَ الدُّعَاةَ إِلَىٰ الْجَنَّةِ " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٣/ ٢٨٩) : " ﴿**وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً**﴾ ، أَيْ : جَعَلْنَاهُمْ زُعَمَاءَ يُتَّبَعُونَ عَلَىٰ الْكُفْرِ، فَيَكُونُ عَلَيْهِمْ وِزْرُهُمْ وَوِزْرُ مَنِ اتَّبَعَهُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ عِقَابُهُمْ أَكْثَرَ. وَقِيلَ: جَعَلَ اللهَّ الْمَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ رُؤَسَاءَ السَّفَلَةِ مِنْهُمْ، فَهُمْ يَدْعُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ. وَقِيلَ: أَئِمَّةً يَأْتَمُّ بِهِمْ ذَوُو الْعِبَرِ وَيَتَّعِظُ بِهِمْ أَهْلُ الْبَصَائِرِ. ﴿**يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ**﴾ ، أَيْ : إِلَىٰ عَمَلِ أَهْلِ النَّار " .

ومن الآيات التي أشارت إلىٰ بعض الدُّعاة إلىٰ النَّار : قوله تعالىٰ : ﴿**وَيا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ * تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللهَّ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ**﴾ [غافر:٤١-٤٢] . قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢٧/ ٥١٩) في تفسيره للآية : " يَعْنِي : أَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَىٰ الْإِيمَانِ الَّذِي يُوجِبُ النَّجَاةَ وَتَدْعُونَنِي إِلَىٰ الْكُفْرِ الَّذِي يُوجِبُ النَّارَ، فَإِنْ قِيلَ : لِمَ كَرَّرَ نِدَاءَ قَوْمِهِ، وَلِمَ جَاءَ بِالْوَاوِ فِي النِّدَاءِ الثَّالِثِ دُونَ الثَّانِي؟ قُلْنَا : أَمَّا تَكْرِيرُ النِّدَاءِ فَفِيهِ زِيَادَةُ تَنْبِيهٍ لَهُمْ وَإِيقَاظٌ مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ، وَإِظْهَارُ أَنَّ لَهُ بِهَذَا الْمُهِمِّ مَزِيدَ اهْتِمَامٍ، وَعَلَىٰ أُولَئِكَ الْأَقْوَامِ فَرْطَ شَفَقَةٍ، وَأَمَّا الْمَجِيءُ بِالْوَاوِ الْعَاطِفَةِ فَلِأَنَّ الثَّانِيَ يَقْرُبُ مِنْ أَنْ يَكُونَ عَيْنَ الْأَوَّلِ، لِأَنَّ الثَّانِيَ بَيَانٌ لِلْأَوَّلِ وَالْبَيَانُ عَيْنُ الْمُبَيَّنِ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَلِأَنَّهُ كَلَامٌ مُبَايِنٌ لِلْأَوَّلِ وَالثَّانِي فَحَسُنَ إِيرَادُ الْوَاوِ الْعَاطِفَةِ فِيهِ، وَلَمَّا ذَكَرَ هَذَا الْمُؤْمِنُ أَنَّهُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ النَّجَاةِ وَهُمْ يَدْعُونَهُ إِلَىٰ النَّارِ، فَسَّرَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ يَدْعُونَهُ إِلَىٰ الْكُفْرِ بِاللهَّ وَإِلَىٰ الشِّرْكِ بِهِ، أَمَّا الْكُفْرُ بِاللهَّ فَلِأَنَّ الْأَكْثَرِينَ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ كَانُوا يُنْكِرُونَ وُجُودَ الْإِلَهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يُقِرُّ بِوُجُودِ اللهَّ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُثْبِتُ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ**﴾ الْمُرَادُ بِنَفْيِ الْعِلْمِ نَفْيُ الْمَعْلُومِ، كَأَنَّهُ قَالَ وَأُشْرِكُ بِهِ مَا لَيْسَ بِإِلَهٍ وَمَا لَيْسَ بِإِلَهٍ كَيْفَ يُعْقَلُ جَعْلُهُ شَرِيكًا لِلْإِلَهِ" .

وروىٰ البخاري (٩/ ٥١ برقم ٧٠٨٤) ، مسلم (٣/ ١٤٧٥ برقم ١٨٤٧) بسندهما عَنْ إِدْرِيسَ الخَوْلاَنِيَّ، أَنَّهُ سَمِعَ حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ، يَقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهَّ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا

الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ» قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ» قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَىٰ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا» قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ» قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّىٰ يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ» .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ سَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ جَمِيْعُ عُصَاةِ المُوَحِّدِيْن ؟

الجواب : قامت عقيدة أهل الحقّ علىٰ أنَّ أصحاب المعاصي والآثام من الموحّدين لن يخلَّدوا في النَّار ، ولكنَّهم سيعذَّبون بحسب جرائرهم وأعمالهم مدَّة لا يعلمها إلَّا الله تعالىٰ ، ثمَّ يأمر الله تعالىٰ الملائكة بإخراجهم من النَّار وإدخالهم الجنَّة ... والأدلَّة علىٰ ذلك:

روىٰ البخاري (٩/ ١٢٩ برقم ٧٤٣٩) بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟» ، قُلْنَا: لاَ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ لاَ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ، إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا» ثُمَّ قَالَ: " يُنَادِي مُنَادٍ: لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَىٰ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ، حَتَّىٰ يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، وَغُبَّرَاتٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَىٰ بِجَهَنَّمَ ... ثُمَّ يُؤْتَىٰ بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ "، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الجَسْرُ؟ قَالَ: " مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلاَلِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، المُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّىٰ يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا، فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشَدَةً فِي الحَقِّ، قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ المُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ، وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا، فِي إِخْوَانِهِمْ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا، كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: اذْهَبُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، وَيُحَرِّمُ اللَّهُ صُوَرَهُمْ عَلَىٰ النَّارِ، فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَىٰ قَدَمِهِ، وَإِلَىٰ أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ

عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا " قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَإِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي فَاقْرَءُوا: **﴿إِنَّ اللهَّ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾** [النساء: ٤٠] ،" فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالمَلاَئِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ، فَيَقُولُ الجَبَّارُ: بَقِيَتْ شَفَاعَتِي، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدِ امْتُحِشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ بِأَفْوَاهِ الجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ، وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ، فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ اللُّؤْلُؤُ، فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الخَوَاتِيمُ، فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، فَيَقُولُ أَهْلُ الجَنَّةِ: هَؤُلاَءِ عُتَقَاءُ الرَّحْمَنِ، أَدْخَلَهُمُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلاَ خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلَهُ مَعَهُ " .

وروى البخاري (١٤٦/٩ برقم ٧٥١٠) بسنده عَنْ مَعْبَدُ بْنُ هِلاَلٍ العَنَزِيُّ، قَالَ: اجْتَمَعْنَا نَاسٌ مِنْ أَهْلِ البَصْرَةِ فَذَهَبْنَا إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَذَهَبْنَا مَعَنَا بِثَابِتٍ البُنَانِيِّ إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ لَنَا عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ، فَإِذَا هُوَ فِي قَصْرِهِ فَوَافَقْنَاهُ يُصَلِّي الضُّحَى، فَاسْتَأْذَنَّا، فَأَذِنَ لَنَا وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَى فِرَاشِهِ، فَقُلْنَا لِثَابِتٍ: لاَ تَسْأَلْهُ عَنْ شَيْءٍ أَوَّلَ مِنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ، فَقَالَ: يَا أَبَا حَمْزَةَ هَؤُلاَءِ إِخْوَانُكَ مِنْ أَهْلِ البَصْرَةِ جَاءُوكَ يَسْأَلُونَكَ عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ، فَقَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللهَّ، فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ اللهَّ، وَكَلِمَتُهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَأْتُونِي، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لاَ تَحْضُرُنِي الآنَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ - أَوْ خَرْدَلَةٍ - مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ، فَأَنْطَلِقُ، فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي

أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ " فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ أَنَسٍ قُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا: لَوْ مَرَرْنَا بِالحَسَنِ وَهُوَ مُتَوَارٍ فِي مَنْزِلِ أَبِي خَلِيفَةَ فَحَدَّثْنَاهُ بِمَا حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، فَأَتَيْنَاهُ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لَنَا فَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، فَلَمْ نَرَ مِثْلَ مَا حَدَّثَنَا فِي الشَّفَاعَةِ، فَقَالَ: هِيهْ فَحَدَّثْنَاهُ بِالحَدِيثِ، فَانْتَهَى إِلَى هَذَا المَوْضِعِ، فَقَالَ: هِيهْ، فَقُلْنَا لَمْ يَزِدْ لَنَا عَلَى هَذَا، فَقَالَ: لَقَدْ حَدَّثَنِي وَهُوَ جَمِيعٌ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً فَلاَ أَدْرِي أَنَسِيَ أَمْ كَرِهَ أَنْ تَتَّكِلُوا، قُلْنَا: يَا أَبَا سَعِيدٍ فَحَدِّثْنَا فَضَحِكَ، وَقَالَ: خُلِقَ الإِنْسَانُ عَجُولًا مَا ذَكَرْتُهُ إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمْ حَدَّثَنِي كَمَا حَدَّثَكُمْ بِهِ، قَالَ: " ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي، وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" .

وروى البخاري (٨/ ١١٦ برقم ٦٥٦٦) بسنده عَنْ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، يُسَمَّوْنَ الجَهَنَّمِيِّينَ" .

وروى البخاري (١/ ١٧ برقم ٤٤) بسنده عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: قَالَ أَبَانُ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، حَدَّثَنَا أَنَسٌ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِنْ إِيمَانٍ» مَكَانَ «مِنْ خَيْرٍ» .

وروى البخاري (١/ ١٣ برقم ٢٢) ، مسلم (١/ ١٧٢ برقم ١٨٤ ، واللفظ له) بسندهما عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " يُدْخِلُ اللهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ: انْظُرُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا حُمَمًا قَدِ امْتَحَشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَاةِ، أَوِ الْحَيَا، فَيَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ إِلَى جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَوْهَا كَيْفَ تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً؟ " .

قال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج" (٣/ ٣٧) : " إِنَّ الْحَيَا هُنَا مقصور ، وَهُوَ الْمَطَرُ سُمِّيَ حَيَا لِأَنَّهُ تَحْيَا بِهِ الْأَرْض وَلِذَلِكَ هَذَا الْمَاءُ يَحْيَا بِهِ هَؤُلَاءِ الْمُحْتَرِقُونَ وَتَحْدُثُ فِيهِمُ النَّضَارَةُ كَمَا يُحْدِثُ ذَلِكَ الْمَطَرُ فِي الْأَرْضِ وَاللهُ أَعْلَمُ " .

وقال الحافظ ابن حجر في " فتح الباري" (١١/ ٤٥٨) : " قَالَ بن أَبِي جَمْرَةَ : فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى سُرْعَةِ نَبَاتِهِمْ ، لِأَنَّ الْحَبَّةَ أَسْرَعُ فِي النَّبَاتِ مِنْ غَيْرِهَا وَفِي السَّيْلِ أَسْرَعُ لِمَا يَجْتَمِعُ فِيهِ مِنَ الطِّينِ الرَّخْوِ الْحَادِثِ مَعَ الْمَاءِ مَعَ مَا خَالَطَهُ مِنْ حَرَارَةِ الزِّبْلِ الْمَجْذُوبِ مَعَهُ ، قَالَ : وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ أَنَّهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عَارِفًا بِجَمِيعِ أُمُورِ الدُّنْيَا بِتَعْلِيمِ اللهِ تَعَالَى لَهُ وَإِنْ لَمْ يُبَاشِرْ ذَلِكَ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَنْ هُوَ آخِرُ مَنْ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مِنْ عُصَاةِ الْمُوَحِّدِيْن ؟

الجواب : روى البخاري (٨/ ١١٧ برقم ٦٥٧١) ، مسلم (١/ ١٧٣ برقم ١٨٦) بسندهما عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبْوًا، فَيَقُولُ اللهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا - أَوْ: إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا - فَيَقُولُ: تَسْخَرُ مِنِّي - أَوْ: تَضْحَكُ مِنِّي - وَأَنْتَ المَلِكُ " فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وَكَانَ يَقُولُ: «ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً" .

وروى مسلم (١/ ١٧٤ برقم ١٨٧) بسنده عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهْوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ، لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا، فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ

غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَىٰ مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَيَيْنِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا، قَالَ: بَلَىٰ يَا رَبِّ، هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَىٰ مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَا، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْخِلْنِيهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي مِنْكَ؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ، أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ "، فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ، قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: " مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَىٰ مَا أَشَاءُ قَادِرٌ " .

قال الإمام ابن الجوزي في " كشف الْمُشكل من حديث الصَّحيحين " (١/٣١٩-٣٢٠) : " فَإِن قَالَ قَائِل: كَيفَ قَالَ هَذَا الرَّجل: لقد أَعْطَانِي الله شَيْئاً مَا أعطَاهُ الْأَوَّلين والآخرين وَقد رأىٰ نَفسه فِي النَّار، وَقد علم أَنَّ خلقاً لم يدخلُوا إِلَيْهَا، وَأَنَّ خلقاً فِي الْجنَّة وَهُوَ إِنَّمَا نجا من النَّار فَقَط؟ فَالْجَوَاب من وَجْهَيْن:

أَحدُهُمَا: أَن هَذَا الرجل تفكر فِي ذنُوبه فَرَأىٰ أَنه يسْتَحق الخلود وَطول الْمكْث، فَشكر مُجَرّد الْكَرم لَا فِي مُقَابلَة عمل، وَرَأىٰ أَن كل من جوزي فعلىٰ قدر عمله.

وَالثَّانِي: أَن يكون قَوْله عَائِدًا إِلَىٰ من فِي النَّار من الْمُعَذَّبين.

وَقَوله: " مَا يصيرني مِنْك؟ " أصل التَّصرية الْقطع، وَمِنْه سمِّيت الْمُصراة، لِأَنَّهُ قد قطع حلب لَبنهَا وَجمع، وكلُّ شَيْء قطعته ومنعته فقد صريته، وأنشدوا:

... هواهن إِن لم يصره الله قَاتله

وَالْمعْنَىٰ: مَا الَّذِي يقطع مسألتك ويرضيك.

وَقَوله: " أَتَسْتَهْزِئ مِنِّي؟ " الهزء: السُّخرية، فَأَما الضَّحك الْمُضَاف إِلَىٰ الله سُبْحَانَهُ فَقَالَ أَبُو سُلَيْمَان الْخطابِيّ: الضَّحك الَّذِي يعتري الْبشر غير جَائِز علىٰ الله سُبْحَانَهُ، وَإِنَّمَا هَذَا مثل مَضْرُوب مَعْنَاهُ الْإِخْبَار عَن الرِّضَا وَحسن المجازاة " .

وقال الحافظ ابن حجر في " فتح الباري" (١١/٤٤٣-٤٤٤) : " اتستهزئ بِي وَأَنت ربُّ الْعَالمين" ، قَالَ الْمَازِرِيُّ : هَذَا مُشْكِلٌ ، وَتَفْسِيرُ الضَّحِكِ بِالرِّضَا لَا يَتَأَتَّى هُنَا ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَتْ عَادَةُ الْمُسْتَهْزِئِ أَنْ يَضْحَكَ مِنَ الَّذِي اسْتَهْزَأَ بِهِ ذَكَرَ مَعَهُ ، وَأَمَّا نِسْبَةُ السُّخْرِيَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَهِيَ عَلَى سَبِيلِ الْمُقَابَلَةِ ، وَإِنْ لَمْ يَذْكُرْهُ فِي الْجَانِبِ الْآخَرِ لَفْظًا ، لَكِنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ أَنَّهُ عَاهَدَ مِرَارًا وَغَدَرَ حَلَّ فِعْلُهُ مَحَلَّ الْمُسْتَهْزِئِ ، وَظَنَّ أَنَّ فِي قَوْلِ اللَّهِ لَهُ ادْخُلِ الْجَنَّةَ وَتَرَدُّدِهِ إِلَيْهَا ، وَظَنِّهِ أَنَّهَا مَلْأَى نَوْعًا مِنَ السُّخْرِيَةِ بِهِ جَزَاءً عَلَى فِعْلِهِ ، فَسَمَّى الْجَزَاءَ عَلَى السُّخْرِيَةِ سُخْرِيَةً .

وَنَقَلَ عِيَاضٌ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّ أَلِفَ أَتَسْخَرُ مِنِّي أَلِفُ النَّفْيِ كَهِيَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : **﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فعل السُّفَهَاء مِّنا﴾** [الأعراف:١٥٥] ، عَلَى أَحَدِ الْأَقْوَالِ ، قَالَ : وَهُوَ كَلَامُ مُتَدَلِّلٍ عَلِمَ مَكَانَهُ مِنْ رَبِّهِ وَبَسْطَهُ لَهُ بِالْإِعْطَاءِ ، وَجَوَّزَ عِيَاضٌ أَنَّ الرَّجُلَ قَالَ ذَلِكَ وَهُوَ غَيْرُ ضَابِطٍ لِمَا قَالَ ، إِذْ وَلَهَ عَقْلُهُ مِنَ السُّرُورِ بِمَا لَمْ يَخْطِرْ بِبَالِهِ ، وَيُؤَيِّدُهُ أَنَّهُ قَالَ فِي بَعْضِ طُرُقِهِ عِنْدَ مُسْلِمٍ لَمَّا خَلَصَ مِنَ النَّارِ : " لَقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ شَيْئاً مَا أعطاه أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ .

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي الْمُفْهِمِ : أَكْثَرُوا فِي تَأْوِيلِهِ ، وَأَشْبَهَ مَا قِيلَ فِيهِ أَنَّهُ اسْتَخَفَّهُ الْفَرَحُ وَأَدْهَشَهُ ، فَقَالَ ذَلِكَ ، وَقِيلَ : قَالَ ذَلِكَ لِكَوْنِهِ خَافَ أَنْ يُجَازَى عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ التَّسَاهُلِ فِي الطَّاعَاتِ وَارْتِكَابِ الْمَعَاصِي كَفِعْلِ السَّاخِرِينَ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : أَتُجَازِينِي عَلَى مَا كَانَ مِنِّي ، فَهُوَ كَقَوْلِهِ : **﴿سَخِرَ اللهُ مِنْهُم﴾** [التوبة:٧٩] ، وَقَولِه : **﴿اللهُ يَسْتَهزِئُ بِهِم﴾** [البقرة:١٥] ، أَيْ : يُنْزِلُ بِهِمْ جَزَاءَ سُخْرِيَتِهِمْ وَاسْتِهْزَائِهِمْ ...

قَوْلُهُ : "ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ" بِنُونٍ وَجِيمٍ وَذَالٍ مُعْجَمَةٍ جَمْعُ نَاجِذٍ ، تَقَدَّمَ ضَبْطُهُ فِي كِتَابِ الصّيام ، وَفِي رِوَايَة بن مَسْعُود : فَضَحِك بن مَسْعُودٍ ، فَقَالُوا : مِمَّ تَضْحَكُ ؟ فَقَالَ : هَكَذَا فَعَلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ الرَّجُلُ : أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي ، قَالَ : لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ .

قَالَ الْبَيْضَاوِيُّ : نِسْبَةُ الضَّحِكِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَجَازٌ بِمَعْنَى الرِّضَا ، وَضَحِكُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَقِيقَتِهِ ، وَضحك بن مَسْعُودٍ عَلَى سَبِيلِ التَّأَسِّي . قَوْلُهُ : وَكَانَ يُقَالُ ذَلِكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً . قَالَ الْكَرْمَانِيُّ لَيْسَ هَذَا مِنْ تَتِمَّةِ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ هُوَ مِنْ كَلَامِ الرَّاوِي نَقْلًا عَنِ الصَّحَابَةِ أَوْ عَنْ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ قُلْتُ قَائِلُ وَكَانَ يُقَالُ هُوَ الرَّاوِي كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ وَأَمَّا قَائِلُ الْمَقَالَةِ

الْمَذْكُورَةِ فَهُوَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَبَتَ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ وَلَفْظُهُ أَدْنَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً رَجُلٌ صَرَفَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ وَسَاقَ الْقِصَّةَ وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ مِنْ حَدِيثِ الْمُغِيرَةِ أَنَّ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلَ رَبَّهُ عَنْ ذَلِكَ وَلِمُسْلِمٍ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ هَمَّامٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَدْنَىٰ مَقْعَدِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ أَنْ يُقَالَ لَهُ تَمَنَّ فَيَتَمَنَّىٰ وَيَتَمَنَّىٰ فَيُقَالُ إِنَّ لَكَ مَا تَمَنَّيْتَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ" .

قال الإمام القرطبي في " التَّذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة " (ص٩١٢-٩١٣) : " قوله: " أتستهزئ منِّي؟ ـ وفي رواية: أتسخر؟ ـ والهزوء، والسُّخرية بمعنىً واحد، وفيه تأويلان.

أَحَدُهُمَا : أنَّه صدر منه هذا القول عند غلبة الفرح عليه واستخفافه إيَّاه، كما غلط الذي قال: " اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِيْ وَأَنَا رَبُّكَ" . أخرجه مسلم (٤/ ٢١٠٤ برقم ٢٧٤٧) .

الثَّانِي: أن يكون معناه: أتجازيني علىٰ ما كان منِّي في الدُّنيا من قلَّة احتفالي بأعمالي، وعدم مبالاتي بها؟ فيكون هذا علىٰ وجه المقابلة، كما قال الله تعالىٰ مخبراً عن المنافقين : **﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ * اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾** [البقرة:١٤-١٥] ، أي ينتقم منهم ويجازيهم علىٰ استهزائهم، والاستهزاء في اللغة: الانتقام.

قال الشَّاعر:

قد استهزءوا منهم بألفي مدجج   سراتهم وسط الضحاضح جثم

ومثله: **﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ﴾** [آل عمران:٥٤] ، وهو كثير، وسيأتي لبيان الاستهزاء من الله مزيد بيان، والضَّحك من الله تعالىٰ راجع إلىٰ معنىٰ الرِّضى عن العبد ، فاعلم ذلك " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا مَعْنَى الاسْتِهْزَاء الوَارِدِ فِيْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة:١٥] ؟

الجواب : قال الإمام الطَّبري في " التَّفسير" (١/ ٣١٢ فما بعدها) : " اخْتُلِفَ فِي صِفَةِ اسْتِهْزَاءِ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ الَّذِي ذَكَرَ أَنَّهُ فَاعِلُهُ بِالْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اسْتِهْزَاؤُهُ بِهِمْ كَالَّذِي أَخْبَرَنَا تَبَارَكَ اسْمُهُ أَنَّهُ فَاعِلٌ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى﴾** [الحديد: ١٤] الْآيَةُ، وَكَالَّذِي أَخْبَرَنَا أَنَّهُ فَعَلَ بِالْكُفَّارِ بِقَوْلِهِ: **﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾** [آل عمران: ١٧٨] فَهَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ مِنَ اسْتِهْزَاءِ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ وَسُخْرِيَتِهِ وَمَكْرِهِ وَخَدِيعَتِهِ لِلْمُنَافِقِينَ وَأَهْلِ الشِّرْكِ بِهِ، عِنْدَ قَائِلِي هَذَا الْقَوْلِ

وَمُتَأَوِّلِي هَذَا التَّأْوِيلِ. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ اسْتِهْزَاؤُهُ بِهِمْ: تَوْبِيخُهُ إِيَّاهُمْ وَلَوْمُهُ لَهُمْ عَلَىٰ مَا رَكِبُوا مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ وَالْكُفْرِ بِهِ، كَمَا يُقَالُ: إِنَّ فُلَانًا لَيَهْزَأُ مِنْهُ الْيَوْمَ وَيَسْخَرُ مِنْهُ؛ يُرَادُ بِهِ تَوْبِيخُ النَّاسِ إِيَّاهُ وَلَوْمُهُمْ لَهُ، أَوْ إِهْلَاكُهُ إِيَّاهُمْ وَتَدْمِيرُهُ بِهِمْ، كَمَا قَالَ عَبِيدُ بْنُ الْأَبْرَصِ:

سَائِلْ بِنَا حُجْرَ ابْنَ أُمِّ قَطَّامِ إِذْ ... ظَلَّتْ بِهِ السُّمْرُ النَّوَاهِلُ تَلْعَبُ

فَزَعَمُوا أَنَّ السُّمْرَ وَهِيَ الْقَنَا لَا لَعِبَ مِنْهَا، وَلَكِنَّهَا لَمَّا قَتَلَتْهُمْ وَشَرَّدَتْهُمْ جَعَلَ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهَا لَعِبًا بِمَنْ فَعَلَتْ ذَلِكَ بِهِ؛ قَالُوا: فَكَذَلِكَ اسْتِهْزَاءُ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِمَنِ اسْتَهْزَأَ بِهِ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ وَالْكُفْرِ بِهِ، إِمَّا إِهْلَاكُهُ إِيَّاهُمْ وَتَدْمِيرُهُ بِهِمْ وَإِمَّا إِمْلَاؤُهُ لَهُمْ لِيَأْخُذَهُمْ فِي حَالِ أَمْنِهِمْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ بَغْتَةً، أَوْ تَوْبِيخِهِ لَهُمْ وَلِأَئِمَّتِهِ إِيَّاهُمْ قَالُوا: وَكَذَلِكَ مَعْنَى الْمَكْرِ مِنْهُ وَالْخَدِيعَةِ وَالسُّخْرِيَةِ. وَقَالَ آخَرُونَ: قَوْلُهُ: **﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾** [البقرة: ٩] عَلَىٰ الْجَوَابِ، كَقَوْلِ الرَّجُلِ لِمَنْ كَانَ يَخْدَعُهُ إِذَا ظَفَرَ بِهِ: أَنَا الَّذِي خَدَعْتُكَ وَلَمْ تَكُنْ مِنْهُ خَدِيعَةٌ وَلَكِنْ قَالَ ذَلِكَ إِذْ صَارَ الْأَمْرُ إِلَيْهِ. قَالُوا: وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: **﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾** [آل عمران: ٥٤] وَاللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ عَلَىٰ الْجَوَابِ، وَاللَّهُ لَا يَكُونُ مِنْهُ الْمَكْرُ وَلَا الْهُزْءُ. وَالْمَعْنَىٰ: أَنَّ الْمَكْرَ وَالْهُزْءَ حَاقَ بِهِمْ.

وَقَالَ آخَرُونَ: قَوْلُهُ: **﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾** ، وَقَوْلُهُ: **﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾** [النساء: ١٤٢] ، وَقَوْلُهُ: **﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾** [التوبة: ٧٩] وَ **﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾** [التوبة: ٦٧] ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ أَنَّهُ مُجَازِيهِمْ جَزَاءَ الِاسْتِهْزَاءِ، وَمُعَاقِبُهُمْ عُقُوبَةَ الْخِدَاعِ. فَأَخْرَجَ خَبَرَهُ عَنْ جَزَائِهِ إِيَّاهُمْ وَعِقَابِهِ لَهُمْ مُخْرَجَ خَبَرِهِ عَنْ فِعْلِهِمُ الَّذِي عَلَيْهِ اسْتَحَقُّوا الْعِقَابَ فِي اللَّفْظِ وَإِنِ اخْتَلَفَ الْمَعْنَيَانِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: **﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾** [الشورى: ٤٠] ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْأُولَىٰ مِنْ صَاحِبِهَا سَيِّئَةٌ إِذْ كَانَتْ مِنْهُ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَعْصِيَةً، وَأَنَّ الْأُخْرَىٰ عَدْلٌ لِأَنَّهَا مِنَ اللَّهِ جَزَاءٌ لِلْعَاصِي عَلَىٰ الْمَعْصِيَةِ. فَهُمَا وَإِنِ اتَّفَقَ لَفْظَاهُمَا مُخْتَلِفَا الْمَعْنَىٰ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: **﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾** [البقرة: ١٩٤] ، فَالْعُدْوَانُ الْأَوَّلُ ظُلْمٌ، وَالثَّانِي جَزَاءٌ لَا ظُلْمٌ، بَلْ هُوَ عَدْلٌ؛ لِأَنَّهُ عُقُوبَةٌ لِلظَّالِمِ عَلَىٰ ظُلْمِهِ وَإِنْ وَافَقَ لَفْظُهُ لَفْظَ الْأَوَّلِ. وَإِلَىٰ هَذَا الْمَعْنَىٰ وَجَّهُوا كُلَّ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ نَظَائِرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ خَبَرٌ عَنْ مَكْرِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ بِقَوْمٍ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّ مَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ أَخْبَرَ عَنِ الْمُنَافِقِينَ أَنَّهُمْ إِذَا خَلَوْا إِلَىٰ مَرَدَتِهِمْ قَالُوا: إِنَّا مَعَكُمْ عَلَىٰ دِينِكُمْ فِي تَكْذِيبِ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا جَاءَ بِهِ، وَإِنَّمَا نَحْنُ بِمَا نُظْهِرُ لَهُمْ مِنْ قَوْلِنَا لَهُمْ صَدَّقْنَا

بِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَمَا جَاءَ بِهِ مُسْتَهْزِئُونَ. يَعْنُونَ: إِنَّا نُظْهِرُ لَهُمْ مَا هُوَ عِنْدَنَا بَاطِلٌ لَا حَقٌّ وَلَا هُدًى. قَالُوا: وَذَلِكَ هُوَ مَعْنًى مِنْ مَعَانِي الِاسْتِهْزَاءِ. فَأَخْبَرَ اللهُ أَنَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ فَيُظْهِرُ لَهُمْ مِنْ أَحْكَامِهِ فِي الدُّنْيَا خِلَافَ الَّذِي لَهُمْ عِنْدَهُ فِي الْآخِرَةِ، كَمَا أَظْهَرُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُؤْمِنِينَ فِي الدِّينِ مَا هُمْ عَلَى خِلَافِهِ فِي سَرَائِرِهِمْ.

وَالصَّوَابُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْقَوْلِ وَالتَّأْوِيلِ عِنْدَنَا، أَنَّ مَعْنَى الِاسْتِهْزَاءِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: إِظْهَارُ الْمُسْتَهْزِئِ لِلْمُسْتَهْزَإِ بِهِ مِنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ مَا يُرْضِيهِ وَيُوَافِقُهُ ظَاهِرًا، وَهُوَ بِذَلِكَ مِنْ قِيلِهِ وَفِعْلِهِ بِهِ مُورِّثُهُ مَسَاءَةً بَاطِنًا، وَكَذَلِكَ مَعْنَى الْخِدَاعِ وَالسُّخْرِيَةِ وَالْمَكْرِ. وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ جَعَلَ لِأَهْلِ النِّفَاقِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْأَحْكَامِ بِمَا أَظْهَرُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ مِنَ الْإِقْرَارِ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ الْمُدْخِلِ لَهُمْ فِي عِدَادِ مَنْ يَشْمَلُهُ اسْمُ الْإِسْلَامِ وَإِنْ كَانُوا لِغَيْرِ ذَلِكَ مُسْتَبْطِنِينَ مِنْ أَحْكَامِ الْمُسْلِمِينَ الْمُصَدِّقِينَ إِقْرَارَهُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ بِذَلِكَ بِضَمَائِرِ قُلُوبِهِمْ وَصَحَائِحِ عَزَائِمِهِمْ وَحَمِيدِ أَفْعَالِهِمُ الْمُحَقِّقَةِ لَهُمْ صِحَّةَ إِيمَانِهِمْ، مَعَ عِلْمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِكَذِبِهِمْ، وَاطِّلَاعِهِ عَلَى خُبْثِ اعْتِقَادِهِمْ وَشَكِّهِمْ فِيمَا ادَّعَوْا بِأَلْسِنَتِهِمْ أَنَّهُمْ مُصَدِّقُونَ حَتَّى ظَنُّوا فِي الْآخِرَةِ إِذْ حُشِرُوا فِي عِدَادِ مَنْ كَانُوا فِي عِدَادِهِمْ فِي الدُّنْيَا أَنَّهُمْ وَارِدُونَ مَوْرِدَهُمْ وَدَاخِلُونَ مُدْخَلَهُمْ، وَاللهُ جَلَّ جَلَالُهُ مَعَ إِظْهَارِهِ مَا قَدْ أَظْهَرَ لَهُمْ مِنَ الْأَحْكَامِ الْمُلْحِقَتَهُمْ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ الْآخِرَةِ إِلَى حَالِ تَمْيِيزِهِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَوْلِيَائِهِ وَتَفْرِيقِهِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ؛ مُعِدٌّ لَهُمْ مِنْ أَلِيمِ عِقَابِهِ وَنَكَالِ عَذَابِهِ مَا أَعَدَّ مِنْهُ لِأَعْدَى أَعْدَائِهِ وَأَشَرِّ عِبَادِهِ، حَتَّى مَيَّزَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَوْلِيَائِهِ فَأَلْحَقَهُمْ مِنْ طَبَقَاتِ جَحِيمِهِ بِالدَّرْكِ الْأَسْفَلِ. كَانَ مَعْلُومًا أَنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِ بِهِمْ، وَإِنْ كَانَ جَزَاءً لَهُمْ عَلَى أَفْعَالِهِمْ وَعَدْلًا مَا فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ بِهِمْ لِاسْتِحْقَاقِهِمْ إِيَّاهُ مِنْهُ بِعِصْيَانِهِمْ لَهُ كَانَ بِهِمْ بِمَا أَظْهَرَ لَهُمْ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي أَظْهَرَهَا لَهُمْ مِنْ إِلْحَاقِهِ أَحْكَامَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِأَحْكَامِ أَوْلِيَائِهِ وَهُمْ لَهُ أَعْدَاءٌ، وَحَشْرِهِ إِيَّاهُمْ فِي الْآخِرَةِ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَهُمْ بِهِ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ إِلَى أَنْ مَيَّزَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ، مُسْتَهْزِئًا وَسَاخِرًا وَلَهُمْ خَادِعًا وَبِهِمْ مَاكِرًا. إِذْ كَانَ مَعْنَى الِاسْتِهْزَاءِ وَالسُّخْرِيَةِ وَالْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ مَا وَصَفْنَا قَبْلُ، دُونَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مَعْنَاهُ فِي حَالٍ فِيهَا الْمُسْتَهْزِئُ بِصَاحِبِهِ لَهُ ظَالِمٌ أَوْ عَلَيْهِ فِيهَا غَيْرُ عَادِلٍ، بَلْ ذَلِكَ مَعْنَاهُ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ إِذَا وُجِدَتِ الصِّفَاتُ الَّتِي قَدَّمْنَا ذِكْرَهَا فِي مَعْنَى الِاسْتِهْزَاءِ وَمَا أَشْبَهَهُ مِنْ نَظَائِرِهِ. وَبِنَحْوِ مَا قُلْنَا فِيهِ رُوِيَ الْخَبَرُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ... " .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢/٣٠٩-٣١٠) : " وَاعْلَمْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمَّا حَكَى عَنْهُمْ ذَلِكَ أَجَابَهُمْ بِأَشْيَاءَ :

أَحَدُهَا: قوله: اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وفيه أسئلة :

الْأَوَّلُ: كَيْفَ يَجُوزُ وَصْفُ اللَّهِ تَعَالَى بِأَنَّهُ يَسْتَهْزِئُ وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ الِاسْتِهْزَاءَ لَا يَنْفَكُّ عَنِ التَّلْبِيسِ، وَهُوَ عَلَى اللَّهِ مُحَالٌ، وَلِأَنَّهُ لَا يَنْفَكُّ عَنِ الْجَهْلِ، لِقَوْلِهِ: **﴿قالُوا أَتَتَّخِذُنا هُزُواً قالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ﴾** [الْبَقَرَةِ: ٦٧] ، وَالْجَهْلُ عَلَى اللَّهِ مُحَالٌ .

وَالْجَوَابُ: ذَكَرُوا فِي التَّأْوِيلِ خَمْسَةَ أَوْجُهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ مَا يَفْعَلُهُ اللَّهُ بِهِمْ جَزَاءٌ عَلَى اسْتِهْزَائِهِمْ سَمَّاهُ بِالِاسْتِهْزَاءِ، لِأَنَّ جُزْءَ الشَّيْءِ يُسَمَّى بِاسْمِ ذَلِكَ الشَّيْءِ قَالَ تَعَالَى: **﴿وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها﴾** [الشُّورَى: ٤٠] ، **﴿ فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ﴾** [الْبَقَرَةِ: ١٩٤] ، **﴿يُخادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خادِعُهُمْ﴾** [النِّسَاءِ: ١٤٢] ، **﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾** [آلِ عِمْرَانَ: ٥٤] .

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اللَّهُمَّ إِنَّ فُلَانًا هَجَانِي وَهُوَ يَعْلَمُ أَنِّي لَسْتُ بِشَاعِرٍ فَاهْجُهُ، اللَّهُمَّ وَالْعَنْهُ عَدَدَ مَا هَجَانِي" ، أَيِ : اجْزِهِ جَزَاءَ هِجَائِهِ، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «تَكَلَّفُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا" .

وَثَانِيهَا: أَنَّ ضَرَرَ اسْتِهْزَائِهِمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَاجِعٌ عَلَيْهِمْ وَغَيْرُ ضَارٍّ بِالْمُؤْمِنِينَ، فَيَصِيرُ كَأَنَّ اللَّهَ اسْتَهْزَأَ بِهِمْ.

وَثَالِثُهَا: أَنَّ مِنْ آثَارِ الِاسْتِهْزَاءِ حُصُولُ الْهَوَانِ وَالْحَقَارَةِ فَذَكَرَ الِاسْتِهْزَاءَ، وَالْمُرَادُ حُصُولُ الْهَوَانِ لَهُمْ تَعْبِيرًا بِالسَّبَبِ عَنِ الْمُسَبَّبِ.

وَرَابِعُهَا: أَنَّ اسْتِهْزَاءَ اللَّهِ بِهِمْ أَنْ يُظْهِرَ لَهُمْ مِنْ أَحْكَامِهِ فِي الدُّنْيَا مَا لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ خِلَافُهَا فِي الْآخِرَةِ، كَمَا أَنَّهُمْ أَظْهَرُوا لِلنَّبِيِّ وَالْمُؤْمِنِينَ أَمْرًا مَعَ أَنَّ الْحَاصِلَ مِنْهُمْ فِي السِّرِّ خِلَافُهُ، وَهَذَا التَّأْوِيلُ ضَعِيفٌ، لِأَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا أَظْهَرَ لَهُمْ أَحْكَامَ الدُّنْيَا فَقَدْ أَظْهَرَ الْأَدِلَّةَ الْوَاضِحَةَ بِمَا يُعَامَلُونَ بِهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ مِنْ سُوءِ الْمُنْقَلَبِ وَالْعِقَابِ الْعَظِيمِ، فَلَيْسَ فِي ذَلِكَ مُخَالَفَةٌ لِمَا أَظْهَرَهُ فِي الدُّنْيَا.

وَخَامِسُهَا: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعَامِلُهُمْ مُعَامَلَةَ الْمُسْتَهْزِئِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، أَمَّا فِي الدُّنْيَا فَلِأَنَّهُ تَعَالَى أَطْلَعَ الرَّسُولَ عَلَى أَسْرَارِهِمْ مَعَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُبَالِغُونَ فِي إِخْفَائِهَا عَنْهُ، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِذَا دَخَلَ الْمُؤْمِنُونَ الْجَنَّةَ، وَالْكَافِرُونَ النَّارَ فَتَحَ اللَّهُ مِنَ الْجَنَّةِ بَابًا عَلَى الْجَحِيمِ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي هُوَ مَسْكَنُ الْمُنَافِقِينَ، فَإِذَا

رَأَىٰ الْمُنَافِقُونَ الْبَابَ مَفْتُوحًا أَخَذُوا يَخْرُجُونَ مِنَ الْجَحِيمِ وَيَتَوَجَّهُونَ إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ الْجَنَّةِ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا وَصَلُوا إِلَىٰ بَابِ الْجَنَّةِ فَهُنَاكَ يُغْلَقُ دُونَهُمُ الْبَابُ، فَذَاكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: **﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾** [الْمُطَفِّفِينَ: ٢٩- ٣٤] ، فَهَذَا هُوَ الِاسْتِهْزَاءُ بِهِمْ.

السُّؤَالُ الثَّانِي: كَيْفَ ابْتَدَأَ قَوْلَهُ: **﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾** وَلَمْ يَعْطِفْ عَلَىٰ الْكَلَامِ الَّذِي قَبْلَهُ؟

الْجَوَابُ: هُوَ اسْتِئْنَافٌ فِي غَايَةِ الْجَزَالَةِ والخفامة. وَفِيهِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ هُوَ الَّذِي يَسْتَهْزِئُ بهم استهزاء العظيم الذي يصير استهزائهم فِي مُقَابَلَتِهِ كَالْعَدَمِ، وَفِيهِ أَيْضًا أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يَتَوَلَّىٰ الِاسْتِهْزَاءَ بِهِمُ انْتِقَامًا لِلْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يُحْوِجُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَىٰ أَنْ يُعَارِضُوهُمْ بِاسْتِهْزَاءٍ مِثْلِهِ.

السُّؤَالُ الثَّالِثُ: هَلْ قِيلَ: إِنَّ اللَّهَ مستهزئ بهم ليكون مطابقاً لقوله: **﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾** .

الْجَوَابُ: لِأَنَّ **﴿يَسْتَهْزِئُ﴾** يُفِيدُ حُدُوثَ الِاسْتِهْزَاءِ وَتَجَدُّدَهُ وَقْتًا بَعْدَ وَقْتٍ، وَهَذَا كَانَتْ نِكَايَاتُ اللَّهِ فِيهِمْ: **﴿أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾** [التَّوْبَةِ: ١٢٦] ، وَأَيْضًا فَمَا كَانُوا يَخْلُونَ فِي أَكْثَرِ أَوْقَاتِهِمْ مِنْ تَهَتُّكِ أَسْتَارٍ وَتَكَشُّفِ أَسْرَارٍ وَاسْتِشْعَارِ حَذَرٍ مِنْ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ آيَةٌ **﴿يَحْذَرُ الْمُنافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِما فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِؤُا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ ما تَحْذَرُونَ﴾** [التوبة: ٦٤] ..." .

﴿سُؤَالٌ﴾ : هَلْ يُوْجَدُ فِي القُرْآنِ مَا يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ تَخْلِيْدِ العُصَاةِ فِي النَّار ؟

الجواب : ورد عن بعض السَّلف أنَّ المقصود بالاستثناء الوارد في قوله تعالى : **﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَالْأَرْضُ إِلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ﴾** [هود:١٠٦-١٠٧] ، عائد على العصاة والمذنبين من الموحِّدين ... قال الإمام الطَّبري في " التَّفسير" (١٢/ ٥٧٩) : " وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالتَّأْوِيلِ فِي مَعْنَىٰ ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هَذَا اسْتِثْنَاءٌ اسْتَثْنَاهُ اللَّهُ فِي أَهْلِ التَّوْحِيدِ أَنَّهُ يُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ إِذَا شَاءَ بَعْدَ أَنْ أَدْخَلَهُمُ النَّارَ ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَىٰ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ: **﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾** قَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِثُنْيَاهُ ، وَذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَاسًا يُصِيبُهُمْ سَفْعٌ مِنَ النَّارِ بِذُنُوبٍ أَصَابُوهَا، ثُمَّ يُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ.

حَدَّثَنَا بِشْرٌ، قَالَ: ثَنَا يَزِيدُ، قَالَ: ثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ: **﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾** ،وَاللهُ أَعْلَمُ بِثَنِيَّتِهِ؛ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَاسًا يُصِيبُهُمْ سَفْعٌ مِنَ النَّارِ بِذُنُوبٍ أَصَابُوهُمْ، ثُمَّ يُدْخِلُهُمُ اللهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ، يُقَالُ لَهُمُ الْجَهَنَّمِيُّونَ" .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: ثَنَا يَعْقُوبُ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ، يَعْنِي ثَعْلَبَةَ عَنْ أَبِي سِنَانٍ، فِي قَوْلِهِ: **﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾** ، قَالَ: اسْتِثْنَاءٌ فِي أَهْلِ التَّوْحِيدِ" .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عنِ الضَّحَّاكِ بْنِ مُزَاحِمٍ، **﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ﴾** [هود: ١٠٦] إِلَى قَوْلِهِ: **﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾** قَالَ: يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، فَهُمُ الَّذِينَ اسْتَثْنَى لَهُمْ."

وقال الإمام البغوي في " معالم التَّنزيل في تفسير القرآن" (٢/ ٤٦٥-٤٦٦) : " اخْتَلَفُوا فِي هَذَيْنِ الِاسْتِثْنَاءَيْنِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: الِاسْتِثْنَاءُ فِي أَهْلِ الشَّقَاءِ يَرْجِعُ إِلَى قوم من الموحّدين يُدْخِلُهُمُ اللهُ النَّارَ بِذُنُوبٍ اقْتَرَفُوهَا، ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا فَيَكُونُ ذَلِكَ اسْتِثْنَاءً مِنْ غَيْرِ الْجِنْسِ، لِأَنَّ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ سُعَدَاءَ ثم اسْتَثْنَاهُمُ اللهُ مِنْ جُمْلَةِ الْأَشْقِيَاءِ، وَهَذَا كَمَا:

أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ أَحْمَدَ الْمَلِيحِيُّ أَنبَأَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهَّ النَّعِيمِيُّ أَنبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ ثَنَا مُحَمَّدُ بن إسماعيل ثنا حفص بن عمر ثنا هِشَامٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيُصِيبَنَّ أَقْوامًا سَفْعٌ مِنَ النَّارِ بِذُنُوبٍ أَصَابُوهَا، عُقُوبَةً ثُمَّ يُدْخِلُهُمُ اللهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ، فَيُقَالُ لَهُمُ الْجَهَنَّمِيُّونَ" .

وَأَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ أَحْمَدَ الْمَلِيحِيُّ قال: أَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهَّ النَّعِيمِيُّ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ أَنَا مُسَدَّدٌ أَخْبَرَنَا يَحْيَى عَنِ الْحَسَنِ بْنِ ذَكْوَانَ أَنبَأَنَا أَبُو رَجَاءٍ حَدَّثَنِي عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَيُسَمَّوْنَ الْجَهَنَّمِيِّينَ."

وَأَمَّا الِاسْتِثْنَاءُ فِي أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيَرْجِعُ إِلَى مُدَّةِ لُبْثِهِمْ فِي النَّارِ قبل دخول الجنّة " .

وقال الإمام ابن الجوزي في " زاد المسير" (٢/ ٤٠١-٤٠٢) : " قوله تعالى: **﴿إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ﴾** في الاستثناء المذكور في حقِّ أهل النَّار سبعة أقوال:

أَحَدُهَا: أَنَّ الاستثناء في حقِّ الموحِّدين الذين يخرجون بالشَّفاعة، قاله ابن عبَّاس، والضَّحَّاك.

وَالثَّانِي: أنَّه استثناء لا يفعله، تقول: والله لأضربنَّك إِلَّا أن أرىٰ غير ذلك، وعزيمتك علىٰ ضربه، ذكره الفرَّاء، وهو معنىٰ قول أبي صالح عن ابن عبَّاس: **﴿إِلَّا ما شَاءَ رَبُّكَ﴾** ، قال: فقد شاء أن يخلَّدوا فيها. قال الزَّجَّاج: وفائدة هذا، أنَّه لو شاء أن يرحمهم لرحمهم، ولكنَّه أعلمنا أنَّهم خالدون أبداً .

وَالثَّالِثُ: أنَّ المعنىٰ: خالدين فيها أبداً، غير أنَّ الله تعالىٰ يأمر النَّار فتأكلهم وتفنيهم، ثمَّ يجدِّد خلقهم، فيرجع الاستثناء إِلىٰ تلك الحال، قاله ابن مسعود .

والرَّابِعُ: أنَّ «إِلَّا» بمعنىٰ «سوىٰ» تقول: لو كان معنا رجل إِلَّا زيد، أي: سوىٰ زيد فالمعنىٰ: خالدين فيها مقدار دوام السَّماوات والأرض سوىٰ ما شاء ربُّك من الخلود والزِّيادة، وهذا اختيار الفرَّاء. قال ابن قتيبة: ومثله في الكلام أن تقول: لأُسْكنَنَّك في هذه الدَّار حولاً إِلَّا ما شئتَ تريد: سوىٰ ما شئتَ أن أزيدك .

وَالخَامِسُ: أنَّهم إِذا حُشروا وبُعثوا، فهم في شروط القيامة فالاستثناء واقع في الخلود بمقدار موقفهم في الحساب، فالمعنىٰ: خالدين فيها ما دامت السَّماوات والأرض إِلَّا مقدار موقفهم للمحاسبة، ذكره الزَّجَّاج. وقال ابن كيسان: الاستثناء يعود إِلىٰ مكثهم في الدُّنيا والبرزخ والوقوف للحساب . قال ابن قتيبة: فالمعنىٰ: خالدين في النَّار وخالدين في الجنَّة دوام السَّماء والأرض إِلَّا ما شاء ربك من تعميرهم في الُّدنيا قبل ذلك، فكأنَّه جعل دوام السَّماء والأرض بمعنىٰ الأبد علىٰ ما كانت العرب تستعمل، وإن كانتا قد تتغيَّران. واستثنىٰ المشيئة من دوامها، لأنَّ أهل الجنَّة والنَّار قد كانوا في وقت من أوقات دوام السَّماء والأرض في الدُّنيا، لا في الجنَّة، ولا في النَّار .

وَالسَّادِسُ: أنَّ الاستثناء وقع علىٰ أنَّ لهم فيها زفيراً وشهيقاً، إِلَّا ما شاء رُّبك من أنواع العذاب التي لم تُذكر ، وكذلك لأهل الجنة نعيم ممَّا ذُكر، ولهم ممَّا لم يُذكر ما شاء ربك، ذكره الزَّجاج أيضاً .

وَالسَّابِعُ: أنَّ «إلّا» بمعنىٰ «كما» ، ومنه قوله تعالىٰ: **﴿وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ﴾** ، ذكره الثَّعلبي " .

وقال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (٣٥١/٤-٣٥٢) : " وَقَدِ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي الْمُرَادِ مِنْ هَذَا الِاسْتِثْنَاءِ، عَلَىٰ أَقْوَالٍ كَثِيرَةٍ، حَكَاهَا الشَّيْخُ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوْزِيِّ فِي كِتَابِهِ "زَادُ الْمَسِيرِ" وَغَيْرُهُ مِنْ عُلَمَاءِ التَّفْسِيرِ، وَنَقَلَ كَثِيرًا مِنْهَا الْإِمَامُ أَبُو جَعْفَرِ بْنُ جَرِيرٍ، رَحِمَهُ اللهُ، فِي كِتَابِهِ وَاخْتَارَ هُوَ مَا نَقَلَهُ عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَان،

وَالضَّحَّاكِ، وَقَتَادَةَ، وَأَبِي سِنَان، وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنِ أَيْضًا: أَنَّ الِاسْتِثْنَاءَ عَائِدٌ عَلَى العُصاة مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، مِمَّنْ يُخْرِجُهُمُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ الشافعين، من الملائكة والنبيين والمؤمنين، حِينَ يَشْفَعُونَ فِي أَصْحَابِ الْكَبَائِرِ، ثُمَّ تَأْتِي رَحْمَةُ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ، فَتُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، وَقَالَ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. كَمَا وَرَدَتْ بِذَلِكَ الْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ الْمُسْتَفِيضَةُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَضْمُونِ ذَلِكَ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ، وَجَابِرٍ، وَأَبِي سَعِيدٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَلَا يَبْقَى بَعْدَ ذَلِكَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ فِيهَا وَلَا مَحِيدَ لَهُ عَنْهَا. وَهَذَا الَّذِي عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ. وَقَدْ رُوِيَ فِي تَفْسِيرِهَا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، وَجَابِرٍ، وَأَبِي سَعِيدٍ، مِنَ الصَّحَابَةِ. وَعَنْ أَبِي مِجْلَزٍ، وَالشَّعْبِيِّ، وَغَيْرِهِمَا مِنَ التَّابِعِينَ."

ثمَّ إنَّ القرآن أثبت الشَّفاعة بالعصاة للملائكة والأنبياء وأصناف من الصَّالحين ... قال تعالى : **﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾** [البقرة:٢٥٥] ، وقال : **﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى﴾** [الأنبياء:٢٨] ، وقال : **﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾** [النَّجم:٢٦] ، والآيات تُثبت شفاعة الملائكة في العصاة والمذنبين ، وأن شفاعتهم تُقبل بعد إذنه ورضاه سبحانه وتعالى يوم القيامة... فإذا أُضيف للآيات الكريمة ما جاء في وحي السُّنَّة المطهَّرة من إثبات للشَّفاعة جزمنا بوقوعها للعصاة والمذنبين ، وأنَّهم لن يخلَّدوا في النَّار كما يخلَّد الكفرة والمشركون ، بل يعذَّبوا إلى أمدٍ لا يعلمه إلَّا الله تعالى ثمَّ يأمر الله تعالى ملائكته بإخراجهم من النَّار إلى الجنَّة...

فيجب أن لا يغيب عن أذهاننا أنَّ السُّنَّة وحي من الله ، وأنَّ الله تعالى قد زكَّى قوله النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال : **﴿وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحى﴾** [النجم:٣-٤] ، ولذا وجب الإيمان بكلِّ ما ثبت عنه عليه الصَّلاة والسَّلام ... ومن ضمن ذلك الشَّفاعة التي قامت عقيدة أهل الحقِّ على إثباتها ، حيث نُقلت أحاديث بالتَّواتر الي يفيد العلم القطعي اليقيني ، قال الإمام القاضي عياض في " إِكمَالُ الْمُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم " (١/ ٥٦٥) : " مذهب أهل السُّنَّة جواز الشَّفاعة عقلاً ووجوبها بصريح قوله تعالى: **﴿لا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ﴾** [طه:١٠٩] ، **﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾** [الأنبياء:٢٨] ، وأمثالها، وبخبر

الصَّادق سَمْعاً، وقد جاءت الآثار التي بلغَت بمجموعها التَّواتُر بصحَّتها في الآخرة لمذنبي المؤمنين، وأجمع السَّلفُ الصَّالحُ ومن بعدهم من أهل السُّنَّة عليها " .

وقال الإمام الباقلاني في " تمهيد الأوائل في تلخيص الدَّلائل " (ص٤١٨-٤١٩) : "والأخبار في الشَّفاعة أكثر من أن يؤتىٰ عليها، وهي كلُّها متواترة متوافية علىٰ خروج الموحِّدين من النَّار بشفاعة الرَّسول صلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم، وإن اختلفت ألفاظها ... وقد أطبق سلف الأمَّة علىٰ تسليم هذه الرِّواية وصحَّتها مع ظهورها وانتشارها، والعلم بأنَّها مرويَّة في الصَّحابة والتَّابعين، ولو كانت ممَّا لم تقم الحجَّة بها لطعن طاعن فيها بدفع العقل والسَّمع لها علىٰ ما يقوله المعتزلة، ولكانت الصَّحابة أعلم بذلك وأشدّ تسرُّعاً إلىٰ إنكارها، ولو كانوا قد فعلوا ذلك أو بعضهم لظهر ذلك وانتشر ولتوفَّرت الدَّواعي علىٰ إذاعته وإبدائه، حتىٰ ينقل نقل مثله، ويحلّ العلم به محلّ العلم بخبر الشَّفاعة، لأنَّ هذه العادة ثابتة في الأخبار، وفي العلم بفساد ذلك دليل علىٰ ثبوت خبر الشَّفاعة وبطلان قول المعتزلة " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١/٣٧٨-٣٧٩) : " وَالْأَخْبَارُ مُتَظَاهِرَةٌ بِأَنَّ مَنْ كَانَ مِنَ الْعُصَاةِ الْمُذْنِبِينَ الْمُوَحِّدِينَ مِنْ أُمَمِ النَّبِيِّينَ هُمُ الَّذِينَ تَنَالُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ. وَقَدْ تَمَسَّكَ الْقَاضِي عَلَيْهِمْ فِي الرَّدِّ بِشَيْئَيْنِ أَحَدُهُمَا الْأَخْبَارُ الْكَثِيرَةُ الَّتِي تَوَاتَرَتْ فِي الْمَعْنَىٰ. وَالثَّانِي الْإِجْمَاعُ مِنَ السَّلَفِ عَلَىٰ تَلَقِّي هَذِهِ الْأَخْبَارِ بِالْقَبُولِ وَلَمْ يبد من أَحَدٍ مِنْهُمْ فِي عَصْرٍ مِنَ الْأَعْصَارِ نَكِيرٌ فَظُهُورُ رِوَايَتِهَا وَإِطْبَاقُهُمْ عَلَىٰ صِحَّتِهَا وَقَبُولُهُمْ لَهَا دَلِيلٌ قَاطِعٌ عَلَىٰ صِحَّةِ عَقِيدَةِ أَهْلِ الْحَقِّ وَفَسَادِ دِينِ الْمُعْتَزِلَةِ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ لِلْمَلَائِكَةِ شَفَاعَةٌ ؟

الجواب : نعم المَلَائِكَة يشفعون ، دلَّ علىٰ ذلك آيات الكتاب العزيز وأحاديث الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، من ذلك : قوله تعالىٰ : **﴿وَقالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً سُبْحانَهُ بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ * لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾** [الأنبياء:٢٦-٢٨] ، قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن "(١١/ ٢٨١) **﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضى﴾** ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُمْ أَهْلُ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُمْ كُلُّ مَنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

وَالْمَلَائِكَةُ يَشْفَعُونَ غَدًا فِي الْآخِرَةِ كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ، وَفِي الدُّنْيَا أَيْضًا، فَإِنَّهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلِمَنْ فِي الْأَرْضِ، كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ التَّنْزِيلُ " .

قلت : واستغفار المَلَائِكَة للمؤمنين ثابت في القرآن العظيم ، قال تعالىٰ : **﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وَأَزْواجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** [غافر:٧-٩] .والآية نصٌّ محكم واضح في التَّدليل علىٰ دعاء المَلَائِكَة واستغفارهم واستشفاعهم للمؤمنين ولأولادهم وزوجاتهم أن يدخلهم الله الجنَّة ... قال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير " (٢٤/٨٩-٩٠) عند تفسيره للآية : " وَخَصَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ طَائِفَةً مِنَ المَلَائِكَة مَوْصُوفَةً بِأَوْصَافٍ تَقْتَضِي رِفْعَةَ شَأْنِهِمْ تَدَرُّعًا مِنْ ذَلِكَ إِلَىٰ التَّنْوِيهِ بِشَأْنِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ هَذِهِ الطَّائِفَةُ الشَّرِيفَةُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَإِلَّا فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَسْنَدَ مِثْلَ هَذَا الِاسْتِغْفَارِ لِعُمُومِ المَلَائِكَة فِي قَوْلِهِ فِي سُورَةِ الشُّورَىٰ : **﴿وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾** ، أَيْ : مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِقَرِينَةِ قَوْلِهِ فِيهَا بَعْدَهُ: **﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ اللهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾** [الشورىٰ: ٦] .

والَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ هُمُ الْمُوَكَّلُونَ بِرَفْعِ الْعَرْشِ الْمُحِيطِ بِالسَّمَاوَاتِ وَهُوَ أَعْظَمُ السَّمَاوَاتِ، وَلِذَلِكَ أُضِيفَ إِلَىٰ اللهَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ﴾** [الحاقة: ١٧] .

ومَنْ حَوْلَهُ طَائِفَةٌ مِنَ المَلَائِكَة تَحُفُّ بِالْعَرْشِ تَحْقِيقًا لِعَظَمَتِهِ قَالَ تَعَالَىٰ: **﴿وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾** [الزمر: ٧٥] ، وَلَا حَاجَةَ إِلَىٰ الْخَوْضِ فِي عَدَدِهِمْ **﴿وَما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾** [المدثر: ٣١] .

وَالْإِخْبَارُ عَنْ صِنْفَيِ المَلَائِكَة بِأَنَّهُمْ يُسَبِّحُونَ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ تَوْطِئَةٌ وَتَمْهِيدٌ لِلْإِخْبَارِ عَنْهُمْ بِأَنَّهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينِ آمَنُوا فَذَلِكَ هُوَ الْمَقْصُودُ مِنَ الْخَبَرِ، فَقَدَّمَ لَهُ مَا فِيهِ تَحْقِيقُ اسْتِجَابَةِ اسْتِغْفَارِهِمْ لِصُدُورِهِ مِمَّنْ دَأْبُهُمُ التَّسْبِيحُ وَصِفَتُهُمُ الْإِيمَانُ.

وَصِيغَةُ الْمُضَارِعِ فِي **﴿يُسَبِّحُونَ﴾** و **﴿يُؤْمِنُونَ﴾** و **﴿يَسْتَغْفِرُونَ﴾** مُفِيدَةٌ لِتَجَدُّدِ ذَلِكَ وَتَكَرُّرِهِ، وَذَلِكَ مُشْعِرٌ بِأَنَّ الْمُرَادَ أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا كَمَا هُوَ الْمُلَائِمُ لِقَوْلِهِ: **﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا﴾** ، وَقَوْلِهِ: **﴿وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ**

عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾ [غَافِر: ٨] ، وَقَوْلِهِ: **﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ﴾** [غَافِر: ٩] إِلَخْ وَقَدْ قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَىٰ **﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾** [الشورىٰ: ٥] ، أَيْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا تَقَدَّمَ " .

وقال الإمام الرَّزي في : " التَّفسير " (٢٧/ ٤٨٩- ٤٩٠) : " احْتَجَّ الْكَعْبِيُّ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَىٰ أَنَّ تَأْثِيرَ الشَّفَاعَةِ فِي حُصُولِ زِيَادَةِ الثَّوَابِ لِلْمُؤْمِنِينَ لَا فِي إِسْقَاطِ الْعِقَابِ عَنِ الْمُذْنِبِينَ، قَالَ وَذَلِكَ لِأَنَّ المَلَائِكَة قَالُوا : **﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾** ، قَالَ : وَلَيْسَ الْمُرَادُ فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا مِنَ الْكُفْرِ سَوَاءٌ كَانَ مُصِرًّا عَلَى الْفِسْقِ أَوْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ، لِأَنَّ مَنْ هَذَا حَالُهُ لَا يُوصَفُ بِكَوْنِهِ مُتَّبِعًا سَبِيلَ رَبِّهِ وَلَا يُطْلَقُ ذَلِكَ فِيهِ، وَأَيْضًا إِنَّ المَلَائِكَة يَقُولُونَ : **﴿وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾** ، وَهَذَا لَا يَلِيقُ بِالْفَاسِقِينَ، لِأَنَّ خُصُومَنَا لَا يَقْطَعُونَ عَلَىٰ أَنَّ اللهَّ تَعَالَىٰ وَعَدَهُمُ الْجَنَّةَ وَإِنَّمَا يُجَوِّزُونَ ذَلِكَ، فَثَبَتَ أَنَّ شَفَاعَةَ المَلَائِكَة لا يتناول إِلَّا أَهْلَ الطَّاعَةِ، فَوَجَبَ أَنْ تَكُونَ شَفَاعَةُ الْأَنْبِيَاءِ كَذَلِكَ، ضَرُورَةَ أَنَّهُ لَا قَائِلَ بِالْفَرْقِ وَالْجَوَابُ أَنْ نَقُولَ هَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ حصول الشفاعة من المَلَائِكَة المذنبين، فَنُبَيِّنُ هَذَا ثُمَّ نُجِيبُ عَمَّا ذَكَرَهُ الْكَعْبِيُّ، أَمَّا بَيَانُ دَلَالَةِ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَىٰ مَا قُلْنَاهُ فَمِنْ وُجُوهٍ:

الْأَوَّلُ: قَوْلُهُ : **﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِين آمَنُوا﴾** ، وَالِاسْتِغْفَارُ طَلَبُ الْمَغْفِرَةِ، وَالْمَغْفِرَةُ لَا تُذْكَرُ إِلَّا فِي إِسْقَاطِ الْعِقَابِ. أَمَّا طَلَبُ النَّفْعِ الزَّائِدِ فَإِنَّهُ لَا يُسَمَّىٰ اسْتِغْفَارًا.

الثَّانِي: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾** ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ لِكُلِّ أَهْلِ الْإِيمَانِ، فَإِذَا دَلَّلْنَا عَلَىٰ أَنَّ صَاحِبَ الْكَبِيرَةِ مُؤْمِنٌ وَجَبَ دُخُولُهُ تَحْتَ هَذِهِ الشَّفَاعَةِ.

الثَّالِثُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا﴾** طَلَبُ الْمَغْفِرَةِ لِلَّذِينِ تَابُوا، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ إِسْقَاطَ عُقُوبَةِ الْكَبِيرَةِ بَعْدَ التَّوْبَةِ، لِأَنَّ ذَلِكَ وَاجِبٌ عَلَىٰ اللهَّ عِنْدَ الْخَصْمِ، وَمَا كَانَ فِعْلُهُ وَاجِبًا كَانَ طَلَبُهُ بِالدُّعَاءِ قَبِيحًا، وَلَا يَجُوزُ أَيْضاً أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ إِسْقَاطَ عُقُوبَةِ الصَّغَائِرِ، لِأَنَّ ذَلِكَ أَيْضًا وَاجِبٌ فَلَا يَحْسُنُ طَلَبُهُ بِالدُّعَاءِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ طَلَبَ زِيَادَةِ مَنْفَعَةٍ عَلَىٰ الثَّوَابِ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُسَمَّىٰ مَغْفِرَةً، فَثَبَتَ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ حَمْلُ قَوْلِهِ : **﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا﴾** إِلَّا عَلَىٰ إِسْقَاطِ عِقَابِ الْكَبِيرَةِ قَبْلَ التَّوْبَةِ، وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا فِي حَقِّ المَلَائِكَة فَكَذَلِكَ فِي حَقِّ الْأَنْبِيَاءِ لِانْعِقَادِ الْإِجْمَاعِ عَلَىٰ أَنَّهُ لَا فَرْقَ، أَمَّا الَّذِي يَتَمَسَّكُ بِهِ الْكَعْبِيُّ وَهُوَ أَنَّهُمْ طَلَبُوا الْمَغْفِرَةَ لِلَّذِينِ تَابُوا، فَنَقُولُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْهُ الَّذِينَ تَابُوا عَنِ الْكُفْرِ وَاتَّبَعُوا سَبِيلَ الْإِيمَانِ، وَقَوْلُهُ : إِنَّ التَّائِبَ عَنِ الْكُفْرِ الْمُصِرَّ عَلَىٰ الْفِسْقِ لَا يُسَمَّىٰ تَائِبًا وَلَا مُتَّبِعًا سَبِيلَ اللهَّ، قُلْنَا : لَا نُسَلِّمُ قَوْلَهُ، بَلْ يُقَالُ إِنَّهُ تَائِبٌ عَنِ الْكُفْرِ

وَتَابِعٌ سَبِيلَ اللهِ فِي الدِّينِ وَالشَّرِيعَةِ، وَإِذَا ثَبَتَ أَنَّهُ تَائِبٌ عَنِ الْكُفْرِ ثَبَتَ أَنَّهُ تَائِبٌ، أَلَا تَرَىٰ أَنَّهُ يَكْفِي فِي صِدْقِ وَصْفِهِ بِكَوْنِهِ ضَارِبًا وَضَاحِكًا صُدُورُ الضَّرْبِ وَالضَّحِكِ عَنْهُ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَلَا يَتَوَقَّفُ ذَلِكَ عَلَىٰ صُدُورِ كُلِّ أَنْوَاعِ الضَّرْبِ وَالضَّحِكِ عَنْهُ فَكَذَا هَاهُنَا.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: قَالَ أَهْلُ التَّحْقِيقِ: إِنَّ هَذِهِ الشَّفَاعَةَ الصَّادِرَةَ عَنِ الْمَلَائِكَةِ فِي حَقِّ الْبَشَرِ تَجْرِي مجرىٰ اعتذار عن ذلة سَبَقَتْ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ قَالُوا فِي أَوَّلِ تَخْلِيقِ الْبَشَرِ **﴿أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ﴾** [الْبَقَرَةِ: ٣٠] فَلَمَّا سَبَقَ مِنْهُمْ هَذَا الْكَلَامُ تَدَارَكُوا فِي آخِرِ الْأَمْرِ بِأَنْ قَالُوا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذابَ الْجَحِيمِ ، وَهَذَا كَالتَّنْبِيهِ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ آذَىٰ غَيْرَهُ، فَالْأَوْلَىٰ أَنْ يَجْبُرَ ذَلِكَ الْإِيذَاءَ بِإِيصَالِ نَفْعٍ عَلَيْهِ " .

ومن الآيات التي دلَّت علىٰ إثبات شَّفاعة المائكة للمؤمنين : قوله تعالىٰ: **﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّماواتِ لا تُغْنِي شَفاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشاءُ وَيَرْضى﴾** [النَّجم:٢٦] .

وروىٰ مسلم (١/ ١٦٧ برقم ١٨٣) بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ ... وفيه : " فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" ...

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ سُتُخْرِجُ الْمَلَائِكَة العُصَاةَ مِنَ الْمُكلَّفِيْنَ مِنْ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ بِأَمْرِ رَبِّهِم ؟

الجواب : روىٰ البخاري (٩/ ١٢٨ برقم ٧٤٣٧ ، واللفظ له) ومسلم (١/ ١٦٣ برقم ١٨٢) بسندهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ؟» ، قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ، لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» ، قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ» ، يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتْبَعْهُ، فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ القَمَرَ القَمَرَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَىٰ هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا شَافِعُوهَا أَوْ مُنَافِقُوهَا - شَكَّ إِبْرَاهِيمُ -، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: هَذَا مَكَانُنَا حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَنَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتْبَعُونَهُ، وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا، وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَىٰ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمِ السَّعْدَانَ؟ "، قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: " فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ

لاَ يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمُ الْمُوبَقُ بَقِيَ بِعَمَلِهِ - أَوِ الْمُوثَقُ بِعَمَلِهِ -، وَمِنْهُمُ الْمُخَرْدَلُ، أَوِ الْمُجَازَىٰ، أَوْ نَحْوُهُ، ثُمَّ يَتَجَلَّىٰ، حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ، مَنْ كَانَ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَرْحَمَهُ، مِمَّنْ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ ابْنَ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَىٰ النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، قَدِ امْتُحِشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ تَحْتَهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَبْقَىٰ رَجُلٌ مِنْهُمْ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَىٰ النَّارِ، هُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةَ " ...

﴿سُؤالٌ﴾ : مَنْ هُوَ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ مِنْ عُصَاةِ الْمُوَحِّدِيْن ؟

الجواب : روىٰ مسلم (٣/ ١٥١٣ برقم ١٩٠٥) بسنده عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ لَهُ نَاتِلُ أَهْلِ الشَّامِ: أَيُّهَا الشَّيْخُ، حَدِّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّىٰ اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ سَيُنَادَى عَلَى الْمَلَائِكَةِ لِجَرِّ الْمُجْرِمِيْنَ إِلَى الْجَحِيْم ؟

الجواب : قال تعالىٰ : **﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾** [الدخان:٤٧] .

قال الإمام الطَّبري في " التَّفسير " (٢١/ ٥٩-٦٠) : " يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: **﴿خُذُوهُ﴾** [الدخان: ٤٧] يَعْنِي هَذَا الْأَثِيمَ بِرَبِّهِ، الَّذِي أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ لَهُ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامٌ **﴿فَاعْتِلُوهُ﴾** [الدخان: ٤٧] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَادْفَعُوهُ وَسُوقُوهُ، يُقَالُ مِنْهُ: عَتَلَهُ يَعْتِلُهُ عَتْلًا: إِذَا سَاقَهُ بِالدَّفْعِ وَالْجَذْبِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ:

لَيسَ ٱلكِرَامُ بِنَاحِلِيكَ أَبَاهُمُ حَتَّىٰ تُرَدَّ إِلَىٰ عَطِيَّةَ تُعْتَلُ

أَيْ تُسَاقَ دَفْعًا وَسَحْبًا

وَقَوْلُهُ: **﴿إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾** [الدخان: ٤٧] إِلَىٰ وَسَطِ الْجَحِيمِ وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: يُقَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: خُذُوا هَذَا الْأَثِيمَ فَسُوقُوهُ دَفْعًا فِي ظَهْرِهِ، وَسَحْبًا إِلَىٰ وَسَطِ النَّارِ ".

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢٧/ ٦٦٤) : **﴿خُذُوهُ﴾** ، أَيْ : خُذُوا الْأَثِيمَ **﴿فَاعْتِلُوهُ﴾** ، قُرِئَ بِكَسْرِ التَّاءِ، قَالَ الليث: العتل أن تأخذ بمنكث الرَّجُلِ فَتَعْتِلَهُ أَيْ تَجُرَّهُ إِلَيْكَ وَتَذْهَبُ بِهِ إِلَىٰ حَبْسٍ أَوْ مِحْنَةٍ، وَأَخَذَ فُلَانٌ بِزِمَامِ النَّاقَةِ يَعْتِلُهَا ، وَذَلِكَ إِذَا قَبَضَ عَلَىٰ أَصْلِ الزِّمَامِ عِنْدَ الرَّأْسِ وَقَادَهَا قَوْدًا عَنِيفًا، وَقَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ عَتَلْتُهُ إِلَىٰ السِّجْنِ وَأَعْتَلْتُهُ إِذَا دَفَعْتَهُ دَفْعًا عَنِيفًا، هَذَا قَوْلُ جَمِيعِ أَهْلِ اللُّغَةِ فِي الْعَتْلِ، وَذَكَرُوا فِي اللُّغَتَيْنِ ضَمَّ التَّاءَ وَكَسْرِهَا وَهُمَا صَحِيحَانِ مِثْلُ يَعْكُفُونَ وَيَعْكِفُونَ، وَيَعْرُشُونَ وَيَعْرِشُونَ.

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيْمِ﴾** ، أَيْ : إِلَىٰ وَسَطِ الْجَحِيمِ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : سَمِعْنَا أَنَّ العَبْدَ إِذَا وَقَفَ بَيْنَ يَدَي اللهِ تَسْتَقْبِلُهُ النَّار ؟

الجواب : روىٰ البخاري (٩/ ١٤٨ برقم ٧٥١٢) ، مسلم (٢/ ٧٠٣ برقم ١٠١٦) بسندهما عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلاَ يَرَىٰ إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلاَ يَرَىٰ إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلاَ يَرَىٰ إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ "، قَالَ الأَعْمَشُ: وَحَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ، عَنْ خَيْثَمَةَ، مِثْلَهُ، وَزَادَ فِيهِ: «وَلَوْ بِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ " .

قال الحافظ ابن حجر في " فتح الباري" (١١/ ٤٠٤) : " قَالَ بن هُبَيْرَةَ : نَظَرُ الْيَمِينِ وَالشِّمَالِ هُنَا كَالْمَثَلِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ مِنْ شَأْنِهِ إِذَا دَهَمَهُ أَمْرٌ أَنْ يَلْتَفِتَ يَمِينًا وَشِمَالًا يَطْلُبُ الْغَوْثَ . قُلْتُ : وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ سَبَبُ الِالْتِفَاتِ أَنَّهُ يَتَرَجَّىٰ أَنْ يَجِدَ طَرِيقًا يَذْهَبُ فِيهَا لِيَحْصُلَ لَهُ النَّجَاةُ مِنَ النَّارِ فَلَا يَرَىٰ إِلَّا مَا يُفْضِي بِهِ إِلَىٰ النَّارِ ، كَمَا وَقَعَ فِي رِوَايَةِ مُحِلِّ بْنِ خَلِيفَةَ . قَوْلُهُ : " ثُمَّ يَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَتَسْتَقْبِلُهُ النَّارُ " فِي رِوَايَةِ عِيسَىٰ ، " وَيَنْظُرُ بَين يَدَيْهِ فَلَا يَرَىٰ إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ " ، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي مُعَاوِيَةَ : " يَنْظُرُ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ فَتَسْتَقْبِلُهُ النَّار ". قَالَ بن هُبَيْرَةَ : وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ النَّارَ تَكُونُ فِي مَمَرِّهِ ، فَلَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَحِيدَ عَنْهَا إِذْ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْمُرُورِ عَلَىٰ الصِّرَاطِ"

.

وقال الإمام علي بن سلطان القارِّي في " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح " (٨/ ٣٥٢٤) : "(وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلَا يَرَىٰ إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ) ، أَيْ : فِي مُحَاذَاتِهِ وَعَلَيْهَا الصِّرَاطُ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَنْ هُمْ أَكْثرُ أَهْلِ النَّار ؟

الجواب : دلَّت الأدلَّة الصَّحيحة علىٰ أنَّ أكثر أهل النَّار هم من يأجوج ومأجوج ، وهم كفَّار ، ومن أصحاب النَّار في الآخرة ، وقد سرد القرآن قصَّتهم في سورة الكهف...

وفي صحيحه روىٰ البخاري (٦/ ٩٧ برقم ٤٧٤١) بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ: يَا آدَمُ، يَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادَىٰ بِصَوْتٍ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَىٰ النَّارِ، قَالَ: يَا رَبِّ وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ - أُرَاهُ قَالَ - تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الحَامِلُ حَمْلَهَا، وَيَشِيبُ الوَلِيدُ، وَتَرَىٰ النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهَ شَدِيدٌ " فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَىٰ النَّاسِ حَتَّىٰ تَغَيَّرَتْ وُجُوهُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ، ثُمَّ أَنْتُمْ فِي النَّاسِ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الأَبْيَضِ - أَوْ كَالشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ - وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا قَالَ أَبُو أُسَامَةَ عَنِ الأَعْمَشِ، **﴿تَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾** [الحج: ٢] ، وَقَالَ: «مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ» وَقَالَ جَرِيرٌ، وَعِيسَىٰ بْنُ يُونُسَ، وَأَبُو مُعَاوِيَةَ: (سَكْرَىٰ وَمَا هُمْ بِسَكْرَىٰ).

فالحديث نصَّ علىٰ أنَّ أهل النَّار هم من يأجوج ومأجوج ، وهم يشكِّلون ما نسبته تسعة وتسعين بالمائة من أهل النَّار ، ويدخل معهم ضمناً بقيَّة الكفرة ، أمَّا الواحد بالمائة فهو من كفرة أُمَّة محمَّد النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وفي ذلك روىٰ أحمد في " المسند" (٣٣/ ١٣٤ برقم ١٩٩٠١) بسنده عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَهُوَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ: وَقَدْ تَفَاوَتَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ السَّيْرُ رَفَعَ بِهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ صَوْتَهُ **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ، يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ﴾** [الحج: ٢] حَتَّىٰ بَلَغَ آخِرَ الْآيَتَيْنِ قَالَ: فَلَمَّا سَمِعَ أَصْحَابُهُ بِذَلِكَ حَثُّوا الْمَطِيَّ، وَعَرَفُوا أَنَّهُ عِنْدَ قَوْلٍ يَقُولُهُ، فَلَمَّا تَأَشَّبُوا حَوْلَهُ قَالَ: " أَتَدْرُونَ أَيَّ يَوْمٍ ذَاكَ؟ " قَالَ: " ذَاكَ يَوْمٌ يُنَادَىٰ آدَمُ فَيُنَادِيهِ رَبُّهُ فَيَقُولُ: يَا آدَمُ ابْعَثْ بَعْثًا إِلَىٰ النَّارِ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ ". قَالَ: فَأَبْلَسَ أَصْحَابُهُ

حَتَّىٰ مَا أَوْضَحُوا بِضَاحِكَةٍ، فَلَمَّا رَأَىٰ ذَلِكَ قَالَ: " اعْمَلُوا وَأَبْشِرُوا فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَمَعَ خَلِيقَتَيْنِ مَا كَانَتَا مَعَ شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا كَثَرَتَاهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَمَنْ هَلَكَ مِنْ بَنِي آدَمَ وَبَنِي إِبْلِيسَ قَالَ: فَأُسْرِيَ عَنْهُمْ، ثُمَّ قَالَ: " اعْمَلُوا وَأَبْشِرُوا، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّامَةِ فِي جَنْبِ الْبَعِيرِ، أَوِ الرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الدَّابَّةِ " . قال الأرنؤوط : " حديث صحيح، وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين، إلا أن الحسن- وهو البصري- لم يسمع من عمران، لكنه قد توبع. هشام: هو ابن أبي عبد الله الدستوائي. وأخرجه الترمذي (٣١٦٩) ، والنسائي في "الكبرىٰ" (٣١٦٩) ، والطبري في "التفسير" ١٧/ ١١١، والطبراني في "الكبير" ١٨/ (٣٠٧) ، والخطابي في "غريب الحديث" ١/ ٤٦٥ من طريق يحيىٰ القطان، بهذا الإسناد. وأخرجه الطيالسي (٨٣٥) ، والحاكم ٤/ ٥٦٧ من طرق عن هشام الدستوائي، به. وأخرجه مطولاً ومختصراً الطبراني في "الكبير" ١٨/ (٢٩٨) و (٣٠٦) و (٣٠٨) ، وفي "مسند الشاميين" (٢٦٣٦) ، والحاكم ١/ ٢٨ و٢/ ٢٣٣-٢٣٤ و٢٤٥ و٣٨٥ و٣٨٥-٣٨٦ من طرق عن قتادة، به. وأخرجه الطبري ١٧/ ١١١ من طريق سليمان بن طرخان، عن قتادة، عن صاحب له، عن عمران. ويشهد له حديث أنس عند عبد الرزاق في "تفسيره" ٢/ ٣١، وصححه ابن حبان (٧٣٥٤) ، وحديث ابن عباس عند الحاكم ٤/ ٥٦٨، وصححه. وفي الباب عن ابن مسعود، سلف برقم (٣٦٦١) ، وانظر تتمة شواهده هناك. قال السندي: قوله: "المطي" الدّوابّ." أنه عند قول يقوله" أي: أنه يقصد أن يقول لهم قولاً. " تأشبوا" بهمزة وتشديد شين معجمة، بعدها موحدة، يقال: تأشب القوم: إذا اختلطوا، وفي "النهاية" أي: تدانوا وتضامُّوا. "فأبلسوا" علىٰ بناء الفاعل، أي: سكتوا حزناً، والمبلس: الساكت من الحزن. "بضاحكة" واحدة الضواحك، وهي أربعة، وسُميت ضواحك، لأنها تظهر عند الضحك. "إلا كثرتاه" بالتخفيف، أي: غلبتاه بالكثرة، يقال: كاثَرْتُهُ فكَثَرْتُه، أي: غلبته بالكثرة " .

قال الحافظ ابن حجر في " فتح الباري" (١١/ ٣٩٢) : " قَالَ الطِّيبِيُّ : فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ دَاخِلُونَ فِي الْعَدَدِ الْمَذْكُورِ وَالْوَعِيدِ " .

وقال الإمام الكشميري في " فيض الباري شرح البخاري " (٦/ ٣٠) : " قوله: (فإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلاً ومِنْ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ ألفاً)، وهذا العددُ عند التِّرمذيِّ مع انضمام المشركين معهم، وهو الصَّوابُ عندي " .

﴿سُؤالٌ﴾ :كَيْفَ نُوَفِّقُ بَيْنَ مَا جَاءَ فِيْ قَوْلِهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيْ الحَدِيْثِ السَّابِقِ : " مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ " ، وَبَيْنَ قَوْلِهِ فِيْمَا رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٨/ ١١٠ برقم ٦٥٢٩) **بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى يَوْمَ القِيَامَةِ آدَمُ، فَتَرَاءَى ذُرِّيَّتُهُ، فَيُقَالُ: هَذَا أَبُوكُمْ آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ جَهَنَّمَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ كَمْ أُخْرِجُ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ " فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِذَا أُخِذَ مِنَّا مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، فَمَاذَا يَبْقَى مِنَّا؟ قَالَ: «إِنَّ أُمَّتِي فِي الأُمَمِ كَالشَّعَرَةِ البَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الأَسْوَدِ" .فَالحَدِيْثُ الأَوَّلُ جَعَلَ النَّاجِيْنَ وَاحِداً بِالأَلْفِ ، بَيْنَمَا جَعَلَهُم الحَدِيْثُ الثَّانِي عَشَرَةً بِالأَلْف ، فَكَيْفَ نُوَفِّقُ بَيْنَهُمَا ؟**

الجواب : قال الحافظ ابن حجر في " فتح الباري" (١١/ ٣٩٠) في جمعه بين الحديثين: " وَأَجَابَ الْكِرْمَانِيُّ بِأَنَّ مَفْهُومَ الْعَدَدِ لَا اعْتِبَارَ لَهُ فَالتَّخْصِيصُ بِعَدَدٍ لَا يَدُلُّ عَلَىٰ نَفْيِ الزَّائِدِ وَالْمَقْصُودُ مِنَ الْعَدَدَيْنِ وَاحِدٌ وَهُوَ تَقْلِيلُ عَدَدِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَكْثِيرُ عَدَدِ الْكَافِرِينَ ... وَقَدْ فَتَحَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي ذَلِكَ بِأَجْوِبَةٍ أُخَرَ وَهُوَ حَمْلُ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ وَمَنْ وَافَقَهُ عَلَىٰ جَمِيعِ ذُرِّيَّةِ آدَمَ فَيَكُونُ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ وَاحِدٌ وَحَمْلُ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَمَنْ وَافَقَهُ عَلَىٰ مَنْ عَدَا يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ فَيَكُونُ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ عَشَرَةٌ وَيُقَرِّبُ ذَلِكَ أَنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ذَكَرُوا فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ دُونَ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ... وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَقَعَ الْقِسْمَةُ مَرَّتَيْنِ مَرَّةً مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ قَبْلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَيَكُونُ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ وَاحِدٌ وَمَرَّةً مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَقَطْ فَيَكُونُ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ عَشَرَةٌ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِبَعْثِ النَّارِ الْكُفَّارَ وَمَنْ يَدْخُلُهَا مِنَ الْعُصَاةِ فَيَكُونُ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعُمِائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ كَافِرًا وَمَنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ عَاصِيًا وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ صَحِيْحٌ أَنَّ النِّسَاءَ فِي النَّارِ أَكْثَرَ مِنَ الرِّجَال ؟

الجواب : روىٰ البخاري (٧/ ٣٠ برقم ٥١٩٦) ، مسلم (٤/ ٢٠٩٦ برقم ٢٧٣٦) بسندهما عَنْ أُسَامَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قُمْتُ عَلَىٰ بَابِ الجَنَّةِ، فَكَانَ عَامَّةَ مَنْ دَخَلَهَا المَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الجَدِّ مَحْبُوسُونَ، غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَىٰ النَّارِ، وَقُمْتُ عَلَىٰ بَابِ النَّارِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ» .

وروىٰ البخاري (١/ ١٥ برقم ٢٩) بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ» قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللهِ؟ قَالَ: " يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَىٰ إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ " .

وروىٰ مسلم (٢/ ٦٠٣ برقم ٨٨٥) بسنده عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ يَوْمَ الْعِيدِ، فَبَدَأَ بِالصَّلَاةِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ، بِغَيْرِ أَذَانٍ وَلَا إِقَامَةٍ، ثُمَّ قَامَ مُتَوَكِّئًا عَلَىٰ بِلَالٍ، فَأَمَرَ بِتَقْوَىٰ اللهِ، وَحَثَّ عَلَىٰ طَاعَتِهِ، وَوَعَظَ النَّاسَ وَذَكَّرَهُمْ، ثُمَّ مَضَىٰ حَتَّىٰ أَتَىٰ النِّسَاءَ، فَوَعَظَهُنَّ وَذَكَّرَهُنَّ، فَقَالَ: «تَصَدَّقْنَ، فَإِنَّ أَكْثَرَكُنَّ حَطَبُ جَهَنَّمَ»، فَقَامَتِ امْرَأَةٌ مِنْ سِطَةِ النِّسَاءِ سَفْعَاءُ الْخَدَّيْنِ، فَقَالَتْ: لِمَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «لِأَنَّكُنَّ تُكْثِرْنَ الشَّكَاةَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ»، قَالَ: فَجَعَلْنَ يَتَصَدَّقْنَ مِنْ حُلِيِّهِنَّ، يُلْقِينَ فِي ثَوْبِ بِلَالٍ مِنْ أَقْرِطَتِهِنَّ وَخَوَاتِمِهِنَّ " .

قال الإمام القرطبي في " التَّذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة " (ص٨١٨) : " قال علماؤنا: إنَّما كان النِّساء أقلّ ساكني الجنَّة لما يغلب عليهنَّ من الهوىٰ والميل إلىٰ عاجل زينة الدُّنيا لنقصان عقولهنَّ أن تنفذ بصائرها إلىٰ الأخرىٰ فيضعفن عن عمل الآخرة والتَّأهُّب لها ، ولميلهنَّ إلىٰ الدُّنيا والتَّزيُّن بها ولها، ثمَّ مع ذلك هنَّ أقوىٰ أسباب الدُّنيا التي تصرف الرِّجال عن الأخرىٰ ، لما لهنَّ فيهنَّ من الهوىٰ ، فأكثرهنَّ معرِضات عن الآخرة بأنفسهنَّ ، صارفات عنها لغيرهنَّ، سريعات الانخداع لداعهنَّ من المعرضين عن الدِّين، عسيرات الاستجابة لمن يدعوهنَّ إلىٰ الأخرىٰ وأعمالها من المتَّقين " .

وجاء في " شرح سنن ابن ماجه" (١/ ٢٨٩) : " وَمعنىٰ الحَدِيث : أَنَّهنَّ يجحدن الْإِحْسَان لضعف عقلهنَّ وَقلَّة معرفتهنَّ ، فيستدلّ علىٰ ذمّ من يجْحَد إِحْسَان ذِي إِحْسَان . وَقَالَ الْكرْمَانِي : أَي : تجحدن نعْمَة الزَّوْج وتستقلين مَا كَانَ مِنْهُ ، ويستدلّ من التَّوعيد بالنَّار علىٰ كفرانه وَكَثْرَة اللَّعْن علىٰ أنَّهما من الْكَبَائِر" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ صَحِيْحٌ أَنَّ الشِّيْعَةَ الإِمَامِيَّة يَحْكُمُوْنَ عَلَى أَهْلِ السُّنَّة وَالجَمَاعَةِ بِأَنَّهُم خَالِدُوْنَ فِي النَّار لِأَنَّهُم كُفَّارٌ بِنَظَرِهِم؟

الجواب : من المعلوم أنَّ الشِّيعة الإماميَّة يحكمون بكُفر أهل السُّنَّة والجماعة ، ولأنَّ أهل السُّنَّة في معتقد الشِّيعة الإماميَّة كفَّار ، وخالدون في النَّار ، فقد عاملوهم معاملة الكفَّار ، وطبَّقوا عليهم جميع الأحكام التي تُطبَّق في حالات السِّلم والحرب ، مع العلم أنَّ الشِّيعة الإماميَّة طبَّقوا الأحكام التَّالية علىٰ أهل السُّنَّة والجماعة في الظُّروف العاديَّة لا في ظروف الحرب ، ويظهر ذلك في النّقاط التَّالية:

أَوَّلاً : اسْتِبَاحَتُهُمْ دِمَاءَ أَهْلِ السُّنَّة وَالجَمَاعَةِ:

إنَّ النَّاظر بعين البصر والبصيرة في كتب الشِّيعة الإماميَّة يجد أنَّهم يستبيحون دماء أهل السُّنَّة والجماعة ، لأنَّهم بنظرهم كفَّار يجب قتلهم وقتالهم ، وقد صرَّحت أهمُّ المصادر لديهم بهذا المُعتقد الخَبيث الذي ينمُّ عن عداوة مجوسيَّة شعوبيَّة مركوزة في قلوبهم للإسلام والمسلمين ، ولذلك تجدهم يفرحون باليوم الذي قَتَلَ فيه المجوسيُّ الخبيثُ أبو لؤلؤة فاروقَ الأمَّةِ عمرَ بن الخطَّاب – رضي اللهُ عنه – ويجعلونه عيداً من أعيادهم ، رضاً منهم ومباركة لفعل المجُوسي فيروز قاتل عمر ، ولذلك أطلقوا عليه لقب " بابا شُجاع الدِّين " ، ويعتبرونه بمثابة الأب الرُّوحي للشِّيعة والتَّشيُّع الصَّفوي المجوسي الخبيث...

فمن أعظم الدِّماء التي استباحها الفرس ، ورضي باستباحَتِها الشِّيعة الإماميَّة : دم الخليفة الرَّاشد عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه ، قاهر عبدة النَّار ، ومطفئ نار المجوس...

فقد ذكر محدِّثهم عبَّاس القمِّي " أبا لؤلؤة " ، فقال : " بابا شجاع الدِّين أبو لؤلؤة ، قد ذكرنا في بعض مصنَّفـــاتنا ما يتعلَّق... " . انظر : الكنىٰ والألقاب (٢/ ٦٢) .

وقال : " أبو لؤلؤة ، فيروز الملقَّب ببابا شجـــاع الدِّين النَّهاوندي الأصل ..." . انظر : الكنىٰ والألقاب (١/ ١٤٧) ، وانظر : مستدرك سفينة البحار) ٩ / ٢١٤) .

ولعظيم قدْره عندهم ، فقد جعلوا له نصباً تذكاريَّاً في مدينة " كاشان " الإيرانيَّة ، يحجُّون إليه ، ويطوفون به ، ويدعون حوله قائلين : " اللهُمَّ احشرنا مع بابا شجاع الدِّين " ... ونحن نؤمِّن علىٰ دعائهم ونقول : اللهُمَّ آمين ، اللهمَّ استجب...

وقد رأيت ذلك بأمّ عيني علىٰ شريط مصوَّر ، وهو منشور علىٰ شبكة الإنترنت...

ولم يقف الأمر عند هذا الحدِّ ، بل رووا عن النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كذباً وزوراً - فيما حكاه عن ربِّه جلَّ جلاله : " أنَّ الله تعالىٰ قد أمر الكرام الكاتبين يوم قتل عمر أن يرفعوا الأقلام ثلاثة أيامٍ عن جميع الخلائق ، فلا يكتبون ذنباً علىٰ أحد " . انظر : مختصر التحفة الاثنىٰ عشرية (ص ٣٢٦) .

والمقصود أنَّ الله تعالىٰ فرحَ لمقتل فاروق الأمَّة ، فأمر الكتبة أن يرفعوا الأقلام ثلاثة أيام فلا يكتبوا شيئاً علىٰ الخلائق مهما عملوا من موبقات ومهلكات وطامَّات ، والعياذ بالله تعالىٰ....

ولذلك جعلوا من يوم مقتل فاروق الأُمّة يوم عيد لهم . انظر: الأنوار النعمانية (١/ ١٠٨ -١١١) .

وقد عقد صاحب كتاب : "عقد الدُّرر في بقر بطن عمر" فصلاً ، وضع له عنواناً قال فيه : " ... أنَّه لما طلع الإقبال من مطالع الآمال ، وهبّ نسيم الوصال بالاتِّصال بالغدو والآصال ، بمقتل من لا يؤمن بالله واليوم والآخر عمر بن الخطَّاب الفاجر... ملأن أقداح الأفراح ، من رحيق راح الأرواح ، ممزوجة بسحيق تحقيق السُّرور ، وبماء رفيق توفيق الحبور... ثمَّ عقَّب علىٰ هذه الكلمات بذكر الأشعار الطِّوال التي قيلت ابتهاجاً بمقتل عمر بن الخطَّاب ، رضي الله عنه ، من تلك الأبيات:

يا صاحِ صِحْ أنَّ هذا عيدُ فاطمة	عيد السُّرور ببقر البطن من عمر
يـومٌ بــه فرحت آلُ النَّبيِّ ومن	والاهُمُ من جميع البدو والحضـر
يومٌ به صاح إبليسُ الغويُّ ضحىٰ	بمجمع من غـُواة الجنِّ والبشـر

وَبَثَّ أعوانــه في جمعهـم فعـدوا ... وأقبلوا زمرةً في الحال في زمـر

وقـام فيهم خطيباً قائـلاً لهـم ... اليوم مات عماد الكُفـر والفُجُـر

اليوم مـات رئيس الفاسقين ومن ... ساد الأباليس من جنٍّ ومن بشـر

فيروزُ لا شلَّت الكفَّان منك لقـد ... قتلت غُندر قـد هُنِّيت بالظَّفـر

بقرت بطـن عـدوّ الله من نتجت ... منه البدايع بالصَّمصـامة الذّكـر

قتلت من مـات لم يؤمن بخـالقه ... وفاسقاً لم يكن يومـاً بمزدجـر

ما العيـدُ عيـد ولكـن يوم مقتلـــــــــه ... عيدٌ به عــــــادت الأرواح في الصُّور

انظر: حتىٰ لا ننخدع (ص ١٠٢-١٠٦) ، نقلاً عن عقد الدرر في بقر بطن عمر (ص ٦) ، وهي رسالة مخطوطة بمكتبة رضا رامبو بالهند تحت رقم(٢٠٣) .

وعلىٰ غرار حُكمهم علىٰ الفاروق بالقتل حكموا علىٰ مجموع أهل السُّنَّة بالقتل كذلك ، وكان هذا دينهم وديدنهم ، فقد كانوا علىٰ مدار الأيَّام والسِّنين مع كلِّ عدوّ يتربَّص بالمسلمين الدَّوائر ، سواء في القديم أو في الحديث ، خيانة منهم وتشفِّياً بالإسلام والمسلمين....

" ففي الرِّوايات أنَّ عليّ بن يقطين وهو وزير الرَّشيد قد اجتمع في حبسه جماعةٌ من المخالفين – يقصد أهل السُّنَّة – وكان من خواص الشِّيعة ، فأمر غلمانه وهدموا سقف المحبس علىٰ المحبوسين فماتوا كلّهم ، وكانوا خمسمائة رجل تقريباً ، فأراد الخلاص من تبعات دمائهم ، فأرسل إلىٰ الإمام مولانا الكاظم عليه السَّلام فكتب عليه السَّلام إليه جواب كتابه بأنَّك لو كنت تقدَّمت إليَّ قبل قتلهم لما كان عليك شيء من دمائهم ، وحيث أنَّك لم تتقدَّم إليَّ فكفِّر عن كلِّ رجل قتلته منهم بتيس والتَّيس خير منه !!! فانظر إلىٰ هذه الدِّية الجزيلة التي لا تعادل ديّة أخيهم الأصغر وهو كلب الصَّيد !!! فإنَّ ديّته عشرون درهماً ، ولا ديَّة أخيهم الأكبر وهو اليهودي أو المجوسي ، فإنَّها ثمانمائة درهم ، وحالهم في الآخرة أخسّ وأنجس " . انظر : الأنوار النعمانية (٢/ ٣٠٨)

والنَّاظر في الرِّواية بعين الرِّعاية والعناية يجد أنها تُفيد:

١ –أنّه يجب على أهل السُّنَّة الحذر من الشِّيعة الإماميَّة ، فلا يمكّنوهم في بلاد المسلمين بإسناد الوظائف العَامَّة إليهم ، لأنَّهم قوم جعلوا المكر والخديعة والكذب والتَّدليس والغشَّ ديدناً وديناً لهم ، وهم ما استلموا وظيفة إلَّا خانوا فيها الله ورسوله وجماعة المسلمين.

٢ – أنَّ الشِّيعة الإماميَّة لا يُؤتمنون على دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم.

٣ – أنَّ الأصل في ما يقوم به الشِّيعة الإماميَّة من أعمال : أن يصدر عن أئمَّتهم ، حتى يُصار إلى تخليصهم من التَّبعات المترتِّبة على تلك الأعمال ، والسَّبب في ذلك هو لأنَّ الأئمَّة أعطوا لأنفسهم حقَّ التَّشريع ، لأنَّهم في معتقد الشِّيعة يُوحَى إليهم ، فهم يشرِّعون ، يحلِّلون ويحرِّمون كما يشاؤون . فابن يقطين لو كان أخبر الكاظم بما سيقوم به من قتل المساجين لأفتى له بالحال من غير أن يلحق به شيء من تبعات ذلك العمل الفظيع ، الذي تمخَّض عنه قتل خمسمائة سجينٍ من أهل السُّنَّة والجماعة.

٤ – أنَّ أهل السُّنَّة والجماعة لا قيمة لهم ولا كرامة عند الشِّيعة الإماميَّة ، وأنّ دِية الواحد منهم حتى لو قتله الشِّيعي غيْلة وعمداً لا تعادل دية التَّيس !!! بل التَّيس في نظرهم أفضل من السُّنِّي!!!

٥ – أنَّ دِية الواحد من أهل السُّنَّة والجماعة عند الشِّيعة الإماميَّة لا تعادل دِية كلب الصَّيد الذي وُصف بأنَّه أخٌ للسُّنِّي ، بمعنى أنَّ الشِّيعة يعتبرون أهل السُّنَّة من زمرة الكلاب...

٦ – أنَّ الشِّيعة الإماميَّة يعتقدون بأنَّ حال أهل السُّنَّة والجماعة في الآخرة أخسّ وأنجس من نظرة الشِّيعة لهم في الدُّنيـــا ، بمعنى أنَّ نظرة الشِّيعة الإماميَّة للسُّنَّة الآن هي أكبر وأعظم ممَّا يستحقّه أهل السُّنَّة...

ومن المعلوم أنَّ ابن العلقمي سيِّء الذِّكر هو الذي مهَّد للتَّتر دخول بغداد حتى قتلوا فيها مئات الآلآف من المسلمين . قال الإمام ابن تيمية : " وكان وزير الخليفة ببغداد الذي يقال له ابن العلقمي منهم ، فلم يزل يمكُر بالخليفة والمسلمين ، ويسعى في قطع أرزاق عسكر المسلمين وضعفهم ، وينهى العَامَّة عن قتالهم ، ويكيد أنواعاً من الكيد حتى دخلوا فقتلوا من المسلمين ما يقال أنه بضعة عشر ألف ألف إنسان أو أكثر أو أقل ، ولم يرَ في الإسلام ملحمة مثل ملحمة التُّرك الكفَّار المسمّين بالتَّتر ، وقتلوا الهاشميِّين وسبوا نساءهم من العبَّاسيِّين ، وغير العبَّاسيِّين... " . انظر : منهاج السُّنَّة (٣/ ٣٨) .

ومع كلِّ ما فعل هذا الخائن ومن معه كالنَّصير الطُّوسي والحلِّي !!! رأينا إمامهم الخُميني يُثني على ما فعلوه بالإسلام والمسلمين ، ويعتبر ما قاموا به نصراً للإسلام والمسلمين ، فيقول : " وإذا كانت ظروف التَّقيَّة

تلزم أحداً منَّا بالدُّخول في ركب السَّلاطين ، فهنا يجب الامتناع عن ذلك حتىٰ لو أدَّىٰ الامتناع إلىٰ قتله ، إلَّا أن يكون في دخوله الشَّكلي نصرٌ حقيقيٌّ للإسلام والمسلمين ، مثل دخول علي بن يقطين (ابن العلقمي) ، ونصير الدِّين الطُّوسي " . انظر : الحكومة الإسلامية (ص ١١٨-١١٩) .

وعندما استلم الصَّفويُّون حكم إيران ، فرضوا التَّشيُّع بقوَّة السِّلاح ، وفي مدينة " مرو " شمال شرق إيران قتل الشَّاه إسماعيل الصَّفوي أكثر من عشرة آلاف من أهل السُّنَّة ، لأنَّهم رفضوا التَّشيُّع . انظر : إيران دراسة عامة (ص ١٤٧) .

ثمَّ إنَّه لمَّا احتلَّ بغداد قتل أهلَ السُّنَّة والصُّلحاء ، ونبش قبور الموتىٰ ، وأحرق عظامهم . وهدم مسجد أبي حنيفة النُّعمان ، ونبش قبره ، وهدم المدارس العلميَّة للحنفيَّة والعديد من المساجد... انظر: تاريخ الأعظمية (ص ١١٣) .

وفي أيَّامنا هذه تفاخر نائب الرَّئيس الإيراني : مُحمَّد علي أبطحي بأنَّه لولا إيران لما سقطت كابول وبغداد . انظر : خطر الشِّيعة في القديم والحديث (ص ٥٦).

وفي بغداد وسائر المدن العراقيَّة فعل جيش المهدي وميليشيات فيلق بدر الأفاعيل بأهل السُّنَّة ، فقد شَوَوا الأطفال في الأفران ، وقتلوا كلَّ من تسمَّىٰ بأبي بكر وعمر وعثمان... وثقبوا الأجساد بالمثقب ، وقلعوا أعين الكثيرين ، وقد نشرت القنـاة الرَّابعـة البريطانيَّة في شهر كـانون الثَّـاني عام (٢٠٠٧م) فِلْماً عن الفضائع التي يندىٰ لها الجبين ممَّا صنعوه بأهل السُّنَّة والجماعة ، وما نشاهده ونسمعه في هذه الأيام ممَّا يحدث في سوريا من صور ومآس تذوب لها القلوب ، لهو دليل واقعيٌّ عمليٌّ علىٰ حقد الشِّيعة النُّصيريين المدعومين من الشِّيعة الإماميَّة في إيران ، والعراق ، واستباحتهم لدماء أهل السُّنَّة والجماعة ، والعياذ بالله تعالىٰ ...

ومن الجدير بالذِّكر هنا أنَّ المُحرّك لهم والدَّاعي لتلك الجرائم البشعة بحقِّ أهل السُّنَّة والجماعة هو ما اشتملت عليه كُتُبهم من التَّحريض علىٰ قتل أهل السُّنَّة والجماعة...

فقد روىٰ صدوقهم عن داود بن فرقد قال : " قلت لأبي عبد الله عليه السَّلام : ما تقول في قتل النَّاصب ؟ (أي السُّنِّي) قال : حلال الدَّم ، ولكنِّي أتَّقي عليك فإن قدرت أن تَقْلِب عليه حائطاً أو تُغرقه في ماء لكيلا يشهد به عليك فافعل ، قلت : فما ترىٰ في ماله ؟ قال : تَوِّه ما قدرت عليه " . انظر : علل الشرائع (٢/ ٦٠١) ، الحدائق الناضرة (١٨/ ١٥٦) ، جواهر الكلام (٤١/ ٤٣٦) ، جامع المدارك (٧/ ١١٢) ، در المنضود في أحكام الحدود (٢/ ٢٥٢) ،

وسائل الشيعة(آل البيت) (٢٨/ ٢١٧) ، وسائل الشِّيعة (الإسلامية) (١٨/ ٤٦٣) ، بحار الأنوار (٢٧/ ٢٣١) ، جامع أحاديث الشِّيعة (٢٥/ ٤٩٨) ، الانتصار (٩/ ١٢٥) ، تقريرات الحدود والتعزيرات (١/ ٢٨٣) .

والرِّواية صريحة الدِّلالة في استباحتهم لدماء أهل السُّنَّة والجماعة ، وقد قيل في التَّعبير عمَّا تضمَّنته هذه الرِّواية : ما اختلى شيعيٌ في سُنّيٍ إلَّا فكَّر في قتله.

وبمثل ذلك صرَّح إمامهم نعمة الله الجزائري ، فقال : " ... جواز قتلهم – أي السُّنَّة – واستباحة أموالهم " . انظر : الأنوار النعمانية (٢/ ٣٠٨) .

وقال محدِّثهم يوسف البحراني : " وإلى هذا القول ذهب أبو الصَّلاح وابن إدريس وَسَلار ، وهو الحقُّ الظَّاهر بل الصَّريح من الأخبار لاستفاضتها !!! وتكاثرها بكُفر المُخالف ونصّبه وشِركِه وحلّ ماله ودمه ، كما بسطنا عليه الكلام ، بما لا يحوم حوله شبهة النَّقض والإبرام في كتاب " الشِّهاب الثَّاقب " ، والقول بالكفر هو المشهور بين الأصحاب من علمائنا المتقدِّمين (رضوان الله عليهم أجمعين) . انظر : الحدائق الناضرة (١٠/ ٣٦٠) .

وأضاف قائلاً : " وحينئذ فبموجب ما دلَّت عليه هذه الأخبار وصرَّحت به أولئك العلماء الأبرار ، لو أمكن لأحد اغتيال شيء من نفوس هؤلاء وأموالهم من غير استلزامه لضرر عليه أو على أحدٍ إخوانه ، جاز له فيما بينه وبين الله تعالى" . انظر : الحدائق الناضرة (١٠/ ٣٦٠) .

وكلام إمامهم يوسف البحراني هذا واضحٌ وصريحٌ لا تشوبه شائبة من تقيَّة ، فقد صرَّح ووضَّح بأنَّ الحقَّ الواضح والصَّريح من الأخبار التي روتها كُتبهم عن أئمَّتهم يقضي بجواز قتل أهل السُّنَّة والجماعة ، وهذا الحكم منهم على أهل السُّنَّة لا يقبل الطَّعن ولا تحوم حوله الشُّبهات ، لأنَّ الرِّوايات التي تضمَّنتها كُتبهم عن أئمَّتهم المعصومين متكاثرة مستفيضة ، وهي تقضي بكفر أهل السُّنَّة ، وشِركِهِم ، وحلِّ دمائهم وأموالهم ، وهذا القول هو القول المشهور عندهم ، فلو تمكَّن الشِّيعي من قتل السُّنِّي وسلب وسرقة ماله جاز له ذلك من غير أن تلحقه أيَّة تبعات ، لكن عليه أن يحتاط لئلَّا يراه أحدٌ من أهل السُّنَّة والجماعة فيشهد عليه...

وفي مكتبتي العديد من الأشرطة المصوَّرة التي تنطق بالصَّوت والصُّورة بجواز واستحباب قتل أهل السُّنَّة والجماعة ... ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله.

ثَانِياً : استِبَاحَتِهِمْ أَمْوَالَ أَهْلِ السُّنَّة وَالجَمَاعَة:

من المعلوم بداهةً عند الشِّيعة الإماميَّة كما هو مَسْطُور في كُتبهم أنَّهم يستبيحون أموال أهل السُّنَّة والجماعة ، بعد أن أصدروا حكمهم بكفر أهل السُّنَّة والجماعة ، وممَّا ورد في كتبهم من ذلك:

أخرج شيخُهم الطُّوسي في " تهذيب الأحكام " بسنده عن أبي عبد الله عليه السَّلام قال : " خُذ مال النَّاصب حيث ما وجدته وادفع إلينا الخُمُس... " . انظر : تهذيب الأحكام (٤/ ١٢٣) ، (٦/ ٣٨٧) ، وانظر : بحار الأنوار (٩٧/ ٥٦) ، مستدرك سفينة البحار(١٠/ ٦١) ، جواهر الكلام (١٦/ ١٢) ، ذخيرة المعاد (٣/ ٤٧٧) ، الشهاب الثاقب لرجم النواصب (ص ٢٧) .

فالرِّواية تحثُّ وتحضُّ وتُشجِّع الشِّيعة على أخذ مال السُّنِّي الموحِّد حيث ما وجدوه ، سواء كان في حرزه أم في غير حرزه ... وقد أكَّد محدِّثهم نعمة الله الجزائري في كتابه : " الأنوار النُّعمانيَّة " هذا الأمر ، فقال بعد أن ذكر مقصود علمائهم من النَّاصب : " ... الثَّاني : في جواز قتلهم واستباحة أموالهم ... " . انظر : الأنوار النعمانية (٢/ ٣٠٧) .

وهذا إمامهم الخُميني يقول في كتابه : " تحرير الوسيلة " : " ... والأقوى إلحاق النَّاصب (السُّنِّي) بأهل الحرب في إباحة ما اغتنم منهم ، وتعلَّق بالخُمُس به ، بل الظَّاهر جواز أخذ ماله أين وجد وبأيِّ نحوٍ كان ، ووجوب إخراج خُمُسه " . انظر : تحرير الوسيلة (١/ ٣٥٢) .

فالشِّيعة الإماميَّة يُلحقون أهل السُّنَّة بأهل الحرب دائماً ، ولذلك فهم يطبِّقون عليهم أحكام أهل الحرب على الدَّوام ، وهذا الحكم هو الأقوى عندهم ... وعليه ، فالظَّاهر من أقوال الشِّيعة الإماميَّة تجاه أموال أهل السُّنَّة : هو جواز أخذها أينما وجدت ، وبأيّ طريقة كانت ، سواء بالنَّهب أو بالسَّلب أو بالسَّرقة أو بالرِّبا ، أو بأيّ سبيل يخطر أو لا يخطر على بال...

ولم نجد لمثل هذا الكلام نكيراً عند علمائهم ، فكان إجماعاً... وممَّا يؤكِّد إجماعهم سلفاً وخلفاً على هذه العقيدة ، ما قاله إمامهم البحراني في كتابه : " الحدائق النَّاضرة " ، قال : " أنَّ إطلاق المسلم على النَّاصب وأنه لا يجوز أخذ ماله من حيث الإسلام خلاف ما عليه الطَّائفة المحقَّة سلفاً وخلفاً من الحكم بكفر النَّاصب ونجاسته وجواز أخذ ماله بل قتله " . انظر : الحدائق الناضرة (١٢/ ٣٢٤) ، وانظر : جواهر الكلام) ١٦/ ١٢)

...

ثَالِثَاً : عَدَمُ جَوَازِ دَفْعِ الزَّكَاةِ لأَهْلِ السُّنَّة وَالجَماعَةِ:

من المعلوم أنَّ الشِّيعة الإماميَّة ، يحرِّمون على أتباعهم إعطاء زكاة أموالهم لأهل السُّنَّة ، حتى أنَّ بعضهم نقل الإجماع على ذلك ، لأنَّ أهل السُّنَّة بنظر الشِّيعة كفَّار ، والزَّكاة لا تُدفع لغير المؤمن ، فإذا دفعها الشِّيعي للسُّنِّيّ لا تسقط عن الذِّمَّة ، كما أنَّ السُّنِّي إذا رجع إلى الشِّيعة لا يُطالب بإعادة شيء من العبادات إلَّا الزَّكاة ...

يقول الشَّريف المرتضى : " وممَّا انفردت به الإماميَّة : القول بأنّ الزَّكاة لا تجزئ إلَّا إذا انصرفت إلى إماميٍّ ، ولا تسقطُ عن الذِّمَّة بدفعها إلى مُخالف ، والحُجَّة في ذلك : مضافاً إلى الإجماع : أنَّ الدَّليل قد دلَّ على أنَّ خلاف الإماميَّة في أصولهم كُفر وجار مجرى الرِّدَّة ، ولا خلاف بين المسلمين في أنَّ المرتدَّ لا تخرج إليه الزَّكاة " . انظر : كتاب الزَّكاة ، الأنصاري (ص ٣٢٤) .

فالزَّكاة عندهم لا تُجزئ ولا تسقطُ عن الذِّمَّة إلَّا إذا انصرفت إلى الشِّيعة الإماميَّة ، فإذا دُفعت إلى أهل السُّنَّة لا تسقط عن المكلَّف ، بل تبقى في الذِّمَّة . والغريب في هذا الأمر أن يتكلَّم الشَّريف المرتضى وغيره من علمائهم عن الإجماع ، والإجماع لا قيمة ولا وزن له عندهم إلَّا إذا اشتمل على قول الإمام المعصوم !! ذلك أنَّهم أثبتوا الإجماع واشترطوا له شرطاً هو قول الإمام ، وجعلوا هذا الشَّرط هو الحجَّة ، فلو حصل الإجماع بدون هذا الشَّرط بطل ، بينما لو انفرد الشَّرط لكان حجَّة . وعليه فإنَّ كلام الشِّيعة الإماميَّة عن الإجماع كلام مُفرغ من معنى الإجماع الحقيقي الذي شرحته ووضَّحته كُتب أُصول الفقه ، فلا حجَّة للإجماع عندهم أبداً ، إذ مدار حجيَّة الإجماع عندهم قائمة على قول الإمام المعصوم لا على نفس الإجماع ، وقد فصّلت الكلام في هذه المسألة في رسالتي : " الإِمْتَاعُ في بَيَانِ مَوْقِفِ الشِّيْعَةِ مِنَ الإِجْمَاع " ...

وتأكيداً منهم على منعهم إعطاء الزَّكاة لأهل السُّنَّة والجماعة يقول آيتهم العظمى السِّيسْتَاني في كتابه : " منهاج الصَّالحين " تحت مبحث : في أوصاف المستحقِّين " للزَّكاة " ، ما نصّه : " فلا يعطي الكافر ، وكذا المخالف منها " أي الزَّكاة " ، وقال أيضاً : " إذا أعطَى الُمخالف زكاتَه أهل نِحلته ، ثمَّ رجع إلى مذهبنا " أي تشيَّع " أعادها ، وإن كان قد أعطاها المؤمن " أي الشِّيعي " أجزأ " . انظر : منهاج الصالحين ، السيستاني (١/ ٣٧٣) ، وانظر : الموسوعة الفقهية الميسرة (٢/ ٢٢٧) ، منهاج الصالحين ، الخُوئي (١/ ٣١٤) ، منهاج الصالحين ، مُحمَّد الحسيني الروحاني (١/ ٣٣٢) ، منهاج الصالحين ، مُحمَّد سعيد الحكيم (١/ ٣٨٣) ، منهاج الصالحين ، مُحمَّد صادق الروحاني (١/ ٣٣٥) ، منهاج الصالحين ، مُحمَّد إسحق الفياض (٢/ ٣٣) ، منهاج الصالحين ، وحيد الخراساني (٢/ ٣٤٩) .

وقال إمامهم الحلّي : " لا يُعطىٰ غير الإمامي وإن اتَّصف بالإسلام ، ونعني به كلّ مُخالف في اعتقادهم الحقّ كالخوارج والمجسِّمة وغيرهم من الفِرَق الذين يُخرجهم اعتقادهم عن الإيمان ، وخالف جميع الجمهور في ذلك واقتصروا علىٰ اسم الإسلام . لنا أنَّ الإيمان هو تصديق النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآله في كلِّ ما جاء به ، والكُفر جحودُ ذلك ، فمن ليس بمؤمن كافر ، وليس للكافر زكاة لما بيَّنَّاه ، ولأنَّ مُخالف الحقّ معادٍ لله ورسوله ، فلا تجوز موادَّته ، والزَّكاة معُونة ومودَّةٌ وإرفاقٌ فلا تُصرف إلىٰ مُعَاد " . انظر : المعتبر في الشرح المختصر (٢/ ٥٧٩) ، كتاب الطهارة ، الخميني (٣/ ٣١٧) .

والنَّاظر في كلام الحلِّي هذا يجد أنَّ كلامه يُضحكُ الثَّكلىٰ ، فعن أيّ سُنّة يتحدَّث ، وهم يُحاربون السُّنَّة ويكفِّرون نَقَلتَها من الصَّحابة والتَّابعين ، يُضاف لذلك أنَّ ما تضمَّنته كُتبهم من روايات نسبوها لرسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليست بشيء في مقابل ما كذبوه علىٰ أئمَّتهم ، مع أنَّ أغلب ما وضعوه وكذبوه علىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُخالف لكتاب الله تعالىٰ ، هذا بالإضافة إلىٰ أنَّهم لا يعنون بالسُّنَّة إلَّا ما كذبوه علىٰ أئمَّتهم (المعصومين) من قول أو فعل أو تقرير ، لأنَّهم يعتقدون بأنَّ كلام الأئمَّة لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فكلامهم تماماً ككلام الله تعالىٰ وكلام رسوله ، فأئمَّتهم يُوحىٰ إليهم ، وبالتَّالي فإنَّ الأئمَّة لا ينطقون عن الهوىٰ إن هو إلَّا وحيٌ يُوحىٰ ... وقد تكلَّمت عن هذه المسألة بالتَّفصيل في رسالتي : " إِضَاءَةُ الدِّجُنَّةِ فِي تَوْضِيْحِ عَقِيْدَةِ الشِّيعة الإماميَّة بِالسُّنَّةِ " ...

وفي معرض ذكره لأوصاف المستحقِّين للزَّكاة ، ذكر إمامهم الميرزا القمِّي إجماع شيعتهم علىٰ أنَّ السُّنِّي لا يُعطىٰ من الزَّكاة ، وأنَّ السُّنِّي إذا رجع عن سُنِّيَّته إلىٰ التَّشيُّع لا يُعيد شيئاً من عباداته إلَّا الزَّكاة ، لأنَّه وضعها في غير موضعها ، قال الميرزا : " في أوصاف المستحقِّين للزَّكاة ، وفيه مباحث : الأوَّل : يُشترط فيهم الإيمان إلَّا المؤلَّفة قلوبهم كما مرّ ... والمراد بالإيمان : هو الإسلام مع القول بالأئمَّة الاثنىٰ عشر ، عليهم السَّلام ، بدليل إجمالي تطمئن إليه النَّفس . ويدلُّ علىٰ اعتباره بعد الإجماع الأخبار الكثيرة ، منها " صحيحة الفضلاء " ، و " صحيحة بريد بن معاوية العجلي " ، و "صحيحة إسماعيل بن سعد الأشعري " المصرِّحة باشتراطه في زكاة الفطر أيضاً .

وفي " العيون " رواية عن الصَّادق عليه السَّلام في المنع عن إعطاء المجبرة والقائلين بأنّ الله يكلِّف عباده مالا يطيقون ، وفي " كتاب التَّوحيد " رواية تدلُّ علىٰ منعها عن المجسِّمة . وفي " رجال الكشِّي " ما يدلُّ علىٰ منعها عن الواقفيَّة . وفي " التَّهذيب " ما يدلُّ علىٰ منعها عن الزَّيديَّة . ثمَّ أنَّ في " صحيحة الفضلاء "

و "صحيحة بريد " أنَّ المخالف إذا استبصر وَحَسُن رأيه (أي : تشيَّع) لا يُعيد شيئاً من عباداته إلَّا الزَّكاة ؛ لأنَّه وضعها في غير موضعها ، وإنَّما موضعها أهل الولاية ، والظَّاهر أنَّ وجوب إعادة الزَّكاة عليه حينئذ يكون إجماعيَّاً، والمُستفاد منهما ومن غيرهما أنَّه لو كان أعطاها أهل الولاية لا تجب عليه الإعادة ، وهو كذلك " . انظر : غنائم الأيام في مسائل الحلال والحرام (٤/ ١٦٢-١٦٣) .

وأكَّد الشَّريف المرتضىٰ علىٰ قيام إجماع الشِّيعة !! علىٰ المنع من دفع الزَّكاة لأهل السُّنَّة ، فقال : " المسألة الثَّامنة والعشرون : (اشتراط الولاية في مستحقِّي الزَّكاة) ولا يجزئ إخراجها إلَّا إلىٰ القرين العارفين لولاية أمير المؤمنين عليه السَّلام ، فإن أُخرجت إلىٰ غيرهم وجبت الإعادة . والوجه في ذلك : بعد الإجماع المتكرِّر ذكره !!! أنَّ الجاهل لولاية أمير المؤمنين عليه السَّلام وإمامته مرتدٌّ عند أهل الإمامة !!! ولا خلاف عند المسلمين في أنَّ الزَّكاة لا تُخرج إلىٰ المرتدِّين ، ومن أخرجها إليهم وجبت عليه الإعادة ، وهذا فرعٌ مبنيٌ علىٰ هذا الأصل " . انظر : رسائل الشريف المرتضىٰ (١/ ٢٢٥) .

وقال مُحمَّد حسن النَّجفي في " جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام ": " (الوصف الأوَّل الإيمان) بالمعنىٰ الأخصّ (فلا يُعطىٰ الكافر) بجميع أقسامه في غير التَّأليف وسبيل الله بلا خلاف معتدّ به بين المسلمين فضلاً عن المؤمنين ، بل الإجماع بقسميه عليه ، بل المحكي منه متواتر ، بل يُمكن دعوىٰ كونه من ضروريَّات المذهب أو الدِّين " .

(و) كذا (لا) يُعطىٰ (معتقداً لغير الحقّ) من سائر فرق المسلمين بلا خلاف أجده فيه بيننا ، بل الإجماع بقسميه عليه ، بل المحكي منه متواتر كالنُّصوص خصوصاً في المخالفين ، قال إسماعيل بن سعد الأشعري : سألت الرِّضا (عليه السَّلام) عن الزَّكاة هل توضع فيمن لا يعرف ؟ قال : لا ولا زكاة الفطر . وقال ضريس : سأل المدائني أبا جعفر (عليه السَّلام) أنَّ لنا زكاة نخرجها من أموالنا فيمن نضعها ؟ فقال : في أهل ولايتك ، فقال : إني في بلاد ليس فيها أحد من أوليائك ، فقال : ابعث بها إلىٰ بلدهم تُدفع إليهم ، ولا تدفعها إلىٰ قوم إن دعوتهم إلىٰ أمرك لم يجيبوك ، وكان والله الذَّبح .

وقال ابن بلال : كتبت إليه أسأله هل يجوز أن أدفع زكاة المال والصَّدقة إلىٰ مُحتاج غير أصحابي ؟ فكتب : لا تعطي الصَّدقة والزَّكاة إلَّا لأصحابك . وقال عمر بن يزيد : سألته عن الصَّدقة علىٰ النُّصَّاب وعلىٰ الزَّيديَّة فقال : لا تتصدَّق عليهم بشيء ، ولا تسقهم من الماء إن استطعت ... " . انظر : جواهر الكلام (١٥/ ٣٧٧-٣٧٨) ، وانظر : الكافي ، (٣/ ٥٤٧) ، المقنعة (ص ٢٤٢) ، المعتبر (٢/ ٥٨٠) ، تذكرة الفقهاء (٥/ ٣٣٩) ، منتهىٰ الطلب (١/ ٥٢٢) ، نهاية

الأحكام (٢/ ٣٩٦) ، ذخيرة المعاد (١/ ٤٥٧) ، رياض المسائل (٥/ ٢٣٠) ، مصباح الفقيه (٣/ ١٠٥) ، جامع المدارك (٢/ ٧٦) ، تهذيب الكلام (٤/ ٥٢) ، وسائل الشِّيعة (آل البيت) (٩/ ٢٢١) ، وسائل الشِّيعة (الإسلامية)(٦/ ١٥٢) ، عوالي اللئالئ (٣/ ١٢٢) ، الفصول المهمة (٢/ ١٣٨) ، جامع أحاديث الشِّيعة (٨/ ٢٠٥) ، مسند الإمام الرضا (٢/ ٢١٠) ، موسوعة أحاديث أهل البيت (٤/ ٣٤٦) .

رَابِعَاً : تَجْوِيْزُهُم لَعْن وَسَبّ أَهْل السُّنَّة وَالجَماعَةِ ، الأَحْيَاء مِنْهُم وَالأَمْوَات ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَفْضَلِ القُرُبَات وَمِنَ الضَّرُوْرِيَّات:

إنَّ النَّاظر في كتب الشِّيعة الإماميَّة يجد أنَّ أغلب كتبهم اشتملت على سبِّهم لأهل السُّنَّة والجَماعة ، وأنَّ رواياتهم في السَّبِّ واللعن مستفيضة ، لدرجة أنَّهم اعتبروا ذلك من الضَّروريَّات ، ومن أعظم القُرُبَات...

قال إمامهم الخُوئي : " ومن البديهي أنَّه لا أُخوَّة ولا عصمة بيننا وبين المخالفين... أنَّه ثبت في الرِّوايات والأدعية والزِّيارات جواز لعن المُخالفين ، ووجوب البراءة منهم ، وإكثار السَّبِّ عليهم ، واتِّهامهم ، والوقيعة فيهم : أي غيبتهم ، لأنَّهم من أهل البدع والرِّيَب ... قيام السِّيرة المستمَّرة بين عوام الشِّيعة وعلمائهم على غِيْبَة المخالفين ، بل سبّهم ولعنهم في جميع الأعصار والأمصار ، بل في الجواهر أنَّ جواز ذلك من الضَّروريَّات !!! " . انظر : مصباح الفقاهة (١/ ٥٠٥) .

وكلام الخُوئي هذا اشتمل على العديد من الطَّامَّات ، منها:

١ – تصريحُ الشِّيعة الإماميَّة بأنَّه لا أُخوَّة بينهم وبين أهل السُّنَّة ، وهذه صفعةٌ في وجه من لا يزال يقول من البُلهاء الأغبياء الجُهلاء : إخواننا الشِّيعة ، ويسعى لما يسمَّى بالتَّقريب بين السُّنَّة والشِّيعة...

٢ – تجويزُهم لعن وسبّ أهل السُّنَّة والجماعة وإكثارهم من ذلك.

٣ – إعلانُهم البراءة من أهل السُّنَّة والجماعة.

٤ – تجويزُهم اتِّهام أهل السُّنَّة والجماعة والوَقِيعة بهم.

٥ – اتِّهامُهم أهل السُّنَّة بأنَّهم أهل البدع والرِّيَب.

٦ – اعتبارهم ما سبق من تجويزهم لعن أهل السُّنَّة ، وسبّهم ، والبراءة منهم ، واتِّهامهم بأنَّهم أهل البدع والرِّيَب ، وإكثارهم من ذلك ، من ضروريَّات !! مذهب التَّشيُّع ، بمعنى أنَّ من لم يؤمن بذلك يُعتبر كافراً ، لأنَّه خالف المعلوم من الدِّين بالضَّرورة....

وقد نال الصَّحابة الكرام القسم الأكبر من لعن الشِّيعة وسبّهم ، لدرجة أنَّهم وضعوا دعاء في سبّ خليفتَي سيِّدنا رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أبي بكر وعمر ، رضي الله عنهما ، سمُّوه بـ " دُعاء صنمي قريش " ونسبوه لعليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وقد ذكرت الدُّعاء بطوله في رسالة خاصَّة أسميتها بـ : " عَقِيْدَةُ الشِّيعة الإماميَّة بِصَحَابَةِ خَيْرِ البَرِيَّةِ " ، وقد ابتدأوا دعائهم بقولهم : " اللهُمَّ العن صنمي قريش ، وجِبْتَيهما ، وطاغوتيهما ، وإفكيهما ، وابنتيهما ، اللذين خالفا أمرك ، وأنكرا وحيك ، وجحدا إنعامك ، وعصيا رسولك ، وقَلَبا دينك ، وحرَّفا كتابك ... اللهُمَّ العنهما في مكنون السرّ وظاهر العلانية ، لعناً كثيراً دائباً دائماً سرمداً لا انقطاع لأمده ، ولا نفاذ لعدده ، ويغدو أولُه ولا يروح آخره ، لهم ولأعوانهم وأنصارهم ، ومحبِّيهم ، ومواليهم ، والمسلمين لهم ، والمائلين إليهم ، والنَّاهضين بأجنحتهم ، والمعتقدين بكلامهم ، والمصدِّقين بأحكامهم ... " . انظر : ورد دعاء صنمي قريش في : بحار الأنوار (٨٢/ ٢٦٠-٢٦١) ، المصباح (ص ٥٥٢) ، كما أشير إليه في : كتاب الصَّلاة للأنصاري (١/ ٤١٥) ، مستدرك الوسائل (٤/ ٤٠٥) ، خاتمة المستدرك (٢/ ٤٦٣) ، إقبال الأعمال (١/ ١٢) ، اليقين (ص ٦٩) ، جمال الأسبوع (ص ١٢) ، المحتضر (ص ٧٢) ، بحار الأنوار (٢٠/ ١٣٤) ، (٢/ ٦) ، (٦/ ٣٨٥) ، (٨/ ٦١٢) ، الإمام علي بن أبي طالب (ص ٥٠٤) ، مكاتيب الرسول (١/ ٦٠٢) ، الدرة الفاخرة (ص ٣٤٠) ، تراجم الرجال (٢/ ٢٧٥) ، كشف الحجب والأستار (ص ٣٣٥) ، الذريعة (١٠/ ٩) ، (١١/ ٢٣٦) ، (١٣/ ٢٤٦) ، (٢١/ ١٠٩) ، (٢٤/ ١٤١) ، (٢٦/ ١٥٩) ، مجمع النورين (ص ١٠٣) ، تقريب المعارف (ص ٢٤٥) ، شرح إحقاق الحق (١/ ٦) ، (٢/ ٣٥٠) ، (٣/ ١٤٧) ، ألف سؤال وإشكال (١/ ١٤٦) ، رسائل ومقالات (ص ٣٩٩) ، كذبوا علىٰ الشِّيعة (ص ٤٥) ...

وهذا الدُّعاء الذي لم يستثنِ أحداً من أهل السُّنَّة ، مذكور ومشهور في كتب الشِّيعة ، قال إمامهم المجلسي في بحار الأنوار : " ودعاء صنمي قريش مشهور بين الشِّيعة ، ورواه الكفعمي عن ابن عبَّاس ، أنَّ أمير المؤمنين عليه السَّلام كان يقنت به صلاته !! وسيأتي في كتاب الصَّلاة إن شاء الله ، وهو مشتمل علىٰ جميع بِدَعِهما ، ووقع فيه الاهتمام والمبالغة في لعنهما بما لا مزيد عليه " . انظر: بحار الأنوار (٣٠/ ٣٩٤) ،(٣١/ ٦٣١) ، (٨٢/ ٢٦٠) ، كتاب الصَّلاة ، الأنصاري (١/ ٤١٦) ، مستدرك الوسائل (٤/ ٤٠٥) ، جامع أحاديث الشِّيعة (٥/ ٣١٣) ، مستدرك سفينة البحار (٨/ ٦١١) ، الانتصار (٦/ ٤٦٨) .

وروىٰ الكليني عن أبي جعفر عليه السَّلام قال : " ... أنَّ الشيخين - أبا بكر وعمر - فارقا الدُّنيـــا ، ولم يتوبا ، ولم يذكرا ما صنعا بأمير المؤمنين عليه السَّلام ، فعليهما لعنة الله والملائكة والنَّاس أجمعين " . انظر : الكافي(٨/ ٢٤٦) ، التفسير الصافي (٣/ ٤٧) ، تفسير نور الثقلين (٢/ ٤٦٦) ، شرح أصول الكافي (١٢/ ٣٤٠) ، بحار الأنوار (٣٠/ ٢٦٦) ، كشف الحقائق (ص ١٧٧) ، الانتصار (٨/ ٣٢٣) .

فلعنُ الشِّيعة للصَّاحبين الجليلين : أبي بكر وعمر ، مذكور في أقدس الكتب عند الشِّيعة الإماميَّة ، وهو كتاب " الكافي " للكليني....

والحقّ أنَّني ما قرأت في كتاب من كُتبهم إلَّا وأجد لعنهم للصَّحابة ، لدرجة أنَّنا لو أفردنا كتاباً بذلك لاشتمل على مئات الصَّفحات...

ولم يقف الشِّيعة الإماميَّة عند هذا الحدِّ بل تعدَّى لعنهم وشتمهم وسبهم أموات أهل السُّنَّة.

فقد روى الحرّ العاملي في " وسائله " عن أبي عبد الله عليه السَّلام أنَّ رجلاً من المنافقين – أهل السُّنَّة – مات فخرج الحسين بن عليّ عليه السَّلام يمشي معه ، فلقيه مولى له فقال له الحسين عليه السَّلام : أين تذهب يا فلان ؟ قال : فقال له مولاه : أفرُّ من جنازة هذا المنافق أن أصلِّي عليه ، فقال له الحسين عليه السَّلام : انظر أن تقوم على يميني فما تسمعني أن أقول فقُل مثله ، فلمّا أن كبَّر عليه وليُّه ، قال الحسين عليه السَّلام : الله أكبر ، اللهُمَّ العن فلاناً عبدك ألف لعنة مؤتلفة غير مختلفة ، اللهُمَّ اخزِ عبدك في عبادك وبلادك ، واصله حرّ نارك وأذقه أشدَّ عذابك ، فإنه كان يتولَّى أعداءك ، ويعادي أولياءك ، ويبغض أهل بيت نبيِّك " . انظر : وسائل الشِّيعة (الإسلامية)(٢/ ٧٧٠) ، وسائل الشِّيعة (آل البيت)(٣/ ٧٠) ، الكافي (٣/ ١٨٩) ، من لا يحضره الفقيه (١/ ١٦٨) ، تهذيب الأحكام (٣/ ١٩٧) ، مستدرك الوسائل (٢/ ٢٥٤) ، بحار الأنوار (٤٤/ ٢٠٣)(٧٨/ ٣٩٠) ، العوالم ، الإمام الحسين (ص ٧١) ، جامع أحاديث الشِّيعة (٣/ ٣٢٧) ، موسوعة كلمات الإمام الحسين (ص ٨٢٠) ، ملتقى الجمان (١/ ٢٧٢) ، الإمام الحسين في أحاديث الفريقين (٢/ ٢٧٧) ، المقنع (ص ٧٠) ، الهداية (ص ١١٤) ، منتهى الطلب (١/ ٤٥٤) ، ذكرى الشِّيعة في أحكام الشريعة (١ /٤٣٨) ، روض الجنان (ص ٣٠٧) ، ذخيرة المعاد (١/ ٣٢٩) ، كشف اللثام (٢/ ٣٥٤) ، الحدائق الناضرة (١٠/ ٤١٤) ، غنائم الأيام (٣/ ٤٨٠) ، مصباح الفقيه (٢/ ٥٠٨) ، الينابيع الفقهية (١/ ٤٢) ، الأحكام الشرعية (ص ١٠٩) .

والرِّواية تتَّهم الحسين رضي الله عنه بالنِّفاق ، لأنَّ ظاهره خالف باطنه ، حيث أوهم المصلِّين أنَّه يصلِّي معهم ، مع أنَّه كان يلعن ويدعو على الميِّت بالويل والثُّبور وعظائم الأمور ، والعياذ بالله ، وهل هذه هي أخلاق أهل البيت ؟!! وهل هذه هي سنَّة الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... إنَّها بحقٍّ أخلاق آل البيت المجوسي ، لا أخلاق آل بيت الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...

وروى الصَّدوق عن أبي عبد الله – أيضاً – ، قال : " إذا صلَّيت على عدوّ الله (أي السُّنِّي) فقُل : اللهُمَّ إنَّا لا نعلم منه إلَّا أنَّه عدوٌّ لك ولرسولك ، اللهُمَّ فاحشِ قبره ناراً ، واحشِ جوفه ناراً ، وعجِّل به إلى النَّار ، فإنَّه كان يُوالي أعداءك ، ويُعادي أولياءك ، ويبغُضُ أهلَ بيت نبيِّك ، اللهُمَّ ضيِّق عليه قبره ، فإذا رفع فقُل

: اللهُمَّ لا ترفعه ولا تزكِّه " . انظر : وسائل الشِّيعة (آل البيت)(٣/ ٦٩) وسائل الشِّيعة (الإسلامية)(٢/ ٧٧٠) ذخيرة المعاد (١/ ٣٢٩) كشف اللثام (٢/ ٣٥٤) التحفة السنية (ص ٣٥٤) الحدائق الناضرة (١٠/ ٤١٤) رياض المسائل (٤/ ١٧١) جواهر الكلام (١٢/ ٤٩) مصباح الفقيه (٢/ ٥٠٨) جامع المدارك (١/ ٥٧٠) الكافي (٣/ ١٨٩) من لا يحضره الفقيه (١/ ١٦٨) ، جامع أحاديث الشِّيعة (٣/ ٣٢٨) ، ملتقى الجمان) ١/ ٢٧١) .

والرِّواية حملت ألواناً من كذب الشِّيعة الإماميَّة الذي سطّروه على الأئمَّة ، من ذلك:

١ – اتِّهامهم أهلَ السُّنَّة والجماعة بأنَّهم أعداء الله ولرسوله.

٢ – اتِّهامهم أهل السُّنَّة والجماعة بأنَّهم يُوالون أعداء الله تعالى وأعداء رسولــه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣ – اتِّهامهم أهل السُّنَّة والجماعة بأنَّهم أعداء لأولياء الله تعالى.

٤– اتِّهامهم أهل السُّنَّة والجماعة بأنَّهم يبغضون أهل بيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والحقُّ أنَّ كلامهم هذا من باب : رمتني بدائها وانسلّت ... فمن يقرأ في كُتب الشِّيعة الإماميَّة يعلم أنَّ جميع الأوصاف التي رموا بها أهل السُّنَّة تنطبق عليهم تماماً ، فهُم مَنْ والى أعداء الله تعالى وأعداء رسوله وأعداء المؤمنين على مرِّ العُصور ، وهُم من عادى ويُعادي أولياء الله تعالى ، وهُم من يبغُض ويمقُتُ أهلَ البيت الأطهَار ، فقد كفَّروهم ، ولعنوهم ، ووصفوهم بأقذع الأوصاف ... وقد وضَّحت ذلك كلَّه في عدّة رسائل ، من أهمها : " أَسْمَى المَطَالِبِ فِي تَوْضِيْحِ تَفْرِيْطِ الشِّيعة الإماميَّة فِي عَلِيِّ بنِ أَبِيْ طَالِبِ " ، وكذا في غيرها من الرَّسائل ...

ومن أدعيتهم على موتى أهل السُّنَّة ما ذكره إمامهم وشيخهم القمِّي في " غنائم الأيام في مسائل الحلال والحرام " ، قال : " وإن كان الميِّت مخالفاً ، فأقلُّ الواجب !! هو الدُّعاء عليه ، والمنقول فيه روايات ، منها حسنة الحلبي في جاحد الحقّ : " اللهُمَّ املأ جوفه ناراً ، وقبره ناراً ، وسلِّط عليه الحيَّات والعقارب " . ومنها صحيحة صفوان بن مهران للنَّاصب : " اللهُمَّ اخزِ عبدك في عبادك وبلادك ، اللهُمَّ أصله أشدَّ نارك ، اللهُمَّ أذقه حرَّ عذابك ، فإنَّه كان يوالي أعداءك ، ويعادي أولياءك ، ويبغض أهل بيت نبيِّك " . انظر : غنائم الأيام (ص٤٨٠) ، وانظر : الدروس (١/ ١١٣) ، ذكرى الشِّيعة في أحكام الشريعة (١/ ٤٣٩) ، روض الجنان (٣/ ٣٠٧) ، ذخيرة المعاد (١/ ٣٢٩) ، كشف اللثام (١/ ١٣٠) ، (٢/ ٣٥٥) ، التحفة السنية (ص ٣٥٤) ، رياض المسائل (٤/ ١٧١) ، الحدائق الناضرة (١٠/ ٤١٥) ، مستند الشِّيعة (٦/ ٣١٠) جواهر الكلام (١٢/ ٤٨) ، مصباح الفقيه (٢/ ٥٠٨) ، اللمعات النيرة (ص ١٤٠) ، الينابيع الفقهية (٢٦/ ٣٠٥) ، الكافي (٣/ ١٩٠) ، وسائل الشِّيعة (آل البيت)(٣/ ٧١) ، وسائل الشِّيعة (الإسلامية)(٢/ ٧٧١) ، مستدرك الوسائل (٢/ ٢٥٥) جامع أحاديث الشِّيعة (٣/ ٣٢٦) ، تفسير نور الثقلين (٢/ ٢٥١) ، ملتقى الجمان (١/ ٢٧٦) ، منهاج الهداية (ص ١٠٦) .

والرِّواية تُوجبُ على الشِّيعة الإماميَّة الدُّعاء على أموات أهل السُّنَّة ، بل تعتبر الدُّعاء على أموات أهل السُّنَّة أقلّ الواجب على المكلَّف !!! بمعنى أنَّ من قصَّر في الدُّعاء على أموات أهل السُّنَّة لحقته المؤآخذة والعقاب والملامة...

ويذهب إمامهم الأنصاري إلى جعل لَعْن أهل السُّنَّة والدُّعاء عليهم بتضعيف العذاب أحياءً وأمواتاً من أفضل القُرُبَات والأعمال !!! فيقول : " وتغسيلهم غسل أهل الحقّ ليس كذلك ، نعم هو احترام عندنا من جهة أنه إيصال خير ونفع أخروي إليهم ، لكنَّه غير مطلوب للشَّارع ، وكيف يطلب إيصال النَّفع الأخروي إلى من طُلب لعنه والدُّعاء عليه بتضعيف العذاب حياً وميتاً، وجعله من أفضل الأعمال " . انظر : كتاب الطهارة ، الأنصاري) ٢/ ٢٧٧) .

وتغسيلهم لموتى أهل السُّنَّة لا يجوز إلَّا إذا دعت ضرورة التَّقيَّة لذلك ، فيغسله ، وإذا صلَّى عليه (تقيَّة) لعَنَه ولم يدع له ، إذ الدُّعاء عليه أقلّ الواجب على المكلَّف عندهم ، ومن أفضل القُرُبَات . قال إمامهم المُفيد : " ولا يجوز لأحد من أهل الإيمان أن يغسِّل مخالفاً للحقِّ في الولاية ، ولا يصلِّي عليه ، إلَّا أن تدعوه ضرورة إلى ذلك من جهة التَّقيَّة ، فيغسِّله تغسيل أهل الخلاف ، ولا يترك معه جريدة ، وإذا صلَّى عليه لعنَه ولم يدع له فيها " . انظر : المقنعة (ص ٨٥) ، ذخيرة المعاد (١/ ٨٠) ، (١/ ٣٢٧) ، الحدائق الناضرة (٣/ ٤٠٥) ، (٥/ ١٧٦) ، (١٠/ ٣٦٠) ، بحار الأنوار (٧٨/ ٢٩٩) ، جواهر الكلام (٤/ ٨٢) ، تهذيب الأحكام (١/ ٣٣٥) ، الإمام علي بن أبي طالب (ص ١٩١) .

وإمعاناً منهم في الحقد على أهل السُّنَّة والجماعة ، فقد منعوا من توجيه محتضري أهل السُّنَّة نحو القبلة ، حتى لا ينالوا رضا الله تعالى ومغفرته ورحمته ، وجعلوا ذلك خاصَّاً بهم.

قال إمامهم الخُوئي : " والعُمدة هو مُرسلة الصَّدوق أو مُسنده ، والتَّعليل الوارد في رواية الصَّدوق ظاهر في أنَّ الغرض من التَّوجيه تجليل الميت وتعظيمه بحيث يقبل الله وملائكته إليه في آخر حياته ، وهذا مختصٌّ بالمؤمن ، فالتَّعدِّي عنه إلى المسلم فضلاً عن الكافر وغيره ممَّا لا وجه له " . انظر : كتاب الطهارة ، الخُوئي (٨/ ٣٦) .

ثم أنَّهم منعوا من السَّير أمام جنازة السُّنِّي ، لأنَّ ملائكة العذاب تستقبله بأنواع العذاب ، فعن أبي بصير قال : " سألت أبا عبد الله (عليه السَّلام) كيف أصنع إذا خرجت مع الجنازة ؟ أمشي أمامها أو خلفها أو عن يمينها أو عن شمالها ؟ فقال : إن كان مخالفاً فلا تمشِ أمامه ، فإنَّ ملائكة العذاب يستقبلونه بأنواع

العذاب " . انظر : وسائل الشِّيعة (آل البيت) (٣/ ١٥٠) ، ذخيرة المعاد (١/ ٣٣٧) ، الحدائق الناضرة (٤/ ٧٤) ، مصباح الفقيه (١/ ٤١٥) ، الكافي (٣/ ١٧٠) ، علل الشرائع (١/ ٣٠٤) ، تهذيب الأحكام (١/ ٣١٢) ، سماء المقال في علم الرجال (٢/ ٢٩) ، جامع احاديث الشِّيعة (٣/ ٣٨٢) ، بحار الأنوار (٧٨/ ٢٧٤) ، وسائل الشيعة(الإسلامية))٢/ ٨٢٦) ، **ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله.**

خَامِسَاً : تَصْرِيْحُهُم بِنِفَاقِ أَهْلِ السُّنَّة:

تغصُّ كُتُبُ الشِّيعة الإماميَّة بِوَسْم أهل السُّنَّة والجماعة بِسِمَةِ النِّفاق ، بعد أن جاهروا بتكفيرهم وتخليدهم في النَّار ، ومن رواياتهم في ذلك:

قال المجلسي في بحار الأنوار : " واعلم أنَّ الظَّاهر من الأخبار وكلام الأصحاب أنَّ المراد بالمنافق غير الإمامي ، لإطلاقه في مقابلة المؤمن " . انظر : بحار الأنوار(٧٨/ ٣٤٢) .

فكلُّ من ليس بإمامي هو مُنافق في دين الشِّيعة الإماميَّة ، كما أشارت الرِّواية...

وقال شهيدهم الثَّاني في " شرح اللمعة الدِّمشقيَّة " في باب الصَّلاة على الميِّت : " (والمنافق) : وهو هنا المُخالف مُطلقاً ، يقتصر في الصَّلاة عليه أربع تكبيرات ، (ويلعنه) عُقيب الرَّابعة " . انظر : شرح اللمعة الدمشقية (١/ ٤٢٩) .

وعلَّل محدِثهم المجلسي في " بحار الأنوار " السَّبب في التَّكبير على السُّنِّي أربعاً ، فروى عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السَّلام : لأي علَّة نكبِّر على الميِّت خمس تكبيرات ويكبِّر مُخالفونا أربع تكبيرات ؟ قال : لأنَّ الدَّعائم التي بُني عليها الإسلام خمس : الصَّلاة ، الزَّكاة ، والصَّوم ، والحجّ ، والولاية لنا أهل البيت . فجعل الله عزَّ وجلَ من كلِّ دعامة تكبيرة ، وإنَّكم أقررتم بالخمس كلّها ، وأقرّ مخالفوكم بأربع ، وأنكروا واحدة ، فمن ذلك يُكبِّرون على موتاهم أربع تكبيرات ، وتكبِّرون خمساً " . انظر : بحار الأنوار (٧٨/ ٣٤٣) ، وسائل أهل البيت (٣/ ٧٧) ، ألف سؤال وإشكال (٢/ ٣٤٩) .

وروى المجلسي أيضاً عن أبي عبد الله عليه السَّلام : " ... كان يُعرف المؤمن والمنافق بتكبير رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المؤمن خمساً وعلى المنافق أربعاً " . انظر : بحار الأنوار (٧٨/ ٣٤٤) ، علل الشرائع (١/ ٣٠٤) ، الصراط المستقيم (٣/ ١٨٧) ، جامع أحاديث الشِّيعة (٣/ ٣٠٥) .

ثمّ عقَّب على رواياتهم التي حدَّدت عدد التَّكبيرات على الشِّيعيِّ بخمس وعلى السُّنِّيِّ بأربع ، فقال : " ويظهر لك من أمثال هذا الخبر أنَّ منشأ اشتباه العَامَّة لعنهم الله في الأربع ، هو فعل النَّبي صلَّى الله عليْهِ

وَآلِهِ ذلك أحياناً ، ولم يفهموا جهة فعله ، بل أعماهم الله تعالىٰ عن ذلك ، ليتيسَّر للشِّيعة العمل بهذا في الصَّلاة عليهم ، لكونهم من أخبث المنافقين ، لعنة الله عليهم أجمعين " . انظر : بحار الأنوار (٧٨/ ٣٤٠) .

وتحت باب : " كيفية الصَّلاة علىٰ المنافق " من كتاب " مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة " ، قال إمامهم مُحَمَّد جواد العاملي : " قوله قدّس الله تعالىٰ روحه : (إن كان منافقاً) أي ناصباً ، كما في " الهداية ، والمقنعة ، والنِّهاية ، والوسيلة ، والذِّكرىٰ ، وجامع المقاصد ، وفوائد الشَّرائع ، وحاشية الإرشاد ، وشرحي الجعفريَّة ، ومجمع البرهان " لكن في بعضها التَّعبير بذلك ، وفي بعضها تفسير المنافق بذلك . وفي " حاشية الإرشاد " ويلوح من جعله في مقابلة المؤمن ، أنَّ المراد به المُخالف مطلقاً . ويؤيِّده أنَّهم ذكروا وجوب تغسيله ولم يتعرَّضوا للصَّلاة عليه بخصوصه ، فكأنَّهم أدرجوه هاهنا وإن بعد الحكم بلعنه مطلقاً ، وفي " الغُنية ، والسَّرائر ، والمنتهىٰ ، والدُّروس ، وحاشية الميسي ، والرَّوضة ، والمدارك ، والمفاتيح ، والكفاية " أنه المُخالف ، وفي بعضها التَّعبير بذلك ، وفي بعضها تفسير المنافق بذلك " . انظر : مفتاح الكرامة (٤/ ١٧٩) .

والأمثلة علىٰ رمي الشِّيعة لأهل السُّنَّة والجماعة بالنِّفاق كثيرة في كتبهم ، وأرىٰ أنَّ ما ذكرته فيه الكفاية للتَّدليل والبرهنة علىٰ ذلك ، والله الموفِّقُ والهادي إلىٰ سَواء السَّبيل...

سَادِسَاً : تَصْرِيْحُهُم بِبُطْلَانِ عِبَادَاتِ أَهْلِ السُّنَّة ، وأنَّهم مُخَلَّدُوْنَ فِي النَّار:

تصريحُ الشِّيعة ببطلانِ عبادات أهل السُّنَّة والجماعة ، وأنَّهم وقودُ جهنَّم ، ممَّا هو مشهورٌ في كُتبهم ، ومُجَاهَرٌ به عندهم ، من غير تقيَّة ، وهو من المعلوم عندهم بالضَّرورة ، من ذلك:

-نسبوا إلىٰ عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه أنَّه قال : " وأيم الله عندي لصُحُفٌ كثيرة قطائع رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته ، وأنَّ فيها لصحيفة يقال لها " العبيطة " ، وما ورد علىٰ العرب أشدّ عليهم منها ، وأنَّ فيها لستِّين قبيلة من العرب مبهرجة مالها في دين الله نصيب " . انظر : بصائر الدرجات (ص ١٦٩) ، بحار الأنوار (٢٦/ ٣٧) ، معالم المدرستين (٢/ ٣٠٧) ، مكاتيب الرسول (٢/ ٦١) .

والرِّواية تبيِّن بوضوحٍ مدىٰ تغلغُل الاتجاه الشُّعوبي لدىٰ واضعي هذه الرِّوايات ، فالشِّيعة الإماميَّة والتَّشيُّع الصَّفوي ينظرون إلىٰ العرب نظرة ازدراء واحتقار بسبب ما قام به العرب المسلمون من تدمير لدولة ساسان المجوسيَّة ، ولذلك فهم يشترطون فيمن يكون مرجعاً دينيَّاً أن يكون إيرانيَّاً ، ويرفضون أن يكون مرجعهم عربيَّاً ، مع أنَّ آل البيت الذين يزعمون الانتساب والانتماء إليهم هم عرب من العرب ، بل

من سنام العرب . ولذلك يحقُّ لنا أن نقول : أنَّ الشِّيعة ما انتحلوا الإسلام إلَّا ليكيدوا للإسلام والمسلمين ...

–وعن أبان بن تغلب قال : قال أبو عبد الله عليه السَّلام : كلُّ ناصب وإن تعبَّد واجتهد يصير إلى هذه الآية : ﴿عامِلَةٌ ناصِبَةٌ * تَصْلى نَارًا حامِيَةً﴾ [الغاشية: ٣ – ٤] . انظر : الكافي (٨/ ٢١٣) ، الأمالي ، الصَّدوق (ص ٧٢٦) ، ثواب الأعمال (ص ٢٠٧) ، فضائل الشِّيعة (ص ٩) ، روضة الواعظين (ص ٢٩٥) ، شرح أصول الكافي (١٢/ ٢٨٢) ، شرح الأخبار (٣/ ٤٣٧) ، بحار الأنوار (٧/ ٢٠٤) ، (٨/ ٣٥٧) ، (٢٧/ ١٧٩) ، (٦٥/ ٦٥) ، شجرة طوبى (١/ ٥) ، مستدرك سفينة البحار (١٠/ ٥٩) ، موسوعة أحاديث أهل البيت (١/ ٢٥٨) ، (٥/ ٨٥) ، التفسير الأصفى (٢/ ١٤٣٥) ، التفسير الصافي (٥/ ٣٢١) ، (٧/ ٤٦٧) ، تفسير نور الثقلين (٥/ ٥٦٣) ، تفسير الميزان (٢٠/ ٢٧٦) ، تأويل الآيات (٢/ ٨٧٦) ، الشِّيعة في أحاديث الفريقين (١/ ٢٥٠) ، غاية المرام (٤/ ١١٩) .

والنَّاصب – كما هو معلوم – لا يعنُون به إلَّا أهل السُّنَّة والجماعة ، فالسُّنِّيُّ مهما اجتهد في العبادة ، ولو صار بسببها كالشَّنِّ البالي ، فإنَّ عبادته مرفوضة مردودة عليه ، وهو صائر إلى النَّار لا محالة ... حتى لو شفعت فيه الملائكة المقرَّبون والأنبياء والمرسلون ، والعياذ بالله تعالى...

وفي المحاسن عن علي الخدمي قال : " قال أبو عبد الله عليه السَّلام : " أنَّ الجار ليشفع لجاره ، والحميم لحميمه ، ولو أنَّ الملائكة المقرَّبين والأنبياء المرسلين شفعوا في ناصب ما شفعوا " . انظر : بحار الأنوار (٨/ ٤٢) ، مكيال المكارم (١/ ٣١٥) .

وقال الصَّادق : " أنَّ النَّاصب لنا أهل البيت لا يبـــالي صام أم صلَّى ، زنا أم سرق ، إنَّه في النَّــار، إنَّه في النَّــار " . انظر : بحار الأنوار (٢٧/ ٢٣٥) ، ثواب الأعمال (ص ٢١٠) .

كما جاء التَّصريح بتخليدهم أهل السُّنَّة والجماعة في النَّار في رواية يرويها العيَّاشي في تفسيره عن أبي عبد الله عليه السَّلام ، وفيها : " ... وأعداء عليّ أمير المؤمنين هم الخالدون في النَّار ، وإن كانوا في أديانهم على غاية الورع والزُّهد والعبادة !! والمؤمنون بعليّ عليه السَّلام هم الخالدون في الجنَّة ، وإن كانوا في أعمالهم مسيئين على ضدّ ذلك !! " . انظر : تفسير العياشي (١/ ١٣٩) ، التفسير الصافي (١/ ٢٨٦) ، تفسير نور الثقلين (١/ ٢٦٥) ، تفسير كنز الدقائق (١/ ٦١٨) ، مستدركات علم رجال الحديث (٨/ ٤٢) ، بحار الأنوار (٦٤/ ٢٤) ، (٦٥/ ١٠٥) ، مستدرك سفينة البحار (٧/ ١٢٦) ، جامع أحاديث الشِّيعة (٢٦/ ٥١) ، مستدرك الوسائل (١٨/ ١٧٥) .

فالمؤمنون بعلي – أي الشِّيعة– هم الخالدون في الجنَّة ولو كانوا مسيئين وفي المعاصي منغمسين ، ولذلك تجدهم وخاصَّة معمَّميهم على أعلى درجة من الفِسق والفُجُور وارتكاب المعاصي والموبقات والآثام ،

كالمُتعة وغيرها من المحرَّمات ، لا يمنعهم عنها مانعٌ ، ولا يردعهم رادعٌ ، لأنَّهم مهما عملوا من المعاصي والموبقات فإنَّ ذلك كلّه مغفور لهم ، وهو ليس بشيء في مقابل حبِّهم – المزعوم – لعليّ...

سَابِعَاً : تَحْرِيْمُهُم التَّعَامُلَ مَعَ أَهْلِ السُّنَّة:

يُحرِّمُ الشِّيعة على أتباعهم التَّعامل مع أهل السُّنَّة في أمور كثيرة ... ومن الأمور التي منعوا التَّعامل فيها مع أهل السُّنَّة:

(١) أكْلُ الشِّيعي لذَبِيْحَةِ السُّنِّي:

جاء في تفسير العيَّاشي عن حمران ، قال : " سمعت أبا عبد الله عليه السَّلام يقول في ذبيحة النَّاصب (السُّنِّي) واليهودي : لا تأكل ذبيحته حتى تسمعه يذكر اسم الله " . انظر : تفسير العياشي (١/ ٣٧٥) ، مختلف الشِّيعة (٨/ ٢٩٨) ، كشف اللثام (٩/ ٢١٥) ، تفسير الميزان (٧/ ٣٣٥) ، التفسير الصافي (٢/ ١٥٢) ، التفسير الأصفى (١/ ٣٤٢) ، جامع أحاديث الشِّيعة (٢٣/ ٩١) ، بحار الأنوار (٦٣/ ٢٥) ، عوالي اللئالى (٣/ ٤٥٤) ، وسائل الشِّيعة (الإسلامية)(١٦/ ٢٨٦) ، تهذيب الأحكام (٩/ ٦٨) ، الاستبصار (٤/ ٨٤) ، جامع المدارك (٥/ ١١٥) ، جواهر الكلام (٣٦/ ٨٢) ، مستند الشِّيعة (١٥/ ٣٨٤) ، رياض المسائل (١٢/ ٨٩)

وهذا منهم خداع بالألفاظ للبسطاء من أهل السُّنَّة والجماعة ، كي لا يمقتوا الشِّيعة والتَّشيُّع ، إذ من المعلوم أنَّ ذبيحة المسلم حلال ، سواء نطق عند الذَّبح بالبسملة أم لا ، مع العلم أنَّ الشِّيعة يعتبرون أهل السُّنَّة أكفر من اليهود والنَّصارى . ومن الأدلَّة التي تدلُّ على أنَّ الرِّواية جاءت على سبيل الخداع ما ذكره الحر العاملي في أكثر من كتاب من كتبه ، حيث فتح أبواباً جاء فيها : " تحريمُ ذبائح الكفّار من أهل الكتاب وغيرهم سواء سمُّوا عليها أم لم يسمُّوا إلَّا مع التَّقيَّة . انظر : وسائل الشيعة(آل البيت)(٢٤/ ٥٢) ، وسائل الشيعة(الإسلاميّة)(١٦/ ٢٨٢) ، الفصول المهمة في أصول الأئمّة(٢/ ٤٢٢ هامش) .

وجاء في كتاب : وسائل الشِّيعة : " باب إباحة أقسام المسلمين وتحريم ذبيحة النَّاصب والمرتدّ إلَّا للضَّرورة مع التَّقيَّة " . انظر : وسائل الشِّيعة (الإسلامية)(١٦/ ٢٩٢) .

وقال إمامهم الخُميني : " فتحلُّ ذبيحة جميع فرق الإسلام عدا النَّاصب – أي السُّنِّي – وإن أظهر الإسلام " . انظر : تحرير الوسيلة (٢/ ١٤٦) .

وكلام الخُميني صريحٌ في حِلِّ ذبائح جميع الفرق التي تنتسب إلى الإسلام مع كون أغلبها فرق كافرة مارقة لا تمّتّ بأدنى صلة إلى الإسلام ، كفِرَق : الإسماعيليّة ، والنُّصيريَّة ، والدُّروز ، والبابيَّة والبهائيَّة ، والقاديانيَّة ، وغيرها من الفِرَق الباطنيّة ...أمَّا ذبائح أهل السُّنَّة والجماعة فلا تحلُّ بسبب كُفر أصحابها ، مع

أنَّ الإسلام أباح للمسلم أن يأكل من ذبائح اليهود والنَّصارىٰ ، قال تعالىٰ : **﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾** [المائدة: ٥] .

(٢) نِكَاحُ الشِّيْعِيِّ للسُّنِّيَّة:

من المعلوم أنَّ الشِّيعة يمنعون ويُحرِّمون علىٰ أتباعهم الزَّواج من أهل السُّنَّة لأنَّهم كفَّار بنظرهم ، فلا هُم يزوِّجون أبناء أهل السُّنَّة ، ولا هُم يتزوَّجون من بنات أهل السُّنَّة...

فقد جاء في " الكافي " عن الفضيل بن يسار قال : " سألت أبا عبد الله عليه السَّلام عن نِكاح النَّاصب فقال : لا والله ما يحلّ..." . انظر : الكافي (٥/ ٣٥٠) ، الحدائق الناضرة (٢٤/ ٥٩) ، جواهر الكلام (٣٠/ ٩٣) ، جامع المدارك (٤/ ٢٥٨) ، وسائل الشِّيعة (الإسلامية)(١٤/ ٢٢٤) ، جامع أحاديث الشِّيعة (٢٠/ ٥٣٤) .

والسَّبب في منعهم من الزَّواج من بنات أهل السُّنَّة هو بسبب تكفيرهم لهم...

وجاء في الكافي وغيره : عن الفضيل بن يسار ، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السَّلام : أنَّ لامرأتي أختاً عارفة علىٰ رأينا ، وليس علىٰ رأينا بالبصرة إلَّا قليل ، فأزوّجها ممَّن لا يرىٰ رأيها ؟ قال : لا ولا نعمة ، إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول : **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا جاءَكُمُ الْمُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِناتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾** [الممتحنة: ١٠] . انظر : الكافي (٥/ ٣٤٩) ، وسائل الشيعة (آل البيت)(٢٠/ ٥٥٠) ، وسائل الشيعة(الإسلامية)(١٤/ ٤٢٤) ، تذكرة الفقهاء(٢/ ٦٠٥) ، الحدائق الناضرة (٢٤/ ٥٨) ، التفسير الصافي (٥/ ١٦٤) ، (٧/ ١٧١) ، جواهر الكلام (٣٠/ ٩٤) ، جامع أحاديث الشِّيعة (٢٠/ ٥٣٤) .

وفيه أيضاً عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السَّلام قال : " سأله أبي وأنا أسمع عن نكاح اليهوديَّة والنَّصرانيَّة فقال : نكاحها أحبّ إليَّ من نكاح النَّاصبيَّة(السُّنِّية) وما أحبّ للرَّجل المسلم أن يتزوَّج اليهوديَّة ولا النَّصرانيَّة مخافة أن يتهوَّد ولده أو يتنصَّر " . انظر : الكافي (٥/ ٣٥١) ، جواهر الكلام (٣٠/ ٣٦) ، الحدائق الناضرة (٢٤/ ٦٥) ، وسائل الشِّيعة (آل البيت)(٢٠/ ٥٥٢) ، وسائل الشِّيعة (الإسلامية)(١٤/ ٤٢٦) .

والرِّواية صريحة الدّلالة في تجويزهم نكاح الكتابيَّات ومنعهم من الزَّواج من السُّنِّيَّات ، لأنَّهم يعتبرون أهل السُّنَّة والجماعة أكفر من اليهود والنَّصارىٰ...

وفيه أيضاً عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السَّلام ، أنَّه قال : " تزوُّج اليهوديَّة والنَّصرانيَّة أفضل – أو قال : خير – من تزوُّج النَّاصب والنَّاصبة " . انظر : الكافي (٥/ ٣٥٢) ، الحدائق الناضرة (٢٤/ ٥٩) ، جامع أحاديث الشِّيعة (٢/ ٥٢٥) ، فهم لا يُزَوِّجون أهل السُّنَّة ولا يتزوَّجون منهم...

(٣) إِرْثُ السُّنِّي لِلشِّيْعِي :

يقول إمامهم الخُميني : " المسلمون يتوارثون وإن اختلفوا في المذاهب والأصول والعقائد ، فيرث المحقُّ منهم عن المبطل ، وبالعكس ، ومبطلهم عن مبطلهم.

نعم الغلاة المحكومون بالكفر والخوارج والنَّواصب ، ومن أنكر ضرورياً من ضروريَّات الدِّين مع الالتفات والالتزام بلازمه كفَّار بحكمهم ، فيرث المسلم منهم وهم لا يرثون منه " . انظر : تحرير الوسيلة (٢/ ٣٦٦) ، وانظر : هداية العباد (٢/ ٥٣٩) .

فالشَّيعي عندهم يرث السُّنِّي ، أمَّا السُّنِّي فلا يرث الشِّيعي...

وأخيراً ... فهذه بعض الأمور التي حرَّموا على شيعتهم التَّعامل بها مع السُّنَّة ، مع أنَّ الأصل أنَّ هذه الأمور جميعها متعلِّقة بعلاقة المؤمن بالكافر ، حتى أنَّ الكتابي في ديننا يجوز لنا كأهل سُنَّة أن نأكل ذبيحته ، وأن نتزوَّج منه ، إلَّا أنَّ الشِّيعة – كما سبق – جعلونا معاشر أهل السُّنَّة والجماعة أكفر من اليهود والنَّصارى ، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله.

وَأَخِيْرَاً يُصَرِّحُ عُلَمَاءُ الشِّيْعَةُ الإِمَامِيَّةُ بِأَنَّهُم لَا يَتَّفِقُوْن مَعَ أَهْلِ السُّنَّة فِي شَيء ... !!!

وهذا أمرٌ ثابت في كتبهم ، حيث صرَّح علماء الشِّيعةُ الإماميَّةُ بأنَّهم لا يتَّفقون مع أهل السُّنَّة في شيء !!! وأنَّ ما يقومون به من أعمال أو موافقات لأهل السُّنَّة في الأقوال والأعمال ليس إلَّا من باب التَّقيَّة والخداع ، وبيان ذلك في النّقاط التَّالية :

أَوَّلاً : اعْتِقَادُهُم أَنَّ الحَقَّ دَائِماً إِنَّما هُوَ بِمُخَالَفَةِ أَهْلِ السُّنَّة :

يعتقدُ الشِّيعة الإماميَّة أنَّ الحقَّ دائماً إنَّما هو بمخالفة أهل السُّنَّة ، وأنَّهم يعتقدون أنَّ ما عليه أهل السُّنَّة إنَّما هو الباطل ، وأنَّهم يُوجبون على شيعتهم إنْ حَزَبَهُم أمرٌ أن يعرضوه على أخبار أهل السُّنَّة ، فإن وافق ما عليه أهل السُّنَّة كان عليهم أن يذروه ويحذروه ويجتنبوه ، وما خالف أخبارهم وجب عليهم أن يأخذوا به ...

ومن نصوصهم في ذلك:

قال الخُوئي : " فالصَّحيحة إذا موافقة للعامَّة ، ومخالفةُ العَامَّة من المرجِّحات ، وبذلك تُحمل الصَّحيحة على التَّقيَّة " . انظر : كتاب الطهارة ، الخُوئي (٢/ ٣٧٧) .

والرِّواية تفيدُ أنَّ الشِّيعة الإماميَّة يجعلون مخالفة أهل السُّنَّة من المرجِّحات عند الاختلاف في حكم من الأحكام ، فإذا ما اختلفوا في حكم من الأحكام رجعوا إلى حكم أهل السُّنَّة كي يأخذوا بخلافه ، لأنَّهم يعتقدون بأنَّ الرُّشد والحقَّ دائماً هو في مخالفة أهل السُّنَّة ، يؤكِّد هذه النَّتيجة ما رواه الصَّدوق عن علي بن أسباط قال : قلت للرِّضا عليه السَّلام : يحدث الأمر لا أجد بدّاً من معرفته ، وليس في البلد الذي أنا فيه من أستفتيه من مواليك ؟ قال : فقال: ائت فقيه البلد ، فاستفته في أمرك ، فإذا أفتاك بشيء فخذ بخلافه ، فإنَّ الحقَّ فيه " . انظر : عيون أخبار الرضا (٢/ ٢٤٩) ، التحفة السنية (ص ١٥) ، الرسائل ، الخميني (٢/ ٨٢) ، تهذيب الأحكام (٦/ ٢٩٥) ، الفصول المهمة في أصول الأئمة (١/ ٥٧٥) ، جامع أحاديث الشِّيعة (١/ ٢٦٥) ، الإمام علي بن أبي طالب (ص ٧٥٦) ، الأصول الأصيلة (ص٩٧) ، الفوائد المدنية والشواهد المكية (ص ٣٨٧) ، الفصول الغروية في الأصول الفقهية (ص ٤٣٨) ، حقائق الأصول (٢/ ٥٨٩) ، عناية الأصول في شرح كفاية الأصول (٦/ ٦٥) ، الإنتصار (٤/ ١٧٧) .

ويؤكِّد النَّتيجة أيضاً ما رووه في كتبهم عن جعفر الصَّادق أنَّه قال : إذا ورد عليكم حديثان مختلفان فاعرضوهما على كتاب الله ، فما وافق كتاب الله فخذوه ، وما خالفَ كتابَ الله فذروه ، فإن لم تجدوهما في كتاب الله ، فاعرضوهما على أخبار العَامَّة ، فما وافق أخبارهم فذروه ، وما خالف أخبارهم فخذوه . انظر : الحدائق الناضرة (١/ ٩٥) ، الرسائل ، الخميني (٢/ ٦٤) ، البحث في رسالات العشر (ص ٣٨٨) ، الينابيع الفقهية (٢٣/ ١٥) ، وسائل الشيعة(آل البيت)(٢٧/ ١١٨) ، وسائل الشيعة(الإسلامية)(١٨/ ٨٥) ، بحار الأنوار (٢/ ٢٣٥) ، جامع أحاديث الشِّيعة (١/ ٢٦٥) ، (١٧/ ٢١٨) ، معالم المدرستين (٣/ ٢٦٨) ، البيان في تفسير القرآن (ص ٢٣٥) ، علوم القرآن (ص ٣١٢) ، الأصول الأصيلة (ص ٩٥) ، الفوائد المدنية والشواهد المكية (ص ٣٨١) ، فرائد الأصول (٤/ ٦٤) ، الفصول الغروية في الأصول الفقهية (ص ٤٣٨) ، زبدة الأصول (٤/ ٣٥٣) ، تقريرات في أصول الفقه (ص ١٨٥) ، تسديد الأصول (٢/ ٥٤) ، المحكم في أصول الفقه (٦/ ١٦٩) ، الأصول العَامَّة للفقه المقارن (ص ٣٦٨) ، محاضرات في أصول الفقه (٣/ ٢٢٩) ، دروس في علم الأصول (٣/ ٢٥٨) ، منتهى الأصول (٢/ ٦٠٠) ، فوائد الأصول (٤/ ٧) .

فانظر إلى هذا الميزان العجيب الغريب الذي وضعه الشِّيعة الإماميَّة لمعرفة الحقّ من الباطل ، والخير من الشَّر ، والصَّلاح من الفساد ، إنَّه ميزان تفوح منه رائحة الحقد والضَّغينة والبُغض والكُره للإسلام والمسلمين الذين ما استقوا أحكامهم إلَّا من ميزاب الكتاب والسُّنَّة ، وأنا لا أدري ماذا يقصدون بكتاب الله ، أهو القرآن الذي بين أيدينا ، وهو الذي حكموا بتحريفه وتغييره وتبديله ، أم ماذا ... ؟ إنَّ ما اشتملت عليه الرِّواية من كلام ما هو إلَّا سفسطة من القول لا زمام له ولا خطام ، ولغو من القول لا يقول به ولا يلتزمه إلَّا كلُّ من يهرف بما لا يعرف ، وهو كلام من شأنه أن يبصِّر من لا زالت الغشاوة على عينيه من أهل السُّنَّة الذين ما زالوا يردِّدون مقولة : إخواننا الشِّيعة ...لأنَّ الرِّواية تُفيد بمنطوقها أنَّ الشِّيعة دائماً

علىٰ خلاف ما عليه أهل السُّنَّة والجماعة ، لا يتَّفقون معنا في شيء أبداً ، بل أنَّهم يصرِّحون في أقدس كُتبهم بأنَّ الرَّشاد لا يكون إلَّا بمخالفة أهل السُّنَّة والجماعة ، فقد رووا عن جعفر الصَّادق ، قال " ما خالف العَامَّة – أهل السُّنَّة– ففيه الرَّشاد " . انظر : الكافي (١/ ٦٨) ، شرح أصول الكافي (٢/ ٣٣٤) ، التحفة السنية (ص٥) ، الحدائق الناضرة (١/ ٩٢) ، الرسائل ، الخميني (٢/ ٦٨) ، وسائل الشيعة(آل البيت)(٢٧/ ١٠٧) ، وسائل الشيعة(الإسلامية)(١٨/ ٧٦) ، مستدرك الوسائل (١٧/ ٣٠٣) ، الاحتجاج (٢/ ١٠٧) ، الفصول المهمّة في أصول الأئمة (١/ ٥٤٠) ، بحار الأنوار (٢/ ٢٢٢)،(١٠١/ ٢٦٣) ، موسوعة أحاديث أهل البيت (٣/ ٩٠) ، (٥/ ١٩٩)،(٧/ ١٠٣) ، الأصول الأصيلة (ص٩٢) ، الفوائد المدنية والشواهد المكية (ص٣٨٦) ، الفصول الغروية في الأصول الفقهية (ص٤٣٧) ، فرائد الأصول (١/ ٦١٥) ، (٤/ ٥٩) ، درر الفوائد (٢/ ٦٧٥) ، فوائد الأصول (٤/ ٧٧١) ، منتهىٰ الأصول (٢/ ٥٩٩) ، المحكم في أصول الفقه (٦/ ١٦٧) ، تسديد الأصول (٢/ ٤٦٨) ، زبدة الأصول (٤/ ٣٥٥) ، عناية الأصول في شرح كفاية الأصول (٦/ ٤٨) ، الفوائد الحائرية (ص٢١٦) ، موسوعة المصطفىٰ والعترة (١٠/ ٦٦) ، الإيقاظ من الهجعة (ص٤٨) .

ورووا عنه – أيضاً – أنه قال : " دعوا ما وافق العَامَّة فإنَّ الرُّشد في خلافهم " . انظر : الكافي (١/ ٢٨) ، شرح أصول الكافي (١/ ٦١) ، الرسائل ، الخميني (٢/ ٧٣) ، التحفة السنية (ص١٦) ، وسائل الشيعة(آل البيت)(٢٧/ ١١٢) ، وسائل الشيعة(الإسلامية)(١٨/ ٨٠) ، خاتمة المستدرك (٣/ ٤٨٧) ، جامع أحاديث الشيعة(١/ ٢٥٥) ، الأصول الأصيلة (ص٩٩) ، فرائد الأصول (٤/ ١٨٩) ، المحكم في أصول الفقه (٦/ ١٦٦) ، قاموس الرجال (١٢١/ ٤٠٩) ، تسديد الأصول (٢/ ٤٥٨) ، زبدة الأصول (٤/ ٣٦٩) ، مستدركات علم رجال الحديث (١/ ٥٢) ، معجم رجال الحديث (١/ ٢٥) ، الانتصار (٤/ ١٧٦) .

ويقول محدّثهم يوسف البحراني في " الشِّهاب الثَّاقب " ضمن كلامه في تكفير أهل السُّنَّة والجماعة : " استفاضة الأخبار بأنَّهم خذلهم الله تعالىٰ ، خارجون عن جادة الدِّين المبين ، وأنَّهم ليسوا من الحنِفيَّة علىٰ شيء ، وأنَّه لم يبق في يدهم إلَّا استقبال القبلة ، وأنَّهم ليسوا إلَّا مثل الجدر ، حتىٰ وردت الأخبار عنهم – صلوات الله عليهم – أنه عند اختلاف الأخبار الواردة في الأحكام تعرض علىٰ مذهبهم ويؤخذ بما خالفه ، بل ورد ما هو أعظم من ذلك ، وهو أنَّه إذا وردت عليك قضيَّة لا تعرف حُكمها ولم يكن في البلد من تستفتيه عنها ، فاستفتِ قاضي البلد وخذْ بخلافه ، رواه الصَّدوق في كتاب " عيون أخبار الرِّضا عليه السَّلام " ، والشَّيخ في " التهذيب " ، ولله درُّ شيخنا أبي الحسن (هو العلَّامة الشَّيخ سليمان البحراني صاحب كتاب " الأربعون حديثاً في إثبات إمامة أمير المؤمنين عليه السَّلام " وله مؤلَّفات كثيرة قد ذكرناها في مقدِّمة الأربعون ، فراجع) أفاض الله تعالىٰ عليه سوانح المنن ، حيث قال في بعض فوائده بعد نقل الخبر المشار إليه ما صورته : انظر أيَّدك الله بإرشاده ، وجعلك من خواصّ عباده ، إلىٰ هذا الخبر بعين البصيرة ، وتناوله بيد غير قصيرة ، وتأمَّل كيف سوَّغ عليه السَّلام الأخذ بخلاف ما يُفتي به أهل الضَّلال مطلقاً ،

تنبيهاً على أنَّهم – خذلهم الله تعالى– في كلِّ أحوالهم وفي جميع أقوالهم وأعمالهم ناكبون على الصِّراط القويم والمنهاج المستقيم ، يعوِّلون في جميع الأمور ودقيقها على الآراء الباطلة ، وأهوائهم السَّخيفة ، وعقولهم الضَّعيفة ، وهم يحسبون أنَّهم يحسنون صُنعاً ، انتهى . ولنعم ما قال أيضاً صاحب " الفوائد المدنيَّة " – رحمه الله تعالى بألطافه السَّنيَّة – حيث قال بعد إيراد الخبر المُشار إليه ، أقول : من جملة نعم الله تعالى على الطَّائفة المحقّة أنَّه خلَّى بين الشَّيطان وبين علماء العَامَّة ليضلَّهم عن الحقِّ في كلِّ مسألة نظريَّة ليكون الأخذ بخلافهم لنا ضابطة كليَّة ، انتهى " . انظر : الشهاب الثاقب (ص ٧٧-٧٨) .

وروى الكليني عن داود بن الحصين ، عن عمر بن حنظلة ، قال : " سألت أبا عبد الله عليه السَّلام .... قلت : فإن كان الخبران عنكما (يعني الباقر والصَّادق عليهما السَّلام) مشهورين قد رواهما الثِّقات عنكم ؟ قال : ينظر فما وافق حكمه حكم الكتاب والسُّنَّة وخالف العَامَّة فيؤخذ به ، ويترك ما خالف حكمه حكم الكتاب والسُّنّة ووافق العَامَّة ، قلت : جعلت فداك أرأيت إن كان الفقيهان عرفا حكمه من الكتاب والسُّنّة ، ووجدنا أحد الخبرين موافقاً للعامَّة ، والآخر مخالفاً لهم ، بأي الخبرين يؤخذ ؟ قال : ما خالف العَامَّة ففيه الرَّشاد . فقلت : جُعلتُ فِدَاك ، فإن وافقهما الخبران جميعاً . قال : ينظر إلى ما هم إليه أميل ، حُكَّامهم وقُضاتهم فيترك ويؤخذ بالآخر " . انظر : الكافي (١/ ٦٨) ، التحفة السنية (ص ٥) ، الرسائل ، الخميني (٢/ ٦٨) ، تهذيب الأحكام (٦/ ٣٠٢) ، شرح أصول الكافي (٢/ ٣٣٤) ، رسائل الشيعة(آل البيت)(٢٧/ ١٠٧) ، وسائل الشِّيعة (الإسلامية) (١٨/ ٧٦) ، وصول الأخيار إلى أصول الأخبار (ص ١٧٦) ، جامع أحاديث الشِّيعة (١/ ٣١٨) ، موسوعة أحاديث أهل البيت (٣/ ٨٩) ، (٥/ ١٩٩) ، (٧/ ١٠٣) ، الأصول الأصيلة (ص٩١) ، درر الفوائد (٢/ ٦٧٤) ، نهاية الأفكار (٤/ ١٨٨) ، دروس في علم الأصول (٣/ ٢٦٣) ، المحكم في أصول الفقه (٦/ ١٦٧) ، تسديد الأصول (٢/ ٤٧٧)، زبدة الأصول (٤/ ٣٥٥) ، عناية الأصول في شرح كفاية الأصول (٦/ ٤٨) ، منتقى الأصول (٧/ ٤٠٧) .

–وعن الحسين بن خالد عن الرِّضا أنَّه قال : " شيعتنا المسلمون لأمرنا ، الآخذون بقولنا المخالفون لأعدائنا ، فمن لم يكن كذلك فليس منَّا " . انظر : جامع أحاديث الشِّيعة (١/ ١٧١)، وسائل الشيعة(آل البيت)(٢٧/ ١١٧)، وسائل الشيعة(الإسلامية)(١٨/ ٨٤)، مسند الإمام الرضا (١/ ٢٣٥)، بحار الأنوار(١٥/ ١٦٧) ، مستدرك سفينة البحار (٦/ ١٢٨)، صفات الشِّيعة (ص٣)، الرسائل ، الخميني (٢/ ٨٣)، الإمام علي بن أبي طالب (ص٧٥٦)، زبدة الأصول (٤/ ٣٦٩)، عناية الأصول في شرح كفاية الأصول (٦/ ٩١) .

–وعن المفضل بن عمر عن جعفر أنَّه قال : " كذب من زعم أنَّه من شيعتنا وهو متوثِّق بعُروة غيرنا " . انظر : صفات الشِّيعة (ص٣) ، وسائل الشيعة(آل البيت)(٢٧/ ١١٧) ، وسائل الشيعة(الإسلامية)(١٨/ ٨٤) ، الفصول المهمة في أصول الأئمة (١/ ٥٧٧) ، بحار الأنوار (٢/ ٩٨) ، جامع أحاديث الشِّيعة (١/ ٣١٠) ، مستدرك سفينة البحار (٩/ ٣٩١) .

وعقّب علىٰ ذلك شيخُهم ومحدِّثهم ومحقِّقهم مُحَمَّد بن الحسن بن الحرّ العاملي ، فقال : " والأحاديث في ذلك متواترة ، ذكرنا جملة منها في كتاب : " وسائل الشِّيعة " . انظر : الفصول المهمة في أصول الأئمة (١/ ٣٤٠) .

-وقال السيِّد نعمة الله الجزائري : " إنَّا لا نجتمع معهم – أي مع السُّنَّة – علىٰ إله ولا علىٰ نبيٍّ ولا علىٰ إمام ، وذلك أنَّهم يقولون : إنَّ ربَّهم هو الذي كان مُحَمَّد نبيّه ، وخليفته من بعده أبو بكر . ونحن لا نقول بهذا الرَّبّ ، ولا بذلك النَّبيّ ، بل نقول : أنَّ الربّ الذي خليفة نبيّه أبو بكر ليس ربُّنا ، ولا ذلك النَّبيّ نبيُّنا " . انظر : لأنوار النعمانية (٢/ ٢٧٨) .

وعقد الصَّدوق في " عِلل الشَّرائع " باباً بعنوان : " العلَّة التي من أجلها يجب الأخذ بخلاف ما تقوله العَّامَّة " ، قال فيه : عن أبي إسحاق الأرجائي رفعه ، قال : قال أبو عبد الله عليه السَّلام : " أتدري لمِ أُمرتم بالأخذ بخلاف ما تقول العَامَّة ؟ فقلت : لا ندري ، فقال : إنَّ عليّاً لم يكن يدين الله بدين إلَّا خالف عليه الأمَّة إلىٰ غيره إرادة لإبطال أمره . وكانوا يسألون أمير المؤمنين عليه السَّلام عن الشَّيء الذي لا يعلمونه فإذا أفتاهم جعلوا له ضدّاً من عندهم ليلبسوا علىٰ النَّاس " . انظر : علل الشرائع (٢/ ٥٣١) ، جواهر الكلام (١٣/ ١٠٠) ، التحفة السنية (ص ١٥) ، وسائل الشيعة (آل البيت)(٢٧/ ١١٦) ، وسائل الشيعة(الإسلامية)(١٨/ ٨٣) ، حقائق الأصول (٢/ ٥٨٩) ، المحكم في أصول الفقه (٦/ ١٨٧) ، غاية الأصول في شرح كفاية الأصول (٦/ ٦٤) ، نهاية الأفكار (٤/ ١٩٩) ، الفصول المهمة في أصول الأئمة (١/ ٥٧٦) ، بحار الأنوار (٢/ ٢٣٧) ، جامع أحاديث الشِّيعة (١/ ٢٦٥) ، الإمام علي بن أبي طالب (ص ٧٥٦) ، معالم المدرستين (٣/ ٢٦٨) ، فرائد الأصول (١/ ٦١٥) ، نهاية الدراية في شرح الكفاية (٣/ ٣٧٤) ، تنزيه الشِّيعة (٢/ ٣٧٢) .

وفي ختام هذا المَطْلب نقول : أنَّ الشِّيعة جعلوا مخالفة أهل السُّنَّة في كلِّ شيء ديناً يتديَّنون به ، وديدناً يسيرون عليه ، وأصلاً من أصولهم ، وسبيلاً للتَّرجيح عند الاختلاف في حُكم من الأحكام ، وادَّعوا أنَّ الرَّشاد لا يكون إلَّا بمخالفة أهل السُّنَّة ، وقد طبَّقوا هذا في جميع شؤونهم ، حتىٰ في الأعياد ، وجدناهم يخالفون أهل السُّنَّة ، فيعيِّدون لوحدهم بعيداً عن إجماع الأمَّة في الأضْحىٰ ، وحتىٰ في الفِطْرِ لا يعيِّدون مع أغلب الأمَّة ... وقد تمادىٰ إمامهم نعمة الله الجزائري في هذه المسألة فنطق كفراً مغلَّظاً حين صرَّح بأنَّه لا يعترف بالرَّبِّ الذي يعبده أهل السُّنَّة ، ولا بالرَّسول الذي يؤمنون به وهو رسول الله مُحَمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فهل بعد هذا الكُفر كُفر ؟!! وهل بعد هذا العناد عناد ؟!! وهل بعد هذه المُخالفة مخالفة ؟!! سبحانك ربِّي ما أحلمك علىٰ من جاهر بعداوتك...

ثَانِيَاً : اسْتِحْبَابُهُم خِدَاعَ أَهْلِ السُّنّة :

ذكرتُ في رسالتي : " التَّقيَّة ومكانتها العقديَّة في دينِ الشِّيعة الإماميَّة " أهميَّة التَّقيَّة عندهم من النَّاحية العقديَّة ، لدرجة أنَّهم رووا عن أئمَّتهم أنَّ تسعة أعشار الإسلام في التَّقيَّة .

وبكذبهم وخداعهم لأهل السُّنَّة عاشوا بينهم حتى انطلى الأمر على الكثيرين من أهل السُّنَّة ، فصلُّوا معهم ، وتعاملوا معهم ، مع أنَّهم لا يُبطنون لهم إلَّا المصائب والمتاعب ، ولا يتسامرون فيما بينهم إلَّا بلعن السُّنَّة ، وسبِّهم ، وتكفيرهم...

وممَّا جاء في كتبهم من كذبهم وخداعهم لأهل السُّنَّة :

ما رواه الكليني في الكافي : " عن مُحمَّد بن مسلم قال : دخلت على أبي عبد الله عليه السَّلام وعنده أبو حنيفة فقلت له : جُعلتُ فداك رأيت رؤيا عجيبة ، فقال لي : يا ابن مسلم هاتها فإنَّ العالِم بها جالس وأومأ بيده إلى أبي حنيفة ، قال : فقلت : رأيت كأني دخلت داري وإذا أهلي قد خرجت عليَّ فكسرت جوزاً كثيراً ونثرته عليَّ ، فتعجَّبت من هذه الرُّؤيا ، فقال : أبو حنيفة أنت رجل تخاصم وتجادل لئاماً في مواريث أهلك فبعد نصب شديد تنال حاجتك منها إن شاء الله ، فقال : أبو عبد الله عليه السَّلام : أصبت والله يا أبا حنيفة ، قال : ثمَّ خرج أبو حنيفة من عنده ، فقلت : جُعلتُ فِداك إني كرهت تعبير هذا النَّاصب ، فقال : يا ابن مسلم لا يسؤك الله ، فما يواطئ تعبيرهم تعبيرنا ولا تعبيرنا تعبيرهم وليس التَّعبير كما عبّره ، قال : فقلت له : جُعلتُ فِداك فقولك: أصبت وتحلف عليه وهو مخطئ ؟ قال : نعم حلفت عليه أنَّه أصاب الخطأ... " .

انظر : الكافي (٨/ ٢٩٢) . شرح أصول الكافي (١٢/ ٤٠٨) ، بحار الأنوار (٤٧/ ٢٢٣) ، (٥٨/ ١٦٢) ، موسوعة أحاديث أهل البيت (٤/ ٩٩) ، (١٠/ ٣٢٥) ، تفسير نور الثقلين (٢/ ٤٧٠) ، قاموس الرجال (١١/ ٢٩٧) .

والشِّيعة حين يُصَلُّون مع أهل السُّنَّة – للضَّرورة – لا يُصَلُّون معهم إلَّا خداعاً وتمويهاً ، لأنَّهم يشترطون في الإمام أن يكون شيعيَّاً موالياً للأئمَّة ، فقد بوَّب الحرّ العاملي في وسائله باباً بعنوان : اشتراط كون إمام الجماعة مؤمناً موالياً للأئمَّة ، وعدم جواز الإقتداء بالمُخالف في الاعتقادات الصَّحيحة الأصوليَّة إلَّا لتقيَّة .

انظر : وسائل الشيعة(آل البيت)(٨/ ٣٠٩) ، وسائل الشيعة(الإسلامية)(٥/ ٣٨٨) .

وسئل علَّامتهم الكلبيكاني : " إذا كنَّا نعيش في مُجتمع مُختلط ، فيه الشِّيعة وغيرهم من الفِرق الإسلاميَّة ، ويحصل ملاقاة في الوظيفة معهم ، وتلك المساجد مفروشة بما لا يصحُّ السُّجود عليه ، علماً أنَّهم لا يستطيعون وضع شيء أمامهم للسُّجود عليه ، حيث يُوجبُ توجُّه الأنظار إليهم واعتبارهم مخالفين أو أنَّهم يشكِّكون في فراش المسجد ، وقد يلزم إهانة المذهب أو الشَّخص ففي هذه الحالة : هل يجوز الصَّلاة معهم

وتكون مُجزية ، وهل يصحُّ السُّجود علىٰ ما لا يصحّ السُّجود عليه ، في حالة الجماعة معهم وفي حالة الصَّلاة فُرادىٰ في مساجدهم أو محلّ تجمُّعهم ؟ فأجاب : بسمه تعالىٰ : يجوز كلّ ذلك في حال التَّقيَّة إذا كان الإلتزام بترك الصَّلاة معهم أو في مساجدهم معرضاً للفتنة والتَّباغض ، والله العالم " . انظر : إرشاد السائل (ص٣٨) .

ولأنَّهم كانوا يُصَلُّون مع أهل السُّنَّة خِداعاً لهم ، فإنَّ العديد منهم كان يعيد الصَّلاة أو يقضيها إذا رجع إلىٰ بيته...

فقد ذكر داعيتهم مُحمَّد التِّيجاني في كتابه " كلُّ الحلول عند آل الرَّسول " : " ... فكانوا – أي الشِّيعة – كثيراً ما يُصَلُّون مع أهل السُّنَّة والجماعة تقيَّة ، وينسحبون فور انقضاء الصَّلاة ، ولعلَّ أكثرهم يُعيد الصَّلاة عند الرُّجوع إلىٰ البيت " . انظر : كل الحلول عند آل الرسول (ص١٦٠) .

وقد أصاب التِّيجاني فيما قال ، فالتَّقيَّة – التي هي الكذب بعينه – عندهم دين ، ولا دين عندهم لمن لا يتَّقي ، وهي واجبة عندهم لا يجوز تركها ، قال صدوقهم : " اعتقادنا في التَّقيَّة أنَّها واجبة ، مَنْ تركها بمنزلة من ترك الصَّلاة " . انظر : الاعتقادات ، الصَّدوق (ص١٠٧) .

ويسري هذا الوُجوب حتىٰ يخرج القائم ، قال العاملي : " الأخبار متواترة صريحة في أنَّ التَّقيَّة باقية إلىٰ أن يقوم القائم " . انظر : مرآة الأنوار (ص٣٣٧) .

والتَّقية عندهم جائزة في كلِّ أمر مُضطر إليه ابن آدم . انظر : الكافي (٢/ ٢٢٠) ، شرح أصول الكافي (٩/ ١٢٥) ، وسائل الشيعة(آل البيت)(١٦/ ٢١٥) ، وسائل الشيعة(الإسلامية)(١١/ ٤٦٨) ، بحار الأنوار (٥٩/ ٨٣) ، (٦٢/ ١٥٧) ، (٧٢/ ٣٩٩) ، مستدرك سفينة البحار (٦/ ٤٦١) ، ذخيرة المعاد (١/ ٥٠٨) ، الحدائق الناضرة (١٣/ ٧١) ، رياض المسائل (٨/ ١٠٧) ، مستند الشِّيعة (١٠/ ٣٢٣) ، (١٤/ ١٩٣) ، ميزان الحكمة (٢/ ١٧٠٢) ، (٤/ ٣٦٥٣) ، جواهر الكلام (٦/ ٢٦٠) ، التَّقيَّة ، الأنصاري (ص٥٥) ، رسائل فقهية ، الأنصاري (ص٨٩) ، الخلل في الصَّلاة (ص٧) ، الرسائل ، الخميني (١/ ٦٥)،(٢/ ١٧٧) ، المكاسب المحرمة ، الخميني (٢/ ١٥٩) ، كتاب البيع ، الخميني (١/ ١٦٦) ، تحريرات الأصول (٤/ ٢٧٦) ، (٧/ ٦٢)،(٨/ ٩٦) ، تفسير نور الثقلين (١/ ٣٢٦)،(٢/ ٥٣) ، موسوعة أحاديث الشِّيعة (٢/ ٢٢٤) ، (٩/ ٣٩٧) ، درر الأخبار(ص٤٣٨) ، دراسات في الحديث والمحدثين (ص٣٣٢) ، المحاسن (١/ ٢٥٩) ، الفصول المهمة في أصول الأئمة (٢/ ٢٣٢) ، الموسوعة الفقهية الميسّرة (٤/ ٤٤٣) ، كتاب البيع ، مُحمَّد حسن قديري (ص٧٤)

وأخيراً ، فهذا تطواف سريع تعرَّفنا من خلاله علىٰ عقيدة الشِّيعة الإماميَّة في أهل السُّنَّة والجماعة ، لعلَّ كلماته تفتح قلوباً غُلفاً ، وآذاناً صُمَّاً ، وعُيُوناً عُمْيَاً ، من أهل السُّنَّة والجماعة الذين لا يزالون يقولون ويُرددون مقولة : إخواننا الشِّيعة ... فقد تعرَّفنا من خلال نظرة الشِّيعة إلينا أنَّهم يكفِّروننا ، ويستبيحون

أموالنا ودمائنا ، ويصرِّحون بأنَّه لا أخوَّة بينهم وبين أهل السُّنَّة ، وأنَّهم لا يتَّفقون معهم في شيء ، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العلي العظيم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ...

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا هِيَ أَسْبَابُ النَّجَاةِ مِنَ النَّار ؟

الجواب : جعل الله تعالىٰ للنَّجاة من النَّار أسباباً كثيرة ، منها:

۞ أَوَّلاً ۞ : الإِيْمَانُ وَالتَّقْوَى:

قال تعالىٰ : **﴿وَسارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولئِكَ جَزاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ﴾** [آل عمران:١٣٣-١٣٦] .

وقال تعالىٰ : **﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنا عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْناهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾** [المائدة:٦٥]

وروىٰ البخاري (٢/ ٧١ برقم ١٢٣٧) بسنده عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي، فَأَخْبَرَنِي - أَوْ قَالَ: بَشَّرَنِي - أَنَّهُ: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لاَ يُشْرِكُ بِاللهَّ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ " قُلْتُ: وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ " .

وروىٰ البخاري (٤/ ١٦٥ برقم ٣٤٣٥) ، مسلم (١/ ٥٧ برقم ٢٨) بسندهما عَنْ عُبَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ اللهَّ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ " .

۞ ثَانِياً ۞ : الإِخْلَاصُ للهِ تَعَالَى:

روىٰ البخاري (٩/ ١٨ برقم ٦٩٣٨) بسنده عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي مَحْمُودُ بْنُ الرَّبِيعِ، قَالَ: سَمِعْتُ عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ، يَقُولُ: غَدَا عَلَيَّ رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَجُلٌ: أَيْنَ مَالِكُ بْنُ الدُّخْشُنِ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَّا: ذَلِكَ مُنَافِقٌ، لاَ يُحِبُّ اللهَّ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَلاَ تَقُولُوهُ: يَقُولُ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهَّ " قَالَ: بَلَىٰ، قَالَ: «فَإِنَّهُ لاَ يُوَافَىٰ عَبْدٌ يَوْمَ القِيَامَةِ بِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ " .

۞ ثَالِثَاً ۞ : طَاعَةُ اللهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

قال تعالى : ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَّ وَالرَّسُولَ فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُّ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَداءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً﴾ [النساء:٦٩] .

وقال تعالى : ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَّ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذاباً أَلِيماً﴾ [الفتح:١٧] .

وروى البخاري (٩/ ٩٢ برقم ٧٢٨٠) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى» ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهَّ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى " .

۞ رَابِعَاً ۞ : السَّمَاحَةُ فِي البَيْعِ وَالشِّرَاء:

روى أحمد في " المسند" (١/ ٤٦٩ برقم ٤١٠) بسنده عَنْ عَطَاءُ بْنُ فَرُّوخَ مَوْلَى الْقُرَشِيِّينَ أَنَّ عُثْمَانَ اشْتَرَى مِنْ رَجُلٍ أَرْضًا، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ، فَلَقِيَهُ فَقَالَ لَهُ: مَا مَنَعَكَ مِنْ قَبْضِ مَالِكَ؟ قَالَ: إِنَّكَ غَبَنْتَنِي، فَمَا أَلْقَى مِنَ النَّاسِ أَحَدًا إِلَّا وَهُوَ يَلُومُنِي. قَالَ: أَوَ ذَلِكَ يَمْنَعُكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَاخْتَرْ بَيْنَ أَرْضِكَ وَمَالِكَ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَدْخَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْجَنَّةَ رَجُلًا كَانَ سَهْلًا مُشْتَرِيًا، وَبَائِعًا وَقَاضِيًا، وَمُقْتَضِيًا " .

۞ خَامِسَاً ۞ : التَّرديد خَلْفَ الْمُؤَذِّنِ أَثْنَاءَ الأَذَان:

روى مسلم (١/ ٢٨٩ برقم ٣٨٥) بسنده عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ أَحَدُكُمْ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ " .

۞ سَادِسَاً ۞ : التِزَامُ جَمَاعَةِ الْمُؤمِنِيْن :

روى ابن حبَّان في الصَّحيح (١٥/ ١٢٢ برقم ٦٧٢٨) بسنده عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: خَطَبَنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِالْجَابِيَةِ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامِي فِيكُمُ الْيَوْمَ، فَقَالَ: "أَحْسِنُوا إِلَى أَصْحَابِي، ثُمَّ

الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى يَشْهَدَ الرَّجُلُ عَلَى الْيَمِينِ لَا يُسْأَلُهَا، فَمَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ، فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، وَلَا يَخْلُوَنَّ أَحَدُكُمْ بِالْمَرْأَةِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا، وَمَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سيئته فهو مؤمن" . قال الأرنؤوط : " حديث صحيح، عبد الله بن محمد بن يزيد الغنوي، ذكره المؤلف في الثقات ٨/ ٣٦٨وقال: من أهل البصرة، يروي عن عبد الأعلى والبصريين، حدثنا عنه أحمد بن يحيى بن زهير وغيره، قلت: وقد توبع، ومن فوقه ثقات من رجال الشيخين. عبد الأعلى: هو ابن عبد الأعلى. وقد تقدم الحديث عند المؤلف برقم "٤٥٧٦"و"٥٥٨٦" ".

۞ سَابِعَاً ۞ : الصَّبْرُ عَلَى البَلَاءِ:

روى البخاري (٧/ ١١٦ برقم ٥٦٥٣) بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّ اللَّهَ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الجَنَّةَ " يُرِيدُ: عَيْنَيْهِ، تَابَعَهُ أَشْعَثُ بْنُ جَابِرٍ، وَأَبُو ظِلاَلٍ هِلاَلٌ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

۞ ثَامِنَاً ۞ : تَحْقِيْقُ الوَلَاءِ وَالبَرَاء:

قال الله تعالى : **﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** [المجادلة:٢٢] .

۞ تَاسِعَاً ۞ : التَّوكُّل عَلَى الله تَعَالَى:

قال تعالى : **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها نِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾** [العنكبوت:٥٨-٥٩] .

وروى البخاري (٧/ ١٢٦ برقم ٥٧٠٥) بسنده عَن ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ أُمَّتِي هَذِهِ؟ قِيلَ: بَلْ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، قِيلَ: انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ، فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلَأُ الأُفُقَ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ، فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلَأَ الأُفُقَ، قِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَيَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ هَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ " ثُمَّ دَخَلَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ، فَأَفَاضَ القَوْمُ، وَقَالُوا: نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ، فَنَحْنُ هُمْ، أَوْ أَوْلاَدُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلاَمِ، فَإِنَّا وُلِدْنَا فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ فَخَرَجَ، فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَلاَ يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» فَقَالَ عُكَاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا؟ قَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ» .

✿ عَاشِراً ✿ : مَنْ مَاتَ لَهُ ثَلاَثَةٌ مِنَ الوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ:

روى البخاري (٢/ ١٠٠ برقم ١٣٨١) بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنَ النَّاسِ مُسْلِمٌ، يَمُوتُ لَهُ ثَلاَثَةٌ مِنَ الوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ " .

✿ حَادِيْ عَشَر ✿ : مَنْ شَهِدَ لَهُ النَّاسُ بِالخَيْر:

روى البخاري (٣/ ١٦٩ برقم ٢٦٤٣) بسنده عَنْ أَبِي الأَسْوَدِ، قَالَ: أَتَيْتُ المَدِينَةَ وَقَدْ وَقَعَ بِهَا مَرَضٌ وَهُمْ يَمُوتُونَ مَوْتًا ذَرِيعًا، فَجَلَسْتُ إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَمَرَّتْ جَنَازَةٌ، فَأُثْنِيَ خَيْرًا، فَقَالَ عُمَرُ: وَجَبَتْ، ثُمَّ مُرَّ بِأُخْرَى، فَأُثْنِيَ خَيْرًا، فَقَالَ: وَجَبَتْ، ثُمَّ مُرَّ بِالثَّالِثَةِ، فَأُثْنِيَ شَرًّا، فَقَالَ: وَجَبَتْ، فَقُلْتُ: وَمَا وَجَبَتْ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: قُلْتُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيْرٍ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ» ، قُلْنَا: وَثَلاَثَةٌ، قَالَ: «وَثَلاَثَةٌ» ، قُلْتُ: وَاثْنَانِ، قَالَ: «وَاثْنَانِ» ، ثُمَّ لَمْ نَسْأَلْهُ عَنِ الوَاحِدِ.

✿ ثَانِيْ عَشَر ✿ : التَّوْبَةُ النَّصُوْحُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ:

قال تعالى : **﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَواتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا * إِلاَّ مَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً فَأُولئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئاً * جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمنُ عِبادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا * لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً إِلاَّ سَلاماً وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً وَعَشِيًّا * تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبادِنا مَنْ كانَ تَقِيًّا﴾** [مريم:٥٩-٦٣] .

وقال تعالى : **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنا أَتْمِمْ لَنا نُورَنا وَاغْفِرْ لَنا إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** [التحريم:٨] .

وروى الطَّبراني في " المعجم الأوسط" (٨/ ٩٢ برقم ٨٠٦٨) ، "الكبير" (٨/ ١١٤ برقم ٧٥٣٢) بسنده عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ

الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ» . قال الهيثمي في " " (١٠/١٠٢ برقم ١٦٩٢٣) : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ بِأَسَانِيدَ، وَأَحَدُهَا جَيِّدٌ " .

✿ ثَالِثُ عَشَر ✿ : مَنْ فَعَلَ صُنُوْفَاً مِنَ الخَيْرِ :

روىٰ أحمد في " المسند" (٣٦/٤١٢ برقم ٢٢٠٩٣) بسنده عَنْ مُعَاذٍ قَالَ: عَهِدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خَمْسٍ مَنْ فَعَلَ مِنْهُنَّ كَانَ ضَامِنًا عَلَىٰ اللهِ: " مَنْ عَادَ مَرِيضًا، أَوْ خَرَجَ مَعَ جَنَازَةٍ، أَوْ خَرَجَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ دَخَلَ عَلَىٰ إِمَامٍ يُرِيدُ بِذَلِكَ تَعْزِيرَهُ وَتَوْقِيرَهُ، أَوْ قَعَدَ فِي بَيْتِهِ فَيَسْلَمُ النَّاسُ مِنْهُ وَيَسْلَمُ " . قال الأرنؤوط : " حديث حسن، ابن لهيعة سيئ الحفظ، لكن قد احتمل بعض أهل العلم رواية قتيبة عنه، ثم هو لم ينفرد بروايته لهذا الحديث، فقد روي بنحوه من وجه آخر عن معاذ كما سيأتي في التخريج. وأخرجه البزار (١٦٤٩ - كشف الأستار) ، والطبراني في "الكبير" ٢٠/ (٥٥) من طرق عن عبد الله بن لهيعة، بهذا الإسناد. وأخرجه ابن خزيمة (١٤٩٥) ، وابن حبان (٣٧٢) ، والطبراني في "الكبير" ٢٠/ (٥٤) ، وفي "الأوسط" (٨٦٥٤) ، والحاكم ١/ ٢١٢ و٢/ ٩٠، والبيهقي في "السنن" ٩/ ١٦٦-١٦٧ من طريق الحارث بن يعقوب، عن قيس بن رافع القيسي، عن عبد الرحمن بن جبير، عن عبد الله بن عمرو، عن معاذ. وفيه مكان الجنازة الذهاب إلىٰ المسجد. وجعلوا بدل قوله: "أو قعد في بيته فيسلم الناس منه ويسلم". قوله: "ومن جلس في بيته لم يغتب إنساناً". وإسناده حسن من أجل قيس بن رافع، فقد روىٰ عنه جمع، وذكره ابن حبان في "الثقات" " .

✿ رَابِعُ عَشَر ✿ : طَاعَةُ المَرْأَةِ لِرَبِّهَا وَزَوْجِهَا:

روىٰ أحمد في " المسند" (٣/ ١٩٩ برقم ١٦٦١) بسنده عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ " . قال الأرنؤوط : " حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف ابن لهيعة، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح. ابن قارظ: هو إبراهيم بن عبد الله بن قارظ. وأورده الهيثمي في "مجمع الزوائد" ٤/ ٣٠٦ وزاد نسبته إلىٰ الطبراني في "الأوسط". وله شاهد من حديث أبي هريرة عندَ ابن حبان (٤١٦٣) ، وآخر من حديث أنس بن مالك عند البزار (١٤٦٣) و (١٤٧٣) ، وأبي نعيم في "الحلية" ٦/ ٣٠٨ وسنده ضعيف، وثالث عن عبد الرحمن بن حَسَنة نسبه الهيثمي في "المجمع" ٤/ ٣٠٦ إلىٰ الطبراني، وسنده ضعيف أيضاً، فالحديث يتقوىٰ بهذه الشواه " .

✿ خَامِسُ عَشَر ✿ : الحُبُّ فِي اللهِ:

روىٰ البخاري (١/ ١٣٣ برقم ٦٦٠) ، مسلم (٢/ ٧١٥ برقم ١٠٣١) بسندهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ

مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ " .

وروى مسلم (٤/ ١٩٨٨ برقم ٢٥٦٦) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي " .

وروى مسلم (٤/ ١٩٨٨ برقم ٢٥٦٧) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، " أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ " .

۞ سَادِسُ عَشَر ۞ : التَّصَدُّقُ عَنِ المَفَاصِلِ التِي خَلَقَهَا اللهُ فِي الإِنْسَان:

روى مسلم (٢/ ٦٩٨ برقم ١٠٠٧) بسنده عَبْدُ اللهِ بْنُ فَرُّوخَ، أَنَّهُ سَمِعَ عَائِشَةَ، تَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةِ مَفْصِلٍ، فَمَنْ كَبَّرَ اللهَ، وَحَمِدَ اللهَ، وَهَلَّلَ اللهَ، وَسَبَّحَ اللهَ، وَاسْتَغْفَرَ اللهَ، وَعَزَلَ حَجَرًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ شَوْكَةً أَوْ عَظْمًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، وَأَمَرَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ، عَدَدَ تِلْكَ السِّتِّينَ وَالثَّلَاثِمِائَةِ السُّلَامَى، فَإِنَّهُ يَمْشِي يَوْمَئِذٍ وَقَدْ زَحْزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ» قَالَ أَبُو تَوْبَةَ: وَرُبَّمَا قَالَ: «يُمْسِي " .

۞ سَابِعُ عَشَر ۞ : كَثْرَةُ النَّوَافِل:

روى البخاري (٨/ ١٠٥ برقم ٦٥٠٢) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ " .

۞ ثَامِنُ عَشَر ۞ : عَدَمُ الغَضَب:

روىٰ الطَّبراني في " المعجم الأوسط" (٣/ ٢٥ برقم ٢٣٥٣) بسنده عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دُلَّنِي عَلَىٰ عَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ قَالَ: «لَا تَغْضَبْ وَلَكَ الْجَنَّةُ» . قال الهيثمي في " مجمع الزَّوائد ومنبع الفوائد " (٨/ ٧٠ برقم ١٢٩٩٠) : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ، وَأَحَدُ إِسْنَادَيِ الْكَبِيرِ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ " .

✿ تَاسِعُ عَشَر ✿ : الْمُحَافَظَةُ عَلَى صَلَاتَي الفَجْرِ وَالعَصْر :

روىٰ مسلم (١/ ٤٤٠ برقم ٦٣٤) بسنده أَبِي بَكْرِ بْنِ عُمَارَةَ بْنِ رُؤَيْبَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّىٰ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» - يَعْنِي الْفَجْرَ وَالْعَصْرَ -، " فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ: آنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ الرَّجُلُ: وَأَنَا أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ، وَوَعَاهُ قَلْبِي " .

✿ عِشْرُوْن ✿ : الذَّبُّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ:

روىٰ أحمد في " المسند" (٤٥/ ٥٢٤ برقم ٢٧٥٣٦) بسنده عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ كَانَ حَقًّا عَلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَرُدَّ عَنْهُ نَارَ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " .

✿ حَادِيْ وَعِشْرُوْن ✿ : الاسْتِقَامَةُ عَلَى الطَّاعَة:

قال تعالىٰ : **﴿إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ خالِدِينَ فِيها جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [الأحقاف:١٣-١٤] .

وقال تعالىٰ: **﴿إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِياؤُكُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيها ما تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيها ما تَدَّعُونَ * نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾** [فصلت:٣٠-٣١] .

✿ ثَانِيْ وَعِشْرُوْن ✿ : التَّخَلُّقُ بِأَخْلَاقِ عِبَادِ الرَّحْمَن:

قال تعالىٰ : **﴿أُوْلئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِما صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيها تَحِيَّةً وَسَلاماً * خالِدِينَ فِيها حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقاماً﴾** [الفرقان:٧٥-٧٦] .

✿ ثَالِثُ وَعِشْرُوْن ✿ : الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى:

قال تعالىٰ : **﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْراةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي**

بايَعْتُمْ بِهِ وَذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * التَّائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:١١١-١١٢] .

وقال تعالى : ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَمَساكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصف:١٠-١٢] .

وروى البخاري (١٦/٤ برقم ٢٧٩٠) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلاَةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا» ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلاَ نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ - أُرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ " .

۞ رَابِعُ وَعِشْرُوْن ۞ : صِيَامُ وَقِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا:

روى البخاري (١٦/١ برقم ٣٨) ، مسلم (٥٢٣/١ برقم ٧٦٠) بسندهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " .

روى البخاري (١٦/١ برقم ٣٧) ، مسلم (٥٢٣/١ برقم ٧٥٩) بسندهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " .

وروى البخاري (٢٦/٤ برقم ٢٨٤٠) ، مسلم (٨٠٨/٢ برقم ١١٥٣) بسندهما عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بَعَّدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا» .

۞ خَامِسُ وَعِشْرُوْن ۞ : إِنْظَارُ الْمُعْسِر:

روى مسلم (١١٩٥/٣ برقم ١٥٦٠) بسنده عَنْ حُذَيْفَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، " أَنَّ رَجُلًا مَاتَ، فَدَخَلَ الْجَنَّةَ، فَقِيلَ لَهُ: مَا كُنْتَ تَعْمَلُ؟ - قَالَ: فَإِمَّا ذَكَرَ وَإِمَّا ذُكِّرَ - فَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ، فَكُنْتُ أُنْظِرُ الْمُعْسِرَ، وَأَتَجَوَّزُ فِي السِّكَّةِ - أَوْ فِي النَّقْدِ - فَغُفِرَ لَهُ "، فَقَالَ أَبُو مَسْعُودٍ: وَأَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

✿ سَادِسُ وَعِشْرُوْن ✿ : إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيْق:

روى مسلم (٤/ ٢٠٢١ برقم ١٩١٤) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ، فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ يَمْلِكُ الرَّسُوْلُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْقَاذَ مَنْ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللهِ الشَّقَاوَةَ ؟

الجواب : قال تعالى : **﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾** [الزمر:١٩] .

قال الإمام البغوي في " معالم التّنزيل في تفسير القرآن " (٤/ ٨٣) : " أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذابِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: مَنْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللهَّ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. وَقِيلَ: كَلِمَةُ الْعَذَابِ قَوْلُهُ: **﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾** [السجدة: ١٣] وقيل: كلمة العذاب قَوْلُهُ: «هَؤُلَاءِ فِي النَّارِ وَلَا أُبَالِي» . أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ، أَيْ لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ أَبَا لَهَبٍ وَوَلَدَهُ " .

وقال الإمام ابن الجوزي في " زاد المسير في علم التّفسير " (٤/ ١٢) : " قوله تعالى: أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذابِ قال ابن عبَّاس: سبق في عِلْم الله أنَّه في النَّار. فإن قيل: كيف اجتمع في هذه الآية استفهامان بلا جواب؟ قيل: أمَّا الفرَّاء، فإنَّه يقول: هذا ممَّا يُراد به استفهام واحد، فسبق الاستفهامُ إلى غير موضعه فَرُدّ إلى موضعه الذي هو له، فيكون المعنى: أفأنتَ تُنْقِذ مَنْ في النَّارِ مَنْ حَقَّت عليه كلمة العذاب؟ ومثله: **﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُراباً وَعِظاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ﴾** [المؤمنون:٣٥] ، فردّ «أَنَّكُمْ» مرَّتين، والمعنى: أَيَعِدُكُم أنكم مُخْرَجون إذا مِتُّم؟ ومثله: **﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا﴾** [آل عمران:١٨٨] ، ثمَّ قال: **﴿فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ﴾** فردَّ «تَحْسَبَنَّ» مرَّتين، والمعنى: لا تَحْسَبَنَّ الذين يَفْرَحُونَ بمفازة من العذاب. وقال الزَّجَّاج: يجوز أن يكون في الكلام محذوف، تقديره: أفمن حَقَّ عليه كلمةُ العذاب فيتخلَّص منه أو ينجو، أفأنت تنقذه؟ قال المفسِّرون: أفأنت تخلّصه ممّا قُدِر له فتجعله مؤمناً؟

والمعنى: ما تقدر على ذلك. قال عطاء: يريد بهذه الآية أبا لهب وولده ومن تخلَّف من عشيرة النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإيمان " .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢٦/ ٤٣٨) : " وَفِيهِ مَسَائِلُ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: فِي لَفْظِ الْآيَةِ سُؤَالٌ وَهُوَ أَنَّهُ يُقَالُ إِنَّهُ قَالَ: أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذابِ وَلَا يَصِحُّ فِي الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ أَنْ يَدْخُلَ حَرْفُ الِاسْتِفْهَامِ عَلَى الِاسْمِ وَعَلَى الْخَبَرِ مَعًا، فَلَا يُقَالُ أَزَيْدٌ أَتَقْتُلُهُ، بل هاهنا شَيْءٌ آخَرُ،

وَهُوَ أَنَّهُ كَمَا دَخَلَ حَرْفُ الِاسْتِفْهَامِ عَلَى الشَّرْطِ وَعَلَى الْجَزَاءِ، فَكَذَلِكَ دَخَلَ حَرْفُ الْفَاءِ عَلَيْهِمَا مَعًا وَهُوَ قَوْلُهُ: **﴿أَفَمَنْ حَقَّ﴾** ، **﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ﴾** ، وَلِأَجْلِ هَذَا السُّؤَالِ اخْتَلَفَ النَّحْوِيُّونَ وَذَكَرُوا فِيهِ وُجُوهًا :

الْأَوَّلُ: قَالَ الْكِسَائِيُّ: الآية جملتنا وَالتَّقْدِيرُ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ، أَفَأَنْتَ تَحْمِيهِ، **﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾** .

الثَّانِي: قَالَ صَاحِبُ «الْكَشَّافِ» : أَصْلُ الْكَلَامِ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُهُ، وَهِيَ جُمْلَةٌ شَرْطِيَّةٌ دَخَلَ عَلَيْهَا هَمْزَةُ الْإِنْكَارِ وَالْفَاءُ فَاءُ الْجَزَاءِ، ثُمَّ دَخَلَتِ الْفَاءُ الَّتِي فِي أَوَّلِهَا لِلْعَطْفِ عَلَى مَحْذُوفٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ الْخِطَابُ وَالتَّقْدِيرُ أَأَنْتَ مَالِكُ أَمْرِهِمْ، فَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُهُ، وَالْهَمْزَةُ الثَّانِيَةُ هِيَ الْأُولَى كُرِّرَتْ لِتَوْكِيدِ مَعْنَى الْإِنْكَارِ وَالِاسْتِبْعَادِ، وَوُضِعَ مَنْ فِي النَّارِ مَوْضِعَ الضَّمِيرِ، وَالْآيَةُ عَلَى هَذَا جُمْلَةٌ وَاحِدَةٌ . **الثَّالِثُ**: لَا يَبْعُدُ أَنْ يُقَالَ إن حرف الاستفهام إنما ورد هاهنا لِإِفَادَةِ مَعْنَى الْإِنْكَارِ، وَلَمَّا كَانَ اسْتِنْكَارُهُ هَذَا الْمَعْنَى كَامِلًا تَامًّا. لَا جَرَمَ ذَكَرَ هَذَا الْحَرْفَ فِي الشَّرْطِ وَأَعَادَهُ فِي الْجَزَاءِ تَنْبِيهًا عَلَى الْمُبَالَغَةِ التَّامَّةِ فِي ذَلِكَ الْإِنْكَارِ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: احْتَجَّ الْأَصْحَابُ بِهَذِهِ الْآيَةِ فِي مَسْأَلَةِ الْهُدَى وَالضَّلَالِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: **﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعذابِ﴾** ، فَإِذَا حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَيْهِ امْتَنَعَ مِنْهُ فِعْلُ الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ، وَإِلَّا لَزِمَ انْقِلَابُ خَبَرِ اللَّهِ الصِّدْقِ كَذِبًا، وَانْقِلَابُ عِلْمِهِ جَهْلًا وَهُوَ مُحَالٌ وَالْوَجْهُ الثَّانِي: فِي الِاسْتِدْلَالِ بِالْآيَةِ أَنَّهُ تَعَالَى حَكَمَ بِأَنَّ حَقِّيَّةَ كَلِمَةِ الْعَذَابِ تُوجِبُ الِاسْتِنْكَارَ التَّامَّ مِنْ صُدُورِ الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ عَنْهُ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ مُمْكِنًا وَلَمْ تَكُنْ حَقِيقَةُ كَلِمَةِ الْعَذَابِ مَانِعَةً مِنْهُ لَمْ يَبْقَ لِهَذَا الِاسْتِنْكَارِ وَالِاسْتِبْعَادِ مَعْنًى " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن " (١٥/ ٢٤٤-٢٤٥) : " قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعذابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾** ، كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْرِصُ عَلَى إِيمَانِ قَوْمٍ وَقَدْ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الشَّقَاوَةُ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ أَبَا لَهَبٍ وَوَلَدَهُ وَمَنْ تَخَلَّفَ مِنْ عَشِيرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْإِيمَانِ. وَكَرَّرَ الِاسْتِفْهَامَ فِي قَوْلِهِ:" **﴿أَفَأَنْتَ﴾** تَأْكِيدًا لِطُولِ الْكَلَامِ، وَكَذَا قَالَ سِيبَوَيْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُراباً وَعِظاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ﴾** [المؤمنون: ٣٥] عَلَى مَا تَقَدَّمَ . وَالْمَعْنَى: **﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعذابِ﴾** أَفَأَنْتَ تُنْقِذُهُ. وَالْكَلَامُ شَرْطٌ وَجَوَابُهُ. وجئ بِالِاسْتِفْهَامِ، لِيَدُلَّ عَلَى التَّوْقِيفِ وَالتَّقْرِيرِ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: المعنى أفأنت تنقذ من حقت عليه كَلِمَةُ الْعَذَابِ. وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ. وَقِيلَ: إِنَّ

فِي الْكَلَامِ حَذْفًا وَالتَّقْدِيرُ: أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ يَنْجُو مِنْهُ، وَمَا بَعْدَهُ مُسْتَأْنَفٌ وَقَالَ: ﴿**أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ**﴾ [الزمر:١٩] ، وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿**حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذابِ**﴾ [الزمر: ٧١] لِأَنَّ الْفِعْلَ إِذَا تَقَدَّمَ وَوَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَوْصُوفِ بِهِ حَائِلٌ جَازَ التَّذْكِيرُ وَالتَّأْنِيثُ، عَلَىٰ أَنَّ التَّأْنِيثَ هُنَا لَيْسَ بِحَقِيقِيٍّ بَلِ الْكَلِمَةُ فِي مَعْنَىٰ الْكَلَامِ وَالْقَوْلِ، أَيْ أَفَمَنْ حَقَّ عليه قول العذاب " .

....

....

سُؤالٌ : الشفاعة

....

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ ذَبْحِ المَوْت ؟

الجواب : روىٰ البخاري (٨/ ١١٣ برقم ٦٥٤٨) بسنده عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا صَارَ أَهْلُ الجَنَّةِ إِلَىٰ الجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَىٰ النَّارِ، جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّىٰ يُجْعَلَ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ لاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لاَ مَوْتَ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَرَحًا إِلَىٰ فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَىٰ حُزْنِهِمْ " .

وروى مسلم (٤/ ٢١٨٨ برقم ٢٨٤٩) بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ - زَادَ أَبُو كُرَيْبٍ: فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَاتَّفَقَا فِي بَاقِي الْحَدِيثِ - فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ " قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾** [مريم: ٣٩] ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا " .

وروى أحمد في "المسند" (١٢/ ٥٠٩ برقم ٧٥٤٦) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُوقَفُ عَلَى الصِّرَاطِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَطَّلِعُونَ خَائِفِينَ وَجِلِينَ أَنْ يُخْرَجُوا - وَقَالَ يَزِيدُ: أَنْ يُخْرَجُوا مِنْ مَكَانِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ، فَيُقَالُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالُوا: نَعَمْ رَبَّنَا، هَذَا الْمَوْتُ. ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَطَّلِعُونَ فَرِحِينَ مُسْتَبْشِرِينَ أَنْ يُخْرَجُوا مِنْ مَكَانِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ، فَيُقَالُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالُوا: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ. فَيَأْمُرُ بِهِ فَيُذْبَحُ عَلَى الصِّرَاطِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا : خُلُودٌ فِيمَا تَجِدُونَ، لَا مَوْتَ فِيهِ أَبَدًا " . قال الأرنؤوط: " صحيح، وهذا إسناد حسن. وأخرجه الحاكم ١/ ٨٣ من طريق يزيد بن هارون وحده، بهذا الإسناد. وأخرجه عبد الله بن المبارك في "الزهد" (١٥٣٣) ، وهناد في "الزهد" (٢١٢) ، وابن ماجه (٤٣٢٧) ، وابن حبان (٧٤٥٠) من طرق عن محمد بن عمرو، به. وسيأتي من طريق محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة برقم (٨٩٠٦) و (١٠٦٥٦) ، ومن طريق عاصم بن بهدلة، عن أبي صالح، عن أبي هريرة برقم (٨٩٠٧) ، وضمن حديث مطول من طريق العلاء بن عبد الرحمن الحرقي، عن أبيه، عن أبي هريرة برقم (٨٨١٧) . وسيأتي نحوه من طريق الأعرج، عن أبي هريرة برقم (٨٥٣٥) بلفظ: "إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى منادٍ: يا أهل الجنة، خلودٌ لا موت فيه، ويا أهل النار، خلود لا موت فيه" . وفي الباب عن ابن عمر، سلف برقم (٥٩٩٣) ، وانظر تمام شواهده هناك. قوله: "فيذبح على الصراط"، قال السندي: قيل: ذلك شيء يخلق الله تعالى عند ذبحه علما ضروريا في قلوبهم أنه لا موت بعد ذلك، ولو شاء لخلق العلم من غير ذبح أيضا، لكن لا يسأل عما يفعل، وإلا فالموت على تقدير فرض تجسمه وذبحه، لا يوجب ذبحه العلم بعدم الموت بعد ذلك، لإمكان خلق مثله، أو إعادته كما أعاد الموتى المذبوحين منهم وغيرهم، والله تعالى أعلم " .

قال الإمام القرطبي في " التَّذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة " (ص٩٢٧) : " قد تقدَّم أنَّ الموت معنى، والكلام في ذلك وفي الأعمال وأنَّها لا تنقلب جوهراً، بل يخلق الله أشخاصاً من ثواب الأعمال وكذلك الموت يخلق الله كبشاً يسمِّيه الموت، ويلقي في قلوب الفريقين أنَّ هذا هو الموت، ويكون ذبحه دليلاً على الخلود في الدَّارين.

قال التِّرمذي: والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمَّة رضي الله عنهم مثل سفيان الثَّوري، ومالك بن أنس، وابن المبارك، وابن عيينة، ووكيع وغيرهم أنَّهم رووا هذه الأشياء وقالوا: ونروي هذه الأحاديث، ولا يُقال: كَيْف؟ وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن تروىٰ هذه الأشياء ويؤمن بها ولا تفسَّر ولا تتوَّهم؟ ولا يقال: كَيْف وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه" .

وتجدر الإشارة هنا إلىٰ أنَّ بعض الغوغائيين اعترضوا علىٰ حديث ذبح الموت بحجَّة أنَّه مخالف لصريح المعقول ، ذلك أنَّ الموت عَرَضُ ، والأعراض لا تنقلب أجساماً ، فكيف يُذبح ؟! وهذه الشُّبهة شأنها أغلب الشُّبهات التي أُثيرت علىٰ الوحي ... وقد تمسَّك بها ودعا إليها من حكموا علىٰ الوحي بعقولهم القاصرة عن معرفة الكثير من المخلوقات كالرُّوح ... فكيف يجعلونها حاكمة علىٰ الغيب الذي لا يعلمه إلَّا الله ، بل كيف جعلوا عقولهم حكماً علىٰ قدرة الله التي لا يحدُّها ولا يعجزها شيء ؟؟!!!

وفي ردِّه علىٰ هذه الشُّبهة قال الإمام أحمد شاكر في تحقيقه لمسند الإمام أحمد (٥/ ٣٣٣-٣٣٤ ، هامش) : " قال الحافظ في الفتح: "قال القاضي أبو بكر بن العربي: استُشكل هذا الحديث لكونه يخالف صريح العقل، لأنَّ الموت عَرَض، والعَرَض لا ينقلب جسماً، فكيف يُذبح؟!، فأنكرت طائفة صحَّة هذا الحديث ودفعته، وتأوَّلته طائفة، فقالوا: هذا تمثيل، ولا ذبح هناك حقيقة" إلخ!!، وكلُّ هذا تكلُّف وتهجُّم علىٰ الغيب الذي استأثر الله بعلمه، وليس لنا إلَّا أن نؤمن بما ورد كما ورد، لا ننكر ولا نتأوَّل. والحديث صحيح، ثبت معناه أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري عند البخاري، ومن حديث أبي هريرة عند ابن ماجة وابن حبَّان. وعالم الغيب الذي وراء المادَّة لا تدركه العقول المقيَّدة بالأجسام في هذه الأرض، بل إنَّ العقول عجزت عن إدراك حقائق المادَّة التي في متناول إدراكها، فما بالها تسمو إلىٰ الحاكم علىٰ ما خرج من نطاق قدرتها ومن سلطانها؟!، وها نحن أولاء في عصرنا ندرك تحويل المادَّة إلىٰ قوَّة، وقد ندرك تحويل القوَّة إلىٰ مادَّة، بالصِّناعة والعمل، من غير معرفة بحقيقة هذه ولا تلك. وما ندري ماذا يكون من بعد، إلَّا أن العقل الإنساني عاجز وقاصر. وما المادة والقوَّة، والعَرَض والجوهر، إلَّا اصطلاحات لتقريب الحقائق. فخير للإنسان أن يؤمن وأن يعمل صالحاً، ثمَّ يدع ما في الغيب لعالم الغيب، لعلَّه ينجو يوم القيامة. **﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾** [الكهف:١٠٩] " .

ونختم الكتاب بكلام إمامين من أئمَّة المسلمين ، هما : الإمام أبو حامد الغزالي ، والإمام سراج الدِّين أبو حفص عمر بن المظفَّر بن الوردي ...

قال الإمام الغزالي في " إحياء علوم الدِّين" (٤/ ٥٣٠-٥٣٥) : " القول في صفة جهنَّم وأهوالها وأنكالها:

يَا أَيُّهَا الْغَافِلُ عَنْ نَفْسِهِ الْمَغْرُورُ بِمَا هُوَ فِيهِ مِنْ شَوَاغِلِ هَذِهِ الدُّنْيَا الْمُشْرِفَةِ عَلَى الِانْقِضَاءِ وَالزَّوَالِ دَعِ التَّفَكُّرَ فِيمَا أَنْتَ مُرْتَحِلٌ عَنْهُ وَاصْرِفِ الْفِكْرَ إِلَى مَوْرِدِكَ فَإِنَّكَ أخبرت بأن النار مورد للجميع إذ قيل : **﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾** [مريم:٧١-٧٢] ، فَأَنْتَ مِنَ الْوُرُودِ عَلَى يَقِينٍ وَمِنَ النَّجَاةِ فِي شَكٍّ ، فَاسْتَشْعِرْ فِي قَلْبِكَ هَوْلَ ذَلِكَ الْمَوْرِدِ فَعَسَاكَ تَسْتَعِدُّ لِلنَّجَاةِ مِنْهُ وَتَأَمَّلْ فِي حَالِ الْخَلَائِقِ ، وَقَدْ قَاسَوْا مِنْ دَوَاهِي الْقِيَامَةِ مَا قَاسَوْا ، فَبَيْنَمَا هُمْ فِي كُرَبِهَا وَأَهْوَالِهَا وُقُوفًا يَنْتَظِرُونَ حَقِيقَةَ أَنْبَائِهَا وَتَشْفِيعَ شُفَعَائِهَا إِذْ أَحَاطَتْ بِالْمُجْرِمِينَ ظُلُمَاتٌ ذَاتُ شُعَبٍ ، وَأَظَلَّتْ عَلَيْهِمْ نار ذات لهب ، وسمعوا لها زفيراً وجرجرة تفصح عَنْ شِدَّةِ الْغَيْظِ وَالْغَضَبِ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَيْقَنَ الْمُجْرِمُونَ بِالْعَطَبِ وَجَثَتِ الْأُمَمُ عَلَى الرُّكَبِ حَتَّى أشفق البرءاء من سوء المنقلب ، وخرج المنادي من الزَّبانية قائلاً : أين فلان بن فلان المسوف نفسه في الدُّنيا بطول الأمل المضيّع عمره في سوء العمل ، فيبادرونه بمقامع حديد ، ويستقبلونه بعظائم التَّهديد ، ويسوقونه إِلَى الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ، وَيُنَكِّسُونَهُ فِي قَعْرِ الْجَحِيمِ ، وَيَقُولُونَ لَهُ :**﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾** [الدخان:٤٩] ، فأسكنوا داراً ضيِّقة الأرجاء ، مظلمة المسالك مبهمة المهالك ، يخلد فيها الأسير ، ويوقد فيها السَّعير ، شرابهم فيها الحميم ، ومستقرُّهم الجحيم ، الزَّبانية تقمعهم ، والهاوية تجمعهم ، أمانيهم فيها الهلاك ، وما لهم منها فكاك ، قد شُدَّتْ أَقْدَامُهُمْ إِلَى النَّوَاصِي ، وَاسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ مِنْ ظُلْمَةِ الْمَعَاصِي ، يُنَادُونَ مِنْ أَكْنَافِهَا ، وَيَصِيحُونَ فِي نواحيها وأطرافها : يا مالك قد حقَّ علينا الوعيد ، يا مالك قد أثقلنا الحديد ، يَا مَالِكُ قَدْ نَضِجَتْ مِنَّا الْجُلُودُ ، يَا مَالِكُ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا لَا نَعُودُ ، فَتَقُولُ الزَّبَانِيَةُ : هَيْهَاتَ لَاتَ حِينَ أَمَانٍ ، وَلَا خُرُوجَ لَكُمْ مِنْ دَارِ الْهَوَانِ ، فَاخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ، وَلَوْ أُخْرِجْتُمْ مِنْهَا لَكُنْتُمْ إِلَى مَا نُهِيتُمْ عَنْهُ تَعُودُونَ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقْنَطُونَ ، وَعَلَى مَا فَرَّطُوا فِي جَنْبِ اللَّهِ يَتَأَسَّفُونَ ، وَلَا ينجيهم النَّدم ، ولا يغنيهم الأسف بل يكبون على وجوههم مغلولين ، النَّار من فوقهم ، والنَّار من تحتهم ، والنَّار عن أيمانهم ، والنَّار عن شمائلهم ، فهم غرقى في النَّار طعامهم نار ، وشرابهم نار ، ولباسهم نار ، ومهادهم نار ، فهم بين مقطعات النِّيران وسرابيل القطران وضرب المقامع وثقل السَّلاسل

، فهم يتجلجلون في مضايقها ، ويتحطَّمون في دركاتها ، ويضطربون بين غواشيها تغلي بهم النَّار كغلي القدور ، ويهتفون بالويل والعويل .

ومهما دعوا بالثُّبور صبّ من فوق رءوسهم الحميم ، يصهر به ما في بطونهم والجلود ، ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم ، فيتفجَّر الصَّديد من أفواههم ، ونتقطع من العطش أكبادهم ، وتسيل على الخدود أحداقهم ، ويسقط من الوجنات لحومها ، ويتمعط من الأطراف شعورها ، بل جلودها ، وكلَّما نضجت جلودهم بُدِّلوا جلوداً غيرها ، قد عريت من اللحم عظامهم ، فبقيت الأرواح منوطة بالعروق وعلائق العصب ، وهي تنش في لفح تلك النيران ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَتَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ فَلَا يَمُوتُونَ ، فكيف بك لو نظرت إليهم وقد سُوِّدت وُجُوهُهُمْ أَشَدَّ سَوَادًا مِنَ الْحَمِيمِ ، وَأُعْمِيَتْ أَبْصَارُهُمْ ، وأبكمت ألسنتهم ، وقصمت ظهورهم ، وكسرت عظامهم ، وجدعت آذانهم ، ومزِّقت جلودهم ، وغُلَّت أيديهم إلى أعناقهم ، وجمع بين نواصيهم وأقدامهم ، وهم يمشون على النَّار بوجوههم ، ويطأون حسك الحديد بأحداقهم ، فلهيب النَّار سار في بواطن أجزائها ، وَحَيَّاتُ الْهَاوِيَةِ وَعَقَارِبُهَا مُتَشَبِّثَةٌ بِظَوَاهِرِ أَعْضَائِهِمْ ، هَذَا بعض جملة أحوالهم ، وانظر الآن في تفصيل أهوالهم ، وتفكَّر أيضاً في أودية جهنَّم وشعابها ... فهذه سعة جهنَّم... وعدد أبوابها بعدد الأعضاء السَّبعة التي بها يعصي العبد ، بعضها فوق بعض ، الأعلى جهنَّم ثمَّ سقر ثمَّ لظى ثمَّ الحطمة ثمَّ السَّعير ثمَّ الجحيم ثمَّ الهاوية ، فانظر الآن في عمق الهاوية ، فإنَّه لا حدَّ لعمقها ، كما لا حدَّ لعمق شهوات الدُّنيا ، فكما لا ينتهي أرب من الدُّنيا إلَّا إلى أرب أعظم منه، فلا تنتهي هاوية من جهنَّم إلَّا إلى هاوية أعمق منها ، قال أبو هريرة : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَسَمِعْنَا وَجْبَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟ " قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " هَذَا حَجَرٌ أُرْسِلَ فِي جَهَنَّمَ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَالْآنَ انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا " . أخرجه أحمد في " المسند"(١٤/ ٤٣٣ برقم ٨٨٣٩) . قال الأرنؤوط : " إسناده على شرط مسلم " .

ثمَّ انظر إِلَى تَفَاوُتِ الدَّرَكَاتِ فَإِنَّ الْآخِرَةَ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا فَكَمَا أَنَّ إِكْبَابَ النَّاسِ عَلَى الدُّنيا يتفاوت ، فمن مُنْهَمِكٌ مُسْتَكْثِرٌ كَالْغَرِيقِ فِيهَا ، وَمِنْ خَائِضٍ فِيهَا إِلَى حَدٍّ مَحْدُودٍ فَكَذَلِكَ تَنَاوُلُ النَّارِ لَهُمْ مُتَفَاوِتٌ ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فَلَا تَتَرَادَفُ أَنْوَاعُ الْعَذَابِ عَلَى كُلِّ مَنْ فِي النَّارِ كَيْفَمَا كَانَ ، بَلْ لِكُلِّ وَاحِدٍ حَدٌّ مَعْلُومٌ عَلَى قَدْرِ عِصْيَانِهِ وَذَنْبِهِ إِلَّا أَنَّ أَقَلَّهُمْ عَذَابًا لَوْ عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا بحذافير لَافْتَدَى بِهَا مِنْ

شِدَّةِ مَا هُوَ فِيهِ ، قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَنْتَعِلُ بِنَعْلَيْنِ مِنْ نَارٍ، يَغْلِي دِمَاغُهُ مِنْ حَرَارَةِ نَعْلَيْهِ " . أخرجه مسلم (١/ ١٩٥ برقم ٢١١) .

فانظر الآن إلى من خفِّف عليه واعتبر بمن شدِّد عليه .

ومهما تشكَّكت في شدَّة عذاب النَّار فقرِّب إصبعك من النَّار وَقِسْ ذلك به ، ثمَّ اعلم أنَّك أخطأت في القياس ، فإنَّ نار الدُّنيا لا تناسب نار جهنَّم ، ولكن لَمَّا كان أشدّ عذاب في الدُّنيا عذاب هذه النَّار عرف عذاب جهنَّم بها ، وهيهات لو وجد أهل الجحيم مثل هذه النَّار لخاضوها طائعين هرباً ممَّا هم فيه ...

وَقَالَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ : " يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنَ الْكُفَّارِ، فَيَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: اغْمِسُوهُ غَمْسَةً فِي النَّارِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ نَعِيمًا قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ الْمُؤْمِنِينَ ضُرًّا، فَيَقُولُ: اغْمِسُوهُ غَمْسَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقُولُ لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ ضُرًّا قَطُّ؟ - أَوْ مَسَّكَ بَلَاءٌ قَطُّ؟ - فَيَقُولُ: لَا " . انظر : الزهد والرقائق لابن المبارك (١/ ٢٢٠ برقم ٦٢٢) ...وقد قال بعض العلماء في قوله : ﴿**تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ**﴾ [المؤمنون:١٠٤] : إنَّها لفحتهم لفحة واحدة فما أبقت لحماً على عظم إلَّا ألقته عند أعقابهم .

ثمَّ انظر بعد هذا في نتن الصَّديد الذي يسيل من أبدانهم حتى يغرقون فيه وهو الغسَّاق ، قال أبو سعيد الخدري قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَوْ أَنَّ دَلْوًا مِنْ غَسَّاقٍ يُهْرَاقُ فِي الدُّنْيَا لَأَنْتَنَ أَهْلَ الدُّنْيَا" . أخرجه الترمذي (٤/ ٢٨٧ برقم ٢٥٨٤) .

فهذا شرابهم إذا استغاثوا من العطش فيُسقى أحرُّهم ﴿**مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَما هُوَ بِمَيِّتٍ**﴾ [إبراهيم:١٦-١٧] ، ﴿**وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغاثُوا بِماءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرابُ وَساءَتْ مُرْتَفَقاً**﴾ [الكهف:٢٩] .

ثمَّ انظر إلى طعامهم وهو الزَّقُّوم كما قال الله تعالى : ﴿**ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ * لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ * فَمالِؤُنَ مِنْهَا الْبُطُونَ * فَشارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ *فَشارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ**﴾ [الواقعة:٥١-٥٥] ، وقال تعالى : ﴿**إِنَّها شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُها كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّياطِينِ * فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْها فَمالِؤُنَ مِنْهَا الْبُطُونَ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْها لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ * ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ**﴾ [الصافات:٦٤-٦٨] ، وقال تعالى : ﴿**تَصْلى نارًا حامِيَةً * تُسْقى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ**﴾ [الغاشية:٤-٥] ، وقال تعالى : ﴿**إِنَّ لَدَيْنا أَنْكالاً وَجَحِيماً * وَطَعاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذاباً أَلِيماً**﴾ [المزمل:١٢-١٢] ...

قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يُلْقَى عَلَى أَهْلِ النَّارِ الجُوعُ فَيَعْدِلُ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ العَذَابِ فَيَسْتَغِيثُونَ فَيُغَاثُونَ بِطَعَامٍ مِنْ ضَرِيعٍ لاَ يُسْمِنُ وَلاَ يُغْنِي مِنْ جُوعٍ، فَيَسْتَغِيثُونَ بِالطَّعَامِ فَيُغَاثُونَ بِطَعَامٍ ذِي غُصَّةٍ، فَيَذْكُرُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُجِيزُونَ الغَصَصَ فِي الدُّنْيَا بِالشَّرَابِ فَيَسْتَغِيثُونَ بِالشَّرَابِ فَيُرْفَعُ إِلَيْهِمُ الحَمِيمُ بِكَلاَلِيبِ الحَدِيدِ، فَإِذَا دَنَتْ مِنْ وُجُوهِهِمْ شَوَتْ وُجُوهَهُمْ، فَإِذَا دَخَلَتْ بُطُونَهُمْ قَطَّعَتْ مَا فِي بُطُونِهِمْ، فَيَقُولُونَ: ادْعُوا خَزَنَةَ جَهَنَّمَ، فَيَقُولُونَ: **﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ﴾** [غافر:٥٠] ، قَالَ: فَيَقُولُونَ: ادْعُوا مَالِكًا، فَيَقُولُونَ: **﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾** [الزخرف:٧٧] ، قَالَ: فَيُجِيبُهُمْ **﴿إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾** [الزخرف:٧٧] ، قَالَ الأَعْمَشُ: نُبِّئْتُ أَنَّ بَيْنَ دُعَائِهِمْ وَبَيْنَ إِجَابَةِ مَالِكٍ إِيَّاهُمْ أَلْفَ عَامٍ قَالَ، فَيَقُولُونَ: ادْعُوا رَبَّكُمْ فَلاَ أَحَدَ خَيْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ، فَيَقُولُونَ: **﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾** [المؤمنون:١٠٦-١٠٧] ، قَالَ: فَيُجِيبُهُمْ : **﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ﴾** [المؤمنون:١٠٨] ، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ يَئِسُوا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يَأْخُذُونَ فِي الزَّفِيرِ وَالحَسْرَةِ وَالوَيْلِ " . أخرجه الترمذي (٤/ ٢٨٨ برقم ٢٥٨٦) ، وقال : " قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: وَالنَّاسُ لاَ يَرْفَعُونَ هَذَا الحَدِيثَ.إِنَّمَا نَعْرِفُ هَذَا الحَدِيثَ عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ شِمْرِ بْنِ عَطِيَّةَ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَوْلَهُ، وَلَيْسَ بِمَرْفُوعٍ، وَقُطْبَةُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ هُوَ ثِقَةٌ عِنْدَ أَهْلِ الحَدِيثِ" .

ثمَّ تفكَّر بعد هذا كلِّه في تعظيم أجسام أهل النَّار ، فإن الله تعالى يزيد في أجسامهم طولاً وعرضاً حتى يتزايد عذابهم بسببه فيحسُّون بلفح النَّار ... ومع عظم الأجسام كذلك تحرقهم النَّار مرَّات فتجدّد جلودهم ولحومهم ، قال الحسن في قوله تعالى : **﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا﴾** [النساء:٥٦] ، قَالَ : تَأْكُلُهُمُ النَّارُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ أَلْفَ مَرَّةٍ كُلَّمَا أَكَلَتْهُمْ قِيلَ لَهُمْ عُودُوا فَيَعُودُونَ كَمَا كَانُوا . انظر : تفسير البغوي (٢/ ٢٣٧) .

ثمَّ تفكَّر الآن في بكاء أهل النَّار وشهيقهم ودعاتهم بالويل والثُّبور ، فإنَّ ذلك يسلّط عليهم في أوَّل إلقائهم في النَّار ، قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا» . أخرجه مسلم (٤/ ٢١٨٤ برقم ٢٨٤٢) .

وقال أنس : «يُرْسَلُ الْبُكَاءُ عَلَى أَهْلِ النَّارِ، فَيَبْكُونَ حَتَّى يَنْقَطِعَ الدُّمُوعُ، ثُمَّ يَبْكُونَ الدَّمَ حَتَّى يَصِيرَ فِي وُجُوهِهِمْ كَهَيْئَةِ الْأُخْدُودِ، لَوْ أُرْسِلَتْ فِيهَا السُّفُنُ لَجَرَتْ» . أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٤٦ برقم ٤٣٢٤) ، وما دام

يؤذن لهم في البكاء والشَّهيق والزَّفير والدَّعوة بالويل والثُّبور فلهم فيه مستروح ولكنَّهم يمنعون أيضاً من ذلك .

قَالَ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ : لِأَهْلِ النَّارِ خَمْسُ دَعْوَاتٍ يُجِيبُهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَرْبَعَةٍ ، فَإِذَا كَانَتِ الْخَامِسَةُ لَمْ يَتَكَلَّمُوا بَعْدَهَا أَبَدًا ، يَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١] فَيُجِيبُهُمُ اللهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ للهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢] ثُمَّ يَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢] فَيُجِيبُهُمُ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٤] ثُمَّ يَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ [إبراهيم: ٤٤] فَيُجِيبُهُمُ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤] فَيَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧] فَيُجِيبُهُمُ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ ثُمَّ يَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦] فَيُجِيبُهُمُ اللهُ تَعَالَى: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ فَلَا يَتَكَلَّمُونَ بَعْدَهَا أَبَدًا" . أخرجه البيهقي في " الأسماء والصفات" (١/ ٥٥٥ برقم ٤٨٢) .

وذلك غاية شدَّة العذاب ... فهذه أصناف عذاب جهنَّم على الجُملة ، وتفصيل عمومها وأجزائها ومحنها وحسرتها لا نهاية له ، فأعظم الأمور عليهم مع ما يلاقونه من شدَّة العذاب : حسرة فوت نعيم الجنَّة ، وفوت لقاء الله تعالى ، وفوت رضاه مع علمهم بأنَّهم باعوا كُّل ذلك بثمن بخس دراهم معدودة إذ لم يبيعوا ذلك إلَّا بشهوات حقيرة في الدَّنيا أيَّاماً قصيرة ، وكانت غير صافية بل كانت مكدَّرة منغَّصة ، فيقولون في أنفسهم : واحسرتاه كيف أهلكنا أنفسنا بعصيان رِّبنا ؟وكيف لم نكلِّف أنفسنا الصَّبر أيَّاماً قلائل ؟ ولو صبرنا لكانت قد انقضت عنَّا أيَّامه وبقينا الآن في جوار ربِّ العالمين متنعِّمين بالرِّضا والرِّضوان فيا لحسرة هؤلاء ...

فانظر يا مسكين في هذه الأهوال ، واعلم أنَّ الله تعالى خلق النَّار بأهوالها ، وخلق أهلاً لا يزيدون ولا ينقصون ، وأنَّ هذا أمر قد قضي وفرغ منه ، قال الله تعالى : ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم:٣٩] ، ولعمري الإشارة به يوم القيامة بل في أزل الأزل ولكن أظهر يوم القيامة

ما سبق به القضاء ، فالعجب مِنْكَ حَيْثُ تَضْحَكُ وَتَلْهُو وَتَشْتَغِلُ بِمُحَقَّرَاتِ الدُّنْيَا ، ولست تدري أنَّ القضاء بماذا سبق فِي حَقِّكَ.

فَإِنْ قُلْتَ : فَلَيْتَ شِعْرِي مَاذَا مَوْرِدِي ؟ وَإِلَىٰ مَاذَا مَآلِي وَمَرْجِعِي ؟ وَمَا الَّذِي سَبَقَ بِهِ الْقَضَاءُ فِي حَقِّي ؟ فَلَكَ عَلَامَةٌ تستأنس بها ، وتصدق رجاءك بسببها ، وهي أَنْ تَنْظُرَ إِلَىٰ أَحْوَالِكَ وَأَعْمَالِكَ ، فَإِنَّ كُلًّا مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ ، فَإِنْ كَانَ قَدْ يسَّر لك سبيل الخير فَأَبْشِر ، فَإِنَّكَ مُبْعَدٌ عَنِ النَّارِ ، وَإِنْ كُنْتَ لَا تَقْصِدُ خَيْرًا إِلَّا وَتُحِيطُ بِكَ الْعَوَائِقُ فتدفعه ، ولا تقصد شراً إلَّا ويتيسَّر لَكَ أَسْبَابُهُ ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ مَقْضِيٌّ عَلَيْكَ فَإِنَّ دَلَالَةَ هَذَا عَلَىٰ الْعَاقِبَةِ كَدَلَالَةِ الْمَطَرِ عَلَىٰ النَّبَاتِ وَدَلَالَةِ الدُّخَانِ عَلَىٰ النَّارِ.

فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ : **﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِيْ جَحِيْم﴾** [الانفطار:١٣-١٤] ، فَاعْرِضْ نَفْسَكَ عَلَىٰ الْآيَتَيْنِ وَقَدْ عَرَفْتَ مُسْتَقَرَّكَ من الدَّارين ، والله أعلم " .

وقال الإمام سراج الدِّين أبو حفص عمر بن المظفَّر بن الوردي " في " خريدة العجائب وفريدة الغرائب " (ص٤٧٤ فما بعدها) : " وهذه قصيدة جامعة لغالب ما تقدَّم من أحوال يوم القيامة ، واسمها : " قلادة الدُّر المنثور في ذكر البعث والنُّشور :

الله أعظم ممَّا جال في الفكر ... وحكمه في البرايا حكم مقتدر

مولىً عظيم حكيم واحد صمدٌ ... حيٌّ قديم مريد فاطر الفطر

يا ربّ يا سامع الأصوات صلّ علىٰ ... رسولك المجتبىٰ من أطهر البشر

محمَّد المصطفىٰ الهادي البشير هدىٰ ... كلّ الخلائق بالآيات والسُّور

وآله والصِّحاب الكائنين به ... كأنجمٍ حول من يسمو علىٰ القمر

أشكو إليك أموراً أنت تعلمها ... فتور عزمي وما فرَّطت في عمري

وفرط ميلي إلىٰ الدُّنيا وقد حسرت ... عن ساعد الغدر في الآصال والبكر

يا ربَّنا جد بتوفيق ومغفرة ... وحسن عاقبةٍ في الورد والصّدر

قد أصبح الخلق في خوفٍ وفي ذعر ... وزور لهوٍ وهم في أعظم الخطر

وللقيامة أشراط وقد ظهرت ... بعض العلامات، والباقي علىٰ الأثر

قلَّ الوفاء فلا عهدٌ ولا ذمم ... واستحكم الجهل في البادين والحضر

باعوا لأديانهم بالبخس من سحتٍ أظهروا الفسق بالعدوان والأشر

وجاهروا بالمعاصي وارتضوا بدعاً عمَّت فصاحبها يمشي بلا حذر

وطالب الحقِّ بين النَّاس مستتر وصاحب الإفك فيهم غير مستتر

والوزن بالويل والأهواء معتبرٌ والوزن بالحقّ فيهم غير معتبر

وقد بدا النَّقص في الإسلام مشتهراً وبدّلت صفوة الخيرات بالكدر

وسوف يخرج دجَّال الضَّلالة في هرجٍ وقحطٍ كما قد جاء في الخبر

ويدَّعي أنَّه ربّ العباد وهل تخفىٰ صفات كذوبٍ ظاهر العور

فناره جنّةٌ طوبىٰ لداخلها وزور جنَّته نارٌ من السّعر

شهر وعشر ليالٍ طول مدَّته لكنَّها عجبٌ في الطُّول والقصر

فيبعث الله عيسىٰ ناصراً حكماً عدلاً ويعضده بالنَّصر والظَّفر

فيتبع الكاذب الباغي ويقتله ويمحق الله أهل البغي والضَّرر

وقام عيسىٰ يقيم الحقَّ متَّبعاً شريعة المصطفىٰ المختار من مضر

في أربعين من الأعوام مخصبةٍ فيكسب المال فيها كلّ مفتقر

وجيش ياجوج مع ماجوج قد خرجوا والبغي عمّ بسيلٍ غير منهمر

حتىٰ إذا أنفذ الله القضاء دعا عيسىٰ فأفناهم المولىٰ علىٰ قدر

وعاد للنَّاس عيد الخير مكتملاً حتىٰ يتمّ لعيسىٰ آخر العمر

والشَّمس حين ترىٰ في الغرب طالعةً طلوعها آية من أعظم الكبر

فعند ذلك لا إيمان يقبل من أهل الجحود ولا عذرٌ لمعتذر

ودابةٌ في وجوه المؤمنين لها وسمٌ من النُّور والكفَّار بالقتر

والخلف هل فتنة الدَّجَّال قبلهما أو بعد قد ورد القولان في الخبر

وكم خرابٍ وكم خسفٍ وزلزلة وفيح نار وآياتٍ من النُّذر

ونفخة تذهب الأرواح شدّتها إلَّا الذين عنوا في سورة الزُّمر

وأربعون من الأعوام قد حسبت نفخاً تبثّ به الأرواح في الصُّور

قاموا حفاةً عراة مثل ما خلقوا ... من هول ما عاينوا سكرى بلا سكر

قوم مشاةٌ وركبان على نجب ... عليهم حللٌ أبهى من الزّهر

ويسحب الظّالمون الكافرون على ... وجوههم وتحيط النّار بالشّرر

والشّمس قد أُدنيت والنّاس في عرقٍ ... وفي زحام وفي كربٍ وفي حصر

والأرض قد بدّلت بيضاء ليس لها ... خفضٌ ولا ملجأ يبدو لمستتر

طال الوقوف فجاءوا آدماً ورجوا ... شفاعةً من أبيهم أوّل البصر

فردّ ذاك إلى نوحٍ فردّهم ... إلى الخليل فأبدى وصف مفتقر

إلى الكليم إلى عيسى فردّهم ... إلى الحبيب فلبّاها بلا حصر

فيسأل المصطفى فصل القضاء لهم ... ليستريحوا من الأهوال والخطر

تطوى السّموات والأملاك هابطة ... حول العباد لهولٍ معضلٍ عسر

والشّمس قد كوِّرت والكتب قد نشرت ... والأنجم انكدرت ناهيك من كدر

وقد تجلّى إله العرش مقتدراً ... سبحانه جلّ عن كيفٍ وعن فكر

فيأخذ الحقّ للمظلوم منتصفاً ... من ظالمٍ جار في العدوان والبطر

والوزن بالقسط والأعمال قد ظهرت ... ووزنها عبرةٌ تبدو لمعتبر

وكلٌّ من عبد الأوثان يتبعها ... بإذن ربّي وصار الكلّ في سقر

والمسلمون إلى الميزان قد قسموا ... ثلاثةً فاسمعوا تقسيم مختصر

فسابقٌ رجّحت ميزان طاعته ... له الخلود بلا خوفٍ ولا ذعر

ومذنب كثرت آثامه فله ... شفعٌ بأوزاره، أو عفو مفتقر

وواحد قد تساوت حالتاه له ال ... أعراف حبسٌ وبين البشر والحصر

ويكرم الله مثواه بجنّته ... بجود فضلٍ عميمٍ غير منحصر

وفي الطَّريق صراط مدّ فوق لظى ... كحدّ سيف سطا في دقة الشِّعر

والنَّاس في ورده شتّى فمستبق ... كالبرق والطَّير أو كالخيل في النّظر

ساعٍ وماشٍ ومخدوش ومعتلق ... ناج وكم ساقط في النَّار منتشر

للمؤمنين ورودٌ بعده صدرٌ والكافرون لهم وردٌ بلا صدر

فيشفع المصطفىٰ والأنبياء ومن يختاره الملك الرَّحمن في زمر

في كلِّ عاصٍ له نفسٌ مقصّرة وقلبه عن سوىٰ الرَّبّ العظيم بري

فأوَّل الشُّفعا حقّاً وآخرهم محمَّدٌ ذو البهاء الطيِّب العطر

مقامه ذروة الكرسيّ ثمَّ له عقد اللواء بعزٍّ غير منحصر

والحوض يشرب منه المؤمنون غداً كالأري يجري علىٰ الياقوت والدّرر

ويخلق الله أقواماً قد احترقوا كانوا أولي العزَّة الشَّنعاء والنجر

والنَّار مثوىً لأهل الكفر كلّهم طباقها سبعةٌ مسودَّة الحفر

جهنَّمٌ ولظىٰ والحطم بينهما ثمَّ السَّعير كما الأهوال في سقر

وتحت ذاك جحيمٌ ثم هاويةٌ يهوىٰ بها أبداً سحقاً لمحتقر

في كلِّ باب عقوبات مضاعفة وكلّ واحدة تطوىٰ علىٰ النفر

فيها غلاظ شداد من ملائكة قلوبهم شدَّة أقوىٰ من الحجر

لهم مقامع للتَّعذيب مرصدةٌ وكلّ كسرٍ لديهم غير منجبر

سوداء مظلمة شعثاء موحشة دهماء محرقة لوَّاحة البشر

فيها الجحيم مذيبٌ للوجوه مع ال أمعاء من شدَّة الإحراق والشّرر

فيها الغسَّاق الشَّديد البرد يقطعهم إذا استغاثوا بحرٍّ ثمّ مستعر

فيها السَّلاسل والأغلال تجمعهم مع الشَّياطين قسراً جمع منقهر

فيها العقارب والحيَّات قد جعلت جلودهم كالبغال الدُّهم والحُمُر

والجوع والعطش المضني ولا نفسٌ فيها ولا جلدٌ فيها لمصطبر

لها إذا ما غلت فورٌ يقلّبهم ما بين مرتفع منها ومنحدر

جمع النواصي مع الأقدام صيّرهم كالقوس محنيّةً من شدَّة الوتر

لهم طعام من الزقُّوم يعلق في حلوقهم شوكةً كالصَّاب والصَّبر

يا ويلهم عضَّت النِّيران أعظمهم والموت شهوتهم من شدَّة الضَّجر

ضجُّوا وصاحوا زماناً ليس ينفعهم
دعاء داعٍ ولا تسليم مصطبر

وكلّ يوم لهم في طول مدّتهم
نوع شديد من التَّعذيب والسُّعر

كم بين دار هوانٍ لا انقضاء لها
ودار أمنٍ وخلدٍ دائم الدَّهر

دار الذين اتّقوا مولاهم وسعوا
قصداً لنيل رضاه سعي مؤتمر

وآمنوا واستقاموا مثل ما أُمروا
واستغرقوا وقتهم في الصَّوم والسَّهر

وجاهدوا وانتهوا عمَّا يباعدهم
عن بابه واستلانوا كلّ ذي وعر

جنَّات عدن لهم ما يشتهون بها
في مقعد الصّدق بين الروض والزهر

بناؤها فضة قد زانها ذهبٌ
وعينها المسك والحصبا من الدُّرر

أوراقها ذهبٌ منها الغصون دنت
بكلِّ نوع من الرَّيحان والثَّمر

أوراقها حلل شفافةً خلقت
واللؤلؤ الرَّطب والمرجان في الشَّجر

دار النَّعيم وجنَّات الخلود لهم
دار السَّلام لهم مأمونة الغير

وجنَّة الخلد والمأوىٰ وكم جمعت
جنَّات عدن لهم من مونقٍ نضر

طباقها درجات عدّها مائةٌ
كلّ اثنتين كبعد الأرض والقمر

أعلىٰ منازلها الفردوس عاليها
عرش الإله فسل واطمع ولا تذر

أنهارها عسل ما فيه شائبة
وخالص اللبن الجاري بلا كدر

وأطيب الخمر والماء الذي سلمت
من الصّداع ونطق اللهو والسّكر

والكلّ تحت جبال المسك منبعها
يجرونه كيف شاؤوا غير محتجر

فيها نواهد أبكار مزيّنة
يبرزن من حلل في الحسن والخفر

نساؤها المؤمنات الصَّابرات علىٰ
حفظ العهود مع الإملاق والضّرر

كأنهنَّ بدور في غصون نقا
علىٰ كثيب بدت في ظلمة السّحر

كلّ امرئ منهم يعطىٰ قوىٰ مائةٍ
في الأكل والشُّرب والإفضا بلا خور

طعامهم رشح مسكٍ كلَّما عرقوا
عادت بطونهم في هضم منضمر

لا جوع لا برد لا همٌّ ولا نصبٌ
بل عيشهم عن جميع النَّائبات عري

فيها الوصائف والغلمان تخدمهم كلؤلؤٍ في كمال الحسن منتثر
فيها غناء الجواري الغانيات لهم بأحسن الذِّكر للمولى مع السَّمر
لباسهم سندس حلاّتهم ذهب ولؤلؤ ونعيم غير منحصر
والذِّكر كالنَّفس الجاري بلا تعب ونزّهوا عن كلام اللغو والهذر
وأُكلها دائم لا شيء منقطع كرّر أحاديثها يا طيّب الخبر
فيها من الخير ما لم يجر في خلدٍ ولم يكن مدركاً للسَّمع والبصر
فيها رضا الملك المولى بلا غضب سبحانه، ولهم نفع بلا غير
لهم من الله شيء لا نظير له سماع تسليمه والفوز بالنَّظر
بغير كيفٍ ولا حدٍّ ولا مثلٍ حقاً كما جاء في القرآن والخبر
وهي الزِّيادة والحسنى التي وردت وأعظم المورد المذكور في الزُّبر
لله قومٌ أطاعوه وما قصدوا سواه إذ نظروا الأكوان بالعبر
وكابدوا الشَّوق والأنكاد قوّتهم ولازموا الجدّ والأذكار في البكر
يا مالك الملك جد لي بالرِّضا كرماً فأنت لي محسن في سائر العمر
يا ربّ صلّ على الهادي البشير لنا وآله وانتصر يا خير منتصر
ما هبّ نشر صبا واهتزَّ نبت ربا وفاح طيب شذا في نسمة السَّحر
أبياتها تسع عشرٍ بعدهـــــــا مائةٌ كلامها وعظـــــــه أبهى من الدُّرر

والحَمْدُ للهِ رَبِّ العَلَمِيْن

